هرمز أبونا

الآشوريون بعد سقوط نينوى

المجلد الخامس



كنيسة مار شليطا في قوجانس - حكاري

القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري
والأقاليم الآشورية المحيطة بها

الآشوريون بعد سقوط نينوى

المجلد الخامس

القبائل الآشورية المستقلة

في

تياري و حكاري

والأقاليم الآشورية المحيطة بها

هرمز أبونا

الطبعة الأولى ١٩٩٩

طبع في مطبعة آلفا غرافيك

شيكاغو - الينوي

الإهداء:

إلى أخي حميد الذي رحل عنا معانياً وهو في ربيع الحياة

محتويات الكتاب

القسم الأول

المقدمة i

شكر واعتذار iii

الفصل الأول ـ وطن القبائل الآشورية المستقلة وموقعه في آشور. 1

الفصل الثاني ـ الحدود الجنوبية لوطن القبائل الآشورية المستقلة 13

الفصل الثالث ـ الحدود الشمالية ـ أرمينيا 48

الفصل الرابع ـ طور عبدين والجزيرة. 59

الفصل الخامس ـ الحدود الشرقية ـ أذربيجان 91

القسم الثاني

الفصل الأول ـ وطن القبائل الآشورية ودولتها البدائية المستقلة. 124

الفصل الثاني ـ القبائل الآشورية ووطنها ـ تابع. 153

الفصل الثالث ـ الحالة الدينية وصلاحيات البطريرك. 182

الفصل الرابع ـ عراقة القبائل الآشورية في تياري وحكاري. 212

الفصل الخامس ـ الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. 238

الفصل السادس ـ الآشوريون والعالم الخارجي ـ الإنكليز. 269

الفصل السابع ـ الحالة السياسية قبل مذبحة 1843. 304

الفصل الثامن ـ الغيوم السوداء تتجمع حول وطن القبائل الآشورية. 318

مراجع الكتاب العربية والإنكليزية. 341

محتويات الكتاب. 351

المقدمة

يتناول هذا المجلد القبائل الآشورية المستقلة التي كانت تعيش في بلاد تياري وحكاري (جنوب شرق تركية الحالية). والتي كان آخر عهد لها في وطنها سنة 1915. ولقد مثلت هذه القبائل حالة فريدة في تاريخ المنطقة والتي لم يتم الإشارة إليها إلا من قبل المستشرقين والمبشرين والدبلوماسيين الغربيين في القسم الأول من القرن التاسع عشر. ولقد قسمت هذا المجلد إلى قسمين:

القسم الأول:

يتضمن خمسة فصول تناولنا فيها التعريف بوطن القبائل المستقلة والأقاليم الآشورية المحيطة به: حدياب من الجنوب، وطور عبدين والجزيرة من الغرب، وأذربيجان إيران من الشرق، أما من الشمال فأشرنا إلى حالة التداخل التاريخية التي كانت قائمة بين التجمعات الآشورية والأرمنية.

أما في القسم الثاني فلقد تناولنا في الفصول الثمانية التي تضمنها: التعريف بوطن القبائل المستقلة من النواحي الجغرافية والسكانية. كما أشرنا إلى الكيان السياسي الذي كان قائماً فيها وفصلنا الحياة الدينية وصلاحيات البطريرك كرئيس ديني ومدني لهذه القبائل. وتناولنا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت قائمة لقرون متواصلة. وضمن العلاقات الخارجية أشرنا بشيء من التفصيل إلى العلاقات الآشورية – الإنكليزية ومراحلها الأولى. كما وتناولنا مسألة العلاقة بين القبائل الآشورية هذه مع الأكراد والحقوق المشتركة في إمارة حكاري، إضافة إلى ما فرضته التطورات من علاقة مع الأتراك.

ولقد اعتمدت على مصادر البحث التالية:

1 ــ الوثائق البريطانية، الموجودة في Public Record في لندن. وتشمل تلك التي كتبها الدبلوماسيون الإنكليز المقيمين في المنطقة (تركية وإيران) وأشرنا إلى ما ذكروه عن أحوال هذه القبائل في مختلف النواحي.

2 ــ المصادر الأجنبية: وتتضمن بشكل خاص ما كتبه المبشرون والرحالة والمؤرخون الغربيون. وتعتبر المعلومات التي وردتنا من المبشرين والرحالة الذين زاروا وطن القبائل على جانب كبير من الأهمية بسبب كون المعلومات التي ذكروها هي الأولى التي تتعلق بحياة القوم الذين ظلّ وطنهم مغلقاً لغاية سنة 1839.

3 – أما المصادر العربية فتشمل ما كُتِبَ عنهم من قبل المؤرخين والكتبة المحليين والإقليميين.

هرمز أبونا

تورنتو / تشرين ثاني / 1998

شكر واعتذار:

اقدم شكري الجزيل للدكتور **نورمان سولخا**، مؤسس متحف ما بين النهرين، ومركز الدراسات الآشورية، ونصب الشهيد الآشوري في شيكاغو على تشجيعه ودعمه لمشروع طبع ونشر سلسلة التاريخ الآشوري المشار إليه. وإن الجهد الذي يقوم به لإحياء التراث الآشوري سيؤهله لكي يكون موضع اعتزاز الأجيال الآشورية في الألف الثالثة.

وكذلك أقدم الشكر للسادة أندريوس دانيال وضياء توماس وفراس جتو من تورنتو على مساعداتهم الكريمة في مجال الكومبيوتر. وجميع الأخوة الذين قدموا المساعدة لتسهيل طبع هذا المجلد.

ولابد من كلمة اعتذار لأتباع الكنيستين الشرقية والسريانية الأرثوذكسية لاستخدامي لتعبيري (النساطرة) و (اليعاقبة) ذلك الاستخدام الذي أملته ضرورة الاقتباس مما ذكره المستشرقون والمبشرون الغربيون الذين جاءت صيغة استخدامهم لهذين التعبيرين للانتقاص منهم أكثر من أي شئ آخر.

المؤلف

القسم الأول

الفصل الأول

وطن القبائل الآشورية المستقلة وموقعه في آشور

1 – الانتشار الجغرافي لأتباع الكنيسة الشرقية في آشور:

غالباً ما نسمع بعضاً من أبناء الشعب الآشوري حينما يتحدثون عن مناطق سكنهم، ومسقط رأس آبائهم وأجدادهم يقولون: بأنهم من **تياري عليثا** (العليا)، **تياري ختيثا** (السفلي)، **باز، جيلو، دز، جال، البق، برور سويني**، وغيرها من المناطق الواقعة في جنوب شرق تركية الحالية. هنا في هذه البلاد كانت قد عاشت القبائل الآشورية حالة استقلال كاملة منذ حقبات تاريخية سحيقة في القدم، إلى أن قام التحالف الكردي، بقيادة **بدرخان بك** زعيم أكراد بوتان، بالقضاء عليه خلال السنوات 1843 1846. ولكي نتعرف على موقع وجغرافية وطن هذه القبائل، وامتداده، والكثافة الآشورية المحيطة به، لابد من تحديد موقعه بدلالة الدول، والأقاليم الآشورية المحيطة به. ولكن يجب استحضار حقيقة هامة وهي: أن وطن القبائل هذا لم يكن عبر مراحل التاريخ منعزلاً عن عمقه القومي. إذ كان مطوقاً بأقاليم آشورية خالصة مثل **طور عبدين والجزيرة** من الغرب، **والأقاليم الآشورية في أذربيجان** إيران من الشرق، **وإقليم حدياب** (المنطقة المحصورة بين الزابين) من الجنوب.

ولقد شغل وطن القبائل الآشورية المستقلة دوراً هاما في تاريخ المنطقة، وساهم أبنائه في صنعه. لذا لا غرابة بأن كان موضع اهتمام، ودراسة الباحثين والمستشرقين والمبشرين، الذين كتبوا عنه الكثير. وبغية التعرف عليه، نورد

بعضاً مما ذكروه عن حدوده وانتشاره الجغرافي بشكل خاص، وانتشار أتباع الكنيسة الشرقية عامة، واخوتهم أبناء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المحيطين به في الجهات المنوه عنها وبشكل عام في منطقة طور عبدين.

2 ـ حملات التغيير الديموغرافي وقفت عند حدود تياري وحكاري

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت حملات الغزو والمذابح، والتشريد وسلب الأرض التي تعرضت لها بلاد ما بين النهرين عبر القرون الماضية لوقت بحثنا هذا، قد وصلت إلى مراحلها الشبه نهائية فيما يخص إكمال عملية التغيير في التركيبة الاثنية، والدينية في عموم هذه البلاد. إذ كانت قد وصلت إلى حدود مجموعتين مستقلتين، تتحصنان في تياري وحكاري، وجبال طور عبدين. هاتان المجموعتان ظلتا على استقلالهما إلى أواسط القرن التاسع عشر. فلم يخضعوا قط لسلطة الإمبراطوريات التي تعاقبت على حكم بلاد ما بين النهرين. في حين عجزت حملات الغزو البربرية، لاسيما الترك ـ مغولية (1055 ـ 1843) من اختراقهما والسيطرة عليهم أسوة ببقية الأقاليم.

عمليات التغيير المشار إليها*، حصلت خلال سلسلة غير منقطة من المذابح الجماعية لسكان البلاد الأصليين في المناطق السهلية والمتوجة. وكانت

---

* أهم حملات التغيير كانت 1055(السلاجقة)،و 1258 – 1508 (المغول). أما التغييرات في التاريخ الحديث فإن أكثرها تأثيراً كانت تلك التي أعقبت معركة جالديران (1514) بين الأتراك والفرس حيث قام الأتراك وبموجب اتفاق مع الأكراد بتوطينهم في آشور لقاء مساندهم ضد الصفويين. نتيجة الاتفلق كانت قيام المراكز العشائرية الكردية في آشور.انظر: عباس العزاوي، العراق بين إحتلالين، ملحق 1 و 2: 286–287 و 3: 325. نكيتن، الأكراد، 145 – 169. مأمون بك بن بيكه بك، مذكرات، 6–7. الكوراني، 34– 35 و 122 – 125 و 243. Gibb & Browne يقولان: "**منذ سليم الأول**

محصلتها انتزاع الأرض والسيطرة عليها. وبدايتها كانت مع استعانة الخلفاء العباسيين بالمرتزقة الأتراك الذين سيطروا على السلطة بعد خلافة المعتصم (833 841). وكانت نتيجتها تعريض بلاد ما بين النهرين لقرون متواصلة من التدمير على يد الغزاة الطامعين بخيراتها. إذ بعد أن احكم الأتراك سيطرتهم على مقدرات السلطة السياسية والعسكرية في البلاد، فإن العملاق الترك - مغولي، استيقظ في موطنه الأصلي في وسط آسيا وتوجه نحو الغرب (ما بين النهرين).

وإذا كانت بلاد ما بين النهرين قد تعرضت إلى حملة تغييرات جذرية في تركيبها القومي، واللغوي، والديني خلال الفترة المحصورة بين أواسط القرن الحادي عشر، وأواسط القرن التاسع عشر. فان القبائل الآشورية في تياري وحكاري، لم تختبر بشكل مؤثر ذات التجربة التي مرّ بها اخوتهم في بقية الأقاليم. فمنذ الزحف الأول للعنصر الترك - مغولي (السلاجقة) باتجاه بلاد ما

عمل العثمانيون على إخلاء الأرض من سكانها الأصليين وتوطين الأكراد فيها لقاء مساعدتهم في حربهم مع الشاه إسماعيل". Islamic Society and the West. II. 227. الزحف الثاني الذي لا يقل خطورة في تغيير الخارطة القومية واللغوية والدينية في آشور حصل بعد غزو نادر شاه لآشور سنة 1743 إذ تمت هجرة واسعة لأكراد إيران إليها وكانت من نتائجها السياسية المباشرة، مساعدة إيران في قيام نواة الإمارات الكردية التي شغلت مساحة كبيرة في تاريخ المنطقة في القرن التاسع عشر لاسيما إمارة بابان التي كانت القلعة المتقدمة لإيران في بلاد ما بين النهرين. أنظر: العزاوي، 5: 267- 269. الكوراني، 71، 243. علي شاكر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني، 140. مينورسكي، الأكراد، 50. د. عبد الرحمن قاسملو، 24، 43- 45. محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية، 52- 53. ويقول: " بأن ثلثي الأكراد كانوا بدو رحل في أواسط القرن التاسع عشر. 151. ويقول رج: بان أقدم مدينة بناها الأكراد [في شمال العراق الحالي] هي السليمانية بحدود سنة 1800. أما الدكتور حسن شميساني فيقول بأن الأكراد جاءوا إلى المنطقة من إيران. انظر: مدينة سنجار،248.

بين النهرين، واحتلالهم لبغداد سنة 1055[1] فان موجات الغزو العديدة التي أعقبته، أوصلت العناصر الغازية، إلى الحدود الجنوبية والشرقية والغربية لوطن قبائل تياري وحكاري المستقلة، وطوقتها من جميع الجهات، بعد أن تعرضت أرمينيا لذات المصير الذي تعرضت له بلاد آشور.

ففي وقت بحثنا (أواسط القرن التاسع عشر) كانت الخارطة الاثنية والدينية، قد تغيرت بشكل حاسم لمصلحة الغزاة المستقرين. وطالت عمليات استقرارها جميع المناطق والأقاليم التي شهدت أيام مجد وعظمة الشعب الآشوري خلال عشرات القرون. ففي أواسط القرن المذكور، أشار عالم الآثار الشهير **Sir Henry Layard** إلى هذه الحقيقة، فذكر: بان الآشوريين في حدياب، وجبال آشور [تياري وحكاري وطور عبدين] **"هم البقايا الوحيدة من السكان الأصليين لبلاد ما بين النهرين. أما البقية فغرباء"**[2].

وهكذا كانت النتيجة النهائية لزحف واستقرار العناصر الغريبة، أن اصبح الآشوريون أقلية في وطنهم. واصبح المستقرون في المدن التاريخية الآشورية أكثرية مهيمنة على مقدرات البلاد. وكما قلنا فان الاستثناء الوحيد كان ذلك الصمود الأسطوري الذي أظهره آشوريو تياري وحكاري، وطور عبدين ومقاومتهم المستمرة، والناجحة، لجميع محاولات الغزاة للسيطرة على وطنهم. في حين حُوّل البقية الباقية من هذا الشعب إلى حالة استعباد اقتصادي،

---

[1] عن بداية الاضطهادات المنظمة بعد الاحتلال السلجوقي يقول المؤرخ روفائيل بابو اسحق: "..وفي أيام الجاثليق يوحنا الخامس بن ترجل (المتوفى سنة 1057) وردت عساكر خراسان ونهبت الجانب الشرقي من بغداد بأسره وعلى الأخص دار الروم فاضطر إذ ذاك الجاثليق إلى أن ينحدر إلى دار الخليفة ثم إلى دير قني ومكث فيه مدة من الزمن." تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى يومنا. مطبعة المنصور، بغداد. 1948. 72

[2] Layard, Sir Henry. Popular Account of Discoveries at Nineveh. London: John Murry, 1851. 24

وسياسي، واجتماعي. فأصحاب الأرض الشرعيين تاريخياً، أصبحوا يعرفون **(بالرعية)** التي هي حالة اجتماعية، بموجبها اصبح الآشوريون شبه عبيد في وطنهم وفي ارض آبائهم وأجدادهم للآغوات الأكراد والأفشار والأتراك والعرب.

ولكن عملية التغييرات الحاسمة التي كانت قد توقفت عند حدود القبائل المستقلة المشار إليها، لم يحصل توقفها بسبب إقرار العناصر الغريبة بالواقع الذي كان قائماً. كما لم يكن نتيجة قناعة الغزاة، بحق القوم بالعيش في أرضهم التاريخية، وقبول التعايش معهم. بل كان نتيجة فشل وعجز الغزاة في إخضاع هذه القبائل والسيطرة على أرضها، كما حصل لبقية أقاليم آشور، كما أشرنا. فلقد حافظ أبناء تياري وحكاري على أرضهم وحريتهم بقوة السلاح، إلى أن تجمعت كل القوى المعادية لهم في المنطقة، وحشدت جميع قدراتها للقضاء على هذا العنصر الصلد الذي يختلف عنهم عرقياً ودينياً.

3 ـ موقع وطن القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري

ولإعطاء صورة واضحة عن موقع قبائل تياري وحكاري الآشورية المستقلة، أواسط القرن التاسع عشر، فان هذا لا يمكن القيام به بمعزل عن بقية أقاليم وطن الشعب الآشوري، لاسيما تلك المحيطة به. إذ عملياً لا يمكن فصل الروابط التاريخية التي كانت قائمة بينهما المتمثلة في تجانسها الاثني والديني واللغوي، العاكس لهويتها الآشورية. وللتعرف على هذه الحقيقة، فإننا نستعين بما ذكره المؤرخين والباحثين والمستشرقين، وما تناولته دراساتهم عن الأرض وأبنائها عبر مراحل التاريخ. ولكي نتعرف على ما لحق بهما من تغيير خلال قرون الغزو والمذابح. فنذكر آراء بعضهم ممن أشاروا إلى ما تبقى من وطن الشعب الآشوري وقت دراساتهم تلك خلال القرن التاسع عشر، فنذكر:

في النصف الثـاني مـن القـرن التاسـع عشـر كتـب المبشـر **Rufus Anderson,** وبلغة الأرقام، واصفاً وطن النساطرة مـن أتبـاع الكنيسـة الشـرقية قائلاً": إن بلادهم تمتد 300 ميل طولاً و 200 عرضـاً"[3]. أمـا المبشـر **Adrian Fortescue,** فقد ذهـب إلى ابعـد مـن ذلـك في تحديـده لوطـن أتبـاع الكنيسـة الشرقية من أبناء الشعب الآشوري، مما ذهـب إليـه المبشـر السـابق. إذ يحـدد وطن "النساطرة" عموما بقولـه: انـه يشـمل المثلـث المحصـور بـين (الموصـل) وبحيرة (أورمية) وبحيرة (فان)[4]. في حين قـام **Leon Dominian,** بتحديـد مناطق انتشاؤهم حسب خطوط الطـول، والعـرض، فيقـول: " النسـاطرة تنتشـر قراهم في مناطق جغرافية مختلفة ما بين السـهول، والجبـال. فـهي تمتـد مـن حدود فارس شرقاً، وحتى نهر دجلة غرباً. ويقع وطنهم بشـكل تقريـبي بـين خطوط الطول 34° و 38° "[5]

أمـا الدكتـور **A. Grant,** فحـين يتحـدث عـن وطـن (النسـاطرة الآشوريين) فانه يتحدث بشمولية وتفصيل أكثر. فهو يحدد موقع وطن القبائل المسـتقلة بالنسـبة إلى بقيـة منـاطق انتشـار بـني قومـهم وكنيسـتهم في الأقـاليم المحيطة بهم، لاسيما الجنوبية. فلقد أكد في الثلاثينات من القرن التاسع عشـر بان الخارطة الديموغرافية (السكانية) التي كانت قائمة في المنطقـة آنـذاك، مـا هي إلا تحصيل حاصل للتغييرات التي شهدتها، بسبب ما تعرضـت إليـه مـن

---

3 Anderson, Rufus. History of the Mission of the American Board of Commissioners for Foreign Mission to Oriental Churches. Vol. I., Boston: Congregational Publishing Society, 1872. 129.

4 Fortescue, Adrian. The Lesser Eastern Churches. Vol. I, 1913. 127. Also, Olmstead, A.T. History of Assyria. The University of Chicago Press, 3rd ed., 1968. 13

5 Dominian, Leon. The People of Northern and Central Asiatic Turkey. American Geographic Association vol. XLVII. 1915, 864 865.

غزوات ومذابح. فكانت النتيجة انحسار وتقلص الرقعة الجغرافية التي كانت مسكونة بأغلبيتها من قبل النساطرة (الآشوريين). وفي هذا الصدد يقتبس ما ذكره المؤرخون والكتبة القدماء الذين تناولوا دراسة انتشار النساطرة من أتباع الكنيسة الشرقية الجغرافي في بلاد أشور، مشيراً إلى **Polomly** و **Strabo** اللذان أشارا إلى سهول نينوى ودولبينا وحدياب، حيث أكدا بان هذه الأقاليم كانت بأكملها مسكونة من قبل النساطرة.

وعند حديثه عن منطقة حدياب يقول الدكتور **Grant** أيضا: "**منطقة حدياب كانت تشكل الأجزاء الوسطى لبلاد أشور، وإن غالبية الأقسام الوسطى لها كانت مسكونة بالنساطرة، ولم يسكن فيها أحد غيرهم. وان القسم الأعظم للقبائل المستقلة في تياري، وجميع قبائل تخوما، و باز، و جيلو، والقبائل الأخرى الصغيرة، تقع ضمن حدياب**"[6]. **ثم يحدد موقع وطن القبائل المستقلة بالنسبة إلى آشور قائلاً: "في سلسلة الجبال العاصية، التي تشكل وسط بلاد أشور القديمة .. تقطن القبائل المستقلة.**"[7]

في القسم الثاني من القرن السادس عشر زار بلاد ما بين النهرين الرحالة الهولندي راوولف، وعند حديثه عن النساطرة ووطنهم، ذكر بأنهم يسكنون على امتداد نهر دجلة والأقسام الشرقية له، وفي بلاد مادي (أذربيجان) وحتى أرمينيا. بكلمة أخرى فان الخارطة الديموغرافية (السكانية) التي رسمها هذا الرحالة تشير إلى انتشارهم ما بين دجلة غرباً، وبحيرة أورمية

---

[6] Dr. Grant, A. The Nestorians, or The Lost Tribes. New York, 1844. 123, 129.
[7] Dr. Grant, 9.

شرقاً، وما بين أرمينيا شمالاً، وحتى الموصل وما جاورها جنوباً، أي في المثلث المشار إليه.[8]

مما تقدم من حقائق يتبين بأن البلاد المعروفة بحدياب والتي تشكل القسم الهام من أشور القديمة كانت على الدوام مسكونة بالآشوريين ولم يسكنها أحد غيرهم قبل بداية حملات الغزو والمذابح التي شهدتها ما بين القرن الحادي عشر والسادس عشر.. وان وطن القبائل المستقلة يقع ضمن **حدياب التي تشكل الأقسام الوسطى من بلاد أشور.**

4 ـ التغيير الأول في الخارطة الديموغرافية ـ القرن السابع والثامن

أول تغيير في التركيبة المشار إليها، حصل في بلاد ما بين النهرين، مع بداية تقدم الحملات الإسلامية. فلقد كانت النتائج المباشرة لزحف الجيوش العربية ـ الإسلامية إحداث تغييرات جوهرية في التركيبة الاثنية، والدينية، واللغوية، في الأقسام الجنوبية وأجزاء من المناطق الوسطى لهذه البلاد، وبشكل حاد ومؤثر. وبصورة عامة فان المناطق السهلية كانت من أكثر المناطق التي شملتها تغييرات القرن الأول للهجرة. وحين هدأت عاصفة التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية واللغوية مع استلام العباسيين للحكم في بغداد سنة 750 ميلادية، فان خارطة التحولات المشار إليها كانت قد توضّحت معالمها، وعكست حصول التغيير الكبير، في الهوية الاثنية

---

[8] راو ولف، "رحلة المشرق". ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1978. 196

واللغوية والدينية في المناطق المشار إليها. ولكي نتعرف على جسامة التحولات وكيف تغيرت هوية المنطقة، فأصبحت عربية / إسلامية، لغةً، وديناً، بعد أن كانت آرامية / مسيحية، لغةً وديناً. لابد من تقييم التغيير الجذري الذي حصل خلال القرن الأول الهجري، حيث يظهر بأن من بين الملايين من أبناء البلاد الأصليين من دافعي ضريبتي (الجزية) و (الخراج) في السنوات الأولى من السيطرة العربية ـ الإسلامية، وبدءً سنة 640 ميلادية وما بعدها، لم يبقى منهم سوى 14 ألفا يدفعون ضريبة الجزية في بغداد بعد سنة 750 تحت الحكم العباسي[9]. هذا ما آلت إليه حالة المسيحيين من الناطقين بالآرامية في جنوب

---

[9] يذكر المؤرخ آدم متز إن عدد النصارى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذين كانوا يدفعون الجزية في سواد العراق، كانوا خمسمائة ألف إنسان. و لم يبقى ممن كان يدفع الجزية في العصر العباسي إلا نحوا أربعة عشر ألف مسيحي من أهل الذمة وهذا يظهر الانحطاط الكبير في عدد المسيحيين الذين ظلوا على مسيحيتهم في المناطق الجنوبية والوسطى من بلاد ما بين النهرين. (انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريده. 1 بيروت. 1967. 84.) ورغم أن الخلفاء الراشدين كانوا قد طالبوا قوادهم وعمالهم في الأقاليم التي يحكمون فيها أهل الذمة من دافعي الضرائب بأن يكونوا منصفين وعادلين في جمعها، كما ورد في كتاب الخليفة عثمان الذي جاء فيه: " أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق؛ فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة؛ قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها ... لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد [أهل الكتاب] فإن الله خصم لمن ظلمهم " (الطبري، تاريخ الطبري، 4 الطبقة الخامسة القاهرة. 1967. 245.). وضريبة الجزية كانت قد فرضت على أهل الكتاب في المقام الأول لضمان حماية النفس والمال والحرية لهؤلاء الكتابيين. (H. Gibb and Browen, Islam Society and the West, London. II. 3rd ed. 1965. 208.) غير أن القائمين على حكم الذميين لم يتقيدوا بمثل هذه الأوامر قط. لا بل غالوا في استنزاف الذميين وخطف لقمة العيش من أفواه أطفالهم. فإضافة إلى انتزاع حاصلات فلاحي السواد من يد أصحابها يذكر الأب جان فييه بان معدل قيمة الجزية التي كانت تستوفي من الذميين كانت تعادل جهد عمل ما بين 10 – 15 يوم عمل. (جان فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، بيروت. 1990. 86.) ويضيف: وبسبب إجراءات التميز والضرائب الخاصة التي فرضت على النصارى، فقد خرج البعض من دينهم وبينهم العديد في العهد العباسي. ما قبله 87، 129، 134. وان مقارنة بسيطة بين الضرائب الباهضة التي كانت تفرض و تستحصل من المسيحيين من أهل الذمة في سواد العراق تظهر حالة التحول السريع

بلاد ما بين النهرين، وفي الكثير من الأقاليم السهلية الواقعة في وسطها، لاسيما تلك المحصورة ما بين بغداد ونهر الزاب الأسفل. أما الأقسام المتموجة والجبلية لبلاد ما بين النهرين، فان الكثافة الآشورية فيها لم تتـأثر بـذات الحـدة الـتي حصلت في المناطق المشار إليها، إن لم نقل بأن تلك التأثيرات لم تصلها بشـكل يتطلب ذكره. فلقد استمر الوجود الآشوري فيها بنسبة عالية جـدا، لاسيما في المناطق الواقعة إلي الشمال من نهر الزاب الأسـفل المشـار إليـه: عـبر حديـاب، بيث كرماي (كركوك)، سهول نينوى، إقليم شنكارا (سـنجار)، وطـور عبديـن والجزيرة وبلاد الديلم (أذربيجان إيران) وحتى أقصى الأقاليم الشمالية لبلاد ما بين النهرين. في حين كانت بلاد تياري وحكـاري بعيـدة كليـا عـن التأثـيرات التي كانت تحصل في المنطقة.

ويعزى السبب في حصول ما حصـل إلى عـدة أسباب وعوامـل منـها: الجغرافية التي مثلت سـهول مـا بـين النـهرين هدفـا سـهلا لأحـداث التغيـير المذكور. إضافة إلى ذلك فإن السياسية التي أعتمدها الخلفاء الراشـدين، لاسيما الخليفة عمـر بـن الخطـاب، كـانت قـد رجحـت اعتمـاد السياسـية الضريبيـة المفروضة على أهل الذمـة، علـى انـتزاع الأرض مـن يـد أصحابـها، وإعطـائـها

نحو الإسلام من قبل المسيحيين من أبناء ما بين النهرين في الأقسام الجنوبية. ففي عهد الخليفـة عمـر كانت الواردات من أهل الذمة 100 مليون درهم. إذ أنه كان قد " ختـم ... في خمسـمائة ألـف وخمسين ألف علج [ذمي]" إلا أن التحول نحول الإسلام قلل عدد دافعي الضريبة هذه. ففـي وقـت الحاكم المستبد الحجاج بن يوسف الثقفي انخفضت الواردات إلى 40 مليون درهم رغم النهب والقسوة التي كان يمارسها ضد التجمعات المسيحية التي كانت تحت حكمه المباشر. (فتوح، 270). وهكـذا لم يجد المسيحيين من بد للتخلص من الظلم سوى اعتناق الإسلام. أنظر: إيشو مالك جوارو، الآشـوريون في التاريخ، بيروت. 1962. 124. بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، 2. الموصل. 1905. 200. جان فييه، أحوال النصارى في عهد الخلافة العباسـية، بـيروت. 1990. 45 – 46.

للمقاتلين العرب المسلمين. في حين ساعد على حدوث التغييرات في المناطق المشار إليها العلاقات التاريخية التي كانت للقبائل العربية معها خلال قرون طويلة من تنقلها ما بين الجزيرة وأعالي ما بين النهرين في موسم الصيف، على امتداد الضفة الغربية لنهر الفرات. إضافة إلى لكون القبائل العربية المسيحية المتواجدة في الأقسام الجنوبية الغربية لبلاد ما بين النهرين مثلت جسراً لهذه الغاية أيضا. والتي كانت قاعدتها إمارة الحيرة والأنبار. هذه المناطق كانت معروفة لطلائع الجيوش العربية ـ الإسلامية الزاحفة من الجزيرة. وكان لهم خبرة وعلاقات تاريخية في التعامل معها عبر القرون الماضية. ففي هذه المناطق السهلية (عموما) أظهر العرب النزعة القوية للاستقرار فيها، ولم يرد ذكر لمحاولتهم القيام بذلك في المناطق المتموجة، والجبلية، التي كانت مسكونة بشكل كامل بالآشوريين. فاختاروا الاستقرار في المناطق السهلية القريبة من الصحراء، خط الدفاع العسكري الأول للعرب عبر التاريخ[10].

---

[10] للخليفة عمر بن الخطاب يمكن أن تعزى سياسية الاستيطان في البلدان التي غزتها بنجاح جيوش العرب المسلمين. ولقد مثلت تجربتهم في العراق النموذج الذي احتذوا به. فلقد أوعز الخليفة إلى سعد قائد حملته في جنوب ووسط العراق الحالي بما يجب عليه أن يفعله فيما يخص الاستقرار في المناطق التي احتلها. فجوابه على ما كان قد بلغه عن حالة قوات سعد في منطقة الكوفة، كتب الخليفة إليه قائلاً: "**إن العرب بمنزلة الإبل، لا يصلح لها ما لا يصلح للإبل. فارتد لهم موضعاً عدناً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً**" (**البلاذري، فتوح البلدان، بيروت** 1978. 275.). بكلمة أخرى فان الخليفة يأمره بان لا يجعل مناطق الاستقرار على الجانب الآخر من النهر لكي لا يكون عائقاً بينه وبين تقديم النجدة إذا ما تطلب الأمر ذلك. ولقد أظهر هذا الخليفة بان ما يهم بيت مال المسلمين من البلدان التي أضحت تحت سيطرته هو الواردات المالية التي تستحصل من خلال فرض ضريبتي الخراج والجزية. والضريبة الأخيرة رجحت كفة قبولها على توزيع أرض السواد بين المقاتلين العرب المسلمين. فلقد كانت وصيته لقواده: "دع الأرض والجمال بيد من يحرث الأرض. " إذ لما افتتح عمر السواد قالوا له (قواد الحملة) أقسم بيننا فانا فتحناه عنوةً بسيوفنا فأبى وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين وأخاف أن قسمته أن تتفاسدوا بينكم في المياه. .. فاقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضهم الطسق و لم

تقسم بينهم" (فتوح، 268). Michael G. Marony, Iraq After Muslim Conquest. New Jersey, 1984. 175. ويذكر نقلا عن أبو يوسف (الخراج) والبلداهوري (فتوح) ويحى ابن آدم (الخراج) بان فكرة تقسيم سواد العراق وتوزيعها بين المسلمين قد أهملت بعد تقييم حجم الواردات لمصلحة إبقاء الأرض بيد السكان الأصليين. انظر أيضا L. E. Browne, The Eclipse of Christianity in Asia, Cambridge.9. (الطبري، تاريخ، ج1 الطبعة الخامسة، القاهرة. 1067. 613). إلا أن الضرائب التي تقرر فرضها على أهل الذمة كانت عبئا كبيرا على هؤلاء الذميين المسيحيين. فلقد أشار إلى قسوتها وثقلها ابن حوقل الذي وصفها بأنها كانت "ذله الجزية" والتي قارنها مع الضرائب التي كانت مفروضة من قبل الساسانيين قبل دخول المسلمين إلى العراق والتي يقول بأنها كانت باهضة إلا أن الضرائب في الفترة الإسلامية التي نحن بصددها يقول بأنها كانت أكثر بكثير مما كان الفرس قد فرضوه. (صورة الأرض، بيروت. 1979. 173. وعن إحصاء عمر لدافعي الجزية من الذميين في سواد جنوب ما بين النهرين، 189. أما عن المناطق التي شهدت استقرارهم وهي منطقة إقليم بابل الشهير فيقول عنه بأنه من أحس ممالك الأرض. 19.). وعن الحملات الأولى للعرب المسلمين التي لم تتجاوز حدود المناطق الصحراوية انظر: (جرجي زيدان، الأعمال الكاملة، م. 12 (التمدن الإسلامي). بيروت. 1982 – 89.) وهكذا نجد أن العرب القادمين من الجزيرة في القرن السابع وما بعده لم يستقروا قط في المناطق المتموجة والجبلية، وإنما في السهول فقط، كما نوهنا ومنها سهول الجزيرة العليا التي استقرت فيها كل من ربيعه ومضر وبكر من القبائل العربية والتي كان بعضها على دراية بأحوالها قبل الإسلام حيث بعضهم كان قد وجد طريقه للاستقرار فيها. انظر: (Le Strange, G. The Land of the Eastern Caliphates, Cambridge. 1905. 84.)

يقول كارل بروكلمان " الدولة كانت قليلة الاهتمام بشؤون الأعاجم (الغير العرب) الداخلية... وكان الأساقفة هم الذين تولوا شؤون الرعية في البلدان التي كانت من قبل مسيحية ... وإذا كان المسلمون لا يستطيعون أن يغادروا المراكز العسكرية ليستقروا على الأرض ويحرثوها، فقد كان لابد من إبقاء المالكين الأصليين في مواطنهم" أنظر (تاريخ الشعوب الإسلامية ط7 بيروت 1977. 108 – 109.)

الفصل الثاني

الحدود الجنوبية لوطن القبائل الآشورية المستقلة

أولاً : حدياب والأقاليم الجنوبية

1 – انتشار الشعب الآشوري جنوب وطن القبائل ـ بلاد حدياب*

* حدياب واحدة من الممالك الآشورية التي نشأت قبل الميلاد بقرون وكان لها كيانها الخاص بها خلال فترة الحكم السلوقي (331 – 127 ق.م.) واستمرت إلى العهد الساساني (226 ـ 651). وكانت تشمل أقساما واسعة من بلاد آشور حيث كانت تغطي المنطقة المحصورة ما بين زاكروس من الشرق حتى حوض دجلة من الغرب، ومن الزاب الأعلى إلى الزاب الأسفل. وخلال الحكم الفرثي (127 ق.م – 226 م) كانت واحدة من الدول التي تشكلت منها الإمبراطورية الفرثية باسم حدياب. وأصبحت ملجأً للمسيحيين المضطهدين من قبل الرومان. وبهذا كانت واحدة من قلاع الكنيسة الشرقية. H. Luke, (Mosul and its Minorities, 39.). وإن مملكة حدياب لعبت دوراً سياسياً وعسكرياً هاماً في تاريخ المنطقة. ففي سنة 168 حصل الصراع بين الفرس والفرثيين وكان لموقف ملكها **"نرساي"** من الصراع نتائج ذات تأثير على مستقبل المملكة إذ رفضت مساندة الفرثيين ضد الفرس. إلا إنها عرفت بمساندها لبعض ملوكهم الذين كانوا على علاقة ودّية معها. (انظر، كلدو وآثور، 1. 167 - 168. و Fletcher, .II. 106 – 111. و Mangana, (Alphonso), The Early Spread of Christianity in "Central Asia". John Ryland's Library Bulletin Vol. 9 - 192. 299 – 300)

ويذكر السمعاني بأنها كانت تمتد جنوباً الىآثور [شرقاط]. هذه المنطقة "كانت القطعة الأشرف موقعاً والأهم سياسة في جميع بلاد آشور واسمها يشتمل جميع الأصقاع الآشورية وسماها العرب حزّة... يوسيفوس للمؤرخ اليهودي ذكر بان أحد ملوكها إيزاط في القرن الأول، وتاريخ مشيحا زخا ذكر أسماء ملوكها ... (الصائغ، 1. 19.) وفي عهد شابور الثاني 339(– 379) كان يحكمها الملك سنحاريب. انظر (Fletcher, II. 134.). ويقول الدكتور فيصل السامر: "إن حزّه هي المنطقة التي تشمل (إمارة حدياب الواقعة بين الزابين والتي امتدت إلى آشور (شرقاط) وإلى نصيبين. وكانت قاعدتها اربيل. ولقد تحولت نينوى إلى مدينة من مدن إمارة حدياب وهي إحدى الإمارات الكلدانية الآرامية. (الدولة الحمدانية

تُشَكلْ الحدود الشمالية الحالية للدولة العراقية، الحدود الجنوبيـة لوطن القبـائل الآشـورية المستقلة. إذ تحـاذي أقـاليم (**تيـاري السـفلي**) و (**تخومـا**) و (**منيانيش**) و (**جيلو**) كل مـن أقـاليم (**زاخـو**) و (**بَـرورْ**) و (**صَبنـه / نـروة**) و (**راوندوز**) في العراق. والحدود الجنوبية كانت تمتد شرقاً من مناطق التقاء الحدود الدولية للعراق مع كل من إيران وتركية، من الشرق، وتمتـد غربـاً حتـى مشـارف مدينة (**زاخو**). وهذه الأقاليم الجنوبية المحاذية لحدود وطن القبائل، كانت عـبر مراحل التاريخ، تمثل الحلقة التي تربط أبناء تياري وحكـاري مـع ذلـك الانتشـار الكثيف لأبناء الأمة الناطقة بالآرامية / السريانية، الذيـن يمثلـون عمقـهم القومـي والديني، والذي كان يتواصل انتشاره باتجاه الجنوب، حتى تخوم جزيرة العرب. أما في الأقاليم الواقعة إلى الشمال الغربي لوطن القبائل، فان انتشار بني قومهم كان يمتد حتى (**ميافارقين**)، و (**خربوت**)، و (**اورهاي**) وما جاورها شمالاً وغرباً. في حين كانت ذات الكثافة الأثنية والدينية تمتد إلى سـواحل بحـيرة (**أورميـة**) ومـا جاورها من الشرق. عبر هذا الانتشار الجغرافي كان يسكن، ومنذ فـترات تاريخيـة سحيقة في القدم، أبناء آشور، وبابل. وظلّت البلاد محافظة علـى هويتـها الأثنيـة واللغوية والدينية، مسجلة تفوقاً ثقافياً وحضارياً على الإمبراطوريات المتعاقبة التي حكمتها، في أعقاب سقوط بابل سنة 539 ق.م[1]

في الموصل وحلب، 1. بغداد، 1970. 155 — 156. وظلت مزدهرة إلى بداية الانحطـاط العباسـي. إذ يذكر ابن حوقل عن أحوالها مع بداية هذا الانحطاط في القرن العاشر ما يلي: "... السكان إلى عهد قريب على حال صالحة وافرة فتكاثرت عليهم البوادي، واعتورتهم الفتن فصارت قفاراً من السكان يبابـاً مـن العمران. وهي في الشتاء مشاتي للأكراد الهذبانية ومصائف لبني شيبان. صورة الأرض 205.

[1]O'Leary, 23.

وما يعكسه التاريخ هو أن الإمبراطوريات التي حكمت بلاد ما بين النهرين بعد هذا التاريخ، كان هدفها الأول من احتلالها لهذه البلاد، هو الاستحواذ على خيراتها، وليس الاستقرار فيها. مثل الأخمينيين، والإغريق والفرثيين وغيرهم. فخلال فترات احتلال الإمبراطوريات المشار إليها، فان بلاد ما بين النهرين كانت قد حافظت على هويتها العرقية، واللغوية لمدة تقارب اثنا عشر قرنا من الزمان، بعد فقدان السلطة السياسية للشعب الآشوري البابلي. غير أن التجربة التي اختبرها الشعب الآشوري خلال الألف الثانية للميلاد، كانت تجربة مريرة في أحداثها، ومدمرة في نتائجها. إذ أن العناصر البدوية التي بدأت بغزو البلاد، وما رافق تلك الغزوات من مذابح، وتشريد، وتدمير للهيكل العام للمجتمع الآشوري، كانت غايتها وهدفها النهائي ليس استثمار خيرات البلاد والتمتع بها، بل الاستقرار في هذه الأرض المعطاء، وانتزاعها من يد أصحابها الشرعيين.

2 – بعض أبرشيات الكنيسة الشرقية إلى الجنوب من وطن القبائل المستقلة

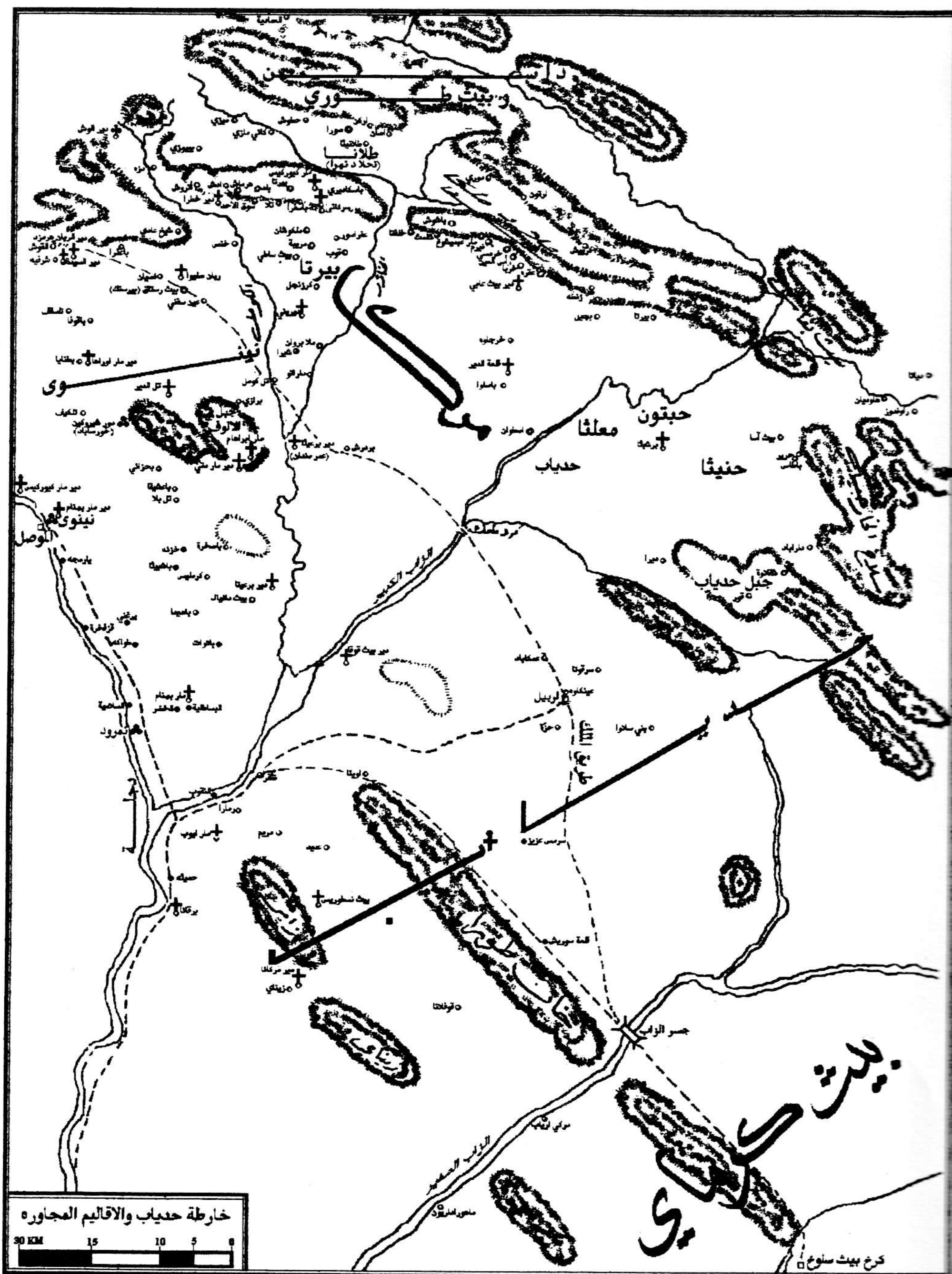
مباشرة، إلى الجنوب من تياري وحكاري، كانت أبرشيات الكنيسة الشرقية، تطوق وطن القبائل المستقلة**. وبعضها كانت تتداخل في حدودها

** يعدد الباحث Aubrey Vine ابرشيات الكنيسة الشرقية التي كانت قائمة إلى الجنوب من وطن القبائل الآشورية المستقلة التي كانت قائمة أو استمرت خلال الفترة المحصور ما بين منتصف القرن السابع والى ما بعد سقوط الخلافة العباسية سنة 1258 ومن ضمن تلك التي ذكرها أورد أسماء الأبرشيات التالية: أبرشية **آثور** أصبحت مطرافوليطية سنة 651، **بيث بغاش**، أصبحت مطرانية سنة 686، **حدثة** (إلى الشمال من التقاء الزاب الأسفل مع دجلة) سنة 714، **داسن** (شملت أقساما واسعة من وطن القبائل) أصبحت مطرانية سنة 754، **نوهدرا** سنة 963، **ارومية** 1068. أما تلك التي كانت تابعة لمطرافوليطية

الجغرافية، لتشمل بعض الأقاليم في وطن هذه القبائل، وتتبع كنسياً المراكز الرئيسية في (حدياب)[2]، و (نينوى). فأبرشية (نوهدرا) لم تكن تغطي إقليم

حدياب فكانت: مطرانية **معلثا** (وهي معلثا الثانية التي يقع إقليمها بالقرب من قرية قنديل الحالية على الزاب، والى الغرب من مناطق حرير وباطاس)، مطرانية **حونيثا**، مطرانية **زوابيا** Zyavua, مطرانية **كافتون** (Kaftoun). أما الابرشيات التي كانت تابعة لمطرافوليطية **بيث كرماي** (كركوك) فهي: **داقوف**، **سكيارجاداتا** (Sciaarchadata)، **ماران كرد** (Marangerd)، **بوازيخ** (Buazicha)، **أرزونا** (Arzuna)، **تمال** (Tahal)، تيلاج (Telach)، **جانيكيرا** (Chanigiara). أما إقليم **حلوان** (السليمانية) فقد أصبحت مطرافوليطية سنة 754م. انظر: (Vine, Nestorian Churches, 114 – 115)

[2] عند حديثه عن **"أبرشية حدياب في التاريخ"** وبعد ترقيتها إلى المقام المطرافوليطي [مطرافوليط كلمة يونانية تعني رئيس الأساقفة 277]، يفصل المطران اندراوس بابكا، حالة الكنيسة في حدياب ومواقع الأبرشيات فيذكر أنه: في سنة 310 م رقى فافا الجاثليق ابرشية حدياب (أربيل) إلى المرتبة المطرافوليطية وتحت رئاستها 19 كرسياً اسقفيا وهي:
1 – حبتون: في الجبل المطل على ساحل الزاب الأكبر. **2 – بيث بغاش**: شمال حبتون على ساحل الزاب، الأكبر وقاعدتها بياو شمال غربي راوندوز على مسافة خمسة ساعات منها. **3 – برحيس، 4 – دبرنيوس** (ولعلها تحريف ديبور عند منبع الزاب الاصغر في الجنوب الشرقي لراوندوز. **5 – دير غسان**: (لربما ... سالاخ الخارجية) **6 – رامونين:**. **7 – بيث مهقرت**. **8 – نينوى**: وقد كانت يومذاك قرية صغيرة (النبي يونس). **9 – حدثا**: على ساحل دجلة في الموقع المدعو حمام العليل. **10 – تيمنا**: في البادية على الجانب الأيمن من دجلة في الوادي الأحمر بين سنجار وقلعة شرقاط.. **11 – بيث نوهدرا**: وتشمل قضاء زاخو وقسماً من دهوك. **12 – معلثا أو معلثايا**، قرية من دهوك. **13 – حانيثا**: (الحانية)، متصلة بمعلثايا، وممتدة حتى العمادية. – [والمقصود بها معلثا شرق الزاب وليس معلثايا نوهدرا]. **14 – داسان أو بيث داسان**، في جبال كارا، غربي الزاب الأكبر جنوب العمادية. **15 – مركا**: (مرج الموصل)، وتشمل قضائي العقر والزيبار، والعاعدة تلا وبلا. **16 –سالاخ:** شمالي مركا. **17 – بشتدر**: بلدة جبلية بين راوندوز وكويسنجق على حدود إيران. **18 – عين سفنا** (عين سفني)، مركز قضاء الشيخان، شمالي الموصل. **19 – أذربيجان**: وأشهر مدنها أورمية، خسراوا، راوندوز، مراغا، أشنو، كترك. بين النهرين العدد 31 لسنة 1980. 273 – 279. وان الأب البير أبونا في العديد من كتبه أشار إلى مواقع الأبرشيات التي وردت



خارطة حدياب والاقاليم المجاوره
30 KM
15
10
5
0
بيرقا
حبتون
معلثا
حدياب
حنيثا
جبل حدياب
نينوى
الموصل
اربيل
جسر الزاب
كرخ بيث سلوخ
طلانا
بيث كرمي

نوهدرا وحده، وإنما كانت أيضا تشرف على جزء من أبناء القبائل المستقلة. في حين كانت أبرشية (داسن) تغطي المناطق الواقعة على جانبي حدود وطن القبائل لتشمل ضمنها أيضا: أقاليم (باز) و (تخوما) و (جيلو). أما أبرشية (بيث بغاش) فكانت ضمن المثلث الذي يشكل التقاء حدود الدول الثلاث: تركية وإيران والعراق، وكان يتبعها كنسيا الكثير من الأقاليم الواقعة إلى الغرب من سهول اورمية، والتي كانت قد أصبحت "رعية" للمستقرين الجدد، مثل أقاليم (ناوجية)، (شمسدين)، (تركه ور)، (مركه ور) وغيرها. هذه الابرشيات ورغم ما كان يحصل فيها من تغييرات إدارية تتطلبها الحاجة بين فترة وأخرى إلا أنها ظلت تمثل وحدة كنسية مترابطة، تتمثل بكون أبناء القبائل المستقلة كانوا يشكلون قسما منها، ويتبعون المراكز الكنسية العليا في حدياب ونوهدرا ونينوى. هذا الواقع كان انعكاسا طبيعيا لواقع كون أبناء القبائل يشكون جزء من الكل. هذه الحالة، استمرت إلى أواخر القرن السادس عشر، حيث حصل ولأول مرة الانشقاق الرئيسي (المؤثر)*** في هيكل الكنيسة الذي كان من نتائجه أن اصبح لأبناء القبائل رئاستهم المستقلة المتمثلة بخط "**بطريركية مار شمعون**"[3] التي مثلت

أعلاه، وقام برسم الخرائط التوضيحية لمواقعها الجغرافية التي هي من الدقة بحيث يعول عليها في تحديد الأماكن المشار إليها.

*** رغم حصول انشقاق مار يوحنان سولاقا سنة 1551. إلا انه لم يترك آثارا مؤثرة على هيكل الكنيسة إذ لم تمضي على انشقاقه سوى 27 سنة فتحول خطه إلى البطاركة الشمعونيين الذين كان أولهم مار شمعون دنخا سنة 1585. وهكذا اصبح للكنيسة الشرقية منذ ذلك الحين خطان بطريركيان كلهما لقبا بالنساطرة.

[3] يذكر الباحث **Etheridge, بان خط بطريركية مار شمعون، سليل خط سولاقا بدأ في سنة 1580** وبهذا يكون عمر خط مار يوحنان سولاقا منذ استحداثه وحتى قيام خط البطاركة الشمعونيين هو **27** سنة **فقط. 126**. اما المبشر توماس لوري فيقول بان خط البطاركة الشمعونيين أبتدأ بتمرد رئيس أساقفة

هي الأخرى استمرار نفس العقيدة الدينية والطقسية واللغوية لبقية بني قومهم في الأقاليم الآشورية الأخرى.

فإلى الجنوب من أبرشية **(بيث بغاش)** كانت قائمة أبرشية **(سالاخ)** أو **(سلاخ الخارجية)**، التي كانت تغطي جانبي الحدود العراقية ـ الإيرانية. أما أبرشية **(سلاخ الداخلية)**، فكما يذكر الدكتور **Ainsworth** فإنها كانت ضمن مناطق القبائل المستقلة، التي يقول أنها ألان تسمي جبال كردستان.[4]

واقع الانتشار الآشوري على امتداد المناطق الواقعة إلى الجنوب من تياري وحكاري يحمل معه شواهد إثباته، التي لا تقبل الشك أو التأويل. فالشعب الآشوري تميز عن بقية شعوب العالم بكتابة تأريخه على الصخر، قبل الميلاد، وبعده. ولقد ترك بصماته التي لا تمحى في جميع المناطق التي عاش فيها آلاف السنين. فلقد دخلت التاريخ إلى الأبد أسماء آلاف المدن، والقرى، التي تحمل أسماء آشورية (آرامية / سريانية) والتي تبدأ بحرف **(الباء)** مثل باصيدا، بامرني، باقوفا، باعشيقا، باعذري، باحزاني، باقوفا، باهدرا، باطنايا، برحبتون، باغديدا، بلد وغيرها. أو تلك التي تبدأ بكلمة **(بيث)** مثل: بيث آسا، بيث

جيلو في سنة 1575 م. .Laurie, 55. انظر لمزيد من التفلصيل: Smith and Dwight, Armenia, 207.

[4] يقول أنسورث بان تسمية الجبل الذي عرف باسم جبل مار يوحنان في إقليم جيلو، أعلى جبال بلاد حكاري، مرتبط باسم مار يومنان، مطرافوليط حدياب الذي في بداية القرن التاسع قد قام بفصل ارتباط أقسام واسعة من كردسان مع مطرافوليطية أذربيجان وضمها إلى أبرشية (سلاخ) التي هي طبقا ل (الميجر راولنسون [عالم المسماريات الشهير الذي كان رائدا في حل رموز كتاباتها. وخدم كمعتمد سياسي بريطاني في بغداد خلال الأربعينات من القرن التاسع عشر] فان أسم سلاخ كان الكتبة السريان في السابق يطلقونه على الجبال التي هي كردية حاليا والواقعة ما بين ميديا وآشور. انظر:
Ainsworth, Researches, II: London, 1842.

بغاش، بيث بوزي، بيث روستاق، بيث زبدي، بيث عذري، بيث عيناثا وغيرها. إضافة إلى أن كل تسمية تبدأ بكلمة (دير) كانت، ولا زالت تعبر عن هويتها الآشورية[5]. هذا ومما يجدر بالملاحظة أن الكثير من هذه المدن والقرى تعود بقدمها إلي أيام مجد الدولة الآشورية والفترات السابقة لها، ولا يزال البعض منها قائما إلى الوقت الحاضر ويسكنها أبناء الشعب الآشوري. في حين لا تزال خرائب مئات المدن والقرى الموجودة في بلاد آشور تحكي قصة الدمار الذي ألحقته البداوة في أولى مراكز الحضارة البشرية. في حين انتزعت مئات المدن والقرى من أصحابها الآشوريين خلال فترات غزو وزحف العناصر الطامعة التي استقرت فيها ولا زالت.

3 – الشواهد التاريخية

وإن الشواهد التي لا يمكن محوها تتمثل أيضا، في آلاف الأديرة والكنائس التي شيد الكثير منها خلال فترات ما قبل ظهور الإسلام، والتي لا يزال بعضها قائما في منطقة **حدياب**، وبقية أقاليم آشور. هذه الشواهد هي خير دليل لإثبات كثافة الانتشار الآشوري في المناطق الواقعة إلى الجنوب من وطن قبائل تياري وحكاري الآشورية المستقلة. في حين لم تستطع البداوة محو معالم وآثار غيرها. وهذه الشواهد ليست مادية فقط، أي متمثلة في بناء الدير أو آثار خرائبه، وإنما فكرية تتمثل فيما تركته من ثروات علمية وفكرية وفي كافة حقول المعرفة،

---

[5] جميع الأسماء التي تبدأ بيث و با هي أسماء سريانية خالصة. انظر: أنيس فريحه، معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، بيروت. ط 4. لسنة 1996 انظر أيضا Rich, Narrative of a Residence in koordistan, and on the Site of Ancient Nineveh, II. London. 1836. 133. الأب البير أبونا، أدب اللغة الآرامية، بيروت. 1970. 19. يوسف حبيقة واسحق ارملة، أسماء القرى اللبنانية السريانية، مجلة المشرق، سنة 1937، تموز – أيلول 1939. 387 _ 412. و (Rich, II: 120)

والتي مثل الجزء الذي سلم من التدمير، مصدرا هاما للمعرفة التاريخية والدينية والفلسفية وغيرها من الأمور التي عكف على دراستها ـ ولا يزال ـ المستشرقين والمعنيين. والشواهد المادية والفكرية التي تركها الشعب الآشوري في وطنه تثير الدهشة عن القدرة الفائقة على الصمود التي أبداها الشعب الآشوري في الاحتفاظ بأرضه التاريخية، التي لم تستطع حملات الإبادة الجماعية التي ارتكبتها العناصر الغازية ضده أن تقضي بالكامل على وجوده، وانتشاره، طوال القرون الطويلة التي كانت عملية التصفيات الجماعية، والتهجير، وإخلاء الأرض بالقوة المسلحة التي كانت تجري من دون توقف. إذ رغم الغزوات والمذابح التي بدأت كما نوهنا منذ القرن الحادي عشر، واتخذت طابع الشمولية في القرن الرابع عشر، واستمرت خلال القرون اللاحقة، فان الأديرة والمدن والقرى الآشورية لم تستطع هذه العناصر الغريبة محوها بالكامل، بسبب كثرتها. ولم تستطع أن تزيل أيضا شواهد تلك التي دمرتها. والشواهد القائمة بكل تأكيد تعكس واقع تجربة إنسانية طرفاها: بناة الحضارة والتقدم من جهة، والبداوة والهمجية بكل ما عرف عنها من تدميرها لكل ما هو رمز حضاري، حين تصبح بيدها المبادرة في التعامل مع تلك المراكز الحضارية، من جهة أخرى.

والشواهد الآشورية التي تغطي كل بقعة ما بين الزاب الأسفل وحتى وطن قبائل تياري وحكاري المستقلة، هي بكل تأكيد شهادة على كثافة انتشار الشعب الآشوري في جميع أقاليم وطنه كما قلنا. وإذا ما علمنا بان الأديرة كانت تمتص مئات الألوف من اتباع الكنيستين الشرقية والسريانية في هذه المناطق ـ كما في غيرها، فبإمكان المعنيين أن يقدروا حجم الكثافة السكانية القادرة على تغذيتها جيلا بعد جيل كما هو موثق.

وما من شك بان المسيحية وانتشارها وتجذرها بين الآشـوريين قـد تركـت معالمها الدالة على كثافة تواجد الآشوريين في المنطقة المشار إليـها، والـتي تعكس هويتها الاثنية والدينية كما قلنا. وهذه الأدلة والشواهد، هي الوسـيلة الـتي يمكـن اعتمادها لإثبات ما أشار إليه المؤرخين والمستشرقين من أن النساطرة وحدهم كانوا يسكنون منطقة حدياب، التي لم يكن فيها أحد غيرهم. وإن إشارة مختصرة إليها ستساعد على معرفة حقيقة التواصل الأثـني والديـني واللغـوي بـين وطـن القبـائل المستقلة وبين ذلك العمق التاريخي لبني قومهم، ودينهم، ولغتـهم، ليـس فقـط في الأقسام الجنوبية الممتدة إلى نهر الزاب الأسفل، و إنما في جميع الأقاليم المحيطـة به من الجهات الأخرى الغربية والشرقية كذلك.

4 – لمحة عن انتشار المسيحية في بلاد حدياب

كما هو مؤكد فان المسـيحية دخلـت بـلاد أشـور في القـرن الأول للميـلاد وترسخت في القرن الثاني. فلقد قام بالتبشير فيها الرسل مـار (**بـاثليميو**) و مـار (**توما**) ومار (**أدي**) و مـار (**مـاري**) وتلامذتـهم. ومنـذ ذلـك الحـين قـام الشـعب الآشـوري ببنـاء مؤسسـاته الكنسـية في جميـع أقـاليم وطنـه. وبشـهادة المؤرخـين والبـاحثين فـان (**إمـارة حديـاب**) كـانت مـن المراكـز الأولى الـتي تجـذرت فيـها المسيحية إلى جانب (**إمارة اورهاي**) الواقعة في الأقسام الشمالية الغربية لبلاد مـا بين النهرين، التي تعتبر المهد الأول لها[6]. لذا لا غرابة أن نجد (**حديـاب**) تـأخذ

---

[6] عن دخول المسيحية إلى بلاد ما بين النهرين وتجذرها انظر:

Etheridge, J. W. The Syrian Churches. London, 1846.16. Rich, Narrative of a Residence. Vol. II: 1836. F.N.120. Shedd, W. A. Islam and the Oriental Churches. New York, 1904.53. (O'Leary, The Syriac. 32.) Fortescue, The Lesser

الصدارة في إدارة شؤون الكنيسة في هذه المناطق الواسعة، الواقعة من نهر الزاب الأسفل جنوبا، وحتى أقاليم وطن القبائل المستقلة شمالا. وحسب وثائق وسجلات الكنيسة الشرقية فان أربيل التي كانت مركز (حدياب)، كانت ومنذ القرون الأولى للميلاد تقوم بإدارة شؤون أبرشيات الكنيسة، وتقديم الخدمات الروحية لأبناء الشعب الآشوري في جميع أقاليمها هذه. ومنذ القرن الثاني فإننا نلاحظ مدي التوسع العمودي والأفقي في الكنيسة، والمرتبة الرفيقة التي كان قد بلغها هيكلها الإداري. فخلال القرن الثاني، كانت الكنيسة الشرقية في (حدياب) وغيرها من مناطق بلاد ما بين النهرين تستخدم الأناجيل الأربعة التي كان (**ططيانوس الحديابي - توفى سنة 180 م**) المعروف باسم (**ابن الآشوري**) قد جمعها في النصف الثاني من القرن المشار إليه، وأطلق عليها اسم (**الدياطسرون**) التي تعني من خلال الأربعة[7]. هذه الأناجيل ظلت قيد الاستخدام في الكنائس ومن قبل

Eastern Churches.34. (American Sunday – School Union, The Nestorian of Persia. Philadelphia, 1848. 11). و (روفائيل بابو أسحق، تاريخ نصارى العراق. 2 – 3. أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد. 1960. 3). (Grant, 209) انظر أيضا:
(Stafford, R.S. The Tragedy of Assyrians. London, 1935. 20.)

[7] ططيانوس الحديابي أو ابن الآشوري، من أهالي حدياب. ولد سنة 110 وتوفي سنة 180 جمع الأناجيل الأربعة وسماها "**الدياطسرون**" أي من خلال الأربعة وشملت 55 فصلا. ومنذ القرن الثاني فان الكنائس في بلاد ما بين النهرين ظلت تستخدمه إلى القرن الخامس حيث استبدل بالبشيطا أي البسيط. انظر عن ططيانوس والدياطسرون: بابو أسحق، تاريخ نصارى، 5.، 8 - 9 ايضا:
Fortescue, 28. Burkitt, F.C. Early Eastern Christianity, London, 1904. 54ff.
وعن الدياسطرون أنظر افرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ط3. بغداد 1976. 521 – 522. الأب البير أبونا، أدب اللغة الآرامية. 46 - 48

المؤمنين إلى القرن الخامس حيث حلت محلها تدريجيا النسخة الجديدة من الإنجيل المسماة (**بشيطا**)، أي البسيط.[8]

المبشر **Thomas Laurie,** يقتبس من سجلات الكنيسة الشرقية ذاكرا بأنه في زمن انعقاد مجمع (**نيقيه**) في سنة 325 والذي حضره العديد من ممثلي هذه الكنيسة، قام جاثليق الكنيسة الشرقية بترقية أبرشية (أربيل) إلى مرتبة المطرافوليطية باسم (**مطرافوليطية حدياب**) ومركزها أربيل.[9]. هذا ومما هو جدير بالذكر أن أربيل سنة 410 كانت واحدة من المطرافوليطيات الخمس التي كانت تظم على ما يزيد على 100 أبرشية ومرعيث.[10]

لقد شهدت جميع الأقاليم الواقعة إلى الشمال من نهر الزاب خلال القرون الأولى للميلاد حركة متواصلة في توسيع وترسيخ قاعدة وهيكل الكنيسة. فلقد تم استحداث أبرشيات جديدة أو ترقية القائمة منها إلى مطرافوليطيات. ففي سنة 651 رقيت أبرشية أثور إلى (مطرافوليطية)[11]

---

[8] Atiya, A. A History of Eastern Christianity, London. 1968. 247 – 248.
Fortescue, 54ff. أبونا، أدب اللغة الآرامية، 48 – 49.

[9] Laurie, Thomas. Dr. Grant and the Mountain Nestorians, Boston. 1853. 220.

[10] Kidd, B. J. The Churches of the Eastern Christendom from A.D. 451 to Present Time. London, 1927. 418

[11] Vine, Aubrey R. The Nestorian Churches. London, 1937. 114 – 115
وأشار المؤرخ الكنسي Wiltsch, إلى انه في الوقت الذي كانت نينوى مركز مطرافوليطية في القرن السابع، فقد كان هناك إلى جانبها مطرافوليطيات في: نوهدرا، داسن، بيث بغاش . الخ. Statistics, 487.

وفي الأقسام الواقعة إلي الجنوب الشرقي لوطن القبائل المستقلة تم استحداث أبرشية (بيث بغاش) سنة 686[12] التي كانت تغطي المناطق العليا لفروع نهر الزاب الجنوبية الشرقية كما نوهنا، وكانت قاعدتها (باي) التي تدعى حاليا (بياو). هنا كانت الأديرة العديدة تنتشر في المناطق الجبلية ومن بينها دير (بيري) الذي كان يتعبد فيه الناسك (بيري) ومعه (عبديشوع) قبل ما يزيد على القرنين من الزمان على ظهور الإسلام. وظل الرهبان يتعبدون فيه جيلا بعد جيل. وبرز من بين من تولى شؤون هذه الأبرشية أسماء لامعة في تاريخ الكنيسة الشرقية، والخلافة العباسية، التي كان من بينها نديم الخلفاء ومستشارهم البطريرك الشهير (مار طيماثيوس الأول)[13]. كما تم فيما بعد استحداث أبرشية (اورمية) سنة 1062، كما تمت الإشارة إليها والى بقية الابرشيات[14]

---

[12] توما المرجي، كتاب الرؤساء، عربه ووضع حواشيه الأب البير أبونا. المطبعة العصرية. الموصل، 1966. 109. الأب البير أبونا يذكر بان أبرشية بيث بغاش تقع شرقي داسن وشمال أبرشية سلاخ. وكانت تشمل المناطق الواقعة إلى الغرب من أورمية، كشمسدين، وكاور. وكانت مرتبطة بحدياب. انظر الرؤساء، هامش المعرب (1) ، 99. ويذكر يشوعدناح البصري، في الديورة في مملكتي الفرس والعرب، عن منطقة بغاش خلال الفترة السابقة لظهور الإسلام بأن مار اشوعزخا كان قد أقام ثلاثة أديرة وأضاف إليها المدارس، (ص 46) كما كان قد فعل في بيث باعرباي، وجبل حفتون (حدياب). وان مار عبديشوع، تلميذ مار شمعون كان قد بنى ديرا فيها ودفن فيه. (ص 54). وان مار كيوركيس بعد أن كان قد بنى ديرين في حدياب والمرج، قصد بيث بغاش وابتنى ديرا هناك، إضافة الى بنائه لدير آخر في روستاق، في بلاد المرج (مركة) ص 32.

[13] Vine, The Nestorian Churches, 115. أدي شير، كتاب سيرة أشهر شهداء المشرق.. الموصل: مطبعة دير الآباء الدومنكيين 1900. 6 . ماري بن سليمان، أخبار فطاركة المشرق، رومية، 1899. 71 — 75. توما المرجي، كتاب الرؤساء 163 —164. ومن ضمن السفر المميز لأبرشية بيث بغاش يذكر المرجي بان القديس مار شمعون ذاع صيته في المنطقة لإدارته لكنيستها، وهو الذي شاد كنيسة "شلمت". 290. . ومما يذكره المرجي عن هذا الدير إن يوحنان ابن أخ الأنبا عنانيشوع كان قد أسيم أسقفا لأبرشية بيث بغاش 98 — 99 كما وترأسه مار طيماثيوس، الذي كان قد اصبح بطريركا للكنيسة

إلى جانب (ببث بغاش)، تم استحداث أبرشية إلي الجنوب منها في سنة 700 وهي أبرشية (سالاخ) أو (ببث سلاخ). هذه الأبرشية كانت في البداية ملحقة بأبرشية (أذربيجان) فجرى فصلها عنها فألحقت بمطرافوليطية حدياب[15]. وفي سنة 754 تم استحداث أبرشية (داسن) التي كانت تغطي جزء

الشرقية وكان عمه من قبله اسقفا لهذا المرعيث، 163 — 164. ويورد المرجي عن بيث بغاش بأنه كان فيها " قرية شهيرة تدعى (زاران) وكان ساكنوها كلهم جبابرة أشداء، لم يكن يلاحقون اللصوص فحسب، بل كانوا أيضا يعصون ويتمردون على حكام المملكة الذين يقدمون إليهم لقبض الاتاوة القيصرية، فكانوا يطردون كثيرين منهم دون وجل بعد أن يشبعوهم ضربا. ففي هذه القرية ولد الطوباوي (مار نرساي) .. وكان له أخ اسمه شلمان .. فكان شلمان متقلدا السيف يسفك الدماء، ليس دم الصالحين، بل الأشرار. ولأن الأكراد شرعوا في ذلك الزما بأعمال تخريبية وبالسلب والنهب، شهر شلمان عليهم السلاح وجمع له فرقة وأخذ يعمل السف في رقاب كثيرين منهم. ويقال أنه لم يكن الطعام ليهنأ له ما لم يتوسط كل يوم جمجمة أحد الأشرار الذين بطش بهم هو نفسه. 233. كذلك كتاب شهداء المشرق للأب البير أبونا. بغداد 1985 هامش (3). 202. أدي شير، شهداء، 334.

[14] Vine, Nestorian, 11 . ويضيف الكاتب بأنه في القرن الثامن كان هناك أبرشية في مراغه واستمرت خلال القرون اللاحقة. وفي أوائل القرن الثالث عشر كان هناك أبرشيات في جالديران، هيسنا، وسلامس. ومن بين الأبرشيات التي كانت قد ظهرت في القرن السابع، ابرشية روستاقا. 118 — 119. ويخبرنا ماري بن سليمان بان من بين الأساقفة الذين حضروا مراسيم تنصيب الجاثليق مار إيليا الملقب بابن القلي سنة 1422 يونانية (1111 م) كان عبديشوع أسقف اورمية. 152.

[15] Wiltsch, J.E.T. The Geography and Statistics of the Church vol. I. London, 1850. 495.

ويمكن تأمل الكثافة التي كانت قائمة في بلاد حدياب من خلال الكثير من الحقائق التاريخية. فكما هو ثابت فان المناطق السهلية فيها كانت مسرحا دائما للمذابح التي اقترفها الغزاة أثناء فترة الهجمة المغولية منذ أوائل القرن الثالث عشر وحتى بداية السيطرة العثمانية على بلاد ما بين النهرين 1514 / 1536 والتي كانت محصلتها إبادة الوجود الآشوري في سهول حدياب لاسيما تلك التجمعات الكثيرة المنتشرة ما بين أربيل ومخمور الحالية الواقعة بالقرب من دجلة والتي كانت مزدحمة بالأديرة التاريخية القديمة. نقول بالرغم مما وقع من نكبات فان بقايا الأعداد الهائلة كانت لا تزال تشكل نسبة عالية من أبناء مدينة أربيل ذاتها في سنة 1600 م. إذ ورد في تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية ما يلي: " مدينة اربيل ... كان يوجد فيها أسقف اسمه اسرائيل جنسه من الجزيرة كان تحت يده كهنة وشمامسة قدر الكفاية، وكان له كنيستان:

وفي سنة 754 تم استحداث أبرشية (داسن) التي كانت تغطي جزء من وطن القبائل المستقلة وفي ذات السنة تم استحداث أبرشيية "حلوان" (منطقة السليمانية). أضف إلى هذه فإن أبرشية جديدة تم استحداثها في الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من وطن القبائل هذه في سنة 963 وهي أبرشية (نوهدرا) التي كانت تظم أقاليم واسعة وقاعدتها دهوك[16]

ولما كان بحثنا يخص القبائل المستقلة في تياري وحكاري بشكل خاص والمناطق الآشورية المحيطة بها بشكل عام، فان استعانتنا بالشواهد الكنسية هي للتعزيز والدلالة على تواجد واستمرار الشعب الآشوري في المناطق المحيطة بوطن القبائل المذكورة. وليس بحثا عن الكنيسة وتاريخها، وما يرد في هذا المجال له ارتباط مباشر بهذا الموضوع. وفي هذا الصدد نشير، بأنه مع مطلع القرن الرابع عشر، كانت الكنيسة الشرقية قد بلغت قمة مجدها وازدهارها. وكانت تظم 27 مطرافوليطية يتبعها ما يزيد على 250 مطرانية[17]. وبذات الوقت فان هذه الكنيسة حين بلغت ما بلغته. بدأت مرحلة انحطاطها بسبب حملات الغزو والمذابح

الأولى على اسم الشهداء والثانية على اسم مار اسحاق وكان عدد المؤمنين ألف ومائتي بيت نساطرة في زمان البطريرك متى سنة ألف وستمائة ". 18.

روفائيل بابو اسحق، مدارس العراق قبل الإسلام. بغداد، 1955. 50

[16] Vine, The Nestorian. 114 – 115. انظر أيضا (J.E.T. Wiltsch, Geography . 494 – 495 الرؤساء، 100–102. مار ابراهام الذي اصبح الذي رسمه الجاثليق مار كيوركيس اسقفا لداس بنى ديرا هناك. يشوعدناح البصري، الديورة في مملكتي الفرس والعرب. عربه القس (البطريرك) بولس شيخو، ديترويتزت، 61. ويذكر ادي شير بان شهرزور كانت اسقفية وقت مذابح شابور الثاني، شهداء، 86.

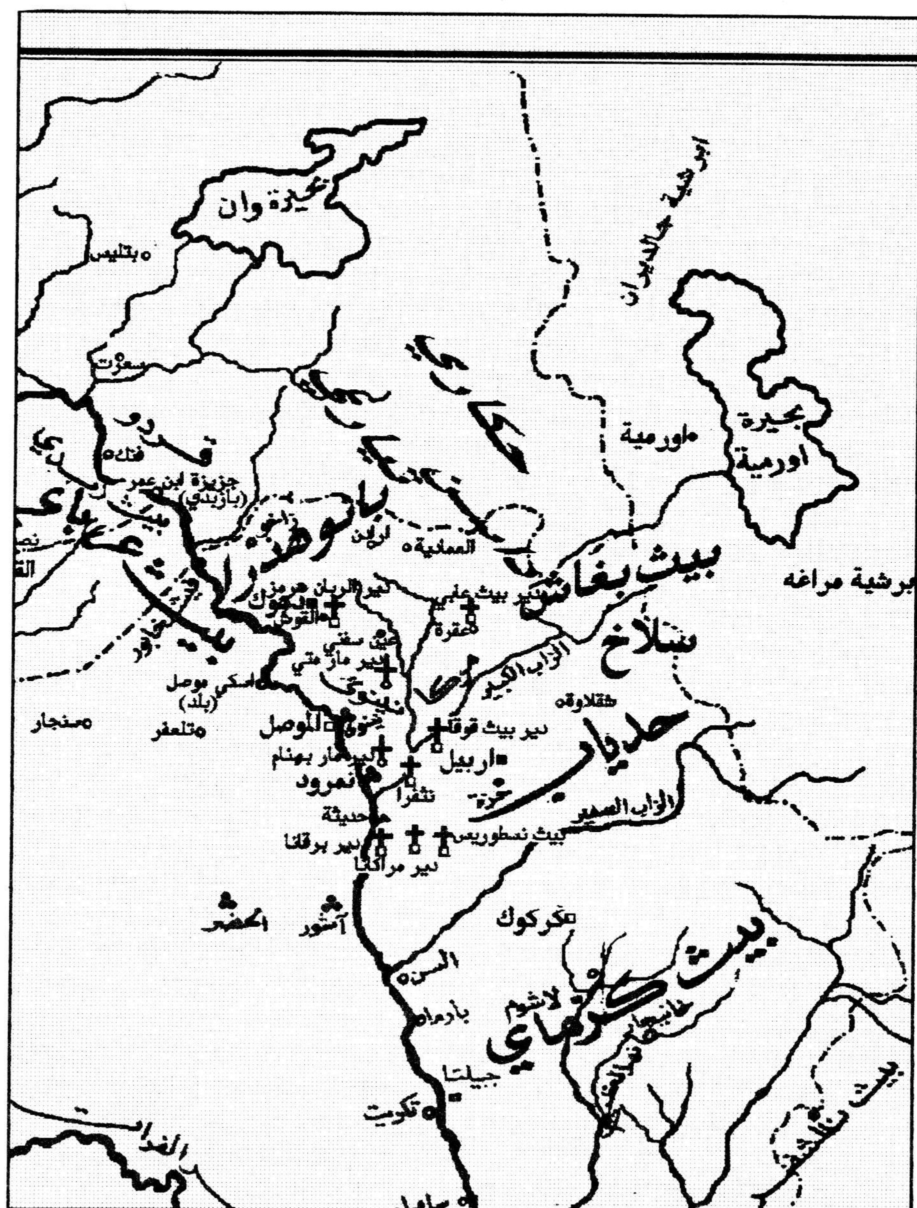
[17] Kidd, 422 – 423. وبرأي كاتب آخر أن عدد المطرافوليطيات كان 27 ويتبعها 230 أبرشية كلن مصيرها الدمار على يد تيمور لنك. Pere Janin, The Separated Eastern Churches. St. Louis, Mo. 1933. 201.

والتدمير التي تعرضت لها منذ التاريخ المشار إليه. لذا فان التركيز سيكون على المناطق الواقعة إلي الشمال من نهر الزاب وهي الأقاليم الآشورية التي تعرضت إلى عملية تغيير الثانية في خارطتها الديموغرافية في تاريخ بلاد ما بين النهرين، بعد تغيرات القرن السابع والثامن كما أشرنا، وغني عن القول ذكر ما كانت عليه الكنيسة من ازدهار في (**بيث كرماي ـ كركوك**) المجاورة لحدياب[18].

[18] فعلى سبيل المثال فان إقليم بيث كرماي الواقع ما بين الزاب الأسفل ونهر العظيم كان من المناطق المسيحية الشهيرة حيث المط رانيات العديدة التي كان من بينها مطرانية داقوق وكركوك وغيرها. انظر:

Ainsworth, Travels and Researches and Researches. Vol. II. 13

Southgate, Horatio. Narrative of a Tour through Armenia, Kurdistan, Persia and Mesopotamia. Vol. II. London, 1840. 207



بعض أبرشيات الكنيسة الشرقية في بلاد حدياب

ثانياً: نماذج للشواهد التاريخية المنتشرة بين وطن القبائل ونهر الزاب الأسفل

في الأقاليم الجنوبية، وعلى قمم جبالها وفي وهادها كانت أصوات النواقيس، تسمع بين دير وآخر، من شدة كثافتها. وطويلة هي قائمة الأديرة التي كانت تغطي كل بقعة من هذه البلاد. فهنا كانت قائمة، ولقرون طويلة أديرة اشتهرت بعراقتها وقدم بنائها خلال القرون السابقة لظهور الإسلام. وإذا ما تأملنا الأعداد الكبيرة منها وإذا ما علمنا بان الكثير منها كانت تحوى على مئات، وألوف الرهبان، ناهيك عن عشرات الألوف غيرهم، الموزعين في الصوامع الجبلية، فلابد من وجود المدن والقرى المحيطة بها والتي تمدها بأسباب البقاء.

فمباشرة إلى الجنوب الغربي من حدود بلاد تياري، الجنوبية كانت قائمة عشرات الأديرة في جبل (ايزلا) والسهول التي يطل عليه في إقليمي (زاخو) و (بازبدي)[19]، إضافة إلى مئات القرى في إقليم زاخو وحده[20] وحتى مناطق

---

[19] ستتم الإشارة إليها عند الحديث عن الأقاليم الواقعة إلى الغرب من وطن القبائل المستقلة

[20] كان المبشر Southgate, قد زار منطقة زاخو في سنة 1837 وكتب بأنها مركز ل 300 قرية معظمها مهدمة. Visit, 162 . وبكل تأكيد فان ما تعرضت له المنطقة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت وراء ما شهده المبشر المذكور. فالكثافة الآشورية فيها كانت عالية جداً. إذ أن "مدينة زاخو كان يوجد فيها أسقف واحد اسمه مار إبراهيم تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية، والكنائس ايضاً على قدر الكفاية وعدد المؤمنين خمسة آلاف ومائتا بيت جميعهم نساطرة" انظر تقويم قديم، 14. هؤلاء كانوا امتداداً لذلك الانتشار الكبير للقبائل الآشورية في تياري وحكاري حيث عشرات القرى التابعة لمار شمعون كانت تنتشر في سلاسل الجبال المطلة على سهول هذه المدينة والتي لا يزال بعضها قائما إلى اليوم ويتبع الكنيسة الكلدانية

(رايات) و (سيداكان)، حيث في هذه المناطق كان قائماً ديـر ربـان يونـان المدعـو "آرنمة" و (حاج عمران)، إلى الشرق في شمال العراق الحالي.[21]

- **بَرورْ و صَبنه**

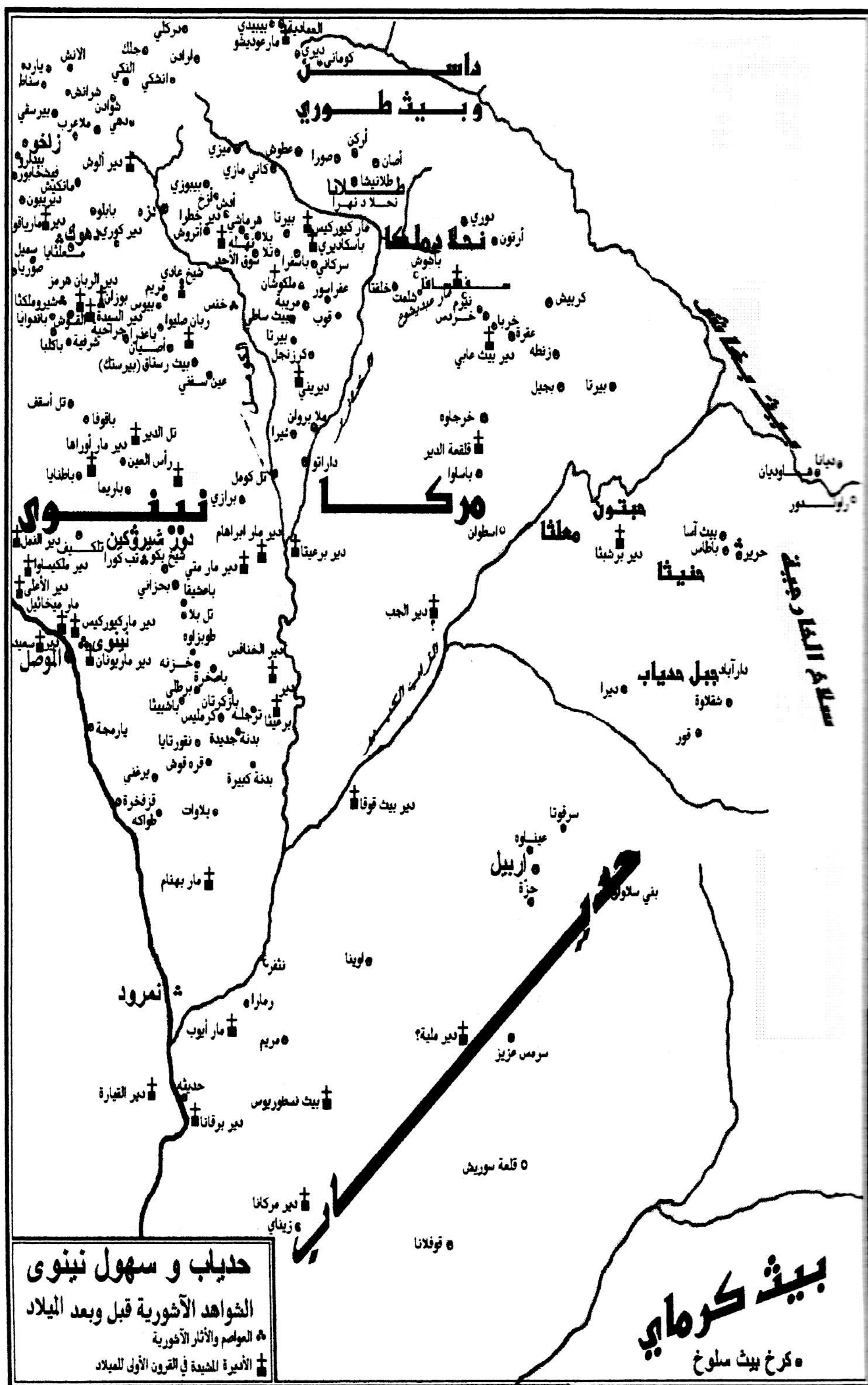
عبر إقليم (برور)[22] والمناطق المجاورة له، كـانت عشـرات القـرى العـامرة تنتشر ما بين نهر (الزاب) و (الخابور)، وتتجاوزها غرباً باتجاه زاخو، عـبر مـا يعرف الآن بمنطقة (السندي)، ولا زال الكثير منها قائما في وقتنا الحاضر. إضافة إلى تلك التي في السلاسل الجبلية الـتي تشـكل الآن الحـدود العراقيـة – التركيـة. وإلى الجنـوب مـن إقليـم بـرور، كـانت القرى والمـدن المزدهـرة قائمـة في إقليـم (صبنه)، ولا زال العديد منها مسكوناً في الوقت الحاضر وبشكل متواصل من قبل أبنائها الأصليين الذين سكنوها منذ عشـرات القـرون. وفي كـل مـن بـرور و صبنـة كانت الأديرة والكنائس المشيدة في القرون الأولى للميلاد تغطي مناطقهما المختلفـة، ولا تزال شواهد البعض منها شاخصاً إلى وقتنـا الحـاضر مثـل ديـر/ كنيسـة (مـار قيوما) و (مار كيوركيس) في قرية (دوري) في برور (بـرور السـفلي) ولا يـزال قائما إلى اليوم دير مار (عود يشو) على مسافة قريبة من (العماديـة)[23]، بـالقرب من قرية (ديري) الآشـورية، إلى جـانب الصوامـع الكثـيرة في الجبـال المحيطـة

---

[21] البصري، الديورة، 31.

[22] في سنة 1894 مرّ به في طريقه إلى العمادية وهو قادم من جولمرك الضابط الإنكليزي سير جارلس ولسن وذكر عن الطريق ما يلي: "إن أهم المناطق التي يصافها الرحالة هي: إشعيا، ليهوم، معلوثا، كليثا، ترسبيدو، أمرا، ليزان، كوندك، ومن ثمة **دوري المركز الرئيس لإقليم برور النسطوري**". Asia Minor, 240.

[23] الطريق المؤدي من العمادية الى براندوز يمر بقرى : كاواني، فيراي، بيري كالاني (خرائب)، جسر بللأ، خاراكين". Asia Minor, 240.



حدياب و سهول نينوى
الشواهد الآشورية قبل وبعد الميلاد
العواصم والآثار الآشورية
الأديرة المشيدة في القرون الأولى للميلاد
داسن
وبيث طوري
زلخو
دهوك
نينوى
نينوى
الموصل
مركا
نحلا دملكا
طلانا
معلثا
هبتون
حنيتا
جبل حدياب
حدياب
بيث كرماي
كرخ بيث سلوخ
اربيل
نمرود
حديثة
مار بهنام
مار أيوب
مريم
دير القيارة
دير برقانا
بيث نسطوريوس
دير مركانا
زيناي
قوفلانا
قلعة سوريش
سرمس عزيز
دير ملية؟
نثفر
لوينا
رمارا
سرقوتا
عينـاوه
جزة
بني سلاون
دير بيث قوقا
دير الجب
دير برعيتا
اسطولون
دير برشبثا
بيت آسا
باطاس
حريرة
داراباد
ديرا
شقلاوة
قور
قلعة الدير
باسلوا
خرجلوه
بيرتا
بجيل
زنطه
دير بيث عابي
عقرة
خربا
كربيش
أرتون
نوري
أصان
أركن
صورا
عطوش
ميزي
كاني مازي
طلانيشا
تحلا د نهرا
باعذرا
بيرتا
برعيتا
تل كومل
داراتو
بلا بروان
ديريني
كرزنجل
قوب
مريبة
عفراسور
ملكوشان
باطنايا
باريما
برازي
تل الدير
باقوفا
تل أسقف
رأس العين
دير مار أوراها
بيث رسفاق (بيوسنك)
عين سفني
خنس
شيخ عادي
مريم
دير مار متي
باعشيقا
بحزاني
تل بلا
طوبزاوه
دير الخنافس
باصخرة
برطلي
باشبيثا
بازكرتان
ترجلة
كرمليس
بدنة جديدة
بدنة كبيرة
نقورتايا
قره قوش
برغني
بلاوات
قزفخرة
طواكه
بارمجة
خزنه
دير ماريونان
دير ماركيوركيس
مار ميخائيل
دير الأعلى
دير ملكيسلوا
ديرالنمل
دير ألوش
مانكيش
بابلو
مركي
جلك
الانش
النكي
انشكي
سناط
باره
بيرسفي
ملاعرب
دهي
شوادن
شرانش
مارعوديشو
بيبيدي
كوماني
دير خطوا
هرماشي
بيبوزي
انروش
باسكاديري
ماركيوركيس
سركاني
باسفرا
سوق الأحد
خلفتا
باكوش
نكيرم
خرنس
شلمت
سيلوديان
ديانا
روندور
دولانا
نهر الزاب الكبير
نهر الخازر
سلسلة القادربية

بالمنطقة والتي كانت مأوى لتعبد الرهبان عبر القرون[24]. هذا الدير العريق يجلّه الإسلام والمسيحيين على حد سواء بسبب العجائب التي نسبت إليه[25]. وإلى الغرب كانت الأديرة القديمة والصوامع في الجبال مثل دير (لشتك) في (منكيش) و(سلطانة مادوخت) في (آرادن)، ودير (قلعة مار توما) إلى جانب الصوامع الكثيرة في الجبال المحيطة[26]. عالم الآثار الشهير **Sir Henry Layard** قام في سنة 1846 بإجراء التنقيبات الأولية في مدينة العمادية. وذكر بأنه أكتشف لوحة أثرية عند مدخل الباب الشمالي للمدينة. وعند إجراء بعض الحفريات هناك أكتشف موقع كنيسة كانت تستخدم خلال المراحل الأولى لظهور المسيحية[27]. **Badger** تجول في منطقة صبنه في عام 1842 / 1843 وذكر بأن ما جمعه من معلومات وما ورده من تقارير فانه توصل إلى قناعة بان النساطرة في منطقة صبنة كانوا بكثافة أكثر مما هم عليه ألان. ويعزو سبب انخفاض عددهم ليس في تحول بعضهم إلي الكثلكة، وإنما بسبب الظلم الجائر الذي تعرضوا له ولا زالوا يتعرضون إليه ألان من قبل حكامهم الظالمين. ويذكر بان كاهن العمادية القس (مندو) اخبره

[24] J.E. T. Wiltsch, The Geography Vol. I. London, 232. Ainsworth, II. 202.
F. Coan, Yesterday in Persia and Kurdistan. California, 1939. 116
نجم بين النهرين، 1: آب 1993. 75 وما بعدها.

[25] وللتعرف على كثافة اتباع الكنيسة الشرقية من النساطرة نشير الى ما ذكره أحد مؤرخي الكنيسة الشرقية الذي يعتقد بأنه كتب تاريخه في أواسط القرن السابع عشر فيذكر عن منطقة صبنة ومركزها العمادية ما يلي: "ثم مدينة العمادية كان يوجد في أسقف اسمه مار موسى من بلد ايوان كان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية. وكان لهم ثلاث كنائس داخل العمادية وخمسة عشر كنيسة في خارجها وعدد المؤمنين أربعة آلاف ومائتا بيت وجميعهم نساطرة وذلك في سنة ألف وستمائة وثلاثين". انظر تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية. وقف على طبعه الخوري بطرس غزيز، مجلة المشرق، بيروت، 1909. 14

[26] نجم بين النهرين، 1: 75

[27] Layard, A Popular Account. 114.

من قبل حكامهم الظالمين. ويذكر بان كاهن العمادية القس (منـدو) اخـبره بأنـه في 1836 كان في وادي صبنة 14 قرية (نسطورية) مزدهرة، أغلبها ألان مـهجورة مـن قبل أصحابها. ومن صور الاضطهاد المسلط على أتباع الكنيسة الشرقية عدم السماح لهم بترميم كنائسهم أو إعادة بناء تلك الـتي تـهدم كمـا كـان الحـال مـع كنيسـة العمادية.[28]

- **مركة**

إقليم مركة، المثلث الذي يشكل التقاء الزاب الأعلى مـع نـهر **(الكومـل)** زاويته السفلي وجبل **(عقـرة)** الـذي كـانت **(نحـلا دملكـا - أي وادي الملـك)**، و **(ببث طوري)** تشكلان قاعدته العليا[29]. هذه المنطقة كانت أشبه مـا تكـون بخليـة نحل لكثرة مدنها، وقراها، وأديرتـها، ومدارسـها، الـتي تركـت بصماتـها علـى تاريخ البلاد بشكل ثابت. المؤرخ الكبير **(توما المرجي - القرن التاسـع للميـلاد)**، الذي كان الذي تولى رئاسة **(دير بيث عـابي)** الشـهير الواقـع بـالقرب مـن قريـة **(خربة)** أمام جبل **(عقرة)**، كتب سفراً نفيساً ليس فقط عن هذا الدير وإنجازاته العلمية واللاهوتية عبر القرون الطويلة، وإنما عن الآباء الذين تخرجوا منه وخدموا في عشرات المدن والقرى والأديرة الشهيرة في أشور، لاسيما في المنـاطق الـتي هـي موضع بحثنا (شمال نهر الزاب الأسفل)، أو الذيـن قدمـوا إليـه أو تبوئـوا المراكـز الرفيقة في الكنيسة الشرقية. في كتابه الرؤساء الذي يمثل التـاريخ الديـني والمدنـي

[28] Badger, The Nestorians and Their Rituals. Vol. I: London, 1851. 199 – 200. Wigram, The Cradle, 312.

(Coan, 116. يقول بان جميع القرى المحيطة بالعمادية هي قرى آشورية التي تتميز ببسـاتينها العـامرة وحقولها الخصبة.)

[29] انظر: الرؤساء، مقدمة الأب البير أبونا، 11.

للبلاد حتى أواسط القرن التاسع، يذكر ليس فقط الأحوال الدينية التي كانت عليها المنطقة والكثافة السكانية[30]، معددا المدن والقرى التي تناولتها مواضيع الكتاب، والتي تتطلب بحثا خاصاً لو أريد الإشارة إليها كلها، وإنما عن الحالة العلمية واللاهوتية والسياسية التي كانت عليها المنطقة عموما، والتي يذكر بشيء من التفصيل عن إقليمي حدياب ونينوى ونوهدرا والابرشيات التابعة لهما. لقد فصّل لنا من خلال إشارته إلي المراعيث والأبرشيات والمطرافوليطيات المنتشرة في حدياب، الكثافة التي كان عليها الآشوريين في جميع أقاليم أشور بشكل عام وفي منطقة (مركا) بشكل خاص.[31]

---

[30] ورد في تاريخ مؤلف مجهول عن كثافة النساطرة في عقرة في القرن الثامن عشر ما يلي: " ثم مدينة عاقرة [عقرة] كان يوجد فيها أسقف واحد كان اسمه حنان ايشوع [خنانيشوع] كان تحت يده قسوس وشمامسة على قدر الكفاية وكان تحت يدهم كنائس خارجاً وداخلاً على قدر الكفاية وعدد المؤمنين ألف وسبعمائة بيت جميعهم نساطرة ". تقويم قديم، 14.

[31] عن منطقة مركة راجع كتاب الرؤساء لتوما المرجي تعريب الأب تلبير أبونا الذي أغنى البحث هذا بتعليقاته والشروح اللازمة إضافة إلي الخرائط التفصيلية التي أرفقها مع هذا العمل. وضمن ما ذكره عن دير بيث عابي الذي كان موقعه جنوب قرية خربه التي تبعد 45 دقيقة عن عقرة. وان والذي كان قد أنشأ في القرن السادس للميلاد. ولقد أورد حالات من الاضطهادات التي كان يتعرض لها وقت اشتداد حملات غزو العناصر الغريبة على بلاد آشور، فأشار إلى الرسالة التي كان قد أرسلها بطريرك الكنيسة الشرقية (السهلية – دير ربان هرمز) مار إيليا إلى بابا روما الذي روى معاناة أبناء البلاد الأصليين وما كانوا يتعرضون له من اضطهادات بشعة فقال مخاطباً إياه:

"في بيت شهدائه 380 ضريحاً للقديسين، ودفن فيه 70 أسقفا. أما الآن فنكاد لا نستطيع الذهاب إلى هناك من حين لآخر لإقامة القداس وذلك لضعفنا. ... قبضوا على رئيس الدير .. واصعدوه إلى قمة جبل عال ومن هناك طرحوه إلى الهاوية، فرصت عظامه ومات شرّ ميته" انظر : الرؤساء، مقدمة المعرب، 12 - 14. ومن بين المشاهير الذين تخرجوا من هذا الدير العريق مار حيورجيس بن الصباح الذي اختير بطريركاً للكنيسة الشرقية في سنة 827 خلفاً لايشوع برنون. أنظر: الدكتور حان موريس فييه، أحوال النصلوى في خلافة بني العباس، دار المشرق، بيروت، 1986. 114. ويورد ايشوعدناح البصري دير الربان قاميشوع

وما من شك فان العديد من المستشرقين والباحثين تناولوا في بحوثهم منطقة مركة هذه، وما خلفته أديرتها من إنجازات في حقول المعرفة كافة، إضافة إلى ما نالته من اهتمام لدورها الرائد في الحركة العلمية والتعليمية[32]. فلقد كانت نموذجاً فريداً لما كانت عليه الحياة التعليمية في جميع مناطق آشور. فالتعليم كان منتشراً على نطاق واسع في حدياب خلال العصر المسيحي، كما كان الحال قبله. ويعزى المستوى الرفيع والمتقدم الذي كان عليه تدني نسبة الأمية بين الذكور والإناث من أبناء الشعب، بسبب الدور التأهيلي الذي كانت تلعبه الكليات والمدارس المنتشرة في المدن والقرى والكنائس. فكما هو موثوق فان في كل دير وكنيسة كانت ملحقة بهما مدرسة للتعليم حسب مستويات الطلبة[33]. وأغلبية المدارس تميزت بتدريسها للعلوم الدينية والحياتية، إضافة إلى التبحر في فقه اللغة السريانية،كما ودرسوا اللغة اليونانية والعربية. وتعمقوا في دراسة الفلسفة ومدارسها، وعلوم الفلك والطب وتحضير الأدوية، والاقتصاد والتجارة وما من شك بان القواعد التعليمية التي تم إرسائها وطرق التعليم والمناهج التي كانت سائدة فيها، أضحت تجربة إنسانية أغنت كثيراً التجارب اللاحقة في هذا المضمار من حيث تقليد القواعد والأنظمة التي كانت متبعة لاسيما على مستوى

كواحد من الأديرة القديمة في منطقة مركه. ومن منطقة مركه ومن خريجي دير بيث عابي ايضاً الجاثليق مار سبريشوع (ماري، فطاركة، 77).

[32] روفائيل بابو اسحق،مدارس العراق قبل الإسلام ص 109 _ 114 ، . 46 – 56.

وعن الأديرة والمدارس المشيدة في منطقة مركة انظر (Dr. Grant, Nestrains, 30, 39) انظر أيضاً: (Etheridge 118.)، و (Laurie, Dr. Grant, 126) .

[33] كتب بابو اسحق: "طفق الجثالقة والأساقفة يبنون في كل دير أو قرية أو مدينة كنيسة أو كنيستين أو اكثر في داخلها أو في جوارها مدرسة ليتعلم رعاياهم في صفوفها الآداب الدينية والقراءة والكتابة. وبناء المدارس بدأ من عهد الجاثليق مار إبراهيم الكشكري (توفي سنة 120 م)". مدارس، 46 – 47.

التعليم العالي الذي مثلت كلية نصيبين على سبيل المثال نموذجاً له عند الشعوب الأخرى[34].

وبالإشارة إلي المدارس وكثرتها العددية في منطقة (مركة) كما في غيرها، دلالة واضحة على كثافة الانتشار الآشوري فيها وفي جميع الأقاليم الأخرى التي لولاها لكانت قد انتفت الحاجة لقيامها. هذه الكثافة يمكن التعرف عليها من خلال نموذج واحد تقدمه منطقة (مركة) هذه. ففي الوقت الذي كانت قائمة فيها الكثير من المدارس منذ القرون الأولى للمسيحية، فإننا نجد البطريرك مار (باباي) في القرن الخامس للميلاد يقوم بإنشاء ستين مدرسة جديدة في هذا الإقليم الآشوري.[35]

---

[35] الرؤساء هامش المعرب 127 — 128 . والأب البير أبونا يورد مواقع بعض هذه المدارس المشيدة في منطقة مركه (اقليم عقرة وما جاورها) على النحو التالي: مدرسة في قرية سفسفا، في دير بوصيل، (او برصيل)، في منطقة غيرين (كارا)، في دير شاميرا (الماس)، في دير قوري، في أقرا (وهي عقرة الحالية)، وفي خردس، وفي قرية شلمث، وفي بيت أدري (التي تعني موضع البيادر)، وأخرى في حطرا (وهي قرية تقع على الخازر)، في مقبتا، في عقبة نيرام دراعاواثا (نيرام الرعاة)، في قوب (بالقرب من قرية بيرتا على مسافة 25كم غرب عقرة)، وفي وادي برزي (قرية برزي الحالية الواقعة إلى الشمال الغربي من جبل مقلوب). وفي كوبي ، واخرى في دير مار أفرام (لا يزال دير مار أفرام موجوداً على مسافة قريبة شرقي قرية هرماشي في منطقة المزوري، أي أتروش)، وأخرى في دير مار أحا، واخرى في ميّا قريري (المياه الباردة) (لا يزال الاسم يطلق على كرم يقع في سفح جبل خير [حياخيري] القريب من قرية تلان في منطقة بيرتا) وأخرى في بيث آسا (وبيث آسا وهي قرية "آسين" الواقعة على مسافة 6 كم الى الشمال الغربي من عين سفني، حيث على مقربة القرية لا تزال بادية أنقاض دير ربان صليبا المعروف الآن بدير الصليب)، واخرى في بيث ساطي (بيث ساطي هي حالياً قريتا بيساط أو [بيساطي] الواقعتان الى الشمال الغربي من "كاني فلا" في منطقة بيرتا، واخرى في بيث قرداغ (وهي قرية قرداغية على مسافة قريبة من باسفري الواقعة الى الجنوب الشرقي من بيري أي بيرتا القديمة)، واخرى في حنس (قرية خنس الحالية الواقعة على الكومل على مسافة 10 كم شمال شرقي عين سفني)، وأخري في بيث رستاق (بيث رستاق أو بيرستك التي تقع على مسافة 5 كم غربي

♦ برزان

وبمناسبة الحديث عن منطقة مركة، لابد من كلمة عن بارزان، التي كان المتعبدون الآشوريون فيها قد حولوا المنطقة بقراها وجبالها إلي مساكن لتعبدهم. فقد لعبت قرية برزان دوراً هاماً في الحياة المسيحية في هذه المنطقة. وظلت هذه القرية والمنطقة على مسيحيتها إلي نهاية القرن التاسع عشر. إذ رغم ما لحق بها من مذابح واضطهادات وتهديم لأديرتها وكنائسها ومدارسها، فإن الوثائق المحفوظة عن حالتها الدينية تشير إلى بقاء كنيستين فيها أواخر القرن التاسع عشر هما **كنيسة (مريم العذراء)، وكنيسة (ماركيوركيس)**. ففي وقت متأخر يعود إلى سنة 1873 ميلادية نجد بان القس **(يعقوب ابن القس كانون البرزاني)** كان يرعى شؤونها الروحية. ولقد كَتَبَ في كنيسة مريم العذراء **(قصة ذخائر ماركيوركيس)** ولقد فرغ من كتابتها يوم 14 حزيران سنة 1873. ورغم ما كان قد لحق برزان المسيحية من دمار من جراء مهاجمتها في سنة 1838 من قبل إسماعيل باشا، زعيم أكراد العمادية، إلا أننا نعتقد استناداً على الأدلة المسيحية المتروكة فيها بان برزان ظلّت على مسيحيتها حتى نهاية العقد الأخير من القرن التاسع عشر.[36]

بلدة عين سفني)، وأخري في بيث نرقوس (بيث نرقوس قرية في مقاطعة مركا غير بعيدة عن دير برعيتا الأصلي) انظر هوامش 126 — 128. أيضا: تاريخ نصارى العراق. 7

Dr. Grant, 39. Fletcher, J.P. Noted From Nineveh and Travels in Mesopotamia, Assyria, and Syria. Philadelphia, vol. I. 1850. 250.

[36] عن الكنائس والكهنة والشمامسة والمخطوطات في برزان المسيحية انظر: فهرس المخطوطات السريانية، المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، بغداد. 1981: 14، 16 ، 18 ، 20 ، 26 ، 41 ، 59 — 60 ، 62

ويبدو أن قرية بارزان نالها خـلال فـترة صـراع المبشـرين الكـاثوليك مـع الكنيسة الشرقية لإخضاعها لكرسي روما ما نال بقية المناطق الأخرى. فـالبطريرك يوحنان هرمزد الذي التحق مع روما سنة 1778، واخذ بالتبشير لدعوتـها، يقـول في سيرته الذاتية عن برزان وما حصل سـنة 1790 مـا يلـي: "ربنـا يسـوع المسـيح أضاء عقول أبناء قرى (أرينا)، و (بارزان). كلاهما تقبلتا عقيدة الكنيسة المقدسة [يقصد روما] وتحرروا من الهرطقة بواسطة ابن أخي المطران شمعون، الذي جلـب كهنتهما عندي .. فأكرمتهم وعادوا إلي قراهم."[37]

بقية مناطق حدياب لم تكن استثناء عـن الواقـع الـذي أشـرنا إليـه. فـإلي الشرق وجنوب شرق إقليم مركة، فان الشواهد المسـيحية الـتي ترجـع إلى القـرون الأولى للميلاد كانت أكثر من أن تحصـى. فـإلي الشـرق مـن نـهر الـزاب الكبـير، كانت مراعيث (معلثا)، (حبتون)، (حنيثا)، (بيث آسا)، حيث تسـتمر حتـى سلاخ الخارجية التي تغطي منطقة راوندوز والمنـاطق المجـاورة لهـا. هـذه المنطقـة تركت للأجيال القادمة قصص التعبد التي كان أبطالها نساك الأديرة والصومعات. ففي (جبل حدياب) وهو الجبل المطـل علـى (شـقلاوة)، كـان يسـكن في إحـدى مغاراته المتعبد عبديشوع من دير (ديري) الذي ـ كمـا تـروي سـجلات الكنيسـة ـ كان وراء اهتداء (مار قرداغ)، حاكم حدياب الآشوري في عهد شابور الثاني (339 ـ379)[38]

---

[37] Badger, The Nestorians. I. London, 1852. 155

[38] أدى شير، شهداء، 6، 311 ـــ 345. ويقول يشوعدناح البصري بان مار قرداغ هو من آل نمـــرود التاريخي، وان عائلته كانت معروفة لشابور، وانه اهتدى إلى المسيحية على يد عبديشوع. وقد قتل أما التـل الذي كان يقيم فيه، وبنية في موضعه دير. 29، 61.

♦ نوهدرا

وذات الشيء يقال عن سهول نوهدرا وجبالها، ففي دهوك والمناطق المحيطة بها كانت الأديرة القديمة قائمة فيها إلى جانب الكثير من المدن والقرى الأخرى منذ حقبات طويلة وبعضها لا زال شاخصاً إلى يومنا. فدير مار أيشوعياب تخرج منه البطريرك مار يوحنان بن بازوك[39] ولا زال قائما دير (مار ياقو) إلى الشمال من (سميل)، أمام جبل بيخير. والى الشرق من دهوك أيضا كان هناك الكثير منها[40].

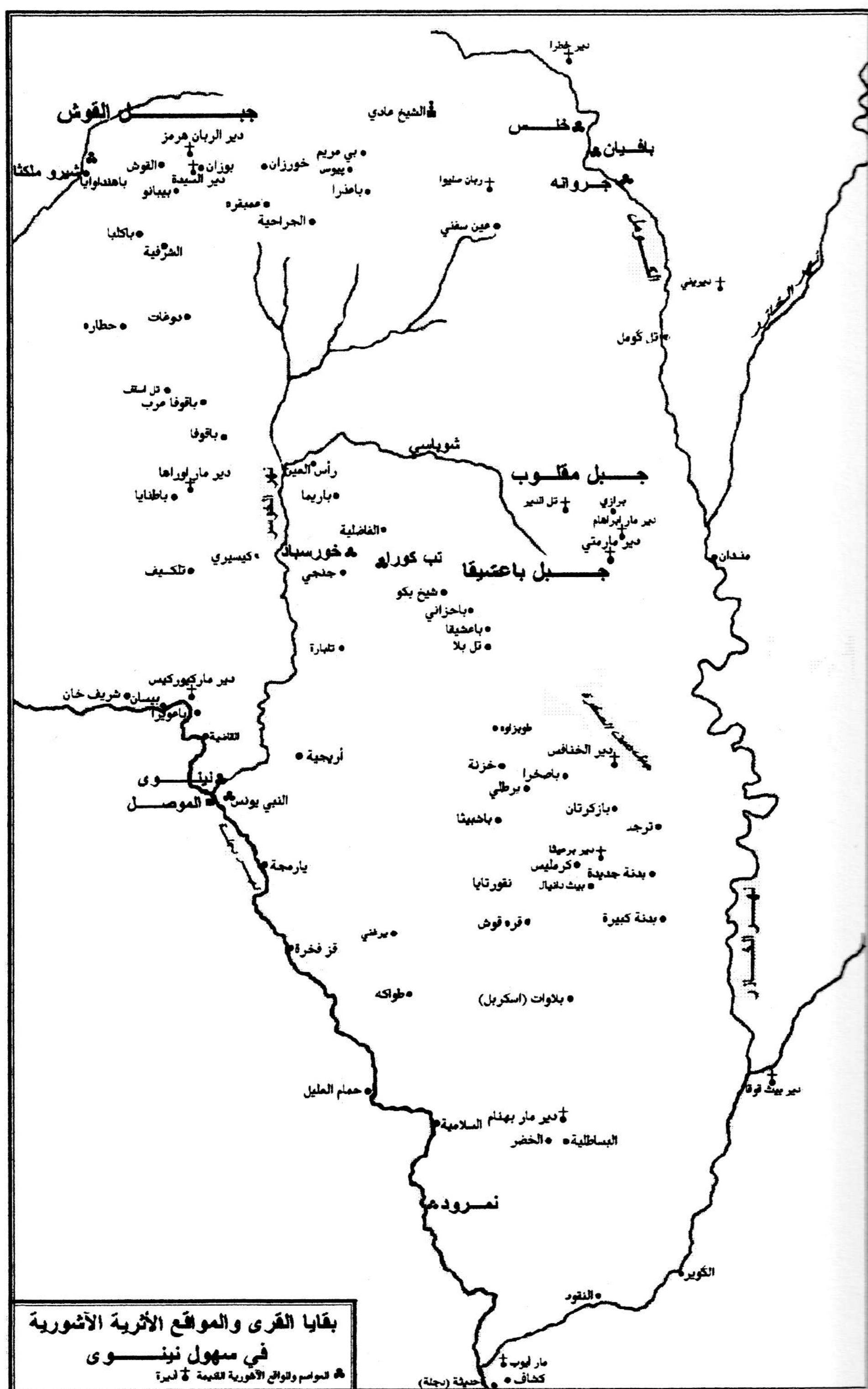
أما في (القوش) الواقعة إلى الجنوب الشرقي من دهوك، فان هذه المدينة تحوى رفات (مار ميخا) الذي قدم من نوهدرا وأشاد فيها كنيسته قبل الإسلام بعدة قرون[41]. في حين إلى الشرق منها بمسافة كيلومتر واحد ظلّ شاخصاً منذ القرن

---

[39] ماري، فطاركة، 113 — 114.

[40] لقد أورد يشوعدناح، مطران البصرة في القرن الثامن قائمة رغم اختصارها وعدم إيراد أسماء أديرة كثيرة فهي طويلة جداً. ومن بين الأديرة التي كانت قائمة في عهده ضمن نوهدرا ذكر التالية في يؤلفه الديورة: دير الغاب الجميل، 30، 36. دير مار أفنيمارن الذي شاد ديره في نوهدرا بارشاد من مار شمعون الذي كان يعيش في ديره في "بيث نينوى"، 53. دير مار زيناي في معلثا وحانيثا، 54. دير مار ايشوعياب، ودير الأنبا صليبا، 61 — 62. دير الربان باعوث وكان بانيه في دير برطورا في سنجار. فقصد إلى دير (كوحدختي) وابنتها بالقرب من نوهدرا ودفن هناك، 63. دير الربان يوسف، 65. دير مار أثفن، وهو في جبل نوهدرا، بجوار دير الأنبا صليبا، 66-67 . وغيرها. يقول الأب البير أبونا بان أسقف نوهدرا معروف اسمه منذ سنة 410 (الرؤساء،هامش المعرب 59 — 60) وعن شواهد نوهدرا، 97 — 98. وعن دير القديس الربان يوسف، 203

[41] يذكر المطران يوسف بابان عن مار ميخا إنه كان قد ولد سنة 295 ميلادية وان اصله من قرية معلثايا القريبة من نوهدرا وبعد أن أمضى حياة ترهب طويلة في جبل الأزل وغيره من الأماكن قصد القوش حيث بنى فيها ديره مع مدرسة. (القوش عبر التاريخ، بغداد. 1966. 73 — 77). و دير مار إبراهيم في نوهدرا. ثم



بقايا القرى والمواقع الأثرية الآشورية في سهول نينوى

الرابع (ما بين 384 – 392) (دير الربان هرمزد) إلى يومنا هذا شاهداً على ازدهار الحياة الرهبانية عبر تاريخها الطويل[42]. ودير ربان هرمزد خدم لمقر لبطريركية الكنيسة الشرقية الفرع السهلي المعروف بخط (مار إيليا) الذي كان يشرف بصورة إجمالية على اتباع الكنيسة الشرقية في المناطق السهلية وبعض

"قصد الطوباوي مار ابراهام بلاد داسن واسس ديراً هناك" كما يقول البصري و... رسمه مار كيوركيس الجاثليق أسقفا لداسن. البصري، 61

[42] عن تاريخ الدير انظر: كوركيس عواد، تحقيقات بلدانية – تاريخية – أثرية، بغداد. 1961. 35 –37. البصري، الديورة. 59. الصائغ، تاريخ الموصل، 2. 135 – 144. الأب الدكتور يوسف حبي، دير الربان هرمزد، بغداد. 1977 . و (Rich, II: 92 – 94, 162 – 169) ويذكر نقلاً عن مار يوحنان هرمز بان ربان هرمز الذي شاد الدير المعروف باسمه بالقرب من القوش، كان قد بنى ديراً في البداية على الزاب الصغير في موقع القرية المسماة **حسّان شامي**. هذا الدير كان خرباً وقت رج. و .Fletcher, Notes, II) 246 – 248.) Southgate, Narrative of a Tour, II. 249. Badger, The Nestorians, I. 50, 102 104,. Laurie, 131 وعن الهجمات التي تعرض لها الدير وأعمال التدمير التي لحقت به انظر: سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، 2 بيروت، 1928. 138 – 144.

المناطق الجبلية القريبة من القوش[43] وعلى قمة جبل القوش كان فيها العديد من الأديرة التي خرائب بعضها لا زالت شاخصة. أما إلى الشرق وعلى امتداد حافات جبل القوش، وعبر القرى اليزيدية فان الأديرة التي كانت قائمة فيها موثقة بشكل لا جدال فيه. فقرية **(بوزان)** اليزيدية الواقعة أمام فتحة الجبل المؤدية إلى دير الربان هرمزد وظلت مركزاً لأحد الأديرة.

---

[43] يذكر الرحالة الدنيماركي كارسن نيبور الذي مكث فترة طويلة في آشور سنة 1763 بان بطريركية مار إيليا يتبعها 300 قرية. (رحلة نيبور، الترجمة العربية، 98.)



صورة إيمان البطريرك مار إيليا كما تلاحظ على ضريحه في دير ربان هرمز

وهي واحدة من تسعة أضرحة لبطاركة الكنيسة الشرقية

إلى الشرق من بوزان تقع قرية (**باعذري**) التي هي المركز الديني والمدني لطائفة اليزيدية. هذه القرية في سنة 486 كانت مكان انعقاد مجمع الكنيسة الشرقية وهو المجمع المعروف باسم مجمع مار برصوما مطران نصيبين الشهير. وفي الوقت الذي كانت تنتشر مئات المدن والقرى في سهول نينوى وفي السهول الواقعة إلى الغرب من دجلة عبر المناطق المؤدية إلى سنجار. ورغم تدمير الكثير منها، فان البقية المتبقية، تحمل معها دلائل وجودها منذ فترات ما قبل الميلاد[44]. أما بالنسبة إلى الأديرة المنتشرة في المنطقة فان تواريخها وسجلاتها تظهر بنائها ما بين القرن الرابع والسابع.

- **سهول نينوى والموصل**

أما في سهول نينوى، مهد قرى ما قبل التاريخ ومركز المدن التي ازدهرت أيام مجد الدولة الآشورية، فان الكثير منها لا زال قائماً ومسكوناً، ورغم المذابح فظلت نسبة الكثافة السكانية عالية[45]. ولا تزال الأديرة المشيدة قبل الإسلام شاخصة، والكثير منها مأهول بالرهبان في الوقت الحاضر. فبالقرب من (**بطنايا**) ظلّ دير

---

[44] Layard, Discoveries, يذكر أثناء رحلته ما بين الموصل وسنجار انه وقف على أحد التلول الأثرية وقام بتعداد ما يزيد على مائة تل في المناطق المحيطة به وكتب يقول: "هذه خرائب المدن والقرى التاريخية التي تنهض شاخصة من جميع الاتجاهات ... هذه كانت بقايا الحضارة الآشورية ورخائها". 200.

[45] عند حديثه عن مدينة الموصل وسهول نينوى يقول صاحب تقويم قديم ما يلي: "مدينة الموصل كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار اسحاق من الرها وكان تحت يده أربعة أساقفة وكهنة وشمامسة قدر الكفاية، وكان لهم عشر كنائس داخل البلد وكان عدد المؤمنين داخل البلد تسعة آلاف بيت وجميعهم نساطرة، وخارج البلد كان يوجد ثمانية آلاف بيت وسبعة أديرة يسكنون فيها الرهبان: الأول دير مار هرمزد والثاني دير مار ايليا والثالث دير مار ميخائيل والرابع مار جرجس والخامس مار يعقوب والسادس مار دانيال ويونان والسابع دير مار متى الناسك، ذلك في سنة ألف واربعمائة وثمانية" تقويم قديم، 18.

(مار اوراها) يقاوم عوادي الزمن. وعلى أنقاض نينوى يشمخ دير (مار بهنام).[46] وعلى الضفة اليمنى وفي داخل الموصل وخارجها لا تزال الأديرة والكنائس القديمة باقية تقدم الخدمات الروحية للمؤمنين[47]، ومن أبرزها كنيسة (مار اشعيا). وعلى بعد مسافة قريبة إلى الغرب من المدينة يقع (دير سعيد) و (دير المنصور) و (دير مار الياس ـ دير المنقوش) والعشرات من الأديرة الأخرى[48] . أما إلى الشمال من

---

[46] Rich, II. 103. Southgate, Horatio. Narrative of a Visit to Syrian [Jacobites] Church. New York, 1844. 96. J. Fletcher, Notes, II. 197. عن دير مار اوراها، تحقيقات بلدانية، 40.

[47] يقول نيبور: كان في الموصل 200 كنيسة وقت دخلها العرب المسلمين سنة 641 ولكن المسيحيون يؤكدون وجود ضعف هذا العدد. نيبور، رحلة، 105. أما المؤرخ محمد أمين العمري فيذكر بأنه كان في الموصل أيام بدر الدين لؤلؤ (أواسط القرن الثالث عشر) 58 كنيسة وعدد المسيحيين الذين يدفعون الجزية 43.000 رأس. منهل الأولياء، 1: 60 — 61.، وجاء في مرآة الزمان لسبط الجوزي سنة 660 ه. (1262 م) بان كان في الموصل: " وبيع النصارى ثمان وخمسون. وعدد نصارى الموصل ثلاثة واربعون ألفا [دافعي الجزية فقط ولا يشمل الرقم النساء والأطفال والشيوخ] وعدد اليهود ستة وثلاثون الفاً". (اقتبسه الديوهجي، تاريخ الموصل1: 368 — 369.). أما الضابط الإنكليزي **Hude**1817 الذي زارها سنة فذكر بان مجموع سكان الموصل من 40 — 45 ألف نسمة. ويقال إنها قبل هجوم نادر شاه [1843] كانت تحوي على 20 ألف بيت ثلثها دمر، وان نصف المتبقي غير صالح للسكن. وان للمسيحيين فيها 1600 دار من أحسنها، ويقدر عددهم ب 12000 نسمة، ولهم 13 كنيسة. أنظر: (Lieut. William Hude.

Voyage Up The Persian Gulf. London, 1819. 217 - 219

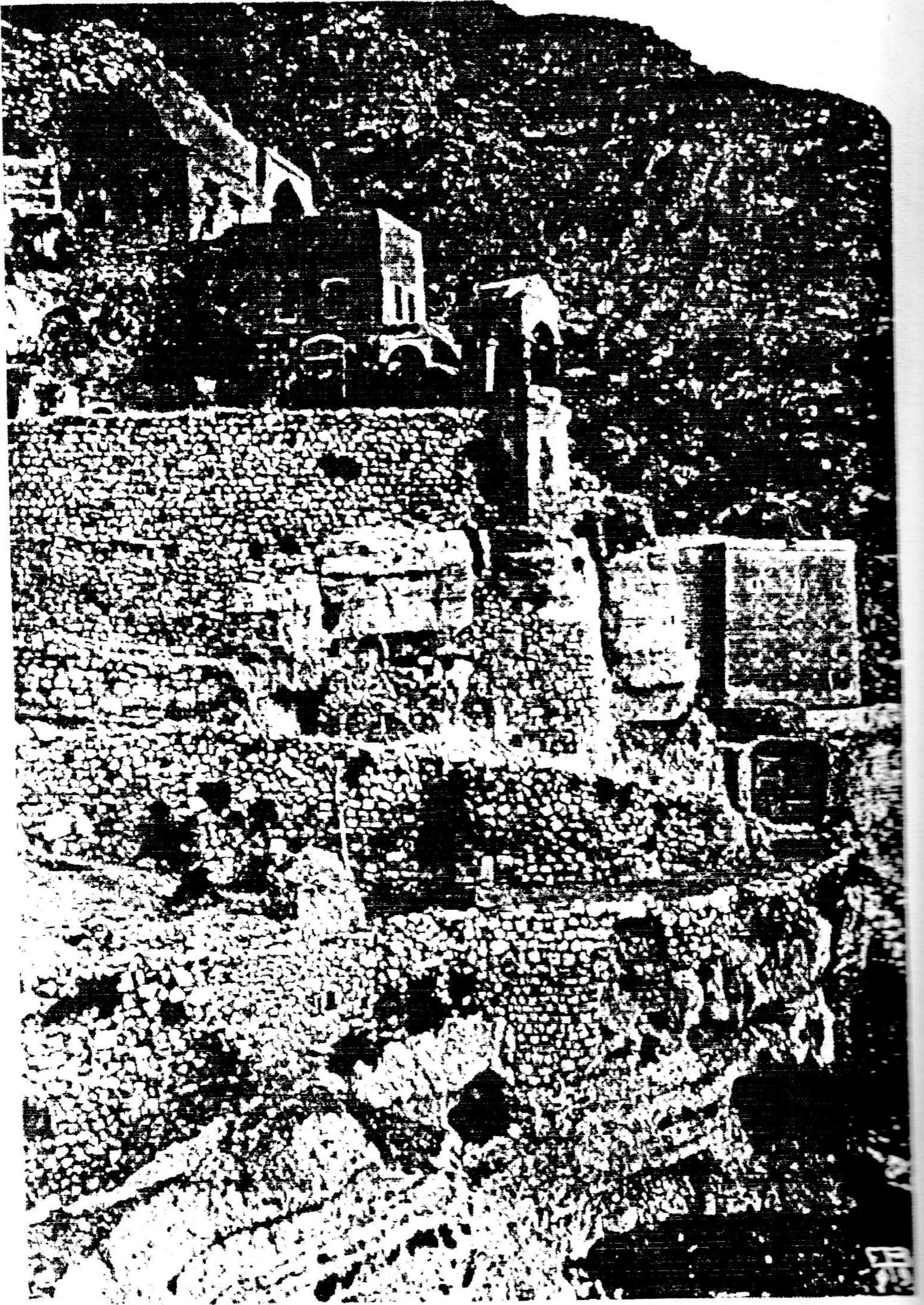
وفي سنة 1849 كان فيها 3350 عائلة بينها 2050 مسلمة، 1100 مسيحية. Budge, By Nile and Tigris. II. 46. نقلاً عن بادجر. أما في سنة 1895 فان مجموع نفوس المسيحيين فيها كان 7 آلاف نسمة. أنظر: Wilson, Aisa. 293. وفي سنة 1939 زارها الكاتب الكردي علي سيدي الكوراني وكتب عنها: "فيها اسلام ونصارى أحفاد الآشوريين والآراميين القدماء". من عمان إلى العمادية. 146.

[48] عن أديرة الموصل وكنائسها وتلك المحيطة بها والمشيدة قبل الإسلام انظر:

عن دير الأعلى بالقرن من الموصل (الحموي، معجم البلدان، 2. 566. و دير الغاب: البصري، الديورة، 36. دير مار إيليا: البصري، 33. ويقول المعتمد البريطاني في بغداد Rich, بان السمعاني أفاد بان هذا الدير

بينة في عهد بطريركية مار يشوعياب الذي جلس على الكرسي البطريركي خلال الفترة 581 ـــ 596 (أنظر: Narrative, II. 113) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل 2. بيروت 1928. 146 — 147 وعن دير مار ميخائيل، انظر: تاريخ إيليا بر شينايا. تعريب الأب الدكتور يوسف حبي، بغداد، 1975. مقدمة المعرب، 5. دير الجب، شرقي الموصل، ودير القيارة: تاريخ نصارى العراق، 25 نقلاً عن معجم البلدان ومعجم ما استعجم. وعن دير سعيد انظر Rich, هامش صفحة 113. الحموي، 2: 584. ودير منصور. ما قبله 113. ودير مار يشوعياب، وهو المعروف بكنيسة مار إشيعيا على دجلة، وكذلك عن دير مار جبرائيل الذي يقع بالقرب من جامع يحيى أبي القاسم، ودير مار يونان (النبي يونس) انظر :سليمان صائغ، تاريخ الموصل، 1: القاهرة 1923. 38 — 39، و 2 بيروت 1928، 88 — 93. وعن دير مار يشوعياب بر قوسري، ما قبله، 93 — 97. كنيسة شمعون الصفا، 97 — 99. وكنيسة مار كيوركيس التي يقول عنها الصائغ بان "قدميتها غارقة في التاريخ ... إلا أن الخراب أدرك بعض أقسام هذا الأثر القديم وكان بالإمكان ملافاها وإصلاحه. ولكن القرار تمّ بهدمه فلم يبقى منه إلا العمد التي جعلوها دعائم تحتية لبناية الهيكل الجديد سنة 1931 ..." 100 — 101. وكنيسة مار أحودامه التي تعاصر في قدمها الكنيستين السابقتين 101 — 102. وكنيسة مار فثيون 103 — 104. ودير مار بهنام، 108 — 118. ومار ميخائيل، 118 — 122. والدير الأعلى أو دير مار كوريل، 126 — II..130 (Badger, The Nestorians, (17 أما عن الكنائس داخل مدينة الموصل، ومنها كنيسة الطاهرة، الصائغ ما قبله، 130 — 133. وعن كنيسة الطاهرة الفوقانية، 133 — 135.

أما عن دير برعيثا الواقع إلى الشرق من كرمليس ويبعد مسافة 30 كم عن الموصل فيذكر عنه الصائغ: "لم يبقى من هذا الدير إلا كتاب تاريخه المخطوط... ويُذكر في مقدمة هذا الكتاب اسم المؤلف وهو يوحنان المعاصر لربن برعيثا. ويذكر أيضا أن هذه السيرة كانت مسهبة وقد طلب تلخيصها أهل القرى المجاورة لهذا الدير، وأكثرهم طلباً أهل قرية جورباق (با جربوق) .. بين برطلة وباعشيقا، ويسكنها اليوم الشبك" واشار إلى أن الدير الذي كانت آثار جدرانه المهدمة والذي يشغل مساحة 2000 متر مربع تم السيطرة عليه واغتصابه. ومما أفاد به الصائغ فان الدلائل على وقت تهديم الدير يمكن الاستدلال عليها أثناء غزو نادر شاه لبلاد آشور سنة 1743 حيث يسود الاعتقاد بان تاريخ استقرار الشبك في المنطقة يعود إلى تلك الفترة. ما قبله 144 — 145. هذا وفي السهول الواقعة إلى الشرق من الموصل، في المثلث الذي يشكله الزاب مع نهر دجلة ظلت شاخصة أديرة: مار أيوب، مار نسطورس، دير مركايا، دير برقانا وغيرها (انظر خارطة الأب البير أبونا المرفقة مع كتاب الرؤساء).



دير الربان هرمز بالقرب من القوش

الموصل فان بلط (اسكي موصل) كانت مقراً للأديرة الشهيرة مثل (**دير قنا**)[49]، ناهيك عن كليتها ومدارسها والمشاهير الذي تخرجوا منها وتبوأ بعضهم مركز البطريركية.[50]

والى الشرق من الموصل وعند الحدود الشرقية ل (**دور شيروكين**)، عاصمة الملك الآشوري (**سرجون الثاني**)، يقع جبل الفاف، نسبة إلى ألوف الرهبان الذين كان يضمهم دير (**مار متي**) والتي يقول المبشر لوري، توماس بأنه مكتوب على مدخله (**ديرو ألبايو**) الذين في بعض الفترات بلغوا العشرين ألف راهب. فهذا الدير أعطي الشهرة الواسعة للجبل الذي يحتضنه، وهو جبل مقلوب، الذي تنتشر فيه الأديرة وصوامع الرهبان والمتعبدين. وحسب ما تروى تواريخ الدير فانه كان قد تم إنشائه أواسط القرن الرابع للميلاد وان (**سنحاريب، ملك حدياب**) عهد شاربو الثاني،الذي بعد قَتلِه لابنه وابنته بهنام وصارة، تاب على فعلته، وساعد على بناء الدير، الذي يحتضن ترابه رفات العلامة الكبير (**ابن العبري**)،

---

[49] عن أديرة بلد ومدارسها ومشاهيرها في العصر المسيحي انظر: عبدالله أمين أغا، بلد (اسكي موصل) تاريخها وآثارها. الموصل، 1974. 130 — 141. و حنا فييه، أحوال النصارى، 112 .

[50] ويذكر بابو اسحق عنها: " كانت لبلد شهرة واسعة لا تقل عن شهرة بقية المدن العراقية العريقة في القدم. وقد انتشرت النصرانية في ربوعها منذ القرون الميلادية الأولى.. ونبغ من أبناء بلد البطريرك اثناسيوس البلدي (توفي سنة 686) .. والجاثليق عمانوئيل (توفي سنة 960 م) " وعن مدارس بلد يقول: " كانت مدارس بلد متقدمة في العلوم واشهرها المدرسة التي أقامها أسقفها مرقس خارج المدينة... ومدرسة مار جرجس الواقعة إلى جوار المدينة" انظر: مدارس العراق قبل الإسلام، 119 — 120. وعن أديرتها الشهيرة مثل دير مار جرجيس وغيره، وعن مدارسها والمشاهير الذين ولدوا فيها انظر ما قبله 120 - 122.

ومئات الأباء الذين تعاقبوا على إدارة شؤونه[51]. والجبـل المذكـور يطـل علـى قـرى (باعشيقا) و (بحزاني) وعشرات القرى الآشورية المعـاصرة ل (نينـوى)، إضافـة الى دير آخر باسم دير (مار دانيال)[52]. أما دير (مار ميخـائيل) فكـان مـن ضمـن

---

[51] عند زيارة المعتمد السياسي البريطاني لدير مار متى في سنة 1820 أشار – ضمن أمـور أخـرى _ إلى تاريخ بنائه وما تعرض له من نكبات عبر مراحل التاريخ وكذلك أشار إلى دير مار كيوركيـس. وذكـر أيضا: دير مار دانيال على سفح جبل مقلوب واصفاً إياه بأنه عريق في تاريخه. Narrative, II. 46 - 47, Rich, 72 – 75.
في حين يقع على السفح الشمالي لهذا الجبل دير برازي (مجلة بين النهرين، بغداد. عدد 14 – 15. 262.) وحين زار كرانت دير مار متى سنة 1840 وجده مهجوراً بعد تعرضه لتدمير من قبل زعيم راوندوز محمـد باشا. Grant, 32.، انظـر أيضـا: Laurie, 128. Fletcher, Notes, I: 197. Southgate, Narrative of a Visit, 96. Badger, I. 96 وعن نكبات الدير أيضا، بطرس نصري الكلداني، كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان. المجلد الأول. الموصل 1905. عن هجمات الأكـراد عليه سنة 1171 بقيادة نور الدين زنكي وفي سنة 1369 نقلاً عن ابن العبري، تاريخ مختصر الـدول ص 266. وعن قصة الشهيد ما بهنام وأخته سارة انظر أدي شير، : شهداء الشرق، 288 _ 311 ص 570 _ 571 أيضا انظر Rich, Narrative, II. 75 - 76، عن هجمات باشا راونـدوز مـير كـور Badger, I. 96. انظر أيضا

[52] Rich, Narrative, II:72

الأديرة المحيطة بالموصل وتميز بعراقته كبقية أديرة سهول نينـوى[53]. وكذلـك ديـر (برازي)[54]

[53] عن دير مار يوحنا، أحد تلامذة مار اوجين "دير قسرتا"، انظر التاريخ السعردي 2: 250. والى الجنوب من للموصل أشتهر في مدينة السن ملتقى الزاب مع نهر دجلة دير الأنبا شمعون انظر : تاريخ ايليا برشـــينايا، مقدمة المعرب الأب الدكتور بطرس حبي ص5.

أما عن الأديرة في سهول نينوى انظر: .(Vine, The Nestorian Churches, 74)) و (Etheridge, The Syrian Churches, London, 1846, 107)

وعن الأديرة المنتشرة في بلاد أشور نورد بعضا من المصادر التي أشارت إليها: كامل مراد ومحمود البكـري، تاريخ الأدب السرياني، 176 . حنا فييه، أحوال النصارى في عهد الخلافة العباسـية، ص 45 ، 53 ، 74 ، 84 ، 92 ، 103 . سليمان الصائغ، تاريخ الموصل 1: 38 - 39

[54] وعن الأديرة بشكل عام أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان 2: بيروت 1990. 563 — 613. و مجلة بين النهرين العدد 14 — 15: 262 . أبي الفدا، تقويم البلدان 295 . وعن الأديرة في بلاد ما بين النـــهرين عموما انظر: كتاب الديارات لمحمد الشابشتي، تحقيق الأستاذ كوركيس عواد.

الفصل الثالث

الحدود الشمالية ـ أرمينيا

1 – أرمينيا حدود آشور التاريخية:

الحدود الشمالية لوطن القبائل المستقلة كانت تمثل بصورة أو أخرى ذات الحدود التاريخية التي كانت قائمة بين الدولة الآشورية، وبين أرمينيا. ولكي نكون أكثر دقة نقول: بأن القرى الآشورية عبر مراحل التاريخ، كانت تمتد إلى بحيرة (فان) وأطرافها الشرقية والغربية وكانت تختلط مع القرى الأرمينية. هذا الواقع كان امتداداً وتواصلاً للعلاقات التاريخية التي كانت قائمة بين آشور وأرمينيا منذ أيام مجد نينوى. ولقد خدمت بلاد تياري وحكاري كجسر بين نينوى وبلاد أرمينيا. والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة. إذ اكتشف علماء الآثار والمنقبين شواهد التواجد السياسي والثقافي الآشوري في هذه البلاد لاسيما في المناطق المحيطة ببحيرة (فان) حيث تؤكد الاكتشافات الحديثة قيام الملكة سميراميس ببناء مدينة على سواحل بحيرة فان " لتكون مصيفاً لها ولتبتعد عن حَرْ الصيف في نينوى"[1]. هذه المدينة التي يسميها الأرمن (شميران كرد) أي مدينة سميراميس آثارها قائمة على سواحل البحيرة[2]. في هذه المناطق الجبلية الوعرة التي كان

---

[1] Kubie, Norma. Road to Nineveh. New York, 1964. 267,

[2] تذهب التقاليد الأرمنية المتوارثة الى الاعتقاد الى ان المدينة قامت ببنائها الملكة الآشورية سميراميس بعد ان انتهت من حربها مع أرمينيا، حيث اسرها جمال البلاد لاسيما بحيرة (أختا مار) أي بحيرة فان. ومما اكتشفته التنقيبات الأثرية ان سميراميس استخدمت في بنائها 12000 عامل يشرف عليهم 600 معمار ومهندس ومراقب. وكان العالم الألماني شولتز قد اكتشف هذه المدينة خلال السنوات 1827 – 1829 م. وان التواريخ الأرمنية تذكر بان من بين الانصاب والمسلات الموجودة فيها واحدة وردت في السطر الاثنين

الآشوريون يعيشون فيها جنباً إلى جنب الأرمن، واستمروا كذلك بعد سقوط نينوى. وحين ظهرت المسيحية وقام الرسل بالتبشير بها فان (مار بارثليميو) الذي تمت الإشارة إليه كان رسول التبشير في هـذه المنـاطق حيـث سجل نجاحـاً ملموسـاً في نشرها لاسيما بين القبائل الآشورية التي كانت تقطـن المنـاطق والأقـاليم المجـاورة لمدينة **شميرام كرد** المذكورة، بسبب كون لغة القوم ذات اللغة التي بشر بـها. لـذا لا غرابة أن يقتبس مؤرخ تـاريخ الكنيسـة **(Joseph the Indian)** الـذي وصـف انتشـار الكنيسـة الشـرقية في جميـع الاتجاهـات ومـن ضمنـها أرمينيا بـان لقـب بطريرك النساطرة ب (كاثوليكوس أرمينيا) والتي كان لها ابرشية في هذه المنـاطق قبل ظهور الإسلام[3].

والاربعين اسم الملكة سميراميس. وان سميراميس هذه كانت زوجة (مينون قائد الجيوش الآشورية وتزوجـها ملك آشور (نينوس) وهي ليست سميراميس زوجة الملك شمسي أدد، والدة أدد نيراري التي حكمت كوصية على العرش لمدة خمس سنوات بعد وفاة ابيه. عن سميراميس أنظر:

Bonomi, Joseph, Nineveh and its Palaces. London, 1852. 59 – 61. Raux, George. Ancient Iraq. 279. Glover, T.R. The Ancient World. Kubie, 231 – 232. حيث تقتبـس

لايارد الذي اوردها ضمن قائمة ملوك آشور. 83 – 82 وعن سميراميس الثانية انظر:

Oppenheim, A.Leo. Mesopotamia. 104. Saggs, The Greatness that was Babylonia. 103. Speiser, E. Mesopotamia, 102. وان (Naqiya Zakutu –يذكر بان اسمها الأصلي (نقيه

الأغريق خلطوا بينها وبين سميراميس الأولى معتقدين بانها (سامورامات). وسميراميس وقدرتهـا وخططـها العسكرية كانت نموذجاً اقتدي به الأسكندر المقـدوني في حروبـه. Bengtson, and Others, The Greeks and the Persians. 322.

[3] Wiltsch, Geography, II: 163 – 164.

ومن بين المناطق التي يعددها والتي قام بالتبشير بها: أرمينيا، بارثيا، فارس، حدياب، سورية، بلاد آرام، مـا بين النهرين، آشور، بابل، كلديا، الجزيرة العربية، الهند إضافة الى مناطق أخرى في القوقاس وأوربـا. 1: 22.

ومن منطقة (فان) كانت القرى الآشورية تستمر غرباً باتجاه أقاليم (بدليس)[4]، و (سعرت)، و (ارزون) إلى الغرب منها وحتى (آمد) إلى الشمال الغربي و (حصن كيفا) إلى الجنوب الغربي، حيث تختلط القرى السريانية، والكلدانية، وتلك التابعة لأبناء الكنيسة الشرقية[5]. مجموعة كثيفة أخري من القرى كانت تمتد على مسار الطريق الموصل بين "فان" إلى (سعرت)[6] التي منها كان الطريق يتفرع إلى (حصن كيفا) نحو الغرب وأخر إلى (فنك) ومنها إلى (بازبدي) التي هي جزيرة ابن عمر الحالية. هذه القرى كانت تنتشر بكثافة أيضا

[4] في سنة 1837 زار Southgate أورد إحصاء عن سكانها فذكر وجود الإسلام والأرمن واليعاقبة الذين كان لهم كنيستهم الخاصة بهم. .218 – 217 Tour, ويتحدث عن التغيير الديموغرافي الذي يحصل بصورة سريعة في الخارطة الأثنية والدينية فيقول مشيراً إلى استقرار الأكراد في المنطقة قائلاً: " معظم أولئك الموجودين بين بتليس و (فان) قد قدموا من الجبال الجنوبية وأقاموا قراهم خلال الأثني عشر سنة الأخيرة مستبدلين حياتهم البدوية كما اخبروني إلى حياة استقرار". 232. ويودر مقارنة بين ما كان قد ذكره تافرنييه رحالة القرن السابع عشر الذي كان قد زار (فان) والذي كان قد ذكر بان أغلبية أهلها أرمن. إلا أن افضل المعلومات التي جمعتها فان الحالة ليست كذلك الآن. 262.

[5] يقول بادجر بان عادات وتقاليد كل من الكلدان والسريان والنساطرة متشابهة. Badger, I. 234 عن ما يربط هذه المجموعات بعضها ببعض فان التحريات التي كان قد قام بها المبشران الأمريكيان: سمث ودوايت سنة 1831، أظهرت كما يقولان بان النساطرة والليعاقبة والكلدان هم من مجموعات من أصل واحد. ويوردا بان شماس في منطقة أذربيجان اخبرهما بان السريانية التي يتحدثون بها يتحدث بها كذلك اتباع الكنائس الثلاثة في بلاد ما بين النهرين وان لهجاتها ليس فيها إلا قليل من الاختلاف. أما عن كتبهم الطقسية فأنها تظهر الأصل المشترك في اللغة أيضا وان كتبهم الطقسية مكتوبة بأحرف سريانية. أنظر:
Smith, and Dwight, Armenia. Boston, 1833. 212.
ويذكر الميجر جنرال جارلس ولسن عن سعرت بان المسيحيين من مختلف كنائسهم يختلطون بعضهم مع البعض. وان المدينة هي مركز مطرانية لطائفة الكلدان.
Wilson, Asia, 245

[6] المبشر Cutts, E. زار سعرت سنة 1876 وأفاد بان فيها نساطرة اتحدوا مع روما. ويرعي شؤونهم المطران (بطرس) الذي يقيم عادة في دير يبتعد بضعة ساعات عن سعرت [دير مار يعقوب الحبيس كان على الدوام مقر لأبرشية سعرت]. انظر: ... The Assyrian Christians. Report of a Journey
Canterbury, 1877. 9.

التي هي جزيرة ابن عمر الحالية. هـذه القرى كـانت تنتشر بكثافة أيضا علـى امتداد طريق (أرضروم ـ دياربكر): في سيفاس، كورون، دير بندي، البسـتان، زيتون، مراش، خربوت[7]. هؤلاء كـانوا بقايـا السـكان الأصليـين للبلاد[8]. ويذكـر أنسورث بان الاكتشافات الأثرية في (أرضروم) من قبل العلمـاء الـروس، أظـهرت وجود كتابات سريانية عليها[9]

ما يميز الحدود الشمالية لوطن القبائل المستقلة إضافـة إلى تداخـل القـرى الآشورية التابعة لكنائس الطوائف المشار إليها مع القرى الأرمينيـة، فـان الأقسـام الشمالية لوطن هذه القبائل كان أبنائه وبحكم التغيـيرات الجذريـة الـتي حصلـت عبر القرون الماضية كانوا قد تحولوا من حالة الاستقلال التي كانوا عليها في القرون الماضية إلى حالة "رعية" خاضعين بأغلبيتهم لهيمنة الآغـوات الأكـراد في الأقـاليم الواقعة في المنـاطق الشـمالية المباشـرة وتلـك الواقعـة إلى الشـمال الغربـي والشـمال الشرقي، لاسيما المسار المؤدي إليها من قرية (قوجانس)، حيـث كـانت الكثافـة الآشورية عالية خلال القرون السابقة[10].

ما هو جدير بالتنويه عنه هو أن المنطقة المحصورة بين "قوجانس"، مركـز الرئاسة البطريركية للكنيسة الشرقية (الفرع الجبلي) التي كانت مقراً لمار شمعون،

---

[7] Wilson, Asia, 263.

[8] كارل بروكلمان، تاريخ، 98 - 99

[9] Ainsworth, II. 392.

[10] هذه المنطقة الواقعة الى الشمال من قوجانس كان مركزها مدينة (كولاميرين). فيذكر عنها صاحب التقويم القديم ما يلي: "ثم مدينة كولاميرين وفي القديم يقال لها مدينة الكمار [وهي جولمرك الحالية] كان يوجد فيها أسقف واحد يقال له مار عبد إيشوع من بلد الموصل وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكيستان وكان عدد المؤمنين ثلاثة آلاف بيت". 14.

وحتى (فان) التي تبعد أكثر من 200 كم كانت تنتشر فيها الكثير من القرى الآشورية التي تميزت بفروسية أبنائها ومهارتهم في استخدام السيوف والرماح مثل قرى (سور د ماميدا) و (هوز) و (سيكوني) وتلك الواقعة في إقليم برور (برور العليا) مثل (خدلانيس) و (قطرانيس)[11]

أما في الأقاليم الشمالية الشرقية لحدود وطن القبائل الآشورية الواقعة عند التقاء الحدود التركية ـ الإيرانية عند إقليم (ديلمان) في أذربيجان إيران. ومرورا بالأقسام الواقعة إلى الجنوب من بحيرة (فان). هنا كانت العديد من القرى قد هجرها أهلها بسبب الظلم المسلط على أبنائها. ويذكر أحد المبشرين الذين مروا في هذه المنطقة في طريقه إلى إيران بأنه شاهد نسطوري واحد يعيش لوحده في قرية كردية، بعد أن هجر قريته بسبب الظلم الذي كان يسلطه عليهم الباشا التركي[12] **وعبر الأقاليم الغربية باتجاه (بتليس)**[13] **حيث كانت تنتشر القرى اليعقوبية**

---

[11] Rev. Cutts, Christians Under The Crescent, 189., Maj. Gen. Sir Charles, Asia, 239. Maclean and Browne, The Catholicos of the East and His People, 18.

[12] ردا على استفسار المبشر: كيف يمكنك البقاء وحيدا في قرية تختلف عقيدة أهلها الدينية عن عقيدتك؟. أجاب النسطوري: " كنت أقيم في القرية التي مررت بها بالأمس. ولكن سكانها أنهكهم الظلم الذي سلطه الباشا فهجروها.بعضهم ذهب إلى فارس والبعض الآخر قصد النواحي الشمالية. ... انا رجل مسن وبقى لي أياما معدودة ولا يهم أين أمضيها" .Tour,I: 281

[13] المسيحية في بتليس والأقاليم المجاورة لها كانت قد مدت جذورها في وقت مبكر كما كان الحال مع بقية المناطق في بلاد ما بين النهرين. وشواهد ذلك تؤكدها حملات الفتوحات الإسلامية أواسط القرن السابع للميلاد. فلقد شهد فقد أكد مؤرخو الحملات حقيقة كون المنطقة مسيحية خالصة حيث تم فتحها على يد القائد عياض بن غنم. وكتب البلاذري عن ذلك يقول: "... وفتح قردي وبازبدي على مثل فتح نصيبين. وأتاه بطريك الزوزان مصالحه عن أرضه على اتاوة وكل ذلك في سنة تسع عشره وأيام من المحرم سنة عشرين... ثم سار الى ارزن ففتحها على مثل صلح نصيبين ودخل الدرب فبلغ **بدليس وجازها إلى خلاط وصلح بطريقها [رئيس الكنيسة] ... ثم عاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط وجماجمها [سكانها] على بطريقها". انظر فتوح: 180، 203، 307، 319، 321، 375. وعن حالتها في القسم الثاني من**

والكلدانية واليزيدية على امتداد نهر بتليس صو، مع بعض البروتستانت[14] وحتى (سعرت)[15]، فان التجمعات الآشورية في هذه المناطق كانت قبل التحولات الكبيرة في خارطتها الاثنية تمثل امتدادا طبيعيا للقبائل المستقلة. هنا كان للكنيسة الشرقية كيانها الراسخ عبر اسقفياتها وكنائسها[16] فعبر المنطقة الممتدة من (فان) وحتى

القرن الخمس عشر، أي بعد مذابح تيمورلنك الشهيرة يذكر صاحب التقويم القديم عن حالة الكنيسة الشرقية ما يلي:

"ثم مدينة بدليس كان يوجد فيها أسقف واحد اسمه مار إيليا من مدينة الرها [اورهاي] كان يوجد تحت يده عشرة قسوس وثلاثون شماسا كان لهم كنيسة واحدة على اسم مرت اشموني وسبعة أولادها المكابيين وعدد المؤمنين ألف بيت وهم نساطرة وكان ذلك في سنة ألف وأربعمائة وستين" 14.

[14] Asia, 245 – 246.

[15] سعرت كانت ابرشية قديمة تابعة للكنيسة الشرقية وظلت كذلك إلى الحرب العالمية الأولى حيث استشهد مطرانها العالم الجليل مار أدي شير سنة 1915. واشتهرت منطقة سعرت بأديرتها القديمة ومنها دير "أحويشا" الذي يقول الحموي عنه: "وأحويشا بالسريانية الحبيس: وهو بإسعرت مدينة بديار بكر قرب ارزون وحيزان، وهو مطل على أزون، وهو كبير جدا فيه أربعمائة راهب في قلال وحوله البساتين والكروم، وهو في نهاية العمارة، ويحمل خمره إلى ما حوله من البلدان لجودته، والى جنبه نهر يعرف بنهر الروم. (معجم البلدان، 2. 565). ويقول الميجر جنرال ولسن: " ان سكان سعرت هم إسلام وارمن، كلدان ويعاقبة. .Asia, 245. انظر ايضا البصري، الديورة، 35. طبعة ديترويت.

[16] عند إشارته إلى أحوال الكنيسة الشرقية في بلاد آسيا الصغرى و أرمينيا و كردسان في القرن الخامس عشر يقول صاحب التقويم القديم ما يلي: "حسب رأي بعض المؤرخين الشرقيين يقولون: يسمى كلدانستان، وحسب رأي ابن الحجري وابن الصليبي وبيت ايشوع [لعله بختيشوع] وأبو الفرج [ابن العبري؟] يقولون إنما كلدانستان لا كردستان لان أهالي الجبل جميعهم كانوا من شيعة الكلدانيين القدماء قبل المسيح وفي زماننا هذا بدلوا الكلدان في الكرد والى الآن يقولون كردستان وهذا غلط.

أولا: مدينة طوقات كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار ميخائيل جنسه من آمد وكان يوجد تحت يده اسقفان: الأول اسمه أسقف ايشوع وجنسه من الشام. والثاني اسمه يعقوب وجنسه من بلد تكريت وكان يوجد تحت يده عشرون قسيسا وخمسون شماسا وكان عدد المؤمنين سبعة آلاف بيت جميعهم نساطرة وكان لهم ثلاث كنائس: الواحدة على اسم مار يونان النبي والثانية على اسم الصليب والثالثة على اسم مار ماري الرسول سنة ألف وأربعمائة وثلاثين مسيحية.

(بازبدي) التي كانت قد تتطلب لقطعها 45 ساعة، استغرقتها رحلة الضابط الإنكليزي **Maj. Gen. Sir Charles Wilson** في القسم الثاني، من القرن التاسع عشر. ولقد دون مشاهداته عن القرى الآشورية والأديرة الكثيرة التي كانت تنتشر على امتداد الطريق الذي مر به، مشيرا بذات الوقت إلى وجود أعدادا أخرى من قرى الكلدان والسريان واتباع الكنيسة الشرقية في المناطق الجبلية في تلك المناطق المحيطة بمسار الطريق. وأشار أيضا إلى ما شاهده من القرى العائدة لهذه الطوائف والتي كانت مدمرة أو مهجورة من قبل أهلها بسبب الظلم والاضطهاد المسلط عليهم[17]. والقرى التي لاحظها الرحالة والمبشرين والتابعة لاتباع الكنائس الشرقية والسريانية والكلدانية لم تكن إلا البقايا الباقية من ذلك الوجود الذي كان يغطي المنطقة بمدنها وقراها العامرة وبما لا يحصى من الأديرة والصوامع المنتشرة في كل بقعة. هذه الكثافة استمرت _ ولو بنسبة أقل - بعد المذابح الشهيرة لتيمورلنك. ففي مدينة سعرت وضواحيها كان هناك ثلاثة آلاف عائلة[18] ولقد تسنى للرحالة

---

[17] Maj. Gen. Sir Charles, 241. ، أثناء حديثه عن مسار الطريق ما بين (فان) — جزيرة ابن عمر يقول: في هذه الوديان الخصبة والمراعي الجيدة وغابات الجوز، هناك أعداد كبيرة من القرى المهجورة التي أغلبيتها مسيحية. كما وتوجد قرى فقيرة عديدة للأرمن والنساطرة والكلدان الى الشمال والى الجنوب من النهر. وعلى ضفاف نهر قره صو، تقع قرى خيزان، الفقيرة التي يقال بأنها خرائب لمدينة قديمة التي تحتوي على مسلات منحوته، وقرية مادين [نسطورية أيضا] التي تحوي على مقالع معدنية غير مستثمرة. من هنا الطريق يدخل في وادي بوتان صو بالقرب من قرية كرناس، هلانزور، كلي. Asia, 240
و Ainsworth, Travels and Researches, II. 206

[18] يقول صاحب التقويم القديم: "ثم مدينة سعرد كان يوجد فيها أسقف واحد اسمه يعقوب من بلد ماردين كان تحت يده قسوس خمسة وعشرون وشمامسة ثمانون وكان تحت يدهم كنيستان: الواحدة على اسم مار كيوركيس، والثانية على اسم مار ميخائيل. وكان عدد المؤمنين خارجا وداخلا ثلاثة آلاف بيت وجميعهم نساطرة. وكان لهم ثلاثة أديرة في أطراف سعرد: الأول مار يعقوب [مار يعقوب الحبيس] والثاني مار كبرائيل والثالث مار صوريشوع وذلك في سنة الف وستماية وعشرين". 14.

الغربيين مشاهدة القرى الآشورية التي كانت تتسلسل واحدة بعد الأخرى في هذه المناطق الشمالية التي كانت تنتشر عبر السهول الخصبة النضرة المزدحمة بالبساتين وسط مناظر خلابة[19]

الأقسام الشمالية الشرقية الواقعة باتجاه الحدود الإيرانية كانت هي الأخرى تعج بالقرى الآشورية التي كانت تشكل امتدادا طبيعياً لانتشار اخوتهم كما كان حال تلك التي في الجنوب والغرب والشرق، وكانت تتميز من الناحية الجغرافية بوقوع القرى في السهول الخصبة مما جعلها هدفاً سهلاً للوقوع تحت سيطرة الآغوات الأكراد في حين كانت المجموعات التي تقع في المناطق المتموجة والسهلية التي تتخللها الجبال تعيش حالة "شبه استقلال" في حين كان أولئك الذين قراهم في السهول قد تحولوا إلى "رعية". وقرية "ميلوا" التابعة ل "باش قله" بالقرب من امنابع العليا لنهر الزاب الأعلى كانت تعتبر أول قرية آشورية في هذا الإقليم لم تكن تابعة للقبائل المستقلة وإنما كانت من الرعية التي إلى الشرق والشمال الشرقي منها كانت تشاركها ذات الحالة القرى الآشورية الأخرى[20].

2 – الاضطهادات تؤدي إلى تقلص الوجود الآشوري

أما إلى الجنوب الغربي من سعرت، فلقد ذكر صاحب التقويم القديم عن مدينة (حصن كيفا) ما يلي: :ثم مدينة حصن كيفا كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار بولس من بلد ماردين تحت يده ثلاثة أساقفة: الأول اسمه مار شمعون من نصيبين: والثاني أمه مار سطيفانوس، والثالث اسمه مار يوحنان وجنسهم من الموصل. وكان تحت يدهم كنائس كثيرة خارجا وداخلا وكان لهم دير في طرف الحصن اسمه دير الصليب وكان تحت يدهم قسوس قدر الكفاية وكان عدد المؤمنين خمسة آلاف وثلاثمائة بيت جميعهم نساطرة وكان ذلك في سنة الف وستمائة وثمانين مسيحية". 15.

[19] Thomas Laurie, Dr. Grant, 177

[20] Ainsworth, II. 288.

حالة القبائل الآشورية الواقعة في هذه المناطق كانت حالة استعباد كما كانت حالة بقية الأقاليم التي كان قدرها أن تكون في المناطق السهلية، وأصبحت هدفا سهلا للاحتلال والسيطرة على أبنائها وأرضهم، كما سبق وان نوهنا. فهنا في إقليم البق الآشوري الذي كان ولا يزال يحوي شواهد تاريخية تعود إلى فترات تبشير الرسول "مار بارثليميو"، أحد الأثني عشر، والذي كان الآشوريين فيه عبر القرون يقيمون فيه، وتركوا شواهدهم في كل بقعة منه، أضحى وقت بحثنا هذا خاضعا بأكمله للسيطرة الكردية. فعلى مقربة من دير (**الكنائس السبع**) الواقع في هذا الإقليم كانت تقع قرية (**سير**) الآشورية التي اخبر أبنائها الدكتور كرانت الذي كان يزورهم سنة 1841 بأنهم يتعرضون إلى عمليات سلب ونهب الأكراد لهم وان الظلم والاضطهاد المسلط عليهم أدى إلى تقلص عددهم الذي كان في السابق كبيرا جدا[21].

الرحالة البريطانية **Mrs. Bishop, E.** التي قامت بجولة في مناطق سكن اتباع الكنيستين الشرقية والسريانية، وأمضت فترة طويلة بينهم في أذربيجان إيران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وزارت وطن القبائل المستقلة وانطلقت باتجاه الأقاليم الشمالية التي نحن بصددها قاصدة مدينة (**فان**) التي منها انطلقت غربا باتجاه (**أرضروم**) و (**بتليس**) وغيرها. فلقد ذكرت بأن عدد الآشوريين في ولاية (**فان**) هو 80000 نسمة فقط. هذا العدد كان كل ما تبقي من ذلك الحشد الكبير الذي كان يتمثل في مئات القرى التي كانت تنتشر في المنطقة. فلقد أوردت قصصا عن ما كان يتعرض إليه الآشوريون من مظالم واضطهادات تفسر ذلك التراجع الكبير في عددهم، تلك المظالم التي لا يمكن وصفها. وفي الوقت الذي

---

[21] Laurie, 177 – 178.

غطت حالة أتباع الكنيسة الشرقية من *"الرعية"* في سهول **(اورمية)**، ومنطقة **(كاور)**، و **(مار بيشو)** في السهول الغربية لأورمية، فإننا نشير إلى نموذج لما ذكرته عن حالة الآشوريين في المناطق الشمالية لوطن قبائل تياري وحكاري الذين كانوا من ضمن "الرعية" في تلك المناطق.

وبكل تأكيد فان نماذج الاضطهادات التي كانوا يتعرضون إليها تبرر ليس فقط تقلص عددهم وإنما اختفائهم. لان ما كانوا يتعرضون إليه يفوق تحمل البشر. فلقد كتبت بعد وصولها قرية قطرانيس (في برور العليا) رسالة جاء فيها: "هنا واحدة من أوحش القرى الجبلية التي فيها منيت نفسي بالمبيت براحة في خيمتي الخاصة. ولم يتم فتح الخيمة بالكامل، حين تقاطر عليه جميع رجال القرية طالبين ومتوسلين بان لا انصبها، لأنني لن أكون آمنة فيها لساعة واحدة، وإنني 'سأجلب المشاكل إليهم'. فالقرية تعاني بقسوة من الأكراد الذين لا يسلبونها ماشيتها وكل ما يملكون فقط، ولكنهم يحاولون حرمانهم من أرضهم الزراعية بالرغم من حقيقة كونها ملكا رسميا لهم. هنا في حوض وادي ***Berwar – Lata*** (أي برور العليا) قد حول من حالة ازدهار إلى فقر مدقع. ففي **(فقطرانيس)** وإلى الجنوب منها يجمع احسن العسل قد دمرتا سلب الأكراد. المسيحيون يبذرون ويزرعون؛ الأكراد يحصدون: يربون المواشي والأغنام والأكراد يستولون عليها حين تسمن جيدا. أحد سكان قرية نسطورية مجاورة كان يملك 1000 رأس غنم أخذت منه كلها وأبقيه له 60 رأس لا غير. هذه عينة للقسوة التي يتعرض لها هؤلاء التعساء. والأكراد بالكاد يعطونهم مهلة **'دع صوف الأغنام يطول'** كما يقول مثلهم الشائع"[22].

[22] Mrs. Bishop, E. Journeys in Persia and Kurdistan. II. London, 1891. 323 – 325.

في الأقاليم الشمالية التي كانت تنتشر فيها بقايا الآشــوريين، مــر بــها في سنة 1836 الدبلوماسي والعسكري البريطاني **Lieut. Col. Sheil** قـاصدا منـاطق حملة الصدر الأعظم التركي السابق الذي كان في أنذاك منشغلا في إخضـاع المراكـز المستقلة ومن ضمنها المراكز الكردية، حيث كان قـد وصـل راونـدوز للقضـاء علـى محمد باشا الراوندوزي. فذكر وجود اتباع مار شمعون في مدينة بتليس أو (بدليس) وانهم يملكون كنيسة خاصة بهم بينمـا كـان للأرمـن سـبعة[23]. وفي طريقـه باتجـاه سعرت مر بعدد من قرى الناطقين بالسريانية. فيذكر قرية (كرمو) اليعقوبيـة ولقـد أخبره أبنائها "بان اليعاقبة ينتشرون بكثافة في باشـويات ديـار بكـر والموصـل وان كنيستهم قوية وأضاف بان الطريق من هناك وباتجاه مديات كان مزدحما بقراهـم. ولقد وصف الشبه الكبير بين اليعاقبة والنساطرة.[24]

---

[23] Sheil, Notes on a Journey from Tabriz, through Kurdistan, via Van, Bitlis, Se'ert… JNL. of the Royal Asiatic Geography. 1838, 8: 72.
[24] Sheil, Notes, 82.

الفصل الرابع

طور عبدين والجزيرة

1 – الحدود الغربية – طور عبدين وما جاورها

الحدود الغربية لوطن قبائل تياري وحكاري المستقلة كانت تعكس حالة الانقسام الكنسي/ المذهبي للشعب الآشوري. ففي الوقت الذي كان وطن هذه القبائل التابعة للكنيسة الشرقية، يقع في الأقسام الشمالية الشرقية من بلاد آشور. فإن وطن اخوتهم، أتباع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، شمل في الغالب الأقسام الشمالية الغربية منه[1]. وان انتشار أبناء كلتا المجموعتين كان امتدادا طبيعيا لبني قومهم، ودينهم، ولغتهم[2]، عبر الأقسام الجنوبية لبلاد ما بين النهرين، الممتدة إلي تخوم صحراء العرب. وعلى عكس **George Badger,** فان المبشر **H. Southgate**، كان لديه الجرأة ليصحح اعتقاداته السابقة عن انتشار القوم في أعالي ما بين النهرين والتي كان قد كونها خلال رحلة سابقة في الثلاثينات من القرن التاسع عشر. إذ يعترف بأنه كان مخطئاً حين اعتقد بأنهم لاجئون إلى هذه المنطقة من الاضطهادات، لاسيما

---

[1] Southgate, Tour,II: 80 - 81

[2] يقول الباحث Aderian Fortescue بأن النساطرة واليعاقبة لهم دم مشترك واحد. انظر The Lesser Eastern Churches. 8. أما Badger, فيذكر التشابه في العادات والتقاليد 1: 234. وعالم الآثار كونراد برويسر، عند تفحصه لكنائس بازبدي القديمة والعائدة لكتلا الكنيستين الشرقية والسريانية قال: إن كنيسة الكلدان تشبه في طرازها المعماري كنيسة مار بهنام اليعقوبية في المدينة. انظر: (المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين في العصور المسيحية القديمة والإسلامية. بغداد 1981. 34.

المغولية. فأكد بأنهم يشكلون امتداداً طبيعياً لبني قومهم في الجنوب. ويشير بكثير من الدهشة إلى أن هؤلاء السريان لا يعرفهم جيرانهم الأرمن باسم "السريان"، بل يطلقون عليهم اسم "الأثوريون"[2]

وفي الوقت الذي كانت منطقة طور عبدين والجزيرة تشكل امتداداً اثنياً لبلاد تياري من الشرق. فإنها بذات الوقت كانت الحلقة التي تربط أبناء الأمة الناطقة بالآرامية في الجنوب، مع الأقاليم الشمالية والشمالية الغربية. وإن سلسلة جبال "**إيزلا**"، (الجودي)، و (**طور عبدين**)، كانت تشكل آخر حاجز طبيعي يفصل وطن القبائل المستقلة، عن السهول الشمالية لبلاد ما بين النهرين. وكانت هذه السلاسل الجبلية في ذات الوقت تشكل الحدود الجنوبية الشرقية لوطن الناطقين بالآرامية / السريانية عامة في الجزيرة وتحديداً (**القبائل السريانية**

---

[2]Southgate, Visit, 80-81.

ما هو جدير بالملاحظة أن هذا القسم من الشعب الآشوري أسوة باتباع الكنيسة الشرقية كانوا موضع اجتهادات لبعض الكتبة الغربيين الذين ادعوا بان السريان الأرثوذكس في الجزيرة هم أيضا من مهاجري حملات الاضطهادات التي تعرض لها السكان الأصليين لبلاد ما بين النهرين لاسميا خلال الفترة المغولية 1258 – 1336 والتي كان أكثرها تدميراً تلك التي اقترفها تيمورلنك خلال السنوات 1393 – 1401م. وكان من بين الذين قالوا بهذا الرأي المبشر الإنكليزي **Southgate** اثر رحلته الأولى لبلاد ما بين النهرين أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. إلا انه في رحلته الثانية بعد سنوات قليلة. وبعد أن تسنى له دراسة أحوال وتاريخ القوم بشكل تفصيلي كتب مصححاً ما كان قد قاله عنهم في رحلته الأولى، وتراجع بوضوح عما كان قد قاله عنهم في السابق. وأكد بأنهم هناك كامتداد طبيعي لبني قومهم في الأقسام الأخرى لبلاد ما بين النهرين. وضمن ما ذكره:

" كنت في البداية مندهش للكثافة الكبيرة للسريان المنتشرين بعيداً عن مناطق طائفتهم فيما بين النهرين وسوريا ... ولكن بعد أن تعرفت على كثافة انتشارهم وان من وجدتهم في (خربوت) كانوا فقط استمراراً لبني قومهم في الموجودين في الشرق، وليس كما اعتقدت في البداية بأنهم مهاجرون من الجنوب"

(Southgate, Visit, 80 – 81)

الأرثوذكسية المستقلة) في طور عبدين التي كانت قد حافظت على استقلالها إلي سنة 1834 – 1838 [4]. وعند هذه السلاسل الجبلية، وعلى امتداد السهول الغربية التي تطلُّ عليها، كانت القرى التابعة للكنائس الشرقية، والسريانية، والكلدانية، تتداخل بعضها مع البعض[5]. إلا أن كثافة انتشار الأرثوذكس كانت أكثر في جبل

---

[4] تم القضاء على استقلال هذه القبائل أثناء الحملة التركية لإعادة سيطرة السلطة المركزية على المراكز المستقلة تحت قيادة الصدر الأعظم السابق محمد رشيد باشا (1834 – 1838)، الشهير بقسوته أثناء هذه الحملات.

انظر F. O. 195 / 228. Mosul, 13 January 1844. From Rassam to Canning.

[5] **قرى الكلدان:** ندرج أسماء بعض القرى التابعة **للكنيسة الكلدانية** التي كانت موجودة في طور عبدين وعلى امتداد السهول المؤدية الى زاخو. والتي كانت وقت البحث مسكونة بأكملها بالنساطرة من اتباع الكنيسة الشرقية الذين التحقوا بروما واصبحوا يعرفون باسم الكلدان، لاسيما في المناطق الواقعة أمام سفوح سلاسل جبلي الأزل وطور عبدين وفي المنطقة الواقعة بين زاخو وجزيرة ابن عمر. هذه القرى كان يديرها مطران كلداني مقره جزيرة ابن عمر الذي كان قد اتخذ لنفسه ذات الاسم التاريخي لكرسي بازبدي وهو (**مار يوحنان**). وكان المطران الوحيد من بين الكنائس الثلاث الذي كان له حضور في المدينة أواسط القرن التاسع عشر، بعد أن أجبرت الاضطهادات الكرسيين الآخرين: كرسي مار يوحنان للكنيسة الشرقية، وكرسي بازبدي السريان الأرثوذكس إلى هجر المدينة بعد قرون طويلة من خدمة المؤمنين فيها. وان أهم القرى الكلدانية التي كانت قائمة هي:

المنصورية: وتقع إلى الشمال من بازبدي. وكانت قرية كلدانية مزدهرة حيث تقع في مدخل مؤدي إلى نهر دجلة. وفي سنة 1837 هاجمها الأكراد. ويفصلها عن جبل الجودي وادي يشتهر بخصوبته، ويمر فيها أحد فروع نهر بوتان. وتبعد مسافة ساعتين ونصف من جزيرة ابن عمر.

. **مار يوحنان**، ٭ **روباهي**، ٭ **نهرافان**: (Wilson, Asia, 246)، ٭ **مار آكجا**: وهي من ضمن قرى وادي المنصورية التي يديرها المطران مار يوحنان،[**أواسط القرن التاسع عشر**] ٭ **زانانيب**، ٭ **جيرك**، ٭ **بركا**، ٭ **بيرت**، ٭ **ديك**، ٭ **شيك**،

أما القرى الكلدانية ما بين زاخو ودجلة فهي: ٭ **تاكيان**، ٭ **فيشخابور**، ٭ **تل كوبين**، ٭ **كيركي**، ٭ **بدروس**، ٭ **واسيت**، ٭ **بيدار**، ٭ **نهروانز** أنظر Ainsworth, II: 343 ولم يذكر قرية **ديريبون** التي نعتقد بأنها كانت عامرة وقت رحلة المؤلف سنة 1840م). ٭ **سوق الثمانية**: وتقع بمحاذاة جبل الجودي

طور عبدين والمناطق الغربية القريبة منه وكذلك الشمالية الغربية. إذ هنا كان وطن السريان عبر التاريخ[6]. ويصنف أحد المبشرين طور عبدين بأنه وطن اليعاقبة في حين يقول بأن وسط كردستان هي وطن النساطرة[7]

2 – موقع طور عبدين وانتشار السريان في الجزيرة

يقع طور عبدين، مهد المسيحية* في الأقسام الشمالية الغربية لبلاد ما بين النهرين ويحاذي الحدود الغربية لوطن القبائل الآشورية المستقلة في تياري

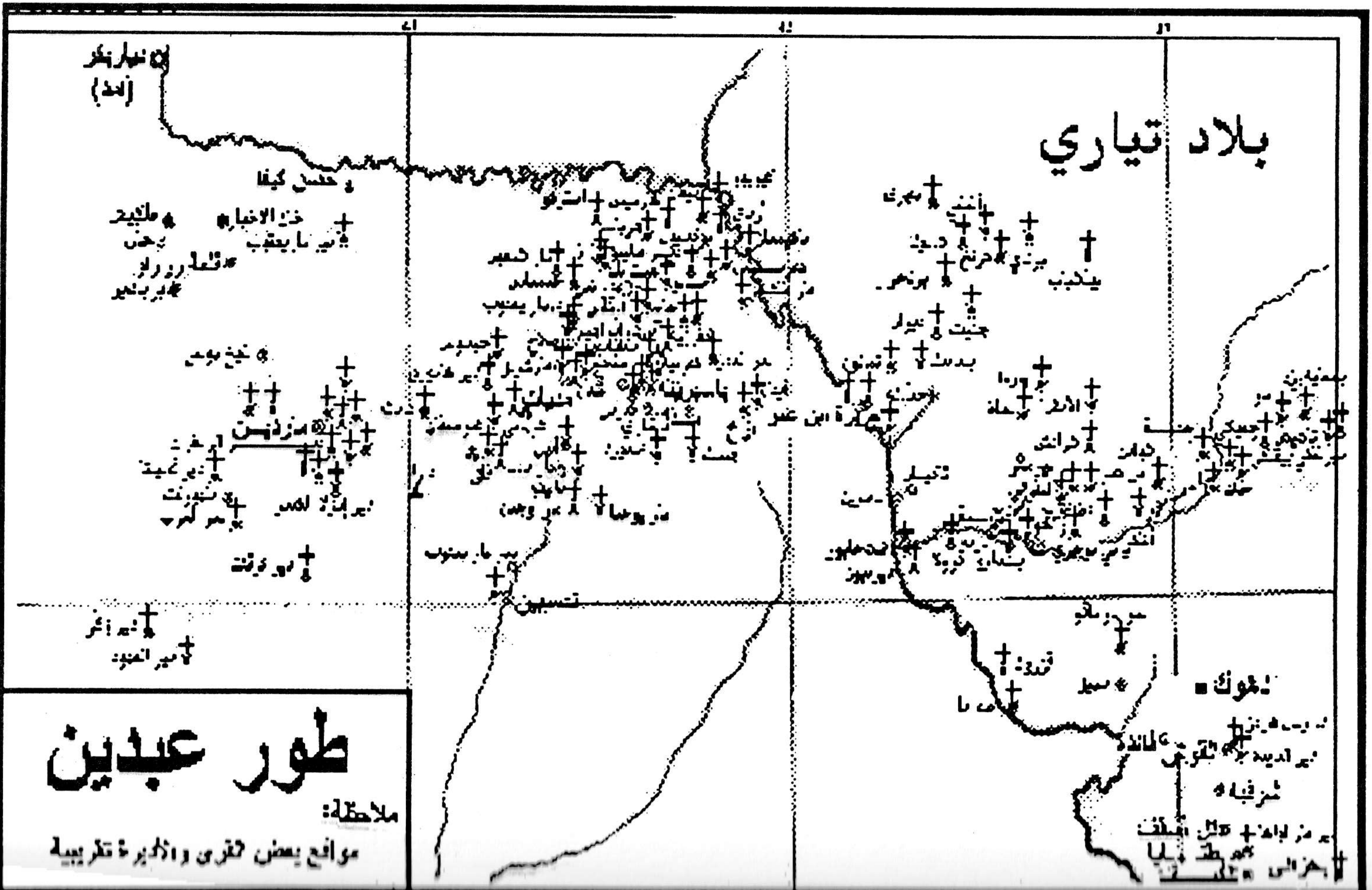
وتسميتها مرتبطة بما تناقله التقليد المتوارث عن سفينة نوح التي استقرت على قمة هذا الجبل. والرقم ثمانية مرتبط بعدد أفراد عائلة نوح. انظر: (Badger, I. 69.)

جزيرة ابن عمر: وهي مدينة عامرة عريقة في قدمها عرفت باسمها السرياني عبر مراحل التاريخ وهو **بازبدي** مع مطرانياتها التابعة للكنيسة الشرقية والسريانية الأرثوذكسية والكلدانية. ولقد عرفت خلال التاريخ بأسماء متشابهة في معناها: كزرتا (أي الجزيرة)، بازبدي السريانية، زوورتا، زابيليتا، و زوتا. انظر: Laurie, 230.

الثمانون: وتبعد مسافة مسيرة نهار واحد شرقي جزيرة ابن عمر. انظر: (الأب البير أبونا، شهداء المشرق، هامش 4 ص 203. ووردت في التقويم القديم للكنيسة الشرقية معلومات تضمنت: " ثم مدينة الجزيرة جزيرة الزبدي في جبال كلدانستان كان يوجد فيها أسقف واحد أسمه مار ابريخشوع من بلد ماردين كان تحت يده قسوس وشمامسة على قدر الكفاية وكان لهم كنيستان داخل الجزيرة الواحدة على اسم مار جرجس والثانية على اسم مار بهنان وكان خارجاً يوجد كنائس كثيرة مع أديرة وكان عدد المؤمنين اربعة الاف وثلاثمائة بيت". 14 – 15.

[6] Badger, I: 57, 70. Fletcher, 1: 265. Southgate, Tour, II: 268. Etheridge, 135 171, 188 – 197ff. Browne, L. The Eclipse of Christianity in Asia. Cambridge, 1933. 9, 11.

[7] Southgate, Tour, II: 268. Badger, I: 54 –55. ويقول عن أحوالهم في سنة 1842: ان معنوياتهم عالية ويتحدثون بثقة وانهم قادرون على صد هجمات الأكراد. وان أحدهم أشار الى قتله لعشرين من المهاجمين.



بلاد تياري
طور عبدين
ملاحظة:
مواقع بعض القرى والأديرة تقريبية

وحكاري. في حين تقع إلى الجنوب منه زاخو ويحده غرباً نهر دجلة. أما حدوده الشمالية فتتحدد بماردين والمناطق المجاورة لها. ويذهب بعض الباحثين عن تاريخ طور عبدين إلى التأكيد من أنه يمتد من جزيرة ابن عمر (بازبدي السريانية) في الجنوب إلى ماردين في الشمال مروراً بنصيبين[8]. في حين يؤكد المطران أدي شير بأنه يمتد إلى مسافة أبعد شمالاً ليصل إلى (أرزون)[9].

من مدينة بازبدي وحتى خربوت، وميافارقين[10]، (مدينة الشهداء)، **ملطية، وعبر أرزون، ديار بكر[11]، حصن كيفا، في الشمال وعلى امتداد السهول**

---

* سماه الإغريق جبل طور عبدين باسم .Mount Athos، (W. Wigram, The Cradle, 42 – 43, 46)

[8] راوولف، هامش المعرب (5) 213.

[9] أدي شير، شهداء، (و). ويذكر بان اشهر مدن وقرى طور عبدين (الجزيرة): فنك، أرجول، اوصر، ازيخ (آزخ)، ثمانون. أما أرزون فموقعها على بعد ساعتين من مدينة سعرت وكانت في بداية القرن العشرين خربة. انظر أيضا عن موقعه: مار اغناطيوس افرام الأول، طور عبدين، 197 – 199.

[10] أورد عنها صاحب تقويم قديم ما يلي: " ثم مدينة ميافارقين كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار باسيليوس من بلد .. وكان يوجد تحت يده اسقفان: الواحد اسمه مار موسى والثاني اسمه مار داود وكان جنسهم من بلد نصيبين. وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان يوجد في شرقي ميافارقين دير على مسافة اربع ساعات على اسم الاثني عشر رسولاً ومار يوحنا المعمذان وكان يسكن فيه مائتان وعشرون راهباً عدا الخدام وكان له أوقاف كثيرة كان فيه تعليم كثير للقسوس والاعوام وعلم نحو وكان عدد المؤمنين ثلاثة آلاف بيت وجمعهم نساطرة. 15.

[11] اورد صاحب التقويم القديم عن آمد ما يلي: " ثم مدينة آمد كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار دانيل من بلد ماردين كان تحت يده اسقف واحد اسمه مار شموئيل وجنسه من بلد الحِصن وكان تحت يده قسوس عشرون وشمامسة ثمانون كان لهم ثلاث كنائس داخل البلد: الاولى على اسم بشارة العذراء والثانية على اسم الشهيد مار بتيون. والثالثة على اسم مار دانيال النبي. وخارج البلد كان يوجد كنائس قد الكفاية وجميعهم نساطرة سنة الف وستمائة وخمسين وكان عدد المؤمنين الفين وسبعمائة بيت وجميعهم نسطرة". 15.

الخصبة باتجاه الأقاليم الواقعة غرب الفرات حيث تنتشر مدن: نصيبين[12]، ماردين[13]، رأس العين[14]، ودارا[15]، اورهاي (أورفا)، حرّان، سروج، وتلمحري، وغيرها المئات من المدن القرى. هنا، على هذه الأرض كان أبناء

[12] ورد في تقويم قديم عن نصيبين: " ثم مدينة صوبا وهي نصيبين كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار كيوركيس من حسن كيفا وكان تحت يده اربعة اساقفة: الاول اسمه باوالاها من ماردين. والثاني اسمه ملر يعقوب من ادنيس. والثالث اسمه مار اسطفان من الموصل. والرابع اسمه مار اليشاع من آمد وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم سبع كنائس داخل البلد: الاولى كنيسة مار يعقوب النصيبي والثانية مار اوجين ومار شليطا. والثالثة على اسم مار توما الرسول. والرابعة على اسم مار جرجس وملو قرياقوس. والخامسة على اسم بربارة الشهيدة. والسادسة على اسم سيدة الزروع. والسابعة على اسم مار يوحنا الطياوي. ونصيبين كان يوجد بطرفها دير مار اوجين على مسافة ساعتين وكان فيه رهبان مائة وستون راهباً عدا الخدام وكان للدير اربعمائة راس غنم وكان له خمسة رحى وخمس قرى ملكه وكان يوجد فيه مدرسة للرهبان والقسوس والاعوام وكان يعلّم فيها فلسفة ولاهوت ومنطق وجغرافية وهندسة ووعظ وكان عدد المؤمنين سبعة آلاف بيت جميعهم نساطرة وذلك في سنة الف وخمسمائة وسبعين" 17.

[13] في سنة 1400 كان في ماردين " كان يوجد بها اسقف واحد كان اسمه ياولاها من مدينة الجزيرة كان تحت يده ثمانية كهنة داخل البلد واثنا عشر خارج البلد ومن الشمامسة قدر الكفاية وكان لهم كنيستان داخل البلد: الاولى اسمها مار هرمزد والثانية مار سركيس وباخوسز وكان عدد المؤمنين في البلد سبعمائة بيت وخارجاً الف ومائة بيت وجميعهم نساطرة وذلك في سنة الف واربعمائة وذلك في زمان البطريرك يعقوب الذي كان جالساً في اورمية". 17.

[14] " ثم مدينة ريش عينا أي راس العين كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار هرمزد من مدينة الشام وكان يوجد تحت يده ثلاثة أساقفة: الاول اسمه مار ايليا من نصيبين والثاني اسمه مار زكريا من حلب والثالث اسمه مار داود من ميافارقين وكان يوجد تحت يدهم مئة كاهن ومائتا شماس وكان لهم داخل البلد أربع كنائس: الاولى على اسم الست اشموني وسبعة أولادها. والثانية على اسم ايليا النبي. والثالثة على اسم مار دانيال ومار يونان النبيين. والرابعة على اسم الصليب. وكان عدد المؤمنين خمسة آلاف بيت وجميعهم نساطرة. وخارج البلد كان يوجد كنائس كثيرة على قدر الكفاية وذلك في سنة ألف وستمائة. تقويم قديم، 16.

[15] ويذكر عنها صاحب تقويم قديم: " ثم مدينة دارا كان يوجد فيها أسقف واحد من مدينة آمد اسمه مار دنحا وكان تحت يده ثلاثون كاهناً ومن الشمامسة ستون وكان عدد الكنائس ثلاث وهي داخل البلد: الاولى مار ميخائيل والثانية مار يعقوب والثالثة مار يوحنان وكان عدد المؤمنين ألفين ومائتا بيت وهم نساطرة وذلك في سنة ألف وخمسمائة وخمسين في زمان البطريرك سولاقا يوحنا الذي قُتل بأمر الأتراك" 16 – 17.

وغيرها المئات من المدن القرى. هنا، على هذه الأرض كان أبناء الكنائس المشار إليها يعيشون جنباً إلى جنب، ولكن نسبة السريان الأرثوذكس منهم كانت أعلى كما نوهنا.

وعلى تراب طور عبدين عاش أحفاد الأمة الناطقة بالآرامية، أبناء بابل وآشور منذ آلاف السنين قبل الميلاد وبعده، وملئوا تاريخه بالعطاء والإنجازات في كافة الحقول[16]. هؤلاء الناطقين بالآرامية، تركوا شواهد مادية وفكرية لا يمكن محوها، تماماً كما كان الحال في المناطق الأخرى من بلاد ما بين النهرين. فبعد سقوط نينوى، كانت المنطقة تشكل جزءً من الكيان السياسي لإمارة (اسروينا) الآشورية التي كانت امتدادا للسلطة السياسية التي كانت قائمة في نينوى بعد أن اتخذ الملك الآشوري آشور أوبالط الثاني من **(حران)** عاصمة له 612 _ 605 قبل الميلاد[17]. وبعد سقوط حرّان ، العاصمة الآشورية الأخيرة (سنة 605 ق.م.)، أصبحت **(اورهاي)**[18] (سماها العرب الرّها ـ وهي أورفا الحالية)، عاصمة الأقسام

---

[16] كارل بروكلمان، تاريخ، 98 – 99.

[17] جاء في الوثائق المكية البابلية التي كتبها ملك بابل نبوبلاصر (626 – 604 ق.م)، وابنه نبوخذنصر، بان قسماً من الجيش الآشوري نجح بالانسحاب إلى الأقسام الشمالية الغربية لبلاد ما بين النهرين بقيادة الملك آشور أوبالط الثاني الذي توج ملكاً لآشور في حرّان (سنة 612 ق.م). ومن سجل الأحداث التي وقعت وأرخت خلال سنة 612 – 605 فان الوثائق الملكية البابلية تظهر بشكل واضح بان منطقة الجزيرة وبضمنها طور عبدين كانت تحت السيطرة الآشورية الكاملة حيث وردت تفاصيل الحملات التي كانت تتم سنوياً في هذه المناطق. وتؤكد الوثائق بشكل خاص على العمليات التي كانت تحصل في إقليم طور عبدين الذي كان يتحصن فيه (أبناء بيث حنونيا المنتشرين على امتداد سلسلة جبال إزالا). لمزيد من التفاصيل أنظر:

D.J. Wiseman, Chronicles of Chaldean Kings. 625 – 558 in the British Museum. London. 1956. 15 – 23.

[18] مدينة أورهاي كانت قبل حملة الاسكندر المقدوني تدعى (كاليرهوي – Callirhoe). وخلال فترة حكم السلوقيين أعاد بنائها سلوقس، وسماها (أديسا) تيمناً بأديسا مقدونيا. في القرن الثاني كانت مركزاً لملوك اسروينا الذين اشتهر أغلبهم باسم ابجر الذي خامسهم اوكوما اشتهر بما نقله التقليد المتوارث عن

الشمالية لبلاد ما بين النـهرين. ومنـذ ذلـك الحـين وحتـى أواسـط القـرن الرابـع للميلاد (ألف سنة تقريباً) كـانت هـذه الأقسـام، ولمعظـم الوقـت، تتمتـع بدرجـة ملموسة من الاستقلال السياسي، والاقتصادي، رغم حالة الصراع التي ظلت قائمة بين الفرس من جهة، والهيلينيين والرومان من جهة أخرى.

3 – قرى طور عبدين السريانية الأرثوذكسية

وباستثناء المنطقة الشرقية التي تتشكل من السلاسل الجبلية المشار إليها، فان معظم المدن والقرى السريانية الواقعة إلى الغرب منها تميزت بسهولها الخصبة

مراسلاته مع السيد المسيح. ورغم وقوعها على خط التماس في الصراع الفارسي / الأغريقي – الروماني إلا انها حافظت على سيادتها وهويتها القومية عبر قرون الصراع والحروب المدمرة. واستمرت بكونها عاصمة الثقافة والعلوم في بلاد ما بين النهرين من خلال كليتها الشهيرة. وقعت تحت السيطرة العربية الإسلامية سنة 642 م. وفي سنة 1097 احتلها الصليبيون واقاموا فيها إمارة دامت 51 سنة إذ سقط بيد زنكي التركماني حاكم الموصل سنة 1144. وبعدها احتلها المغول، والحق بها الدمار سلطان مصر بيرباس. نالتها المذابح واعمال التدمير أثناء عاصفة تيمورلنك. ثم احتلها الفرس. ومنذ سنة 1514 وقعت تحت الاحتلال العثماني وسموها (أورفا). عن تاريخها وسلسلة ملوكها والأحداث التي حصلت لها عبر التاريخ انظر:

Segal, J.B. Edessa, The Blessed City. Oxford, 1070. Wilson, 290 - 291. (Cutts, 76 – 85) يصفها بأثينا السريان. Buckingam, Travels in Mesopotamia. London, 1827. 72 – 74. Fletcher, II. 118. O'Leary, 20, 31, 35, 37, 41. Etheridge, 35. Burkitt, 8 – 9. Budge, I: 404. Fortescue, 22, 29, 52. Shedd, 53. Gibbon, E. The Decline, I: 264 – 265. يقول بان ثورة أبكر التاسع أدت بروما ان يقوم كركلا بتدميرها مكبلاً إياه وابنه حيث أخذا إلى روما. وقتلا هناك. Stewart, 2 –3.

راجع ايضا: ادي شير، كلدو، 1: 162، 171. و ذخيرة، 1: يقول انها استمرت 348 سنة. 45. اما يوسف مالك، فيقول: انها استمرت إلى سنة 336 م. وهذا يعني استمرارها ما يقارب الخمسة قرون من حكم سلالة متعاقبة. انظر: The British Betray of the Assyrians. U.S. 1935. 10. والأب الدكتور يوسف حي، تواريخ سريانية. 140 وما بعدها. ايضا للأب حي، تاريخ ايليا بر شينايا، 79. الصائغ، 1: 7 – 8 و 3: 12 – 13. الأب البير أبونا، بين النهرين عدد 5 لسنة 1974. هامش ص 76.

ووفرة المياه فيها. وبسب الأنهر والجداول التي تخترقها كانت المنطقة قد ازدهرت بالمزروعات والبساتين. ولقد أخذت البلاد تسميتها نسبة إلى جبل طور عبدين الشهير بدوره في التاريخ خلال فترات ما قبل وبعد الميلاد. وهذا الجبل متصل بجبل الأزل واشتهر بكثرة الأديرة والصوامع المنتشرة فيه. وان قاعدته هي مدينة (مديات)، التي كانت مركز لما يزيد على 360 قرية كما أفاد القنصل البريطاني في الموصل في تقريره إلى السفير في القسطنطينية. ولقد أورد بطريرك الكنيسة السريانية مار أفرام برصوم وغيره أسماء الكثير من قرى الناطقون بالآرامية / السريانية التي كانوا يعيشون فيها إلى أواخر القرن التاسع عشر. وكانوا يشكلون 3/2 عدد سكانها، أما البقية فيزيدية وإسلام[19].إلا أن أعداد قليلة من هذه القرى قد بقت على سريانيتها إلى وقتنا الحاضر.

---

[19] ذكر القنصل البريطاني في الموصل في تقريره للسفير وجود 360 مدينة وقرية يعقوبية في منطقة طور عبدين. انظر: F.O. 195 / 301 Mosul, 28 November, 1848. From Rassam to Canning.

غير ان العديد من آباء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية أشاروا الى العديد منها في كتاباتهم عن هذه المنطقة التاريخية الشهيرة، وكذلك فعل العديد من الباحثين والمؤرخين. واستكمالاً لموضوع طور عبدين كبلاد كانت تحاذي وطن القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري فإننا ندرج أدناه قائمة ببعض القرى التي تم ذكرها:

قرى السريان الأرثوذكس في طور عبدين

دنيسر: وتقع جنوب ماردين على مسافة فرسخان. وكانت في القرن الثالث عشر بلدة عظيمة حولتها حملات الغزو والدمار إلى قرية تسمي حالياً قوج حصار، وبجوارها قرية . تل أرمن. . انحل، . ففيات قرتمين، . باتيحبصناس، . صلح، . عرناس، . عينورد، . كفرة كفرزي، . كفر سلطا، . كفر شامع،

. كنديريب، . آلين، . بافسيات، . حصن كيفا، . دير صليب، . زاز، . كربوران، . أربو، . بادبه، . بافادا، . اولين، . ايدي داوا احمدي، . اينورح، . استل، . ايرما، . استير الداخلية، . افشي، . اشيت، . اربو، . اشتركو، . بافادا، . بالمنعم ، . باساق أو بيث اسحق، . باذلي أو بيث ذلي، . بيلو، . بيث . زويزو (خربت)، . بيث حسرخ (خربت)، . بيراردايت، وفيها دير القديسة بربارة، . بيث بيشان، . بيث ديوفا، . بيث ربا، . بيث شربق، . بنكلبا، . باتي، . بيث قسيان، . جلك، .

المطران أدي شير عند حديثه عن المنطقة يقول بأنها تسمى بيث زبدي، ويعدد أشهر مدنه وقراه [أوائل القرن العشرين][20]

جويدك، . جبريمة، . جركا، . جوزي، . جومبيثا، . جورني (خربت)، . ديبوني، . دير اوسبينا، . دير كفتي، . دير نديب، . دير الصليب في بيث آيل، . دير قوبا، . دقنه أو دقني، . هبنث بالقرب من باسبرينا (خربت)، . هلخ، . زاز، . زنورح ، . زربز، . زرنوقا، . زدبديقا.
. زرتو (خربت)، . وزيتو (خربت)، . حبب، . حول، . حوريت تلو، . حبسناس، . حطليف، . حزنة، . حصن شوعا، . حورا (خربت)، . طافو، . يرد، . كفر كوزا، . كفوني، . كفراوارا العليا، . كفربوران، . كفسنج أو كفر سنجي، . كفشتة، كفرزي، . كفناس، كفرا السفلى، . كيبك، . كفر حورا، . كفر عناب، . كفر شمع، . كفر سلط، . كفركه، وهي فاقيت القديمة، . كفرا، . كرتهيتا، . كفر جوش، . كفر عرب، . كفربب (خربت)، . كلشت (خربت)، . خرابا آلي، . خرابة كفرا، . خرابة مشكه، . خرابه بنّه، . مزيزح، . معسرتي، . معارين، مشتين، . مديريب، . نوكا، . نونب، . ساري، . سندول (خربت)، . سيدري (خربت)، . سردان – مدينة قديمة، . سيكون، . سحرتا، . عين جوزا، . عين لوزا، . عينوردا، . عور دنس، . عوينه، . عوتي، . عطافية، . عين كاف، . عرباي، . عربان، . عرمونا، . فافح (القديمة) – وتدعى حاليا كفزبي فافيت، . صورا، . صلح، . قوسطين، . قنطارة، . قصرا دفدان، . فرقف، . قلنزا (خربت)، . قريّة (خربت)، . روصين (خربت)، . ريش، . شافزنا، . شمنز، . شور صفح، . شيلوح (خربت)، . شافصنا (خربت)، . تموز، . تافي أو طافي، . تيمرزح (خربت)، . تورسقنا، . تيتا (خربت)، . بانمعم، . تمرس، . حباب، . ساري أو ستير، . عربان، . مدو، . حالح (خربة)، . زبديقا، . كفريآب كلشت، . دارا، . آديل، . حاح

كوليث: كانت تظم 120 عائلة يعقوبية، (Norman Horner, يذكر أنها تحوي على 200 عائلة. 135) فيها كنيسة قديمة مهدمة وكانت سنة 1842 بانتظار أمر السماح بتصليحها من قبل باشا دياربكر. وفيها ثلاثة قسّان. وكان أهلها محبطي العزيمة إذ كان ردهم على الظلم المسلط عليهم دائماً: "ماذا نستطيع أن نعمل؟" .(Badger, I. 53 – 54). عن قرى طور عبدين، انظر: مار أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، 517. طور عبدين، 214. و Ainsworth, II: 351. و Norman Horner, 135. و Southgate, Visit, 80 – 81, Tour, 87, 184, 268, 274 – 275. و ، انظر أيضا راوولف رحلة المشرق، (هامش المعرب 5. 213)

[20] مار أدي شير، كتاب شهداء المشرق، المقدمة صفحة (و)

4 – الشواهد التاريخية في طور عبدين والمناطق المجاورة

يصعب إعطاء صورة متكاملة عن الشواهد التاريخية القائمة في طور عبدين سواء تلك التي تعود لما قبل الميلاد أو بعده، والتي تركها أبنائه من الناطقين بالآرامية، بسبب كثرتها، إذ أن كل بقعة بذاتها كانت تمثل تاريخاً غنياً بمنجزاتها والأحداث التي شهدتها. لذا سنكتفي بإعطاء لمحة عن بعضها لاسيما تلك التي لها ارتباط ملموس بالتواجد التاريخي لأبناء الكنائس الناطقة بالسريانية فيها، كالأديرة والكنائس والأبرشيات التي كانت قائمة وقت بحثنا.

في دراستها المكثفة عن الشواهد التاريخية لمنطقة طور عبدين تقول Miss Bell بان الشواهد التاريخية في طور عبدين تعود إلى عصر ما قبل ظهور المسيحية. وإن الآثار الكتابية الموجودة على الشواهد التاريخية التي درستها كانت قد تعرضت كثيرة وشملت أعداد كبيرة من الكنائس والأديرة القديمة. في تعرض الكثير منها لعملية تلف، على يد السلطات التركية، أثناء حملة محمد رشيد باشا، الصدر الأعظم السابق الذي قاد حملات دموية، لإخضاع المراكز الاثنية المستقلة العائدة للعناصر الغير تركية، خلال السنوات 1834 – 1838. فلقد ذكر لها أبناء المنطقة بان هذه العملية تمت من خلال قذف الآثار بالمدفعية الثقيلة، لاسيما في منطقة (فافي Fafi)[21]. أما كنيسة مار يعقوب في نصيبين التي كان قد زارها تافرنييه أواسط القرن السابع عشر وبعده نيبور في سنة 1766 م ووجدوها شاخصة وسط الخرائب، فان الحال لم تكن كذلك حين زارها ساوث كيت سنة 1837 م. فلقد ذكر بان قسماً منها يستخدم كمخزن عسكري من قبل الأتراك. أما

---

[21] G. Bell, Churches and Monasteries of Tur Abdin, 13

القسم الآخر، فكان بدون سقف، وبشكل خرائب. إلا ان الجدران كانت تعكس جمال النقوش والمنحوتات[22]

وفي رسالة لها لأحد زملائها تقول عن آثار (فافي): "لا أستطيع القيام بمحاولة إعطاء تاريخ محدد للآثار القديمة المتواجدة في قلعتها. إلا أن **Dr. Andrus** وصف وشرح لي موقع مشابه شمال قرية **"كليث"** [طور عبدين أيضا] التي يعتقد بان آثارها آشورية، لأن حضارة هذه الجبال هي قديمة جداً. وهذا واضح من حقيقة كون **"مديات"** قد وردت إليها الإشارة في الألواح المسمارية. وإن الفلاحين في القرى الواقعة إلى الغرب، جلبوا لي أختام صغيرة، بعضها قد يعود إلى العصر الحيثي. .. وقبل الوصول إلى مديات، شاهدت معبدين أعتقد بأنهما يعودان إلى عصر ما قبل المسيحية. الأول كان في قرية (**كيرسيفان ـ Kersifan**) ويحتوي على ثلاثة قاعات مفتوحة[23]

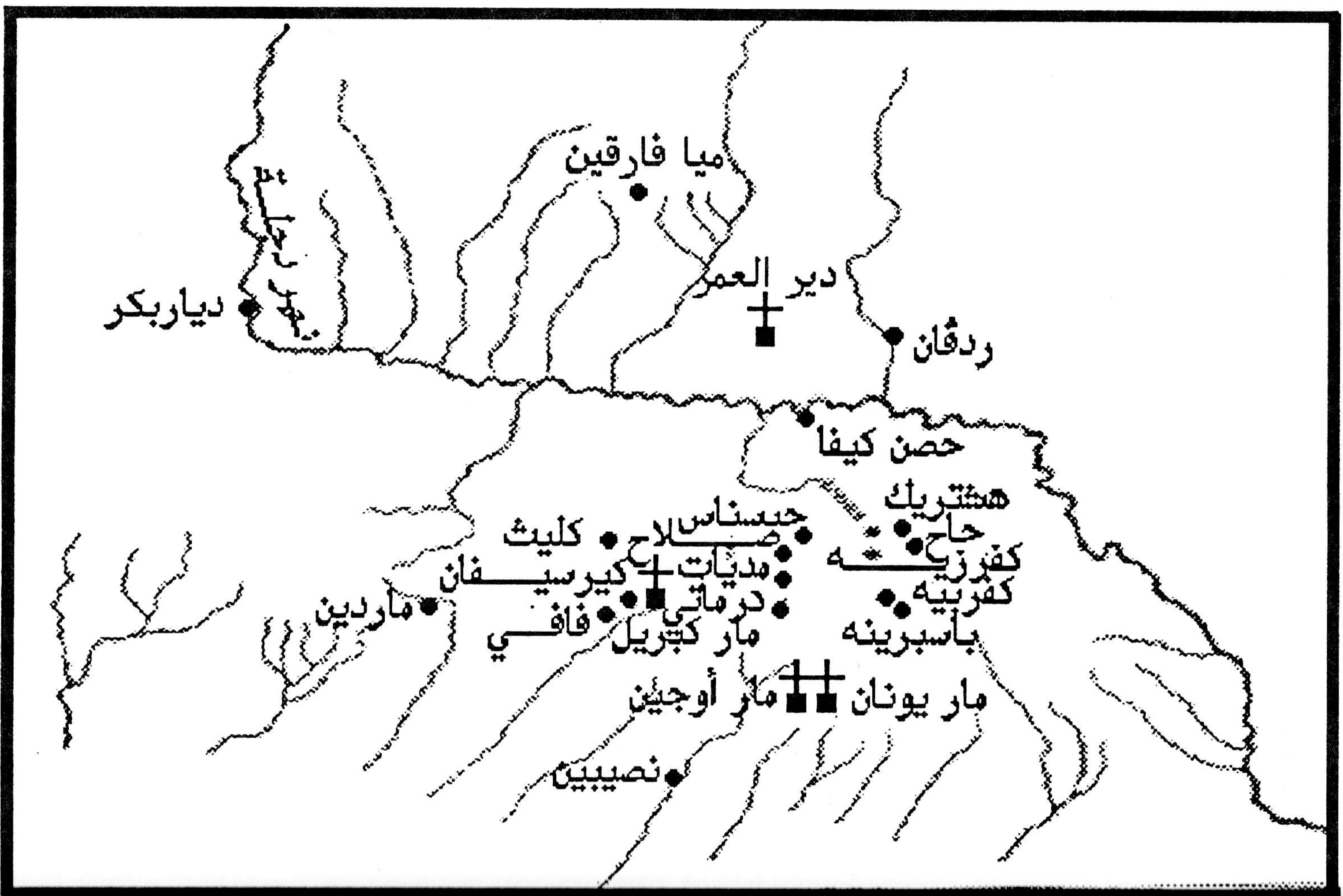
ورغم محاولات الغزاة والطامعين طوال قرون التدمير والمذابح محو الآثار والشواهد التاريخية التي تركها أبناء الأمة الناطقة بالآرامية في طور عبدين والجزيرة، خلال فترة ما قبل الميلاد، فان الآثار المنحوتة على صخور جبال آشور كانت من الكثرة بحيث لم يتمكنوا من التخلص منها كلها. وظلّ الكثير منها شاهدا، ودليلاً، على هوية الأرض وسكانها الأصليين.

هذه الآثار كانت تنتشر في جميع المدن والمناطق التاريخية لشمال بلاد ما بين النهرين. ففي قرية **(آنيت)** التي هي (انكيلا)، عاصمة إقليم **(انجلين ـ**

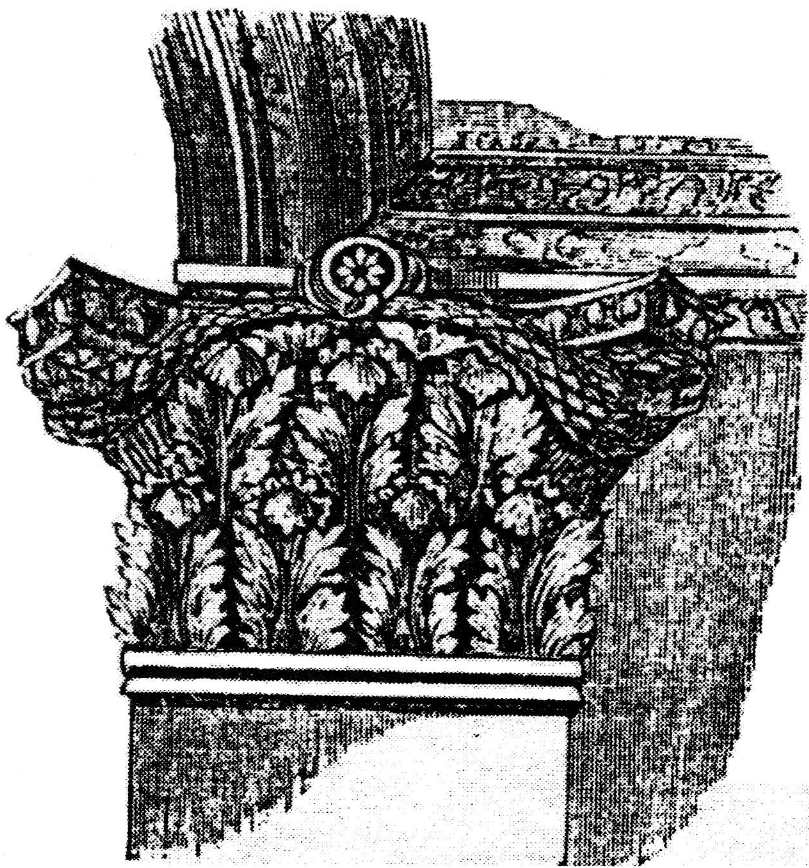
---

[22] Miss. Bell, 99. هذا وكان المنسينيور فافرنية قد أورد مشاهداته عن الآثار والشواهد التاريخية التي كانت قائمة في طور عبدين والجزيرة. انظر: Persian Travels, 68 ff.

[23] Miss. Bell, 63 – 64



خارطة مواقع المواهد الأثرية في طور عبدين



الآثار الآشورية في شمال بلاد ما بين النهرين

Angilene) الواقعة على مسيرة أربعة ساعات من ديار بكر (آمد)، غرب نهر دجلة ووسط الجبال العاصية، هذه المنطقة لا تزال تحوى على آثار نحت ومسلات آشورية[24]

5 – شواهد طور عبدين في العصر المسيحي

المسيحية كما هو مؤكد مدت جذورها بين الناطقين بالآرامية أولا كما نوهنا. وسكان طور عبدين كانوا من بين الأوائل الذين تقبلوا الرسالة على يد الرسل الذين قدموا إليها من (أورهاي). وأسوة ببقية أبناء بابل وآشور فان أبناء طور عبدين والجزيرة، اظهروا تمسكاً شديداً بالمسيحية وتعاليمها. فبنوا ومنذ القرون الأولى معابد العبادة التي لا زال البعض منها قائما في المنطقة إلى الوقت الحاضر. وتكاد لا تخلو بقعة واحدة منها من الكنائس والأديرة التي لا زالت قائمة. أو خرائبها التي حفظ التاريخ في ذاكرته سيرتها ماثلة للعيان. ولقد أصاب مار زكا الأول عيواص عند حديثه عن أديرة الكنيسة السريانية بأنها كانت بالمئات[25]

---

[24]Sir Charles Wilson, 248.

[25] المطران (البطريرك) مار زكا الأول عيواص، بين النهرين 29. لسنة 1980. 83. ونعتقد بان غبطته كان متواضعاً في ذكر هذا الرقم، إذا ما علمنا بان كامل شمال ما بين النهرين، وعبر الأقاليم التي تمتد إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط كانت تعج بآلاف الأديرة. لإثبات ذلك فنحن لسنا بحاجة إلى الاستشهاد بالسجلات الكنسية التابعة للكنائس الناطقة بالآرامية. بل نستشهد بما ذكره المؤرخين العرب المسلمين عن الأديرة التي كانت قائمة قبل الإسلام ونورد مثالاً واحداً عن أورهاي التي أشار إلى أديرتها العديد من قدماء المؤرخين والبلدانيين العرب. فلقد كتب ابن حوقل (القرن الثالث الهجري) يقول: "ومدينة الرها (اورهاي) ... والغالب على أهلها النصارى، وبها زيادة على ثلاثمائة بيعة ودير ذي صوامع فيه رهبانهم وبها البيعة التي ليس للنصرانية أعظم منها ولا أبدع صنعة منها ... وكان بها منديل لعيسى بن مريم .. " صورة الأرض، 204.

الأحداث التاريخية التي شهدتها بلاد طور عبدين خلال العصر المسيحي هي بحد ذاتها شواهد تاريخية على هوية المنطقة، والقوم الذين تعاقبوا دهوراً على السكن فيها. فلقد وردنا عن تاريخ مدينة **بازبدي** (جزيرة ابن عمر) وما جاورها، أنها تعرضت لهجوم شابور الثاني الفارسي (339 - 379 م) في سنة 363 ميلادية وان " **أهلها كانوا من النصارى، قتل عدداً كبيراً منهم وأسر وأجلى نحو 9.000 من الرجال والنساء، وتوجه بهم إلي الأهواز. ومن ضمن من أسرهم هيلودوس الأسقف وجوسا ويهب القسيسان، وعدد كبير من الرهبان والراهبات والشمامسة**"[26] وخلال الحملات العربية - الإسلامية كانت بازبدي ومنطقة طور عبدين مسيحية / سريانية ديناً ولغةً كما كان حال جميع مدن الجزيرة العليا. ويؤكد مؤرخو الحملة الإسلامية عند حديثهم عن فتح الجزيرة، بان **(صلح الرّها)** الذي تم مع اسقفها، اعتمد كنموذج لعقد شروط الصلح مع رؤساء الكنيسة في بقية المدن وبضمنها مدن طور عبدين[27]. واستمرت طور عبدين والجزيرة لأغلب الوقت يحكمها حكام من أبنائها طوال فترة مجد وقوة الإمبراطورية العباسية.

ورغم ما شهدته منطقة طور عبدين من أحداث بسبب اختلال الحالة السياسية مع بداية الانحطاط العباسي، وتواصل غزوات العناصر الترك ـ مغولية، وما ترتب عليه خلالها من زحف للعناصر الأخرى، الطامعة بالاستقرار فيه. فان طور عبدين ظلت تتمتع بنسبة مسيحية / سريانية طاغية. والحالة هذه استمرت في القرون اللاحقة لدرجة أن صاحب (الشرفنامة)، أدريس البدليسي (اقدم مؤرخ

---

[26] أدي شير، شهداء كنيسة المشرق، 348. افرام برصوم، طور عبدين، 199.

[27] [27] البلاذري، فتوح 176 - 185

كردي)، والذي حاول إهمال هذه الحقيقة، لم يملك إلا أن يَقرْ، ويعترف بحقيقة كون منطقة الجزيرة في القرن السادس عشر كانت مزدهرة بقرى مسيحية[28]. واستمر الناطقون بالآرامية / السريانية في العيش في الجزيرة. مُشَكلين أغلبية السكان فيها إلى القرن الثامن عشر، كما يؤكد المؤرخ الموصلي محمد أمين العمري المعاصر لتلك الفترة[29].

6 – بعض مدن وابرشيات طور عبدين والجزيرة

شهدت طور عبدين قيام كراسي أبرشية عديدة. ففي سنة 615 استحدثت ابرشيات طور عبدين التي مقرها دير (قرتمين)، وأخرى في مديات، وحاح. وفي سنة 1364 أنشأت خمس ابرشيات أخرى. ومنذ 1495 بدأت الأبرشيات بالتزايد[30]. إلا ان الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بلغت أوج مجدها في القرن الثاني عشر. إذ كان تحت رعاية بطريرك كنيسة انطاكية المقدسة 20 مطرافوليطاً وتشمل حوالي مائة مطران. وكان من ضمنها ابرشيات: اورهاي، آمد، الموصل[31]. أما في وقت بحثنا، أواسط القرن التاسع عشر فلم يكن قد بقي من ذلك الهيكل الواسع سوى ثمانية مطرافوليطيات[32]. ولقد كانت العديد من المراكز الأبرشية منتشرة في طور عبدين والجزيرة متخذه مراكزها أما في المدن الرئيسية أو الأديرة القريبة منها.

---

[28] إدريس البدليسي، "الشرفنامة" عربها عن الفارسية محمد على عوني، ج1 القاهرة . 139

[29] محمد أمين العمري، 1: 50.

[30] افرام برصوم، طور عبدين، 334 — 335.

[31] يقول Fortescue: بان هؤلاء المطارنة كانوا موزعين في سورية وآسيا الصغرى، وقبرص. إضافة إلى 18 منهم تحت الأشراف المباشر للمفريان. 331.

[32] من بين هذه المطرافوليطيات: الموصل (دير مار متى)، أورهاي، دياربكر أو خربوت، اورشليم، ماردين. وثلاثة مطارين في طور عبدين. وكان هناك مطرانان يسمون "تيملويو" وهم بدون ابرشيات60 Badger,

♦ **بازبدي (جزيرة ابن عمر)**

مدن وقرى طور عبدين، عريقة في وجودها عراقة تاريخ بلاد ما بين النهرين، وتعود إلى فترات مجد الإمبراطوريات التي ازدهرت فيها خلال فترات ما قبل الميلاد. وفي العصر المسيحي،استمرت هذه المدن والقرى، والأديرة والكنائس التي شُيدت في القرون الأولى للميلاد تشغل مساحة كبيرة في حياة البلاد. ومدينة بازبدي كانت نموذجاً للعراقة والدور الرائد الذي لعبته إلى مطلع القرن التاسع عشر. لقد كانت مدينة عامرة في العهد الروماني، واسمها آرامي/ سرياني خالص. فلقد عرفت عبر التاريخ باسم (Zabelita, Bazebda) كما وعرفت في العهد الروماني باسم (Zozarta) المشتق من كلمة (كزرتا، السريانية التي تعني الجزيرة)، بسبب موقعها الجغرافي، حيث يحط بها نهر دجلة من ثلاث جهات[33]. وكانت مركزاً لمطرانية باكردا (أي الجزيرة) إلى القرن السابع عشر[34]

كانت تحتوى على خمسة أديرة، إضافة إلى العشرات التي كانت قائمة في سلاسل الجبال المطلة عليها. وخدمت لفترة كمقر لكرسي بطريركية الكنيسة الشرقية. كما كانت مقراً دائماً لكرسي مطرافوليطية مار يوحنان لهذه الكنيسة إلى

.61–، ويذكر (,Etheridge وجود ابرشيات في تللا، وبيث ارساما. 242. ويضيف: علمت بان هنالك 12 مطراناً من دون ابرشيات، ومجموعهم أقل من عشرين ويقول مستغرباً: أي فرق هذا من أيام المجد القديمة التي كان للكنيسة 159 مطراناً في هذه ا لمناطق [طور عبدين والجزيرة] فمن بين 21 ديراً اثنان فقط مسكونة وأحدهم دير الزعفران مقر البطريك. 202 - Visit-201)،. .341 – Fortescue, 340، هذا وكانت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية حالها حال الشرقية قد عانت من الانقسامات الداخلية التي كان أمرها انشقاق طور عبدين الذي استمر 475 سنة (1364 — 1839). انظر: طور عبدين، 332 — 334. لمزيد من التفاصيل انظر: .418 – Wiltsch, II: 409

[33]Ainsworth, II: 344. Badger, I. 68 - 69

[34]J. Wiltsch, II: 404.

سنة 1616 م. حيث اضطرته الاضطهادات لمغادرتها إلى الجبال المجاورة. كما كانت مقراً تاريخياً لكرسي مطرانية بازبدي للكنيسة السريانية الارثوذكسية. ولقد أصبحت مقراً لكرسي مطرانية مار يوحنان التابع للكنيسة الكلدانية الذي كان كرسي الابرشية الوحيدة المتبقي فيها أواسط القرن التاسع عشر[35]. وكانت اعنف الهجمات التي تعرضت إليها في التاريخ الحديث تلك التي قام بها زعيم أكراد راوندوز محمد باشا إذ بعد سنتين من آخر هجمة له عليها زارها الدبلوماسي البريطاني الكولونيل شيل (1836) فذكر بأنه وجدها مدينة مدمرة. وبعده بسنتان زارها المبشر ساوث كيت الذي وصفها بأكوام من الأنقاض، ينتصب بيت هنا وهناك وسط خرائب تجعلها اقرب الى الدمار من العمار.[36]

♦ أبرشية آزخ

آزخ، كانت إحدى معالم طور عبدين الشهيرة وتقع إلى الشمال الشرقي من بازبدي، ويطل عليها سلسلة جبال إيزلا، وطور عبدين. وخدمت كمقر لكرسي "بازبدي" للكنيسة السريانية الأرثوذكسية بسبب الظروف القاسية التي تعرض لها في تلك المدينة والتي اضطرته إلى هجرتها والانتقال إلى (آزخ)، التي كان موقعها الجغرافي وقربنها من السلاسل الجبلية يوفر له قدراً من الحماية والأمن. وفي سنة 1842 كانت تحتوي على 160 عائلة سريانية أرثوذكسية. وتمتاز بمزارعها وكرومها الشهيرة. عانت كثيرا من هجمات زعيم راوندوز محمد باشا سنة 1832 و

---

[35]Laurie, 230.

عن الشواهد التاريخية في بازبدي (جزيرة ابن عمر) انظر: كونراد بروبسر، المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين. ترجمة الدكتور علي يحى منصور. بغداد، 1981. 42. و .Badger, I: 58

[36] Southgate, Visit, 172, 182. والشيء ذاته ذكره العديد ممن زاروها ومنهم .Laurie, 331

1834 حيث قتل الكثير من أبنائها، وسبي غيرهم حيث باعهم كعبيد. وفي سنة 1842 زارها المبشر بادجر وذكر بأنها كانت تعاني كثيراً من اضطهادات بدرخان بك، زعيم أكراد بوتان لها أسوة ببقية التجمعات الآشورية في الجزيرة. ومن ضمن ما تعرضوا له قتل مطرانهم مار عبد النور سنة 1836.[37]

ومنذ بداية الانحطاط العباسي، كانت آزخ – مثل بقية مدن طور عبدين والجزيرة – هدفاً للغزاة والطامعين بالأرض. ومعاناة هذه المدينة السريانية لم تنتهي بالقضاء على زعيم راوندوز هذا سنة 1836. إذ بعد إخضاعه مباشرة انتقل مركز القوى الكردية إلى منطقة الجزيرة بزعامة بدرخان بك الذي أسامهم صنوف الظلم والاضطهاد لغاية اعتقاله سنة 1847. ونكبات آزخ استمرت خلال فترة هيمنة خلفائه، ابنا سيف الدين اللذان اعتقلهم الأتراك أيضا سنة 1855 وفرضت الحكم التركي على المنطقة[38]

- أبرشية مديات

---

[37] Badger, I. 57 Southgate, Visit, 246.

[38] ويذكر مار أفرام برصوم عن ما تعرضت إليه آزخ من اضطهادات ومظالم قائلا ان محمد باشا الراوندوزي عقد معاهدة مع البختيان (البدرخانيين في بوتان ـ الجزيرة) وزحفوا على الجزيرة ومنطقة بهتان، وقتلوا في آزخ 200 رجل وقسيس ومشمامسة كثيرين. كما وقتلوا 80 رجلا من اسفس وسبوا النساء والأطفال في مطلع سنة 1834 وقتلوا خلقاً كبيراً من اليزيدية"، طور عبدين، 362 – 363. ويضيف مقتبساً ما كان قد دونه القس ميرزا عن حالة طور عبدين عموما وآزخ خصوصاً وما تعرضت إليه على يد عز الدين شير (ابن الأمير سيف الدين الذي آلت إليه السلطة في المنطقة بعد القضاء على بدر خان بك سنة 1847) الذي ذكر: "سيطر على الجزيرة ومسّوربك، و زحفا على الجبال الشمالية حتى وصلا إلى سعرت. ... أخذ ثمانين كيساً (الكيس الواحد كان يعد 500 بياسترس ـ قرش) من ثريين سريانيين بالقوة. ... صدر أمر ضدهم من السلطان عبد المجيد. عندها باشروا يعيثون فساداً في المنطقة، يقتلون أبنائها حيث هاجموا: حاح، آزخ، مهدون، باسبرينا، ناهبين سكانها حتى حفروا البيوت بحثاً عن الذهب. .. وزحفوا على بقية القرى ومنها مديات".

تذكر باحثة معاصرة بان (مديات) التي تقع بين جزيرة أبن عمر (بازبدي) وماردين، هي مركز الإقليم الذي فيه 80 ديراً، أربعة منها لا تزال عامرة ومسكونة. وان سكان طور عابدين المسيحيين، كان أول من اضطهدهم بني دينهم الصليبيين، الذين كانوا قد احتلوا (اورهاي) ثم تبعهم المغول وبلغت الاضطهادات قمتها خلال الحرب العالمية الأولى.[39]

وكما نوهنا فان مديات كانت مركز لمنطقة طور عبدين السريانية، وكانت مسكونة بأكملها بالسريان الأرثوذكس. وقدر عدد عائلاتها أواسط القرن التاسع عشر ب 450 عائلة. ومن خلال تأمل وجود ستة كنائس فيها يمكن الاستدلال على الانحطاط الذي أصابها وتقلص عدد سكانها. مديات هذه خدمت كمركز لواحدة من الأبرشيات التابعة للكنيسة السريانية وكان مطرانها يقيم في الدير المجاور الذي يبتعد عنها مسافة ثلاثة أميال إلى الشمال، ولعله دير مار فيلوكسينوس الذي كان قد دفن فيه بعد استشهاده سنة 523 م[40]. أما أشهر أديرة طور عبدين فكان دير قرتمين الواقع على مسيرة 4 ساعات عنها والذي كان قد تم بنائه سنة 397 م. واطلق عيه اسم رئيسه، مار جبرائيل أو كبريل[41] أبناء مديات

---

[39] Diana Darke, Discovery Guide to Eastern Turkey, London, 1990. 25

وتذكر الكاتبة بان 23.000 من مجموع الكثافة السكانية الكبيرة التي كانت تعيش في طور عبدين قد تبقت في أواخر القرن العشرين. و .Fortescue, 332

[40] Miss Bell, 80 – 81.

[41] هذا الدير اصبح مقراً لمطارنة طور عبدين. وتخرج منه 4 بطاركة، ومفريان واحد و 179 اسقفاً. وفي بداية القرن العشرين كان لا يزال مأهولاً. انظر اللؤلؤ المنثور، 507 – 516.

كبقية مدن وقرى طور عبدين الجبلية كانوا يتمتعون بروح قتالية عالية وكانوا على الدوام يدافعون عن أنفسهم ضد هجمات الأكراد[42]

- **أبرشية باسبرينه**

باسبرينه التي كانت توصف بالمدينة الصغيرة، والتي تقع ما بين ماردين وآزخ، كانت هي الأخرى مسكونة بأكملها بالسريان الأرثوذكس. وقدرت بقايا عائلاتها أواسط القرن التاسع عشر بأكثر من (250 عائلة)،. وتميزت بديرها الشهير الذي كان على درجة كبيرة من السعة والذي كان مقراً لمطرانها. وفي هذه المدينة وما جاورها كانت هناك الكثير من الكنائس (كانت تحوي إحداها رفات القديس مار شمعون) والأديرة إلا أن نصفها كان مهدماً خلال الفترة التي نحن بصددها. وكانت الروح القتالية التي أتسم بها أبناء (باسيرينه) قد أجبرت الحكومة التركية على إبقاء قوة عسكرية دائمة فيها وكانت على الدوام مهددة بهجوم أبناء المدينة عليها[43] وكانت مركز مطرانية للكنيسة السريانية الأرثوذكسية. ولقد تميز أبنائها بروحهم المعنوية العالية تماما كما كانت الحالة مع أبناء مديات وكليث[44]. وكان من بين كنائسها الشهيرة كنيسة مار دودو[45]

- **أبرشية نصيبين:**

نصيبين ودورها في تاريخ الشعب الآشوري خلال العصر المسيحي أشهر من التعريف. فلقد كانت وظلت لقرون طويلة مسيحية خالصة. ودورها تجاوز في تأثيراته الحدود الإقليمية لبلاد ما بين النهرين ليؤثر في تاريخ النهضة الأوربية من

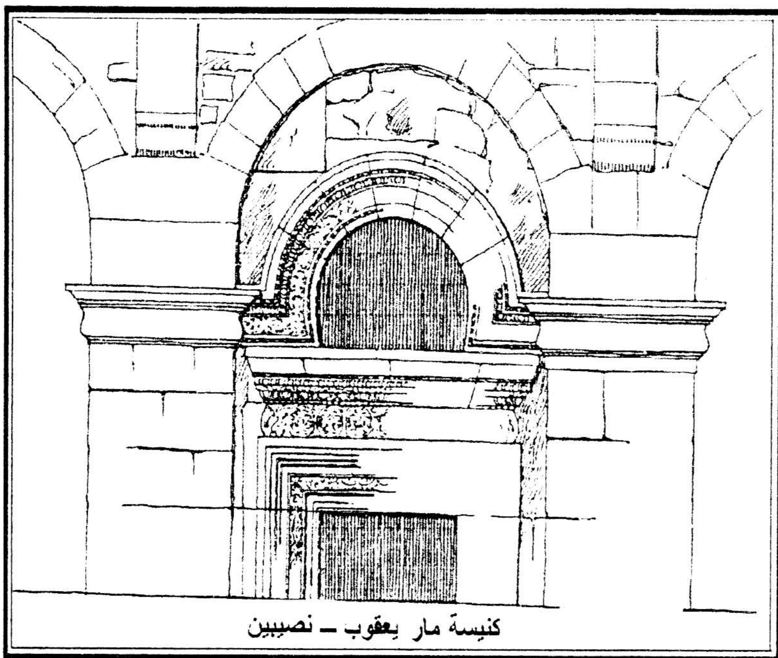
---

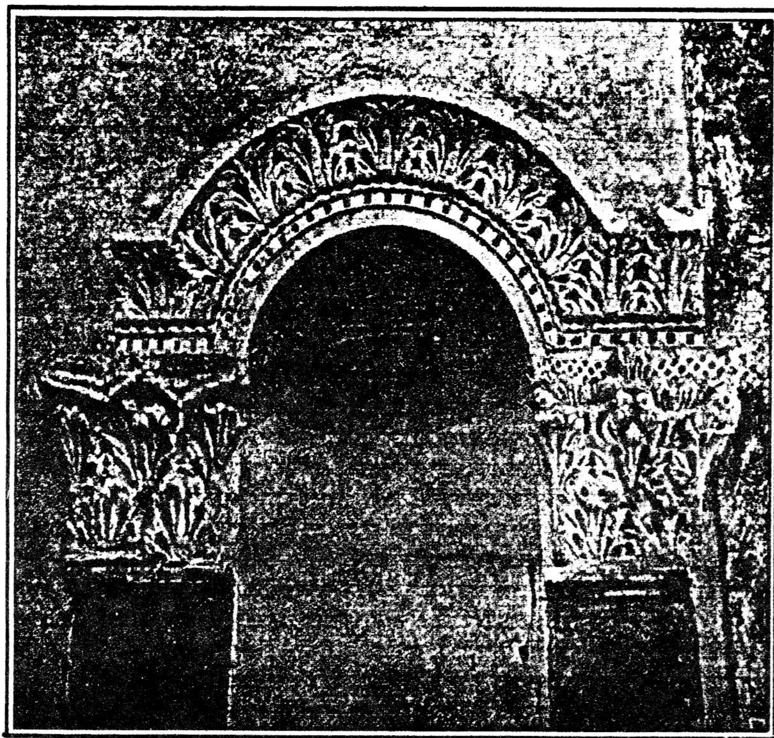
[42]Badger, I: 54 – 55.

[43] Badger, I: 56 - 57

[44] Badger, I. 56 – 57. Horner, 109, 136.

[45] Miss Bell, 81.


كنيسة مار يعقوب ـ نصيبين


قسم من دير الزعفران

خلال ما قدمته من إنجازات في مجال العلم وترجمة التراث الإغريقي العلمي والفلسفي منه. ناهيك عن دور جامعتها في قيام النهضة العلمية في بلاد ما بين النهرين ذلك الدور الذي استمر لقرون عديدة. ونصيبين كانت مركز إشعاع لكلا الشرقية الكنيستين: الشرقية والسريانية الأرثوذكسية. ولقد كانت منذ القرون الأولى مطرافوليطية للكنيسة الشرقية وكانت في سنة 410 مثلها مثل أربيل، واحدة من خمسة مطرافوليطيات كانت تضمها هذه الكنيسة في ذلك الوقت. وكانت تعتبر من المراكز الهامة لهذه الكنيسة[46]. ولقد استمرت إلى سنة 1560، وكانت تتبعها ابرشيات عديدة.[47]

والأعلام الذين اشتهروا في نصيبين هم كثار: مار يعقوب النصيبي[48]، الذي اشتهرت المدينة بالكنيسة المسماة على اسمه إضافة إلي تأسيسه لمدرستها والعلماء الذين تخرجوا منها والتي ذاع صيتها في الآفاق على يد تلميذه مار افرام ربا أو مار افرام السرياني.[49] مار نرسي الملفان ودوره البارز في إدارة مدرسة نصيبين موثوق بشكل واسع، أما مار برصوما الذي خلفه فانه إضافة إلي كونه مطرافوليط نصيبين للكنيسة الشرقية، فانه كان رائد التوجه التعليمي وله يعود الفضل في إرساء الأسس الصَلِدة لاستمراره. وعن دور ما برصوما تقول المستشرقة الروسية (نينا بيغوليفسكايا) ما يلي: " وترتبط باسمي برصوما ونرساي وضع وثيقة

B. J. Kidd, The Churches of .Time, 231, 418. F. Coan, Yesterday in Persia, 132 [46]
the Eastern Christendom From 451 to the Present

[47] J. Wiltsch, Geography and Statistics, 404. Aubrey Vine, The Nestorian Churches, 114.

[48] Wigram, The Cradle, 42- 44., 58 ويذكر شواهدها التاريخية وعن كنيسة مار يعقوب.

[49] Sir Wallis Budge, By Nile and Tigris, I. 444.

على درجة كبيرة من الأهمية، والتي جئنا على ذكرها من قبل وهي قوانين (قواعد) مدرسة نصيبين أي أول نظام داخلي جامعي من القرون الوسطى وصل إلى متناول أيدينا"[50]. ومن بين مشاهير نصيبين ومدرستها (يوسف حوزايا) الذي يعتبر أول نحوي سرياني يستخدم التنقيط وتحريك حروف العلة.[51]

قدماء المؤرخين والجغرافيين أشاروا بتفصيل إلى ما كانت عليه نصيبين من ازدهار خلال الفترة المسيحية السابقة لهجمات العناصر البدوية. فلقد ذكر الاصطخري بأنه فيها مواضع كثيرة للنصارى وإنها كانت مزدهرة[52]. وفي سنة 1575 م زارها الرحالة راوولف وذكر بأنها كثيرة المياه والقنوات، جميلة الموقع ويسكن في عدد كبير من الأرمن.[53] وكتب عنها الجغرافي الشهير ابن حوقل من القرن العاشر يقول عما لحق بها على يد بنو حمدان " ... سنة 330 فأكبا عليها بنو حمدان بضروب الظلم والعدوان ودقائق الجور والقسم وتجديد كِلَفْ لم يعرفوها ورسم نوائب ما عهدوها إلى المطالبة ببيع الضياع والمسقف من العقار"[54]. ونصيبين إضافة الى دورها الرائد في الحياة التعليمية والثقافية فإنها لعبت دوراً هاماً في الحياة الكنسية لكلتا الكنيستين. فكانت مركزاً ابرشياً للسريانية الأرثوذكسية، ومقر الكرسي المطرافوليطي للشرقية منذ سنة 535 م[55]. ويتبعها:

- مطرانية نصيبين، استمرت إلى ما بعد 1560م

---

50 نينا بيغوليفسكايا، ثقافة السريان في القرون الوسطى، عربه الدكتور خلف جراد دمشق 1990 ص 99

51 Rev. De Lacy O'Leary, 103.

52 الاسطخري كتاب الأقاليم، 40.

53 راوولف، 211.

54 ابن حوقل، صورة الأرض، ص 190 – 191

55 يقول Coan, بان نصيبين كانت من المراكز النسطورية الهامة في القرن السادس. Yesterday, 132.

- **مطرانية أرزون إلى سنة 1282م**
- **مطرانية بازبدي** (الجزيرة)
- **مطرانية بلد (اسكي موصل) إلى ما بعد سنة 1318**
- **مطرانية كبزلونا**: إلى بداية القرن الرابع عشر.[56]
- **أبرشية ماردين:**

ماردين المدينة العريقة كان قدرها أن تتعرض على الدوام لهجمات الغـزاة والطامعين والحكام الظالمين منذ قرون طويلة، ونالها الكثير من الدمار والتخريـب. وحين زارها بادجر سنة 1842 ذكر: "بعد دخولنا أسوار المدينة وجدنا أنفسنا وسط أكوام الخرائب لدرجة حاولنا إقنـاع أنفسنا بـان المنطقـة ليسـت مـهجورة". ومـا شاهده كان محصلة الهجمات التي كانت هذه المدينة السريانية قـد تعرضـت لهـا باستمرار والتي ازدادت كثافتها منذ بداية القرن التاسع عشر. فإضافة إلي هجمات الأكراد واضطهاداتهم، فان الأتراك ساهموا أيضاً في تدمير المدينة، حيـث حولوهـا إلى ساحة معركة أبان حملة فرض السيطرة المشار إليـها. فلقـد نالهـا الكثـير مـن الدمار أثناء حملة رشيد محمد باشا (1834 - 1838 وكانت نكبتها الكـبرى حـين هاجمها انجة بيرق دار باشا الموصل اكثر من مرة وقذفها بالمدفعية الثقيلـة[57] سـنة 1841 بزعم قمع تمرد الأكراد فيها. وهكذا فان ماردين في سنة 1842 لم يبقى فيها سوى 2780 بيتاً موزعة على النحو التالي:

[56] Wiltsch, II: 404., I: 231. ويذكر الأب البير أبونا بان ابرشية كانت قد ضمت الى ابرشية بيث قردو. انظر شهداء المشرق، هامش 5. 113.

[57] Southgate, Visit, 232 – 233.

اليعاقبة	600 عائلة ولهم كنيستان[58] و3 قسّان، وأديرة مسكونة في الضواحي
الأرمن	500 عائلة
سريان كاثوليك	120 عائلة، لديهم مطران، 4 قسّان وبيت عبادة
كلدان	60 عائلة، لهم مطران و 4 قسّان
المجموع	1280 عائلة مسيحية
الإسلام	1500 عائلة

مما تقدم يتبين بان ماردين بعد كل الذي تعرضت له من حملات التدمير والتصفية العرقية والدينية، فان نسبة المسيحيين فيها أواسط القرن التاسع عشر كان 42.6٪ ونسبة الأكراد والأتراك والعرب 47.4٪[59]

هذا ومما هو جدير بالتنويه إن دير الزعفران الذي يبعد أربعة أميال إلى الشمال من المدينة خدم لفترات طويلة كمقر لبطريركية الكنيسة السريانية الانطاكية المقدسة[60]

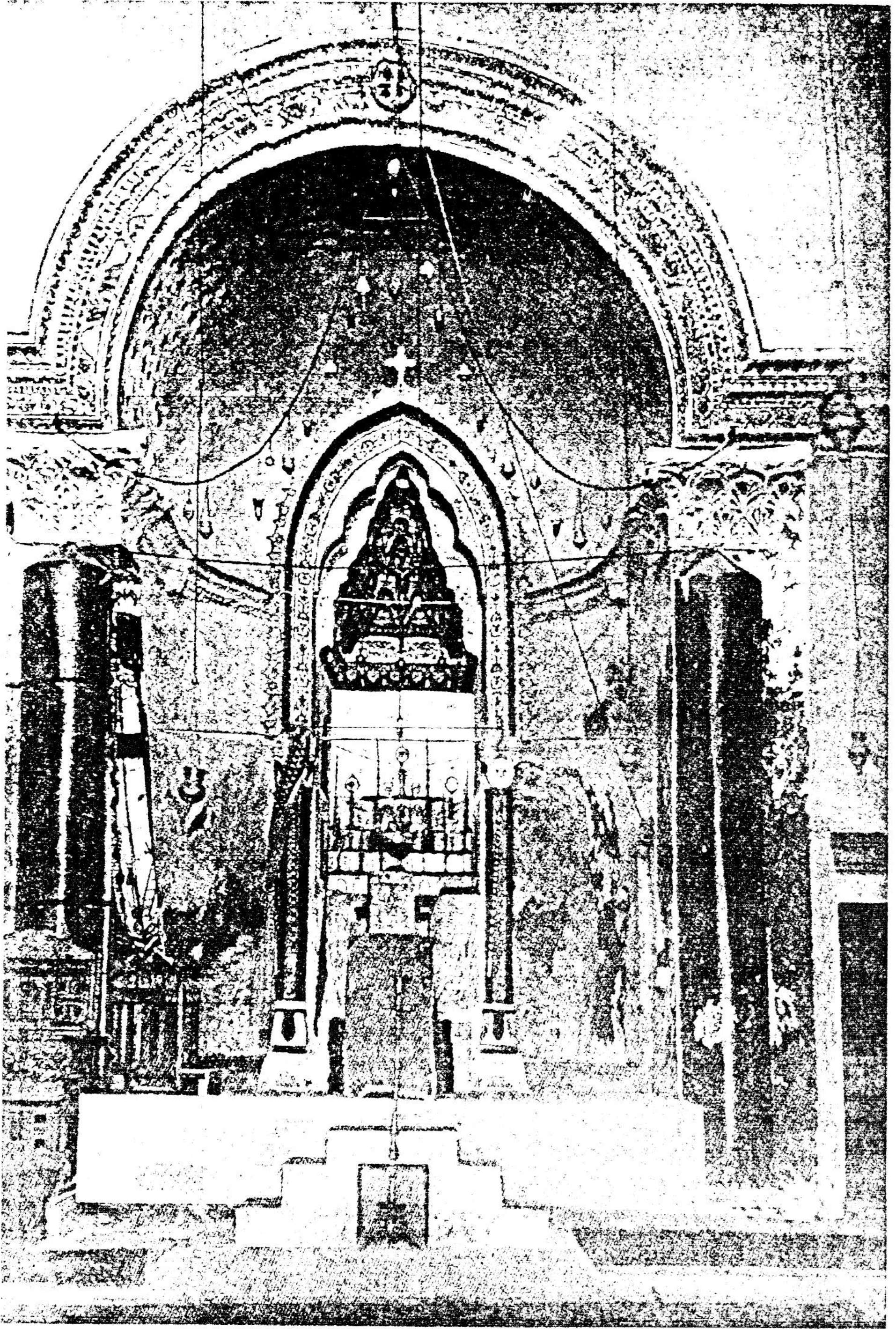
♦ أبرشية آمد (دياربكر)

---

[58] عن كنائس السريان في ماردين أواسط القرن التاسع عشر، انظر: .Southgate, Visit, 215

[59] Badger, I: 49.

[60] 48 – 49. Southgate, Visit، وكان قد زار ماردين قبل ثلاثة سنوات من زيارة المبشر المذكور أفاد بوجود 250 عائلة سريانية كاثوليكية و 100 كلدانية في ماردين. انظر: .275 – 274 .Tour, II لتظر ايضاً: .49 :Badger, I وعن كنائس ماردين الشهيرة: .Southgate, Visit, 215 ويتحدث مار افرام برصوم عن هذا الدير فيذكر: بأنه يسمى دير مار حنانيا، وانه اصبح مقراً للكرسي البطريركي منذ سنة 1293، وانجب 21 بطركاً و 9 مفارنة و 110 أساقفة. وموقعه يطل على ثلاثة أديرة صغيرة متجاورة الذي كان منها دير مار يعقوب الملفان الذي كان لا يزال عامراً بالرهبان. انظر: اللؤلؤ المنثور، 507 – 516.



جانب من دير الزعفران بالقرب من ماردين

تعتبر آمد (دياربكر) إحدى المدن العريقة في شمال بلاد ما بـين النـهرين. وكانت المسيحية قد دخلتها منذ عهد مبكر من انتشارها. وتعتبر مركزا لواحدة مـن الأبرشـيات العريقـة للكنيسـة السـريانية الأرثوذكسـية في أعـالي مـا بـين النـهرين. إلى جـانب كونـها، منـذ القـرون الأولى الميـلاد مركـزا مطرافوليطيـاً للكنيسة الشرقية الـتي استمرت لغايـة سـنة 1681*. إذ ضمـن قائمـة مطارنـة الكنيسة الشرقية الذين حضروا مجمع **نيقيـة (سـنة 325 م)** ورد أسـم مطـران آمد والشيء ذاته في مجمع **القسطنطينية (سنة 381 م)** إلى جانب مطارين مـن دارا، نصيبين، وميافارقين، بازبدي، ارساموسـتا، شـنكارا وغـيرهم[61]. وكـان اتباع الكنيستين ولقرون طويلة يشكلون مع الأرمن أغلبية سكان المدينة. ولغايـة سنة 1842 كانوا يشـكون نسـبة تقـارب نصـف سـكانها[62] إضافـة إلى الأعـداد الهائلة من القرى التابعة لها والمنتشرة حولها[63]. ومنذ سنة 1681 م. أصبحـت آمد مركزاً لاتباع الكنيسة الشرقية الذين التحقوا بكنيسة رومـا مـع اسـتحداث الخط الباطريركي اليوسفي في تلك السنة والذين منذ ذلك الحـين أطلق عليـهم تسمية الكلدان. ولقد تميزت بآثارها المسيحية التي جلبت الإعجـاب مـن قبـل من شاهدها، ومنها الزخرفـة والتصميـم المعمـاري الـذي كـانت عليـه كنيسـة

* آمد كانت مركزا مطرافوليطياً للكنيسة الشرقية وتتبع بطريركية مار إيليا الذي كان مقره دير الربان هرمزد بالقرب من القوش لغاية سنة 1681 حيث التحق مطرانها يوسف بالكنيسة الكاثوليكية واسيم من قبل روما بطريركاً بلقب مار يوسف بطريرك الكلدان في آمد وماردين.

[61] Wiltsch, I: 212.

[62] Badger, I: 41 – 42.

[63] Badger, I: 44.

اليعاقبة[64]. وفي الوقت الذي اشتهرت دياربكر والمناطق المحيطة بها بكثرة أديرتها إلا أن دير (زوقنين) كان أشهرها لعراقته ودوره[65].

وفي وقت بحثنا هذا كان قد تبقى في آمد فقط 250 عائلة وكان يومئذ يرعى شؤونها المطران (بهنام). إضافة إلى هؤلاء فان الجهد التبشيري الكاثوليكي كان قد نجح في كسب 40 عائلة سريانية[66].

زارها بادجر سنة 1842 وذكر بان اقل من نصف سكانها مسيحيون[67].

❖ **أبرشية خربوت:**

خربوت المدينة الكبيرة كانت واحدة من القلاع القوية للطائفة السريانية الأرثوذكسية. وتميزت بكثافتهم السكانية العالية فيها. واشتهر أبنائها بروحهم المعنوية العالية والاستعداد الدائم للدفاع عن النفس، وبشجاعتهم وإقدامهم. كما وكانوا من الرواد الأوائل في الحركة القومية الآشورية، حيث خدمت كمركز إشعاع للقضية القومية منذ أواسط القرن التاسع عشر. و خربوت كبقية مناطق وطن الأمة الناطقة بالسريانية كانت عرضة لهجمات الغزاة واستقرار الطامعين في أرضها

---

[64] Wilson, Asia, 267.

[65] كامل والبكري، 176. و الأب البير أبونا، سيرة شهداء، هامش رقم 1. 181. ومن الأديرة الشهيرة بجوار دياربكر دير مار يوحنا الورطي الذي بنية في 390 م وانجب ثلاثة اساقفة من بينهم المؤرخ الشهير يوحنا الأفسسي (587 -) انظر مار افرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، 507 – 516.

[66] Badger, I. P. 185

[67] Badger, I. 42 – 42.

في سنة 1878 زار دياربكر Liet. Col. Ralph E. Carr وذكر الانخفاض السريع الذي حصل في عدد المسيحيين في المدينة حيث ذكر بأنه الأكراد فرغوا المدينة من سكانها خلال 25 سنة الأخيرة والسبب المساعد على ذلك فقدان الأمن وانقطاع الاتصالات مع بغداد. The Kurdish Mountain Range in Reference to Russian Advance on the Tigris. JNL. Royal United Service, 1878 – 1879. Vol. II. 22. Pp. 166 – 167

والاستحواذ على خيراتها. وتــدل الأديـرة الكثـيرة المحيطـة بـها والكنـائس الـتي كانت ولا زالت تحتويها على كثافة عـدد أبنـاء الكنيسـة السـريانية الأرثوذكسـية فيها. ورغم كل ما تعرضت إليه من مذابح وأعمال تشريد فــان خربـوت كـانت في أواسـط القـرن المذكـور تحـوي حسـب اكـثر التقديـرات تحفظاً علـى 500 عائلـة (يعقوبية) يرعى شؤونها مطران مقيم فيها[68]. هذه المدينة السريانية الكبـيرة كـانت مركز لباشوية. وفيها الكثير من الشواهد المسيحية العريقة في قدمها[69].

7 – نماذج من الشواهد التاريخية

كاتب متأخر زار منطقة طور عبدين وكتب عنها قائلاً: " يفاجأ زائر طور عبدين بازدواج التاريخ القديم والحديـث. فـهنا تقـوم كنـائس بنيـت أول الأمـر في الفترة السابقة لمجمع (نقية)، [سنة 325]. واحدة منــها تقـع في قريـة (حـاح – hakh) ويعود تاريخ بنائها إلى أيام الرسل والحواريين. هذه الكنيسة تعتـبر أقـدم الكنائس المستعملة إطلاقاً. ولقد قام ببناء إحدى هياكلها أحد ملوك المجوس الذين سجدوا للطفل يسوع المسيح*. وان (حاح) أيام مجدهـا كـانت تحـوي علـى 40 كنيسة. ويمكن التعرف على مواقعها بسهولة. وهنا في طور عبديـن لا تـزال اللغـة

---

[68] Badger, I. P. 33, 43

[69] Southgate, Visit, 86.

* يرد خطأ ذكر ملوك العجم في إشارة إلى الملوك الذين قصدوا بيث لحم وسجدوا للطفل يسوع. فمن المعلوم بان ولادة السيد المسيح حصلت في فترة الحكم الفرثي الذي كان يشكل إمبراطورية واسعة تظم الكثير مـن الممـالك. والمقصود بملوك العجم هم أولئك الملوك الذين كانوا يحكمون ممالك بلاد ما بين النهرين من الناطقين بالآراميـة وليس غيرهم. وليس هناك من نص يؤكد كون ملك الملوك الفرثي ضمن قائمة الملوك المشار إليهم

السريانية / الآرامية هي اللغة الوحيدة المحكية* وبكل تأكيد فان الأجيال السابقة لم تكن تفقه لا اللغة التركية، ولا العربية. ألان لم يعد طور عبدين تلك المنطقة المغلقة للمسيحيين كما كانت قبل قرن من الزمان. إذ أن الإسلام ألان يتزايد عددهم بسرعة. وفي الوقت الحاضر توجد هنا 60 قرية مسيحية فقط، نجحت في المحافظة على كيانها، والاستمرار إلى ألان، متحدية ومقاومة المحاولات الإسلامية للاستقرار فيها. إلا أن القوم يخوضون معركة خاسرة، حيث يعيشون في خوف، وخشية دائمة من تجدد المذابح التي وقعوا ضحيتها، إلى جانب الأرمن. [70]"..

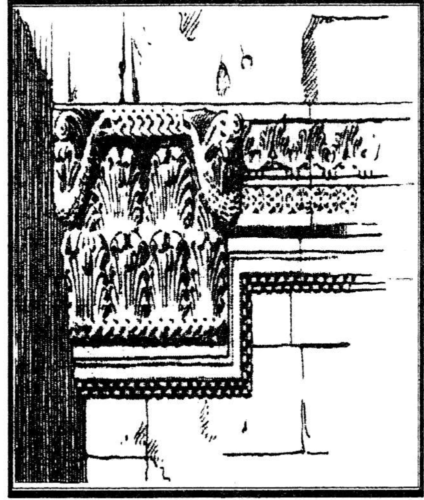
ومن الشواهد العريقة كنيسة قرية (مدو – Middo) القريبة من (مديات)، مبنية على شكل كهف، وتعود بقدمها إلى القرن الثاني أو الثالث، ولها مدخل واطئ جداً. أما مدينة مديات فيقول زائرها: "رغم أن غالبية أهلها ألان أكراد إلا انه توجد فيها خمسة كنائس في مركز المدينة"[71]. وبالقرب من مديات كانت قائمة كنيسة ودير مار اوراهم الذي تشبه كنيسة تلك التي في مار كبرئيل، ومار يوبيل **Ubil** ودير مار ملكا الذي كان ما بين مديات ودير مار أوجين إلى الجنوب، وكان أشبه ما يكون بقلعة صغيرة واشتهر بمدرسته التي كانت تدرس من بين المواضيع الكثيرة الفلسفة اليونانية وكان يقصدها الكثير من

---

* الكاتب زار المنطقة سنة 1975. أما عن اللغة المحكية فكانت إحدى لهجات اللغة السريانية الغربية وتعرف ب (الطورانية) نسبة الى طور عبدين

[70] Norman A. Horner, Tur Abdin, A Christian Minority; Struggle to preserve its Identity. OCC. Bull. Of Missionary Research, 1978 pp. 134 - 137

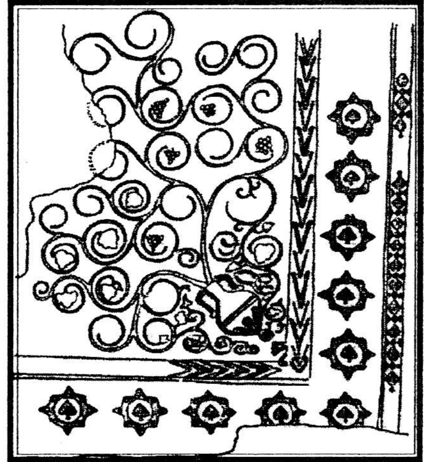
[71] Norman Honer, 134 – 137.

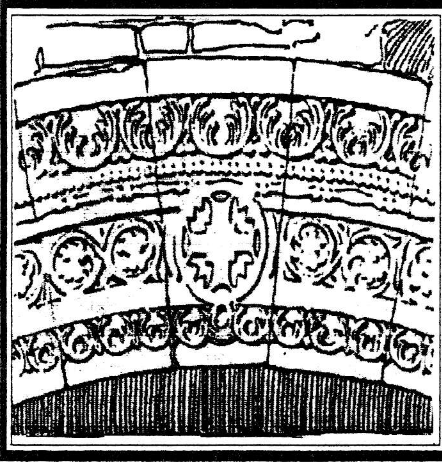


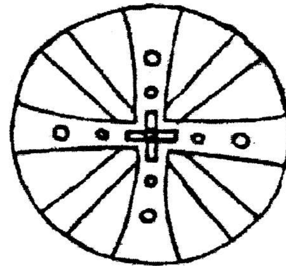
الشواهد التاريخية في شمال بلاد ما بين النهرين



رليف أسد على مدخل كنيسة اليعاقبة في بازبدي







الشواهد التاريخية في طور عبدين والجزيرة

الطلبة من المناطق البعيـدة[72].وفي منطقـة مديـات أيضـاً، شمـخ عـبر القـرون (ديـر قرتمين) الذي كان قد شيد في القرن الرابع، ومن الكتابات والنقوش الـتي تطـرز جدرانه، تظهر عراقته وأهميته. فلقد نقشت أسماء جميـع الأسـاقفة الذيـن تولـوا إدارته بعد سنة 849 م.[73]

أما مدينة (مديات)، التي تبعد 70 كم عن ماردين، ففـي الربـع الأخـير من القرن العشرين كان "نصفها مسلم وبيوتهم غير نظيفة. النصف الآخر مسيحي" وان زائرها يشاهد قبب النواقيس المطلة من أعلى سطوح كنائسـها والـتي أجملـها كنيسة (أزنويو – Aznoyo)[74]. وكان فيـها سـنة 1975 خمسـة كنـائس في مركـز المدينة، تبعد الواحدة عن الأخرى بضعة دقائق[75] Miss. Bell أشارت إلى الكنائس القديمة القائمة في طور عبدين ومن بين تلـك الـتي ذكرتـها: الكنـائس الواقعـة إلى الشرق من مديات باتجاه مدينـة حسّـان كيفـا، وكنسـية (صـالاح)، و (أرنـاس) ودير/ كنيسة (ماركبريل)[76]. ولقد فحصت بدقة الشواهد التاريخية في هذه المنطقة

---

72 .70 – Miss Bell, 68 وتذكر بأنه ورد في أخبار الدير ان العلامة اثناسيوس من بلـط (اسـكي موصـل) درس في دير مار ملكا الفلسفة اليونانية واصبح بطريركاً سنة 684. 68 – 71.

73 .66 – Miss. Bell, 65 و مار أفرام برصوم، طور عبديـن، 318 – 319. وممـا أشـار إليـه عـن نقـوش وكتابات الدير أورد: "شملي الخاطئ المانعمي الذي نـهض سـنة 1400 يونانيـة [1089 م]" وآخـر: "وفي هذا الزمان العصيب المفجع نهب هذا الدير نهباً مفجعاً بيد الفرس، واصبح خراباً يباباً خمس سـنوات، وكـل طور عبدين، وسكن الغاصبون هيكله الكبير 14 يوما. وعـدد الكنـائس الـتي تحـوي شـواهد تاريخيـة منـها: كنيسة مار عزرائيل في قرية كفرزي، كنيسة مار قرياقوس في عرناس، وفي باسبرينة، حاح، شتراكو ومار سابا العتيقة 319 – 327.

74 Diana Darke, Discovery, 215 -216, 219 – 220. وذكرت وجود 80 ديراً لا تزال أربعة منها عامرة [سنة 1990].

75 Horner, 137.

76 Miss. Bell, 104. W. Wigram, The Cradle,.42 – 43

أيضا، ولاحظت بان التصاميم المعمارية لكنائس: **صالاح، ارناس، كفرزية، حاح** مشتركة ومتشابهة وان أغلبها يعود إلى القرون الأولى للميلاد[77].

8 – أديرة وكنائس طور عبدين

أما عن أديرة طور عبدين فلقد أصاب أحد المستشرقين بوصف هذه البلاد بغابة الأديرة، لكثرتها وعراقتها[78]. ولا غرابة في ذلك فان هذه المنطقة إذا ما علمنا بان سلسلة جبل طور عبدين وسهولها كانت جزءً من تاريخ بلاد ما بين النهرين، وارتبطت أسماء أديرتها وكنائسها بالكثير مما يعتز به أبناء الشعب الآشوري. هنا أيضا ـ كما كان الحال في الأقاليم الجنوبية لوطن القبائل المستقلة التي نوهنا عنها ـ فان الكثافة السكانية لمئات القرى والأعداد الكبيرة من المدن، كانت من القدرة بحيث ظلت عبر القرون تغذي المؤسسة الديرانية (من الأديرة) بمئات الألوف من الرهبان جيلاً بعد جيل، سواء كانوا تابعين للكنيسة السريانية الأرثوذكسية أو الشرقية. ففي ماردين والمناطق المحيطة بها كان هناك 33 ديراً من ضمنها دير الزعفران الذي خدم
لفترات طويلة كمقر لرئاسة الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وان الأديرة المشار إليها يعود تاريخ الكثير منها إلى القرون الأولى للميلاد[79].

و مديات التي زارها المبشر بادجر سنة 1842 ذكر: فيها 6 كنائس أربعة منها مهدمة. وعلى مسافة 3 ثلاثة أميال عنها يوجد هناك دير. Badger, I: 54 – 55.

[77] Miss. Bell, 104.

[78] W. Wigram, The Cradle … ،p.42 - 43

[79] كثيرون كتبوا عن الأديرة التاريخية التي كانت قاسمة ولا زال الى اليوم البعض منها. وللإيضاح نورد بعضا مما ذكر عنها:

وإذا كانت الأديرة تغطي كل بقعة من هذه المنـاطق، فـان الكنـائس بكـل تأكيد كانت قد سبقتها في وقت بنائها. فلقد شـهدت آلاف المدن والقرى ظاهرة وجود كنيسة أو اكثر فيها. وبقـت آثار العديـد منـها إلى وقتنـا الحـاضر رغـم أن

أديرة طور عبدين:

• **دير مار كبرييل**: وهو الدير المعروف بدير قرتمين، ويقع بين باسبرينا ومذيات، • **دير الصليب**: ويقع في قرية بيث أيل، • **دير والدة الله الكبير** – قرية حاح، • **دير مار يعقوب الحبيس** – قرية صلح، • دير مار إبراهيم الكشكري – قرية بيث جوجل، • دير القديس اوجين، • دير مار ملكي القلزمي، • دير مار إبراهيـم – بالقرب من مذيات، • دير والدة الله – جبل الأزل، • دير مـار يعقـوب، • ديـر مـار ديمـط – قريـة بـادي بجبل الأزل، • دير مار أبحاي – بانمعم، • دير مار أحو، ويعرف أيضا باسم دير دفنث، • دير مار برصـوم – قرية باسبرينا، دير الصليب – قرية دفني، • دير مار موسى – قرية كفرزي، • دير مـار يوحنـان الطـائي، ويقع بالقرب من دير مار اوجين، • مار يعقوب الملفان. • دير مـار اشـعيا، • ديـر مـار هـيرقلا، الشـهيدة فبرونيا، • دير مار شربيل – قرية كفر شمع، • دير مار يعقوب الملفان، • دير مـار يوحنـا الكفـاني – شمـال زاز، • دير مار لعازر – بالقرب من قرية حبسناس، • ديـر مـار باسـوس – قريـة حـدل، • ديـر مـار زينـا – بالقرب من قرية حبسناس، • دير مار سرجيس – قرية حاح، • دير مار شربيل في مذيات، • دير مار ايليـا البسّي – بالقرب من قريـة كفرزي، • ديـر العمـود: ويقـع بـالقرب مـن رأس العـين، وأشـتهر بكونـه مركـزاً للتعليم، • دير مار حنانيا (دير الزعفران): ويقع بالقرب من ماردين وهو دير الزعفران. أنشـأ في العقـد الأخـير من المائة الثامنة، • دير مار يوحنا قورديس: ويقع بالقرب من مدينة دار المهدمـة وكـان تـاريخ إنشـاءه سـنة 800 م.

هذه قائمة تشمل بعضا من الأديرة في طور عبدين والمناطق القريبة المجاورة وليس كلها. وهنـا في هـذه المنطقـة التي تعتبر مهد المسيحية – كما كان حال حدياب ونوهدرا وغيرها من مناطق بلاد ما بين النـهرين –، بـذرت البذور لبناء دور العبادة. ومنذ أواسط القرن الرابع للميلاد بدأت حركة تعبدية / تصوفية، أخـذت شـكل بنـاء الأديرة ونقر الصوامع في المناطق الجبلية، حيث تعاقب على التعبد فيها آلاف النساك من الرهبـان المقطوعـين عن العالم جيلاً بعد جيل. هذه الأديرة والكنائس كانت مشاعل نور لنشر المعرفة والعلوم حيث لعبـت مـدارس الأديرة دوراً على جانب كبير من الأهمية في تطوير الحياة العلمية ونشر المعرفة في بلاد ما بين النـهرين. ولقـد بلغت حركة التعليم

التي كان مهدها هذه الأديرة مرحلة متقدمة حين تطورت العديد من المراكز التعليمية لتبلغ مراحـل الدراسـات الثانوية والجامعية، كما كان الحال مع مدرسة نصيبين، إحدى معاقل وشواهد إنجازات أبناء طور عبدين.

العديد منها لحقها ما لحق بالمدن والقرى من خراب وتدمير. في حين حُولت الكنائس في الكثير من مناطق شمال ما بين النهرين إلى جوامع خلال قرون الانحطاط[80].

واستكمالاً لهذه اللمحات المختصرة عن تاريخ طور عبدين نورد ما ذكره المعنيون وآباء الكنيسة السريانية من ذكر لأهم الكنائس التي كانت مزدهرة في هذه المنطقة الحيوية من بلاد ما بين النهرين[81].

---

[80] Badger, I: 38 ولقد عدد الكثير منها ومن بين تلك التي ذكرها جامع دياربكر الكبير الذي كان كنيسة

[81] **كنائس طور عبدين:** اشتهرت منطقة طور عبدين بكنائسها العريقة ذات الطراز المعماري الجميل. وتكاد لا تخلو بقعة من هذه البلاد إلا وفيها كنيسة لها مميزاتها التاريخية التي وردت في الكثير من المصادر المعنية. وان أهم الكنائس التي كانت في طور عبدين كما يذكرها بطريرك هذه الكنيسة هي:
الكنيسة الكبرى ـ مدينة حاح، • مار أدي ـ قرية اشتركو، • مار باسوس ومار قرياقوس ـ قرية عردنس، • مار سابا ومار جرجس الكبرى ـ قرية عربية، • مار اسطيفانوس ـ قرية كفيت، • مار عبد الأحد (حدباشو) ومار هجلي ، • ومار يوحنا ـ عين ورد، • مار عزرائيل ـ قرية كفرزي، • مار قرياقوس الشهيد ـ كفربوران، • مار اسطيفانوس ـ في قرتمين، • مار ديمط ـ قرية زاز، • مار افرام اللفان ـ قرية باتي، • والدة الله ـ قرية باذي، • مار قرياقس ـ قرية انحل، • مار ايليا ـ باقسيان، • مار شمعون الزيتوني ـ حبسناس، • القديسة شموني ـ مدينة مذيات، • مار اخسنايا ـ مدينة مذيات، وهذه الكنيسة قديمة جداً، • مار ديمط ـ قرية اربو، • مار دودو ـ في باسبرينه، • مار اسيا، • مار اشعيا ـ في باسبريه، • مار برصوم ـ في باسبرينه، • كنيسة مجهولة الاسم ـ باسبرينه، • مار يعقوب اللفان ـ في ميدن، • مار برصوم وانبا بشوى ـ قرية عربان (شبه خربة) وتقع غرب قرية ميدن، • مار ديمط ـ قرية زاز، • والدة الله ـ مدينة مذيات، • مار افرام ومار تيودوروس ـ قرية اركم، • مار يقعوب ـ قرية كفرا العليا، • مار زاخي ـ حصن كيفا، • مار سابا ـ قرية بانعمم، مار ادي ـ قرية باسحاق، • الرغيف ـ قرية تمرس. أنظر: (مار افرام برصوم، طور عبدين، 214 – 216)

الفصل الخامس

الحدود الشرقية - أذربيجان

1 - الآشوريون و انتشارهم في أذربيجان وما جاورها

أذربيجان كانت تمثل الحدود الشرقية المتاخمة لوطن القبائل الآشورية المستقلة. والحدود السياسية التي كانت قائمة فترة البحث، كانت إلى حد ما ذات الحدود القائمة بين أذربيجان إيران، وتركية أوائل القرن التاسع عشر. غير أن الحدود التاريخية لانتشار الوجود الآشوري، قبل حصول التغييرات الحاسمة في التركيب العرقي والديني، الذي أحدثته موجات زحف، واستقرار العناصر الغريبة في هذه المنطقة، خلال القرن الحادي عشر، والخامس عشر وما بعدها، كما أشار الدكتور كرانت وغيره، نقلا عن المتعلمين المسلمين في أورمية. هذه الحدود والانتشار كانت مختلفة تماما عما كانت قد آلت إليه حالتها أواسط القرن التاسع عشر. إذ أن الامتداد الآشوري خلال القرون السابقة كان كثيفا، ليس فقط عبر السهول الواقعة إلى الغرب من بحيرة اورمية البالغة 80 ميل طولا و 50 ميل عرضا، وعبر مدنها الرئيسية: أورمية، سلامس، خسراوا، ديلمون، جالديران، ومئات القرى التي كانت موزعة في أقاليم **(يوشنك)**، و **(مركة ور)**، و **(تركة ور)**، و **(برادوست)**، و **(سوماي)**، و **(سلامس)**، و **(ديلمون)**. بل كانت كثافة انتشار الآشوريين واتباع الكنيسة الشرقية (من غير الآشوريين) واسعة في بقية

مناطق أذربيجان والأقاليم الفارسية الأخرى[1] . فالحضور الآشوري كان كبيرا في (مراغه)[2] ، فأبرشية مراغه العريقة، خدمت لفترة كمقر للكرسي الباطريركي للكنيسة الشرقية حين انقل إليها البطريرك مار يهبالاها الثالث اليغوري هربا من الاضطهاد والظلم الذي شمل الكنيسة واتباعها منذ 1295[3] . و (تبريز) التي كان فيها مطران للكنيسة الشرقية في عهد الإمبراطور الروماني زينو (474 – 491) وظلت مطرانية إلى عهد (مار يهبالاها الثالث). وكان آخر مطران لها سنة 1450، رغم ما تعرضت إليه من نكبات، منذ عهد (غازان محمود) سنة 1295.[4] ، حيث كان قد أمر بالقيام بمذابح شاملة ضد اتباع الكنيسة الشرقية، وتهديم أديرتهم وكنائسهم والاستيلاء على الصالح منها[5] . ماركو بولو، أواخر القرن الثالث عشر كان قد مر بها وذكر أخبارها، وما شاهده في دير القديس برصوما المجاور لها[6] .

[1] ولعل هذا يفسر قيام يوحنا ابن القس يوسف السرياني بترجمة الإنجيل في سنة 1221 من السريانية إلى الفارسية.

[2] مراغه كانت من المراكز المهمة للكنيسة الشرقية. إليها انتقل البطريرك مار يهبالاها الثالث بعد أن اشتدت الاضطهادات ضد المسيحيين عقب اعتناق المغول للإسلام سنة 1295. وشيد فيها البطريرك المذكور ديرا كبيرا ودفن فيه سنة 1317. هذا الدير وبعد إعلان الجهاد ضد المسيحيين من قبل غازان محمود "أخذه المسلمون فنقلت رفاته إلى دير مار ميخائيل في أربيل أنظر: عمرو بن متى، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل 124 – 125. ويذكر Vine, بأن مطرانية مراغه استمرت إلى الفترة المغولية التالية (أي أواخر القرن الثالث عشر). 118 – 117.

[4] Wiltsch, I: 237.

[5] يقول المؤرخ الكنسي Wiltsch, بأنه في سنة 1295 دمرت كنائس تبريز التابعة لمطرافوليطية أذربيجان. ويورد ضمن تلك التي طالتها أعمال التدمير في مدينة (سيدوسا) في مقاطعة تبريز دير مار داداي..II. 403

[6] يقول ماركو بولو أن دير مار برصوما كان فيه رئيس واعداد غفيرة من الرهبان. انظر:
Marco Polo, The Travels of Marco Polo. Book I: 33.

وكذلك ابرشية في مدينة (السلطانية)[7]. هذا وكانت المطرافوليطيات والأبرشيات التي كانت تابعة للكنيسة الشرقية تغطي جميع الأقاليم الإيرانية نتيجة الجهد التبشيري الذي كان قد بذله أبنائها المبشرون من بلاد ما بين النهرين.[8]

---

[7] كان المغول الايلخانيين (1258 — 1333 م) قد اتخذوها عاصمة لهم. وكانت الاتصالات التي قامت بين المغول وروما في القرن الثالث عشر الهادفة إلى إقامة تحالف ضد الوجود الإسلامي في المنطقة على أثر هزيمة المغول في عين جالوت سنة 1260 قد ساعدت النشاطات الكاثوليكية لتجد طريقها إلى عاصمة المغول هذه. ففي سنة 1318، مباشرة بعد وفاة بطريرك الكنيسة الشرقية مار يهبالاها الثالث (1281 — 1317) المغولي الذي تعرض إلى صنوف العذاب والاضطهادات. قامت روما بتأسيس مطرافوليطية لها للعمل بين الناجين من مذابح المغول التي استهلت منذ إعلان المغول وخانهم (الملك) غازان محمود الإسلام دين رسمي لإمبراطوريتهم في سنة 1295. لهذه المطرافوليطية كان قد نسب الدومنكاني **Francus** كأول رئيس أساقفة لها. وفي عهد البابا يوحنا **XXII** الذي كان يقيم في أفينون [أجبرت الخلافات والأحوال السياسية التي كانت قائمة آنذاك إلى هجر روما والاستقرار في مدينة أفينون **Avignon** الفرنسية 1309 — 1377. هذه الفترة شهدت هيمنة فرنسا على مقدرات الكرسي البابوي حيث أن جميع الباباوات السبعة الذين قاموا خلالها كانوا فرنسيين. إضافة إلى 111 كردينال من مجموع 134. وضمن ما تميزت به فترة الهيمنة الفرنسية على كرسي البابوي قيام حملات تبشيرية] . انظر: Encyclopedia Britannica, RR. Vol. I: 1982, 682.

ولقد أعقبه مطارنة كاثوليك آخرون في السنوات: 1330، 1347، 1393، 1400، 1401، وكان آخر مطرافوليط لها مرسل من روما خلال السنوات: 1423 — 1435. انظر: Wiltsch, II: 369 –370.

[8] أورد المؤرخ الكنسي **Wiltsch** في مجلديه الأول والثاني أسماء الكثير من المطرافوليطيات والابرشيات التي كانت قائمة عبر مراحل تاريخية مختلفة في بلاد فارس ومن ضمنها منطقة أذربيجان. ومن بين ذلك العدد أورد: مطرافوليطية (موكار) على بحر قزوين 1: 492. مطرانية همدان التي كانت تابعة لمطرافوليطية حلوان في العراق العجمي. 1: 488. وفي شيراز، عاصمة إيران القديمة، كان فيها مطرانية منذ فترة ما قبل الإسلام. 1: 235. ومطرافوليطية في جنديسابور التي في سنة 522 كان فيها خامس مطرافوليط، وكانت تخضع لها مطرانيات: سوسة، أهواز تستر أو شوشتر. 1: 231. وفي برادوز . 2: 165. وفي اصفهان. 1: 167. واورمية 1: 228، 530.

وكان هناك العديد من الأبرشيات التابعة للكنيسة الشرقية، منتشرة في مدن أذربيجان ك (اورمية)[9]، (سلامس)، (جالديران)، و (هيسنا ـ Hesna)، و (أوشني) الواقعة في السهول الجنوبية الغربية لبحيرة اورمية. في حين كانت (سلامس) مركزا مطرافوليطيا لأذربيجان وتشرف على جميع الأبرشيات التي كانت قائمة فيها. وظلت أغلبها تقدم الخدمات للأعداد الهائلة من أبنائها، حتى عاصفة تيمورلنك في نهاية القرن الرابع عشر[10]. أحد مؤرخي الكنيسة الشرقية يقدم لنا إحصائيات عن عدد أتباع الكنيسة في بلاد فارس وأذربيجان خلال فترة زحف، ومذابح، واضطهادات العناصر الغربية. ومما ذكره يتبين مدى الكثافة العالية التي كان عليها الآشوريون واتباع الكنيسة الشرقية خلال تلك الفترات[11]

[9] من بين المطارنة الذين حضروا سياميذ البطريرك مار سبريشوع الثالث (1064 – 1072) كان مطران اورمية. انظر .Wiltsch, I: 495. ويقول الدكتور ويكرام عنها: "واورمية هي مركز من أعرق مراكز النصرانية في العالم" أنظر: مهد البشرية، عربها الأستاذ جرجيس فتح الله. بغداد 1971. 186.

[10] يقول A. Vine قبل الغزو المغولي (1258) كانت مطرافوليطية أذربيجان تشكل رقم 15 في سلسلة مطرافوليطياتها والتي كان إلى جانبها مطرافوليطية تبريز [عاصمة أذربيجان]. وكانت تشرف على ابرشيات مراغة، أخلاط، في حين استمرت ابرشيات جالديران [موقع المعركة الحاسمة بين الأتراك والفرس في سنة 1514] وهيسنا وسلامس بعد العاصفة المغولية. 117 – 118. وكما نوهنا فان مطرافوليطية سلامس كان لها مطرافوليط خلال السنوات 1329، 1450. وكان أول مطرانها ملحقا بمطرافوليطية أربيل. انظر .Wiltsch, II: 372. أيضا: .Etheridge, 88 و .Laurie, 226

[11] عند حديث عن انتشار الكنيسة في فارس يقول في الباب السابع من سجله التاريخي ما يلي:

1. **مدينة كوه** كان يوجد فيه مطرابوليط اسمه مار يعقوب وجنسه من بلد طوران وكان يوجد تحت يده اسقفان: الواحد اسمه مار عمانوئيل جنسه من آمد والثاني اسمه مار صليبا وجنسه من الموصل. وكان لهم أربع كنائس وكان عدد المؤمنين ستة آلاف بيت جميعهم نساطرة في سنة ألف وأربعمائة وثمانين مسيحية في زمان البطريرك ايليا اوشعنا.

---

2. **مدينة السنا** كان فيها أسقف واحد اسمه مار إبراهيم وجنسه من بلد توريز وكان تحت يده ثلاث كنائس وعدد المؤمنين ثلاثة آلاف ومائتي بيت وهم نساطرة في سنة ألف وأربعمائة وثمانين، في زمان البطريرك ايليا اوشعنا.

3. **مدينة سنامصط**: كان يوجد فيها أسقف واحد اسمه مار بولس جنسه من بلد الشام وكان له كنستان. وعدد المؤمنين ألفى بيت نساطرة والتاريخ كأعلاه.

4. **مدينة اورمي**: كان يوجد فيها مطرابوليط كان اسمه مار توما جنسه من طهران. وكان تحت يده اسقفان: الأول اسمه مار ايليا جنسه من حلب والقاني اسمه مار ايلعازار جنسه من همدان وكان لهم أربع كنائس وكان عدد المؤمنين سبعة آلاف بيت وجميعهم نساطرة وكان ذلك في زمان البطريرك ايليا اوشعنا.

5. **مدينة توريز** :كان يوجد فيها أسقف واحد وكان اسمه مار ماري جنسه من بغداد. وكان له ثلاث كنائس وكان عدد المؤمنين تسعة آلاف بيت وهم نساطرة في زمان البطريرك ايليا اوشعنا.

6. **مدينة طهران**: وكان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار ايشوع جنسه من الموصل. كان تحت يده أربعة أساقفة: الأول اسمه حنا ايشوع جنسه من نصيبين. والثاني اسمه ابريخيشوع وجنسه من حصن كيفا والثالث اسمه مار دنخا جنسه من بيت المقدس. والرابع اسمه مار اوكين جنسه من همدان وكان لهم عشر كنائس داخل البلد وعشرون خارجها وكان عدد المؤمنين داخلا وخارجا اثني عشر ألف بيت وهم نساطرة في تاريخ سنة ألف وثلاث مائة وثمانين.

7. **أصفهان**: كان فيها سقف واحد اسمه مار أوكين اصله من تبريز، وكان فيها ثلاثة كنائس عدد المؤمنين أربعة آلاف عائلة كلهم نساطرة.

8. مدينة قرزوين: كان فيها أسقف اسمه مار ارداي اصله من كفر توت. وكان فيها ثلاثة كنائس وعدد مؤمنوها أربعة آلاف عائلة نسطورية.

9. **مدينة شيراز**: كان فيها مطرافوليط اسمه مار ايليشاع اصله من كركوك وتحت يده اسقفان: دانيال و داود وهما من دنيسر. وفيها أربعة كنائس وعدد المؤمنين ثمانية آلاف بيت. أما خارجها فكان هناك اثنا عشر كنيسة وجميعهم نساطرة.

10. **مدينة يزدن**: كان فيها أسقف واحد اسمه مار يوسف اصله من اصفهان، ولهم ثلاث كنائس وعدد مؤمنوها ثلاثة آلاف ومائتا بيت وهم نساطرة.

11. **مدينة خراسان**: كان يوجد فيها مطرافوليط اسمه مار يوسف اصله من شيراز وتحت يده اسقفان: مار إشعيا واصله من حلب والثاني مار شليطا واصله من قبرص. وكان لهم عشر كنائس داخل البلد وفي الخارج

هذا الانتشار الكثيف للآشوريين الذين كان عددهم بحدود سنة 1660 400.000 ألف إنسان ويملكون 121 كنيسة و 21 ديرا[12]، ظل يتعرض إلى عمليات تقلص تدرجي. وأضحت الخارطة الدينية واللغوية والأثنية في المناطق التي كان الآشوريون فيها بأعداد كبيرة تتغيير ملامحها بسرعة. فهنا في أذربيجان أيضا - كما كان الحال في حدياب وطور عبدين والجزيرة - اصبحوا أقلية في أرضهم التاريخية. وتزايد بوتائر سريعة نسبة المسلمين فيها من الأفشار والأكراد[13]. وهكذا فان من بين مئات القرى الآشورية في أذربيجان لم يبقي منها أواسط القرن التاسع عشر سوى ما يزيد على المائة قرية بقليل[14]

ستة عشر كنيسة وعدد المؤمنين في الداخل والخارج أحد عشر ألف بيت وهم نساطرة في سنة ألف وثلاثمائة وتسعين. انظر: تقويم قديم، 19 – 21.

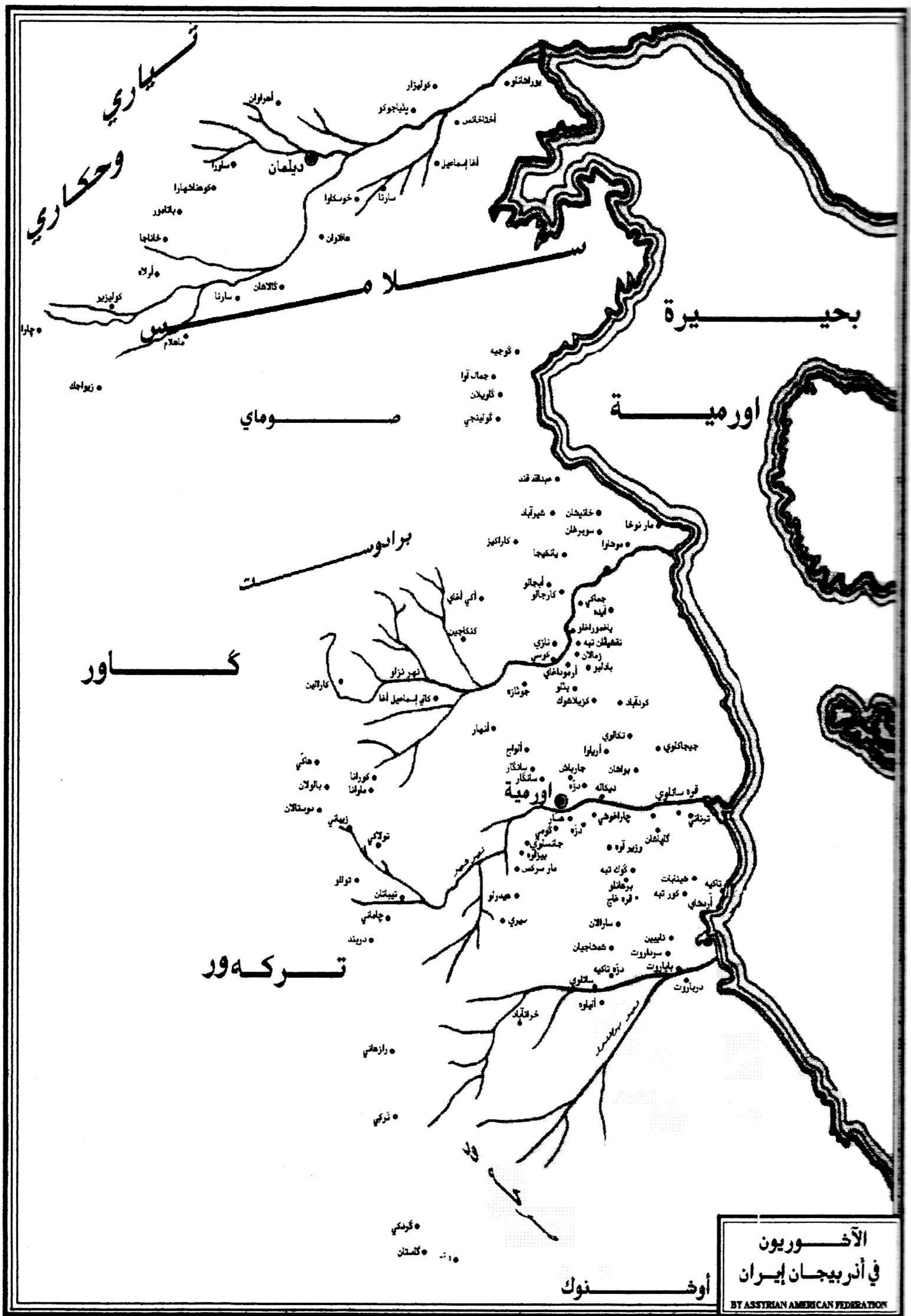
[12] ك. ماتييف، تاريخ الآشوريين بالروسية، منشورات جريدة أشور ص 13

[13] خلال فترة بحثنا يقول رئيس البعثة التبشيرية الأمريكية بان الأكراد كانوا بدو رحل. Perkins, Residence, 192.

[14] 14 وقت البحث كانت القرى التالية هي التي بقت من الكثافة السابقة

ابرشية مار كوريل: مقره قرية أردشاي ويتبه:

أردشاي ، تاكيا، ألكاي، بهاري، سردشت، إلازيو، درباري، درافا، ميرشغاري، مارادالوفي، كرالاري، ميرشكاري، كوك تبه، شا نابات، نازارآباد، كولي، دزاتاكيا، بلانوش، زويكن جيدرافا، بياتلاري، توبزاوا، شائتنافا، آلياوا، ديدان، ساثي، كاتالوفي، جوري مابات، تازه كانتن ءا الاونن شمشاجيان، كوك تبا، سرباكاموفي، ئو جوكن تتروش، بارهانالوفي، كاره براغوي، دزار، فزيرآوا، كالو جان، كولباشان، كولاراجان، كاراكوشي، ترمين، حسار، مار تاوردو، قره ساولوفي، تاسموربي، أيرياوا، بورشاي، ساوكر، يوتيهيفلاري، ديكالا، كولفاتاليجان، جرباش، سيوكير (2) سنسالوفي، باردككي، مار تايارتللو، بادالابوت، دزه راكالابي، آلي آفا (2)، سيري، مار سركيس، بسواكي، هسار، إشنك، تابه، كولاناوا، كارنوالكوزلي، جياوا، الماليك، ناقادا، كاراوانسارا، توبزاوا، أوجفار، بينكالا، باراني، باكتانا، هاسالوي، اورجازاوا،ممتير، جوبول، ديمير، دوجيل، داوركا، سانجبولو، دارالوك، قوزلكوبي، آجابشير.



تياري وحكاري
ديلمان
سلامس
بحيرة اورمية
صومـاي
برادوست
گاور
اورمية
ترگه ور
أوشنوك
الآشـوريون
في أذربيجـان إيـران
BY ASSYRIAN AMERICAN FEDERATION

ابرشية مار يوحنان:

جافيلان، جمالئفا، كيزاسوك، بائلو، كاوالا، بوزلوفي، هاوباباكو، قره قيز، تاكلوفي، جيكيلـــوي، آردوك، موشاوا، مار دوجا، كويجالاوي، أبديلاكندي، شيرابوت، يانكيخ، قـــره جـــالو، قرقيـــس، آبجـــالوفي، أكرياراتج، جماكي، يغميوراغلوز، زومالان، حسسار (2)، كوزي نازي، كـــتره، بـــادلو بيكـــابكلوفي، هاهاجابات، زانالوني، أرموتاخاج، سوبرخان، جانيشان، موشاوا، مار نوجه.

بعض قرى سهول سلامس:

* كوليسار، * باسجوكو، * اهراوان، * ساورا، * كوهناشاهارو، * باتامور، * خاناكـــــا، أ* ولـــلا، * كوليزر،* جيرا، يراشانلوي، * اختاخانس، * آغا اسماعيل، * سارنا، * خوسراوا، ه افتوان، * كالاشان، * سارنا، * ماهلام، * زاوجيك.

2 – الاضطهادات

الأرض الخصبة المعطاء، التي كان يملكها الإنسان الآشوري من جهة، وشخصيته التي صقلتها التعاليم المسيحية بروح التسامح والطاعة والخنوع، والعزوف عن جنة الأرض المادية، سعيا وراء الجنة الأبدية المثالية، من جهة أخرى، كانتا موضع تجربة واختبار تاريخي، في تعاملهما مع البداوة الطامعة بتلك الأرض. النتيجة التي فرزتها المحصلة النهائية للتجربة، كانت فقدان الأرض، وسحق مالكها. فعزوف مالك هذه الأرض عن الدفاع عنها، والركون إلى السكينة، وتحمل الظلم، تاركا الأمر لحكم السماء، لم يوقف زحف العناصر الهمجية، والبدوية الغازية، ويحول دون السيطرة على هذه الأرض، التي كانت مركز الحضارة والرخاء، والتخلص أبنائها بشتى الطرق والأساليب.

مع بداية المذابح المغولية أواخر القرن الثالث عشر، بدأ العد التنازلي بالنسبة للانتشار الآشوري في مختلف أقاليم وطنه. ومنذ أواسط القرن الحادي عشر، اختبرت الأقاليم الآشورية في أذربيجان، زحف السلاجقة التركمان، من دون أن يردنا ذكر، لحادثة واحدة، قاوم خلالها ذلك الحشد الكبير من الآشوريين، واتباع الكنيسة الشرقية، محاولات الغزاة، انتزاع أرضهم واستعبادهم. فلقد توالت الهجمات على التجمعات التي كنت تعيش في السهول الخصبة. وتدريجيا، جرى الاستيلاء على الأرض، وأصبحت القرى المزدهرة وأصحابها، في قبضة المستقرين الجدد، وتحت رحمتهم، التي لم يلمسوها في الممارسة اليومية.

وهكذا سار التاريخ الآشوري منذ ذلك الوقت بخطين متوازيين: أحدهما تمثل في النجاح المطرد للغزاة، في السيطرة على الأرض الآشورية، واستعباد أصحابها، والثاني تمثل في تقلص تلك الأرض، وأصاحبها تدرجيا. فمالك الأرض وسيدها منذ فترات ما قبل التاريخ، جعلته شخصيته المتسمة بظاهرة العزوف عن الدفاع عنها، يضع بنفسه طوق العبودية في رقبته. والنتيجة كانت، أن جهد أبناء القرى الآشورية في سبيل لقمة العيش، وكل ما يملكونه، أصبحت بنظر المستقرين الجدد سلعة مباحة لهم. وحين يكون طرفا كفة المعادلة هما (سيد) جهة، و (عبد) من جهة أخرى، فان العلاقة بينهما كما يعكسه التاريخ، يتمثل في سادية التعامل بين المالك والمملوك. من هنا فان البداوة بكل نزعاتها، وجدت أرضا خصبة، للتعبير عن ذاتها، وإشباع غرائزها. وتاريخ تعامل العناصر المستقرة مع سكان الأرض الأصليين، يظهر غياب الرحمة، والتسامح، في التعامل. ولما أضحت الأرض وما عليها ملك السادة الجدد، فان عملية فرض الإسلام على المسيحيين بحد السيف، كانت أمرا شائعا. وكذلك كان أخذ بناتهم، وخطف نسائهم، ناهيك عن انتزاع لقمة العيش من أفواههم. وهكذا تحول أولئك الذين حولوا أذربيجان إيران إلى (جنة فارس)[15] وسلتها الغذائية عبيدا في أرض آبائهم وأجدادهم.

ولقرون عديدة ظل آشوريو أذربيجان يتحملون الظلم والاضطهاد والمذابح بصمت. وباستثناء تقارير الدوائر الدبلوماسية الغربية في بلاد فارس، التي أشارت إلى بعض مما كان يحصل لهم من معاناة، والتي ظلت راكدة على الرفوف العالية

---

[15] Cutts, The Assyrian Christians. 24 – 25.

لوزارات الخارجية، فان الرأي العام العالمي، ظل بجهل تام عن ما كان يجري من ممارسات لا إنسانية، بحق قوم، كان كل ذنبهم، انهم أصحاب أرض معطاء، مشهورة بخيراتها، وأصحابها متمسكون بشدة، بعقيدتهم الدينية المسيحية. وهكذا كان قدرهم أن يعيشوا في الجحيم المفروض عليهم، من دون أن يكون لديهم، حتى وسيلة لترك الأرض، والهرب إلى حيث الأمان، رغم ما عرفوا به، من التصاقهم بأرضهم، وقراهم التي تحمل تاريخ، أجيالهم المتعاقبة ورفات آبائهم وأجدادهم، وكنائسهم، وأديرتهم التي تعبدت فيها تلك الأجيال.

3 – الهجرة إلى جورجيا وروسيا القيصرية

ولكن حين بدأ غزو المبشرين الغربيين لأتباع الكنيسة الشرقية في أذربيجان في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع عشر. تسنى تدريجيا للعالم الخارجي الإطلاع على صور، ونماذج مرعبة للاضطهادات. وأصبح العالم على بينة عن القسوة التي كانت تمارس ضد هؤلاء المسيحيين المسالمين. فمن خلال ما نشروه من حقائق عن واقع حياة اتباع الكنيسة الشرقية في تلك المناطق بدأت الصورة تتوضح. إلا أن شيئا لم يحصل للتخفيف عنهم، سوى المداخلات التي كانت تهدف إلى تحقيق مصالح ذاتية، والحصول على امتيازات خاصة من قبل الدول الغربية التي ادعت حرصها، وعدم قبولها بالمظالم المسلطة على آشوريي أذربيجان.

ولكن منذ أن ضمت روسيا القيصرية إلى ممتلكاتها، جورجيا المسيحية، في سنة 1801 بعد أن انتصرت في حربها مع إيران. اصبح لآشوريي أذربيجان،

نافذة على العالم الخارجي، يعبرون من خلالها إلى ارض الخلاص من الظلم المسلط عليهم. وأصبحت تفليس طريقا مألوفا، لكل القادرين على الوصول إليها. وأضحى الناجون، المستقرون فيها، وفي بقية مناطق القفقاس، جسرا لخلاص الكثيرين من أبناء سهول اورمية، وسلامس، وديلمان. ومنذ ذلك الحين، شكلوا جالية آشورية معتبرة عدديا واقتصاديا، في تلفيس، وفي مناطق القفقاس المختلفة، لاسيما (يرفان) وما جاورها[16].

فحين وصل أذربيجان إيران سنة 1831 المبشران الأميركيان Smith and Dwight فإنهما كان أول شئ أشارا إليه بشكل مفصل كان معانات (النساطرة) في أذربيجان. وعبرا عن ذلك بقولهما "النساطرة لا يستطيعون أن يواصلوا تحمل الظلم والاضطهاد، وعليه فقد عزموا على مغادرة البلاد"[17]

- **الظلم المسلط على الآشوريين في أذربيجان سبب ترك الأرض والهجرة**

كثيرة هي صور الاضطهادات المرعبة التي أوردها المبشرون والمستشرقون والرحالة والدبلوماسيون الغربيون التي كان يتعرض لها آشوريي أذربيجان. وإيراد بعض مما ذكروه يلقي الضوء على الواقع الذي كان سائدا، والذي عجل في هجر الأرض، واللجوء إلى عالم الضياع، بعيدا عن أرض الآباء والأجداد. فحين وصل

---

[16] ك. ماتييف، تاريخ الآشوريين. 22 – 24. ويقول Fortescue بأنه في سنة 1827 قامت مجموعة من العائلات الآشورية بالهرب إلى روسيا واستقرت في (يرفان) والتحقت بالكنيسة الروسية الأرثوذكسية. 119 أيضا: (Anderson, History, II: 288.). هذا وان كثيرون ممن لم تكن ظروفهم تسمح بترك عائلاتهم لفترة طويلة كانوا يقصدون جورجيا للعمل الموسمي. وان ما معدله 300 آشوري كان يقصدها لهذه الغاية. انظر مجلة: New Assyria, Feb. 1918. New York, 4.

[17] Armenia, II. 243 – 245.

سمث ودوايت إلى قرية (أيدا)، في الضواحي الجنوبية لمدينة (أورمية). فان أول شئ لاحظاه ورصداه، وجلب انتباههما، هو تجمع جميع أبنائها حولهم. وكان الدافع لذلك كما يقولان هو أنهم: "يحلمون بالأمل بأننا سنحررهم من الظلم والاضطهاد المسلط عليهم" وأضافا: "بينما نحن نتجاذب مع القوم الحديث عن قصص الظلم المأسوية المسلطة عليهم، والتي تمزق القلب. فان رجلا فقيرا قبض عليه، وجلد أمام الدار التي نزلنا ضيوفا فيها. والسبب كان: أن (الخان) الذي يملك القرية، طالبه بعشرة تومانات، أو إعطاءه ابنته. المسكين لا يملك في الدنيا سوى عنزتان، ولا يستطيع أن يوفر المبلغ المطالب به. وهو يحب ابنته، ولا يرغب في إعطائها لمسلم. وان مثل هذه الحالة متوقع لها أن تتكرر"[18]

4 – الكنيسة الشرقية وحصاد التبشير الغربي

على أثر التقرير الذي كان قد قدمه المبشران المشار إليهما بعد عودتهما إلى بلادهم، فقد تقرر إنشاء بعثة تبشيرية أمريكية دائمة للنساطرة[19] في أذربيجان،

---

[18] Armenia, II. 242 – 243.

[19] Anderson, I: 164 – 166.

عن قرار إنشاء بعثة تبشيرية أمريكية للنساطرة يقول سكرتير The American Board of Commissioners for Foreign Missions بأنه تقرر في سنة 1833 إرسال المبشر J. Perkins, وان التعليمات التي زود بها لعمل البعثة كانت:

1. التعرف على معتقد النساطرة
2. التعرف على أحوالهم مباشرة إذ أن المعلومات التي كان قد جمعها سمث ودوايت كانت أغلبها من النساطرة المتكثلكين.
3. التعرف على عددهم بدقة ومحل سكناهم، وطقوسهم ومعنوياتهم، وحالتهم العلمية والاجتماعية ...

4. عليك القيام بزيارة البطريرك مار شمعون. ولكن لما كانت الحالة الأمنية لا تسمح باجتيازكم لمناطق الأكراد فعليك القيام بذلك حالما تتهيا لك الفرصة

5. **أشعار النساطرة بعدم وجود أية نية لدينا بإخضاعهم وإلحاقهم باي كنيسة أخرى وان ما جاء في الإنجيل من الاخوة المسيحية هو الدافع لعملنا التبشيري وان هدفنا هو مساعدة الكنيسة النسطورية لكي تستعيد دورها السابق في آسيا.**

ومنذ سنة 1834 وصل رئيس البعثة وتبعه آخرون وفي مقدمتهم الدكتور كرانت (الذي هو موضع بحث مستقل). واستمرت البعثة الأمريكية هذه بالعمل لمدة 51 سنة. وخلال هذه المدة كانت البعثة موضع حماية مباشرة من قبل بريطانيا. أضف إلى هذا فإنها أي بريطانيا كانت تقدم الدعم المالي لها. انظر:

Armenia, 176., 266. Perkins, Residence, 139. يقول بان السفير كان مهتما بوصول البعثة إلى Wilson, Asia, 320. مقرها في أذربيجان. ويشكر على إرسال المبالغ المالية لهم ص 331. أيضا:

American Board, 1. Anderson, I: 352.

ورغم أن البعثات التبشيرية الغربية جلبت النكبات المدمرة للشعب الآشوري والتي كان في مقدمتها تفتيت وحدته القومية وتحويله إلى مجموعات حرصت على زرع التفرقة والعداء بينها. إلا أن لهؤلاء المبشرين حسنة لا يمكن تجاهلها إذا ما أردنا الحكم على عملهم بإنصاف. فلهم يعود الفضل في نشر التعليم بين أبناء الشعب الآشوري في الأزمنة الحديثة. ومثلت نشاطات البعثة التبشيرية الأمريكية في أذربيجان إيران نموذجا رائدا في نشر التعليم وسط التجمعات الآشورية في أورمية وسهولها. ففي يوم 18 حزيران 1836 فتحت أول مدرسة في أورمية (Laurie, 57) والحق يقال بأنهم توسعوا في فتح المدارس ليس للآشوريين فقط وانما للعناصر الأثنية الأخرى بلغت في نهاية القرن التاسع عشر 464 مدرسة (Wilson, 83.). ولقد توسع التعليم في اورمية لدرجة فتح مدارس ثانوية للذكور والإناث ومن ثمة كلية تخرج منها أعداد كبيرة في اختصاصات علمية وإنسانية. وكان عدد الطلبة سنة 1841 قد بلغ 516 طالبا (Anderson, I: 316) ثم ارتفع لاحقا لبلغ 1000 طالب. انظر:

Anderson, II: 305., Mrs. Bishop, 222 – 224, 231, 254.

المبشران الإنكليزيان ماكلين و براون يشككان بالنشاطات التعليمية الأمريكية فيقولان:

"ليس صعبا تعليم النساطرة. السؤال هو: ماذا تفعل بهم حين تعلمهم؟ بعضهم يستطيع ان يدخل سلك الكهنوت، بعضهم سلك التعليم وأقلية يمكن استخدامها من قبل المبشرين، كطباعين مجلدين الخ. ولكن في غياب وجود قاعدة صناعية وتجارية فانه ليس من السهل معرفة ماذا سيكون مصير الآخرين. أنظر:

Maclean and Browne, The Catholicos of the East and His People. London, 1892. 178-179.

إلا أن المبشرين الأمريكان كشفوا مع الوقت نواياهم الحقيقية على عكس ما أدعوه عن مهمتهم والتي تعهدوا أولا بعدم التدخل بشؤون الكنيسة الشرقية أو تحويل اتباعها إلى كنيسة أخرى. فلقد استقطعوا جزء

تتخذ من اورمية مركزا لها. وفي سنة 1834 وصل الدكتور J. Perkins إلى أورمية

واقعا تحت تأثيرهم الاقتصادي والثقافي وشكلوا منه كنيسة تابعة لهم استطاع السفير الإنكليزي الذي كان يوفر الحماية لنشاطاتهم في المنطقة وأن يستحصل على اعتراف رسمي بهم ك (ملة مستقلة). وكما يقول الميجر جنرال ولسون فان البروتستانت نجحوا في سنة 1868 في استقطاع جزء من النساطرة وضمهم إلى كنيستهم (Wilson, Asia, 320.). غير أن المبشر لوري يقول بأنه تم الاعتراف بالمجموعة التي كسبوها كملة في 3 تشرين الثاني سنة 1851 وكان عدد الملتحقين بهم 8 واصبح سنة 1860 عشرين شخصا. (Laurie, Khawaja Meeka of Mosul. Missionary Herald 23, 3, 1888. 16 – 17) أما من الناحية الثانية فقد فضح رئيس البعثة **J.Perkins** النوايا السياسية التي كانت السبب في تأسيس البعثة التبشيرية الأمريكية التي كان هدفها إخضاع القبائل الآشورية المستقلة، ومساعدة بريطانيا لإحكام سيطرتها على المنطقة. فلقد كتب عن هذه النوايا، نقتبس باختصار بعضا مما يقوله:

" الأوضاع السياسية الغير مستقرة في كردستان والسمة الوحشية للبلاد وسكانها تشكل بحد ذاتها صعوبات أمام العمل التبشيري. وإن الزيارات الوقتية للمبشرين لا يمكن لها أن تفي بالغرض. وان تأثير حالة الاضطراب السياسي القائمة لا يمكن معالجتها إلا من خلال إيجاد الطرق الكفيلة بالوصول الى الشرائح الاجتماعية المختلفة لذلك البلد المرعب. وليس هناك من شك بان السلاح الذي سيخضع النساطرة المستقلين المتوحشين، سيسطر بنفس الوقت على غيرهم وفي تقديرات خاصة سيدجن الأكراد الشرسين الذين يعيشون وسطهم. ولا يكون هؤلاء المسيحيين اسما مسيحيين من دون إمكانية اختراقهم والوصول إليهم وعند إخضاعهم سيكون ذلك سهلا. وسيكون النساطرة في وضع افضل في استفادتهم من المبشرين. فالنساطرة في أورمية المروضين والخاضعين لسيطرة المسلمين جعلت مهمة بعثتنا أكثر نجاحا وازدهارا من نشاطاتنا وسط ذلك القسم المستقل [يقصد تياري وحكاري] الذين هم تحت نزوات أشخاص لا يمكن السيطرة أو التحكم في أغلبيتهم والذين هم في ضلالة من التعاليم المسيحية الصحيحة. وإذا ما تم إخضاعهم فان المسيحية سيجري إحياءها بينهم ... وإن هؤلاء المتوحشين الجبليين [الأكراد] يجب تقييدهم تحت سيطرة حكومة نظامية والشيء ذاته بالنسبة إلى النساطرة. ... [ثم يخلص إلى الهدف النهائي الذي يرى وجوب تحقيه وهو إخضاع المنطقة لسيطرة الإنكليز] فيقول:

To the eye of the Christian observer, it is clearly not fortuitous chance, nor sagacity in the game of politics nor military skill or prowess, merely nor mainly, that is placing so much of Asia under British control. It is the hand of Providence the right arm of the God missions". Perkins, Residence, 501 –507.



طالبات ثانوية أورمية للبنات أواسط القرن التاسع عشر



طلاب مدرسة أورمية الابتدائية للبنين ـ أواسط القرن التاسع عشر

حيث أمضى فيها وفي سهولها ثمانية سنوات متتالية. المبشر المذكور أورد هو الأخر صورا مأسوية عن حالة الظلم والتعسف التي شاهدها بعينه والتي كان يتعرض لها أولئك الذين قدم للتبشير بينهم بالمسيحية (التي كان قد سبقه المبشرون الكاثوليك بعقود طويلة ونجحوا في استقطاع جزء من اتباع الكنيسة الشرقية)[20]. فلقد ذكر _ ضمن أمور أخرى _ عن منطقة كاور ما يلي: "... كاور كانت من أكثر المناطق خصوبة. النساطرة في الماضي، كانوا بأعداد كبيرة، ولكنهم كانوا باستمرار موضع هجمات الأكراد، واضطهادهم، لدرجة بقى منهم هناك أقلية قليلة. والأكراد يعاملون هؤلاء المسيحيين معاملتهم للنحل: يتركونهم لحين امتلاء خلاياهم وعندها يهجمون عليهم ويسلبونهم. قرية القس دنخا قبل

---

20 كتب (Longrigg and Stoakes) يؤكدان بان الاهتمام والتنافس الغربي من قبل الكاثوليك والبروتستانت على كسب اتباع الكنيسة الشرقية واليعقوبية كان لغرض الحصول على النفوذ السياسي. وان البروتستانت دخلوا حلبة الصراع بعد ان سجل الكاثوليك نجاحات ملموسة في هذا المسعى. (IRAQ: London, 1958, 74.)

وجهود الحملة التبشيرية الكاثوليكية التي كانت قد استهلت في القرن الثامن عشر في منطقة أذربيجان كانت قد أثمرت عن استقطاع جزء من اتباع الكنيسة الشرقية، لاسيما في أورمية وخسراوا حيث اصبحوا جزء من الكيان الكلداني الذي كانوا يسعون جاهدين لتوسيع قاعدته في هذه المناطق كما في غيرها من بلاد ما بين النهرين. فلقد ذكر الرحالة والمبشرين بان الكلدان في بداية القرن التاسع عشر كانوا منتشرين في قرى: خسراوا، أوولا، كوليز، باتافور (Patavor)، خاخيا، برباري (كانت ثلاثين عائلة منها قد هاجرت الى روسيا واستقرت في منطقة يرفان. إضافة إلى ستة قرى أخرى لم تردنا أسماءها، كما كان يوجد عدد من العائلات في سلامس. ويذكرون بان خسراوا كانت من أكثر مراكز الكلدانية كثافة حيث كان فيها 150 عائلة. وان مجموع الكلدان في أذربيجان سنة 1831 كان 2300 شخص ولهم مطران يقيم في خسراوا واربعة كهنة وكنائس عديدة. (Armenia, 186 – 188). ويذكر باركنس في سنة 1835 بان البابا كان قد عزم على إرسال 100 مبشر للغاية المشار إليها. Residence, 348.

بضعة أسابيع، سلب منـها كـل مـا كـانت تمتلكـه"[21]. والمبشـر يصـف بكلمـات محددة، حالة الآشوريين في أذربيجان بأنهم: "يعانون من الظلم والاضطهاد مـن قبل الأفشار والأكراد"، يورد العديد من الأمثلة الأخرى على يقول: فأثناء زيارته لقرية (أردشاي)، مقر المطران (مار كوريل) يقول: "القرى كانت مرتعبـة، الكـل التجأ إلى بيته واحكم غلق الأبواب"[22]

ويخبرنا الدكتور باركنس ايضا بان حملة واسعة قامت وسط الآشوريين في أذربيجان للطلب من قيصر روسيا القيـام بضـم بلادهـم إلى ممتلكاتـه أو مسـاعدتهم والسماح لهم بالهجرة إلى جورجيا[23]

- **نماذج أخرى من الظلم والاضطهادات**

الظلم والاضطهاد المسلط على آشوري أذربيجان في القسم الأول مـن القـرن التاسع عشر، وكما شاهده شهود عيان غربيين، كان مركبا، شمـل: مـلاك الأرض الأفشار، والأغوات الأكراد، والدولة على حد سواء. فالظلم، والاضطهـاد، والتميـيز الديني والقومي، كان مثبتا بحكم القانون المطبق من قبل سلطات الدولة[24]. في حين كان ملاك الأرض يعاملون اتباع الكنيسة الشرقية كالعبيد: يضطهدونهم، ويفرضون الضرائب الباهضة عليهم[25]. وإن عمليـات سـلب واغتصـاب كـل مـا كـان يملكونـه

[21] Perkins, Residence. 416.

[22] Perkins, 189.

[23] Perkins, 325.

[24] Shedd, Merry. Measure of Man. 71. Mrs. Bishop, Journeys, II: 240.

[25] Mrs. Bishop, 237 – 238, 240, 263, 272, 276, 324. O'Leary, Syriac, 72.

أوصلهم إلى فقر مدقع، لدرجة أن **(مار صليـوا)**، مطـران **(كـاور)** لم يكـن لـه مـا يكسو به جسده بشكل مقبول بعد أن سلب منه كل ما كان يملكه[26]. ويروى حـدود المعاناة التي كان يعيش فيها النساطرة في أذربيجان فيذكر: بـان البعثـة التبشـيرية الأمريكيـة، كـانت تقـوم ببنـاء بنايـة للأغـراض الصحيـــة، في قريـــة **(كافـــالان)** النسطورية. فأرسل الخان الأفشـاري [تركمـاني] رجـالا مسـلحين، قبضـوا علـى العمال وأشبعوهم ضربا، ثم طردوهم. وبعدها قبضوا علـى المطـران **(مـار يوحنـان)** وربطوه على العربة، ثم بدءوا بجلده بكل قسوة، وحصل هذا بحضوري"[27]

والوثائق الدبلوماسية البريطانية فيها مـا لا يعـد أو يحصـى مـن التقـارير التي تشير إلى الظلم والاضطهاد الذي كان مسلطا علـى الآشـوريين في إيـران. نـورد نموذجا منها:

- عن الظلـم في استحصال الضرائـب الـتي كـانت تفـرض علـى عمـل الفلاحين والمزارعين والـتي تسـتنفذ نسـبة عاليـة مـن الحـاصلات. كتـب القنصـل البريطاني في تبريز إلى المندوب السامي في طهران يقول:

---

[26] Perkins,, 304.

[27] Perkins, 378.

ويذكر المبشر بان مار يوحنان زارنا في أورمية وقال عن الحادثة: "ليس لي أي أمل لخلاصي وخلاص شعبي سوى الله من الخانات الفرس الذين قوتهم بسيوفهم والله معهم أيضا". ومما يذكر بان مار يوحنان حسب ما كتب عنه الكثيرين من المبشرين الذين عملوا معه كان يعتبر من أكثر المطارنة ثقافة وعلما ويعترف باركنس بأنه كان معلمه الذي على يده تعلم اللغة السريانية.

" الإسلام جمعوا الضرائب من جميع القرى النسطورية وإن ما أخذوه كان أكثر بكثير مما كانوا قد فرضوه عليهم في كثير من الحالات. قرية (**كوك تبه**) هجرها أهلها للأسباب التالية:

1 ـ إن القرية دفعت الضرائب للحكومة

2 - عسكر خان الأفشاري وبالاتفاق مع يحي باشا [حاكم أذربيجان] طالبوهم بدفع مبلغ إضافي قدره 220 تومان وهو المبلغ الذي تعود فرضه سنويا على القرية لحسابه الخاص حين كانت تحت تصرفه.

3 ـ الأمير (**بهمان ميرزا**) قد أعطى أوامره لأثنين من الخانات الأفشار على الأقل وهما: (**نازر على خان و حاجي على يار خان**) لكي يستولوا على القرى النسطورية التي كانت تحت سيطرتهم في السابق[28].

---

[28] F.O. 78 / 2699. Tabreez, 2 October 1845. From Mr. Abbott to Colonel Sheil.
Perkins, ذكر بان النساطرة يعانون من اضطهاد العناصر الإسلامية في أذربيجان:9. وان الصبايا يخطفون من قبلهم ويفرض عليهن الإسلام: 22. وإن حادثتان حصلتا مؤخرا في القرى المجاورة: "فتاة مشهورة بجمالها جاء إلى قريتها عشرون مسلحا وأخذوها بالقوة إلى رجل مسلم متنفذ في المدينة الذي سمع بجمالها فرغب بالزواج منها. ولما كانت مسيحية فانه لا يستطيع القيام بذلك ما دامت على مسيحيتها. فأجبرت على اعتناق الإسلام بالتهديد: 179. ومن الآثار المترتبة على إعلان المسيحي للدين الإسلامي فان أملاك العائلة تؤول لمن اعتنق الدين الجديد بعد وفاة الأب، ناهيك عن الآثار العذاب النفسي الذي تسببه مثل هذه الحالات التي يجبر فيها المسيحي على ترك دينه إذ أن مثل هذه الحالات لا تحصل طوعا بين النساطرة: 180. أما عن الضرائب التي كانت تفرضها الحكومة إضافة إلى تلك التي كان يأخذها مالك الأرض او القرية فتكاد تغطي كل ما يحتاجه الإنسان في حياته اليومية. إذ إضافة إلى الضرائب التي كانت تستحصل على الأرض الزراعية والكروم والبساتين من قبل الجهتين المشار إليهما فان الخراج أيضا كان يجبى منهم باعتبارهم أهل الذمة. كما وان الضرائب كانت مفروضة على الأغنام والأبقار غيرها: 280.

وبتاريخ 31 كانون الثاني سنة 1845 كتب المندوب السامي البريطاني لدى البلاط الفارسي إلى وزير خارجية بلاده ما يلي:

" استلمت من قنصل صاحب الجلالة العام في تبريز تقريرا عن الاضطهادات والمعانات التي يتعرض لها المسيحيون النساطرة في أورمية. وللتخلص من المعاملة القاسية لزعماء قبائل (الأفشار) التي تهيمن على المنطقة فان عدد من النساطرة المتلهفين للهجرة قدموا طلباتهم للحصول على جوازات سفر لهذه الغاية[29]

الاعتداء على النساء، وخطف الصبايا، كانت ممارسة اعتيادية، لم يكن هناك من مصدر يحول دون استمرارها أو إيقافها. الدبلوماسي البريطاني كتب يذكر بان النساطرة الآن مضطهدين أكثر من أي وقت مضى، وان 24 امرأة نسطورية قد خطفن من اورمية وحدها[30].

وإذا ما أردنا تقديم وصف دقيق للحياة اليومية للآشوريين في أذربيجان فإننا لا نجافي الحقيقة والواقع إذا قلنا بأنها كانت عبارة عن جحيم يومي، لأن الواقع كان كذلك. فالقتل، والسلب، والنهب، واخذ الصبايا والنساء بالقوة، وانتزاع اللقمة المطلوبة لإدامة الحياة من الأفواه، لم تكن كل ما كان يعانيه القوم. بل كان القلق وانعدام الأمن والاستقرار الشرطان المطلوبان لحياة الإنسان، والعيش بخشية دائمة مما يخبئه القدر يوميا من مفاجئات مرعبة هو الواقع السائد.

وإذا كانت عملية التصفية التي استهدفت الوجود الآشوري في المناطق الممتدة عبر سواحل أورميه، والسهول المحيطة بها قد تمخضت عن الانحطاط في

---

29 F.O. 78 / 2699. Tehran, 31st January, 1845. From Colonel Sheil to Aberdeen.

30 F.O. 78 / 2700. Oroomiah, 17th January, 1863. Extract from the Memo …

ذلك الوجود[31] من خلال تحطيم هوية وكيان هذا الوجود، وتحويل سكانه إلى مخلوقات مسلوبة الكرامة، والإرادة، فان عملية التغيير هذه كانت مستمرة من دون توقف وبكل حدة وبنسق في سهولها الغربية، باتجاه القلعة الآشورية الأخيرة، بلاد تياري وحكاري. ومنذ مطلع القرن التاسع عشر كانت عملية السيطرة على القرى الآشورية وتحويل أبنائها إلى أقنان قد سجلت نجاحا يعكسه واقع الزحف غربا حيث كانت عملية سلب الأرض الآشورية مستمرة. ففي هذه الفترة كان الحملة البربرية قد بسطت ظلالها السوداء على السهول الخصبة في أقاليم **(مركة ور)** و **(تركة ور)** و **(كاور)**[32] و **(شمسدين)** و **(ناوجيه)** وغيرها من الأقاليم على جانبي الحدود التركية ـ الإيرانية في منطقة أذربيجان.

هنا، بالقرب من الحدود الشرقية لوطن القبائل الآشورية المستقلة حصل آخر فصل من فصول الرعب، وسلب الأرض، واستعباد الإنسان الآشوري، قبل قيام العناصر الغريبة، التي ظلت خلال الألف الثانية للميلاد، تواصل زحفها الدموي للسيطرة على بلاد آشور، وتصفية أبنائها، وتحويل من تبقى منهم إلى عبيد، الهجوم الأخير والنهائي على **(بلاد تياري وحكاري)**، آخر حصن مقاومة آشورية ظل مستقلا خلال الفترة الممتدة منذ سقوط **(نينوى)** سنة 612 ق.م. وحتى سقوط

---

[31] الانحطاط الذي كانت التجمعات الآشورية قد بلغته في أذربيجان يمكن ملاحظته من مثال تقدمه قرية (أردشاي) التي كانت مقرا للمطران كوريل. إذ في هذه القرية كان يوجد خمسة كنائس المفترض إنها كانت تقدم الخدمات الروحية لمئات العائلات وإلا لما كانت قد بنيت. غير أن عدد العائلات التي كانت متبقية فيها سنة 1831. كانت مائة عائلة فقط. انظر: Armenia, 245 – 26.

[32] يعتبر واحدا من أخصب أقاليم أذربيجان ويمتد 18 ميلا من الشرق إلى الغرب، و 6 أميال من الشمال إلى الجنوب. انظر: Cutts, The Assyrians. 21.

(آشيثا)، مركز المقاومة والصمود سنة 1843 م. فلقد كانت ممارسات الظلم والاضطهاد المرعب في هذه المناطق امتدادا لما حصل في سهول **(اورمية)** و **(سلامس)** و **(خسراوا)** و **(براندوز)** وغيرها. نماذج من مآسي أبناء إقليم **(كاور)** تعكس ما تحمله أبناء الأقاليم الحدودية الذين كان قدرهم ان يكونوا آخر المجموعات التي تعاملت معها العناصر المستقرة بعد الضعف العام الذي وصلت إليه بقية أقاليم شعبهم وانعدام قدرات المقاومة والصمود جعلتهم هدفا سهلا لممارسة ابشع أشكال الظلم والاضطهاد.

والمعاناة اليومية التي كان عليها هؤلاء التعساء اطلع على بعض فصولها وأحداثها المبشرين والرحالة الغربيين. ففي قرية **(مار يوانا)** التي كانت قد اشتهرت بغناها، وازدهارها، كانت تتعرض لهجمات الأكراد المستمرة. وحين كانت الرحالة **Mrs. Bishop,** في تلك المناطق كانت شاهدة على سلب 900 رأس غنم منها بعد قبل عدد من أبنائها[33]. ذات المجموعة المسلحة عبرت إلى الجانب الأخر الذي هو منطقة **(مار بيشو)**، واخذوا 1460 رأس غنم منها أيضا[34].

والرحالة المذكورة قدمت لنا حالة رواها لها مطران مطارد ومهدد بحياته لأنه أختار الدفاع عن رعيته ضد الظلم المسلط عليها وهي في الحقيقة عينة لما كان يصل في جميع الأقاليم الآشورية الأخرى التي أصبحت تعرف بالرعية[35].

---

[33] Mrs. Bishop, Journeys, II. 272.

[34] Mrs. Bishop, II. 262 – 263.

[35] أوردت ما يلي: "مطران مطارد من إحدى الأبرشيات روى القصة التالية:

'هربت للنجاة بحياتي لأنني رفعت صوتي مرات عديدة ضد الظلم المسلط علينا. الأكراد أخذوا معظم ماشية قريتنا إضافة إلى أخذهم كل ما رغبوا به واحرقوها. كلماتهم كانت: "تعطي أو تموت". قدمت شكوى

5 ـ الاضطهادات وأثرها في تغيير الخارطة الاثنية والدينية

الظلم والاضطهاد المستمر، يفسر العوامل الكامنة وراء التغيير التدريجي في الخارطة الاثنية والدينية للمنطقة عموما، والانحسار السريع في الرقعة الجغرافية التي كان عليها الآشوريون. فعائدية الأرض كانت تتغير بسرعة من خلال اغتصابها بالقوة المسلحة. وما كان يعرف بقرية، أو أرض آشورية، سرعان تحول إلى كردية، ولكن ظلت فيها شواهدها التاريخية الدالة على هويتها عبر القرون الطويلة تشهد على الجهد والعمل والعبادة التي مارسها الآشوريون فيها. المستشرق الدكتور **W. Wigram,** الذي عاش سنوات طويلة في مختلف الأقاليم الآشورية، سواء في: بلاد تياري وحكاري، أو أذربيجان، وحدياب، وطور عبدين. خلال هذه السنوات، تعرف على عملية التغيير المشار إليه. وكتب عن ما كان يحصل في إقليم

للحكومة، فجاء محمد بك [زعيم المجموعة المهاجمة]، وانتزع مني بالقوة ختمي الكنسي وكتب بيانا باسمي مكذبا كل ما كنت قد ذكرته في الشكوى ثم ختمه بختمي وقدمه للحكومة. ختمي لا يزال معه منذ سنة، وهو الذي كان قد قتل ما يقارب الثلاثين مسيحيا من أبناء برور قبل ثلاثة أشهر. على أثرها هربت للنجاة بحياتي متنقلا بين قرية وأخرى.

... قبل خمسة سنوات كان الجميع يملكون ما فيه الكفاية من الملابس، والأرزاق الوفيرة. كل بيت كان له بقرتان وما يزيد على 200 رأس غنم. ولكن الآن حين أزورهم أخجل من النظر إلى النساء لعدم وجود ما مغطي أجسادهن بشكل محتشم فيضطرن إلى الانزواء في الزوايا المظلمة من بيوتهن لان ملابسهن ممزقة لدرجة لا توفر الستر لهن. كنت عطشانا فسألت عن اللبن: أجاب الرجال: ليس لدينا بقرة أو غنم أو عنزة. لقد نسينا طعم اللبن. مزارعهم العامرة استولي عليها بالقوة بزعم تسديد الضرائب. ثم تحدث عن قرية (أ) قائلا: كانت من أفضل القرى وأغناها إطلاقا. ذهبت هناك، وطلبت لبنا أجابوا: لا يوجد لدينا غنم، معز، بقر. سألت هل جميع العائلات حالهم مثلكم؟. أجابوا والدموع في عيونهم: كل ما تبقى لنا هو أيدينا. الآن نحن نخشى على حياتنا. كنا أغنياء. الآن ليس لدينا ما نسد به رمقنا من يوم إلى يوم. .. في النهار يؤخذ منهم ما يملكونه بالقوة. في الليل تؤخذ أغنامهم وماشيتهم". Mrs. Bishop, II. 295 – 296.

كاور في أذربيجان مقدما النموذج الذي أختبره الشعب الآشوري وأرضه عبر القرون التي أشرنا إليها فيقول:

"إن سهلا عظيم الخصوبة مثل هذا السهل كان يجب أن يكتظ بالقرى وبعدد كبير من السكان. ولكن القرى التي كانت هنا سابقا، ومعظمها نسطوري، هجر اغلبها واحتل الكرد بقيتها، فقلت كفائتها إلى حد كبير. حدث هذا لا بسبب ترك القرويين دينهم الأول واعتناقهم الإسلام فهذا أمر يندر حدوثه، وإنما كان نتيجة استيطان الأجنبي الذي يمكن تشبيهه بهجرة (السرطان الناسك)

ويمكن إجمال المسألة بما يلي: "قرية مسيحية يجاورها كرد، فتنزح إليها فئة منهم (لعل قريتهم ضاقت ذرعا بأعمالهم ولم يسعها احتمالهم، أو ربما كانوا خصوما لرئيسهم) فينزلونها ضيوفا بدون مقابل. ولا تقوى القرية على طردهم لأنها عزلاء، والقادمون مسلحون. والنحلة العاملة التي لا تملك شوكة، لا تتمكن من طرد اليعسوب ذي الشوكة اللاسعة. وإذا طلبوا عون من الحكومة في هذا، فان الطفيليين القادمين، يرشون الموظف، فلا يقوم بأي أجراء ضدهم (ثم أن البخشيش يبتز من القرويين أنفسهم)، ويأتيهم الجواب الرسمي " إن لهؤلاء الحق في السكنى حيث شاءوا". وإذا حاول أحد طردهم، حورب وضويق حتى الموت، وأرغم على ترك أرضه، ومغادرة القرية، فيضع الآغوات الكرد أيديهم على أرضه، ويجبرون القرويين الآخرين على العمل لهم دون مقابل. وطاحونة القرية أول ما يتم وضع اليد عليه عادة. وتذهب نسبة كبيرة من القمح أجورا لطحن الباقي. وفي الوقت نفسه فان كل من له بعض الإلمام بالطبيعة البشرية يمكن ان يتوصل بنفسه إلى

النتيجة المتحصلة من وجود هؤلاء الدخلاء بالنسبة إلى (الرعية(على شكل اضطهاد بسيط والآثار المترتبة على فتيات القرية.

وإذا نجحت الخطة، اقبل آخرون. ثم يقوم زعيم النازحين ببناء قلعة صغيرة مسخرا القرويين لذلك طبعا. وبالأخير يضطر السكان إلى النزوح عن القرية. والقلة الباقية تشتغل اقنانا [عبيد]، فتحرث أرض أصحابها الجدد وهي الأرض التي كان يملكها آباؤهم من قبل. وبهذه الطريقة تتبدل صفة القرية"[36]. وإذا رأى أحد قرية كردية ولها حقول زراعية جيدة وعلامات تدل على ذلك فإنه بالإمكان الحكم بكل ثقة على انها كانت بالأصل قرية مسيحية وان مصيرها تقرر بالطريقة المذكورة[37].

عملية التغيير القسرية هذه، والسيطرة على قرى وأراضي الآشوريين في أذربيجان إيران، كانت امتدادا كما قلنا لما كان يحصل وبشكل متواصل في الأقاليم الأخرى. وبما أن التواجد الآشوري في هذه المنطقة التي كانت تقع في الأقسام الشمالية الشرقية للانتشار الآشوري، لم يكن له ذات العمق العرقي والديني كما كان الحال بالنسبة إلى أقاليم المناطق الجنوبية والغربية. لذا كان التغيير هنا اكثر شمولية، وسرعة. ولعل نموذجا واحدا عن هذه الحالة يوضح ما كان يحصل من عملية خلق واقع جديد وإسدال الستار على القديم.

6 – السيطرة على القرى الآشورية بالقوة المسلحة

---

[36] دبليو ويكرام، مهد البشرية. ترجمة الأستاذ جرجيس فتح الله، بغداد، 1971. 165 – 166.

[37] W. Wigram, The Cradle of Mankind. London, 1922, 177 – 178. Perkins, ايضا يورد نموذجا لإخلاء الأرض الآشورية من سكانها. 417.

فمنطقة الحدود الشرقية التي كانت تحاذي بلاد حكاري شهدت بحـدود سنة 1820 واحدة من العمليات الكبرى المستمرة في السيطرة علـى الأرض الآشـورية من قبل الأغلبية المسلمة هناك. ففي يوم 7 تموز سنة 1849 رفع القنصل البريطـاني في الموصل تقريرا إلى سفير بلاده في القسطنطينية يقول فيه:

" يوم 28 من الشهر الماضي وصل إلى الموصل (ملك بنيـامين) الـذي هـو مـن رعايـا الأقاليم الواقعة على الحدود مع فارس، حاملا رسالة من مارشمعون موجه لي، مع التماس من جميع النساطرة القاطنين في تلك الأقاليم إلى درويش باشا (والي الموصل) يتوسلون فيها من سعادته لكي يبذل بعـض الجـهود لحمايـة أرضـهم والمحافظـة عليها من الاغتصاب والعمل على إعادة القرى المغتصبة حديثا.

الملك بنيامين أخبرني بان كل تلك الأقاليم كانت في السابق تابعة لتركيـة (آشورية) وانه تم اغتصابها خـلال الثلاثـين سـنة الأخـيرة. إن الرعيـة مضطـهدة بشكل مرعب، وانهم يعيشون معاناة يومية مـن غـزوات جيرانـهم الأكـراد الذيـن يهاجمونهم وينهبون أموالهم ويغتصبـون ممتلكاتـهم. ولقـد زودنـي الملـك بنيـامين بقائمة تشمل أسماء عدة أقاليم كانت سابقا نسطورية وتعود لتركية مع بيـان بعـدد القرى المغتصبة في كل إقليم كما هو موضح أدناه:

اسم الإقليم	عدد القرى المغتصبة
تل كاور	23
برادوست	54
سوماي	63

براد سور	20
مار كور (مركة ور)	216
المجموع	376 قرية

ويصف القنصل طبيعة الأراضي في القرى التي اغتصبت قائلا: هذه الأقاليم غنية بتربتها الصالحة للزراعة، وهي مزروعة بشكل جيد، وتنتج كميات كبيرة من الحبوب. هذا وفي البريد الماضي أرسلت الالتماس إلى بغداد وان الملك بنيامين قد ظل ينتظر هنا لحين استلامه جواب الالتماس من درويش باشا"[38]

عملية اغتصاب الأرض والسيطرة عليها كانت ترافقها صنوف الاعتداءات وسلب الصبايا إضافة إلى فرض الإسلام بحد السيف. ولما كانت هذه الممارسات من الكثرة نورد واحدة منها: ففي سنة 1724 تعرض آشوريو أذربيجان إيران إلى حملة اضطهادات شاملة قام بها الأكراد والأفشار. خلالها "فرضوا الإسلام عليهم بحد السيف وهدمت أديرتهم وكنائسهم"[39]

7 - الزحف التاريخي على الأقاليم الآشورية في أذربيجان

قد يتبادر إلى الذهن بان أذربيجان إيران غريبة عن الآشوريين، بسبب الواقع العرقي والديني الذي طبعها بطابع إسلامي - تركماني/ كردي خلال القرون الأخيرة. ولكن! خلال حقبات التاريخ، لم تكن الحالة كذلك. وان التركيبة

[38] F.O. 95 / 301 Mosul, 7 April. From Rassam to Sir Stratford Canning.

[39] بطرس نصري، ذخيرة الأذهان 11: 316.

العرقية والدينيـة، إضافـة إلي التسـمية الجغرافيـة هـي حديثـة. إذ أن الآشـوريين خلال حقبات ما قبل الميلاد، وبعـده، كـانوا يشـكلون نسـبة كبـيرة مـن العنـاصر القاطنة في هذه البلاد. الدكتور اساهيل كرانت، المبشر الأمريكي الذي سكن أورمية خلال الفترة المحصورة بين 1835 ـ 1844، متجولا ودارسا أحوالهـا مـن النواحـي الجغرافية والتاريخية والاثنية والدينية، يحدثنا عن التغيير الديموغـرافي الحـاصل فيها، مشيرا وموضحا من كان يسكن فيها قبل الإسلام، ومن زحف عليها خـلال القرون الأخيرة السابقة فيقول بهذا الصدد:

" إن المتعلمين من المسلمين الأفشار [التركمان] في أذربيجان إيران، أخبروه بأنهم ليسوا من السكان الأصليين للبلاد، وإنما قدموا إليها من (**خوزسـتان**)، والأقسـام الشرقية ل (**بحر قزوين**). وان قدومهم واستقرارهم في المنطقةن حصل خلال بضعة قرون ماضية. .. وان هؤلاء المتعلمين أخبروه أيضا: **بأنه ليس هناك أدني شـك في قدم، وعراقة، تواجد النسـاطرة [الآشـوريين] في هـذه المنـاطق؛ إذ أكـدوا لـه بأنهم كانوا هنا قبل العصر المسيحي**"[40]

زميلـه، رئيـس البعثـة الدكتـور **Justin Perkins**، تحـدث عـن ذات الموضوع وقال: بان الأفشار الذين كانوا يشكلون ثلاثة أرباع المسلمين في اورمية هـم قبيلة تركمانية محاربة، اصلها من أفغانستان وفارس.[41]

---

[40] Dr. Grant, Nestorians, 225

[41] J. Perkins, Residence, 259.

أما المؤرخ الكردي (علي سيدي الكوراني) فعند حديثـه عـن النسـاطرة في أذربيجان إيران عامة، واورمية خاصة، يقول عنـهم ب"**أنـهم أحفـاد الآشـوريين القدماء.**"[42]

وبخصوص تواجد الأكراد في هذه المنطقة وضمن المناطق الـتي كـانت عـبر مراحل التاريخ مسكونة بالآشوريين فان ابن الأثير، مـؤرخ القـرن الثـالث عشـر ، وهو يتحدث عن حوادث سنة 293 هجرية (906) ميلادية فانه يقول: بان الأكراد كانوا حول جبل قنديل (رحل) طوردوا، فتوجهوا نحو أذربيجان.[43] ويحدثنا عن حوادث سنة 369 هجرية (980م) ذاكرا بان الأكراد قاموا بالزحف نحـو سـهول شهرزور من مناطق **(الدينور)**، و **(همدان)**، و **(نـهاوند)**، و **(الصامغـان)**، ومـن بعض أطراف أذربيجان قبل نحو خمسين سنة.[44]

وإذا كان التركمان الأفشار قد قدموا المنطقـة في القـرن الحـادي عشـر مـع الموجة السلجوقية، و الثـالث والخـامس عشـر [مـع المغـول و تيمورلنـك]، فـإن عملية الاستقرار الكردي، في مناطق سكن الآشوريين في أذربيجان إيران كـانت قـد حصلت على نطاق واسع بعد سنة 1295 أبان المذابح الجماعية التي قام بها المغول بالتحالف مع الأكراد. عامل آخر يعزى له المساعدة في حصول التغيير في الخارطـة السكانية الدينية واللغوية والاثنية، وهو السياسة الاقتصادية الـتي اتبعـها الحكـام المغول وخلفائهم. فغازان محمود، الذي دخـل التـاريخ بإعلانـه الديـن الإسـلامي

[42] علي سيدي الكوراني، من عمان إلى العمادية. 204.

[43] ابن الأثير، التاريخ، 6: 426 – 427:

[44] ابن الأثير،7: 388.

الدين الرسمي للدولة المغولية، قـام بتكريـم جميـع رؤسـاء القبـائل الـتي سـاهمت بتنفيذ حملته ضد الوجود المسيحي في المنطقة بقيـادة (**نـوروز الكـردي**)، القـائد العام لقواته، والشخصية التي كـانت وراء إقناعـه بقبـول الإسـلام. فلقـد اسـتقطع للزعماء المشاركين في الحملات المذكورة، إقطاعيات واسعة من الأراضي الخصبـة، التي كانت تعود للمسيحيين من اتباع الكنيستين الشرقية والسريانية الأرثوذكسـية وأعطاها لهم، ولأتباعهم، ومؤيديهم.

عملية انتزاع الأرض تكثفت أبان مذابح تيمورلنك (1393 ـ 1401) الذي أباد الغالبية العظمى من الشعب الآشوري [بعض التقديرات تضع رقـم 9 ملايـين لضحاياه منهم]. فقام بوهب الإقطاعيـات هـو الآخـر إلى العنـاصر الـتي سـاهمت بمذابحه، وأعلنت الولاء له. هذه حقيقة أشـار إليـها شـرف خـان البدليسـي مـن أواخر القرن السادس عشر. فلقد كتب في الشرفنامة بان (**تيمورلنك**) اكرم الزعيـم الكردي (**عز الدين شير**) واهبا إياه القسم الكردي من حكاري، إضافة إلى تكريمه لزعماء آخريـن. حصـل هـذا في الوقـت الـذي عـرف عنـه إبـادة جميـع العنـاصر المتواجدة في المنطقة، لاسيما الآشـوريين والأرمـن والسـنة مـن الإسـلام، الذيـن لم ينظموا إليه.[45] وممـا يذكـر بـان تيمورلنـك فعـل ذلـك، بعـد أن دمـر التجمعـات الآشورية، والأرمينية المحيطة بمدينة (**فان**) وعلى امتداد السهول الغربية لبحـيرة

[45] شرف خان البدليسي، الشرفنامة، 1: 88.

اورمية، من مناطقها العليا حتى اورمية، ولكنه لم يجرأ على منازلة القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري.[46]

ولما كانت السلطة السياسية في الواقع قد آلت إلى العناصر التركية وحلفائها منذ بداية القرن الحادي عشر، واستمرت إلى سقوط الدولة العثمانية، فان حالة الصراع التي تواصلت هذه المرة بين العثمانيين من جهة، وبين الفرس الصفويين من جهة أخرى، كان لها إفرازاتها ودورها في تكثيف عملية الاستقرار في الأقسام الشرقية لوطن القبائل المستقلة، وفي بقية الأقسام الأخرى. **(باسيل نكتين)** يخبرنا بان الأكراد الذين هاجروا إلى المناطق المحيطة بمدينة اورمية والأقاليم المجاورة لها، والذين كان اغلبهم من اتباع **(قبيلة موكري)** الكردية الكبيرة العدد، فان سيطرتها على تلك المناطق، تمت بسبب ما تطلبته التحالفات السياسية والعسكرية، خلال فترة الصراع المشار إليه. هذه القبيلة هاجرت إلي هذه المنطقة بعد أن منح لها السلطان العثماني **(مراد الثالث)** أراضي واسعة تمتد من **(اورمية إلى الموصل)**. ومن خلال شرحه الدور المزدوج الذي لعبته هذه القبيلة - كما كان حال غيرها - فيذكر، بان اصطفاها مع الجانبين المتحاربين: مرة مع العثمانيين، وأخرى مع الفرس، كان وراءه كسب مغانم اصطفافهم هذا. فكما قلنا فان هذه القبيلة كانت قد قدمت ولائها، ووضعت قدراتها القتالية، بخدمة العثمانيين في عهد مراد الثالث، الذي أكرمهم ومنحهم الأراضي الواسعة المشار

[46] هنا في هذه المنطقة أقام تيمورلنك واحدة من الأهرامات الكبيرة من رؤوس عشرات الألوف من ضحاياه. اما تلك التي كان قد أقامها في بغداد فقط ضمت راس 9 إنسان من أبنائها. انظر :ريجارد كوك بغداد مدينة السلام ..

أليها. ولكن، مع بروز نجم الصفويين الفرس، وتفشي الانحطاط في الدولة العثمانية، فانهم استبدلوا ولائهم، حين ظهر لهم، بان المكاسب والمغانم، تكمن عند الجانب الأقوى الذي أصبحت بيده المبادرة السياسية، والعسكرية، وكانت هذه المرة في يد الصفويين[47]. أما المستشرق الشهير فلادمير مينورسكي، فعند تناوله موضوع الوجود الكردي في المناطق الواقعة إلى الشرق من وطن القبائل المستقلة، فيذكر بان استقرار الأكراد في المناطق السهلية، من الأقسام الجنوبية لبحيرة اورمية، هو حديث العهد، وحصل بعد استقرار التركمان الافشار فيها، مؤكدا هذه الحقيقة بقوله: " **أما بالنسبة إلى الأقسام الجنوبية من بحيرة اورمية فان الأكراد سكنوا فيها في وقت متأخر نسبيا**"[48]

8 ـ الحدود الشرقية بعد حملات الزحف:

الحدود تميزت بحالة لم تكن تتوفر بذات الوضوح في حدود الأقاليم الأخرى المحيطة بوطن القبائل المستقلة، وهي ظاهرة تواجد أعداد كبيرة من القبائل الشبه مستقلة على امتداد الشريط الحدودي، لاسيما في المناطق التي هي ذات طبيعة سهلية وجبلية مزدوجة. وعليه فان هذه الحدود تمثل دلالات خاصة بها وتعكس السياق التاريخي الذي بموجبه فقدت الأرض الآشورية وأضحت بيد عناصر غريبة عنها تاريخيا. فهنا على الحدود الشرقية لحكاري كانت آخر محطة وقف عندها الغزاة والمستقرون الجدد.إلا انها عجزت عن إخضاع القبائل

---

[47] باسيل نكيتين، الأكراد، ص 144، 146

[48] فلادمير مينورسكي، الأكراد. 13

المستقلة فكما يقول السير هنيري لايارد فان بلاد النساطرة المستقلين لم يستطع عبر التاريخ أي غازي من الدخول إليها والسيطرة على أبنائـها.[49] هـذه الحالـة تفسر الدوافـع الكامنـة وراء المؤامـرة الكـبرى الـتي تعرضـت لهـا سـنة 1843 م. بغيـة إخضاعها النهائي والقضاء على استقلالها. من هنا فـان اشـتراك أكـثر مـن جهـة محيطة ببلاد تياري وحكاري سواء كانوا أكراد تركية أو إيران في الحملة الشاملة لإخضـاع هـذه القبـائل الشـجاعة كـانت عمليـة جيوبولتيكيـة محسـوبة لغايـات مستقبلية، لها ارتباط مباشـر متعلـق بالحالـة الـتي آلـت إليـها عمليـة الزحـف، وتطويق وطن هذه القبائل التي كانت تشكل عازلا بين المراكز المستقرة التي كـانت في هذه الفترة تطوق وطن القبائل الآشورية المستقلة من جميع الجهات. وإزالة هـذا الحـاجز كـان الوسـيلة الوحيـدة الـتي تحقـق الاتصـال بـين التجمعـات الكرديـة المتواجدة في إيران وتلك التي استقرت في طـور عبديـن والجزيـرة مـن جهـة وبـين أولئك الذين استقروا في أرمينيا من الشمال وحدياب من الجنوب.الحاجز السياسي والعسكري الذي يفصل التجمعـات الكرديـة المحيطـة في المنطقـة لكـل مـن إيـران وتركية يحول دون تواصلها الجغرافي والعرقـي واللغـوي. فوطـن القبـائل المسـتقلة كان يمثل القلب بالنسبة لمناطق الاستقرار الكردي.

القبائل المستقلة والرعية:

الحالة التي كانت قائمـة عنـد مشـارف الحـدود الشـرقية لوطـن القبـائل المستقلة قبل إخضاعها، كانت تحمـل خصوصيـة خاصـة بـها، بموجبـها كـانت العديد من القبائل الأخرى قد أضحت شبه مسـتقلة في حـين الأكثريـة كـانت قـد

[49] Henry Layard, Nineveh and its Remains ,I: 258

تحولت إلى رعية. وعليه فان إيضاح هذه الإشكالية هي مسألة ضرورية لاستكمال رسم الخارطة السياسية والاقتصادية للتجمعات الآشورية المحيطة بوطن القبائل المستقلة.

ويمكن القول بأن ظاهرة وجود قبائل آشورية شبه مستقلة مجاورة لمناطق الرعية من جهة والقبائل المستقلة من جهة أخرى كانت حالة تميزت بها المناطق المجاورة لوطن القبائل المستقلة الواقعة إلى الشرق أكثر من غيرها من الجهات الأخرى. فهذه المناطق اتسمت بظاهرة التداخل ما بين القبائل الشبه مستقلة والرعية. وإذا ما حاولنا إعطاء هذه الظاهرة تفسيرا جغرافيا فنقول: بان المناطق السهلية البعيدة عن نفوذ القبائل المستقلة المتحصنة في جبالها العاصية أضحت خلال مراحل الزحف المشار إليها خاضعة للسيطرة المباشرة للعناصر الغريبة التي انتزعت الأرض من أصحابها الشرعيين واصبحوا يعرفون ب (الرعية). أما تلك الأراضي المتموجة التي تتخللها الجبال، والتي كانت قريبة من القبائل المستقلة، وبذات الوقت محاطة من جهة أو أخرى بالسهول، فأصبحت تعرف ب (شبه المستقلة) لان قبائل تياري وحكاري كانت تقدم لها المساعدة وكذلك موقعها.

وطن
القبائل الآشورية المستقلة

ماحمدان
بزرواري
حكاري
تياري العليا
تياري السفلى
والطو
آشيثا
قصران
تخوما
باز
چال
جلو
برور
نروه

By Assyrian American Federation

القسم الثاني

القسم الثاني

الفصل الأول: وطن القبائل الآشورية ودولتها البدائية المستقلة

"هذه هي البلاد التي يقال عنها بأنه ليس هناك من قوة نجحت بالسيطرة عليها أو إخضاعها"

59 - 61

المقدمة:

كان للطبيعة الجغرافية الوعرة التي تميز بها وطن القبائل المستقلة، والأقاليم الجبلية التابعة لخط مار شمعون، أثرها المباشر في ديمومة حالة الاستقلال السياسي والديني التي تمتعت بها القبائل لقرون طويلة في وطنها. حيث ساعد هذا العامل أبناء هذه القبائل المتميزين بروحهم القتالية، واستعدادهم الدائم للدفاع عن أرضهم وشعبهم، على المحافظة على وطنهم واستقلالهم وعدم خضوعهم لسلطة أجنبية[1]. من هنا فإننا حين نتحدث عن وطن القبائل المستقلة وشعبها فإننا في الواقع نتحدث عن شعب ودولة بكل معنى الكلمة، حيث أن مقومات الشعب والدولة كانت متوفرة فيهما. فحسب فقهاء القانون الدولي، فان مقومات الدولة المستقلة هي: **الأرض، والسكان، والسيادة.** هذه المقومات كانت تنطبق بشكل واضح على القبائل الآشورية في بلاد تياري وحكاري طوال فترة القرون الماضية للقضاء على استقلالها. ومن خلال التعرف على الواقع الذي كان قائماً فان الشروط التي بموجبها يحدد فقهاء القانون مقومات الدولة المستقلة التي حصل الإجماع عليها فان هذه الشروط تنطبق على القبائل المذكورة.

[1] يعرف قاموس Webster's معنى الاستقلال بأنه: حالة حكم ذاتي وارض لا تخضع أو تسيطر عليها قوة أخرى، ... متحررة من سيطرة ونفوذ الآخرين:

Independence, an autonomous state, a territory not controlled or dominated by another power. .. free from the authority, control or influence of others, self-governing. 1988 edition, Lexicon publications, New York. 491.

أولا- الركن الأول: الأرض[2]

كما نوهنا في الفصل الأول من القسم الأول، فان القبائل المستقلة وتلك التابعة لبطريركية مار شمعون الجبلية كانت تشغل مساحة جغرافية واسعة جدا. وكانت في الواقع أكبر مساحة من العديد من الدول القائمة حاليا في منطقة الشرق الأوسط.. فلقد كان أتباع مار شمعون منتشرين كما قلنا ضمن منطقة تمتد لمسافة 300 ميل طولا و 200 ميل عرضا. وهذه بكل تأكيد، مساحة لا تتوفر عند عدد كبير من الدول المستقلة التي برزت كياناتها بعد ما يزيد على القرن والربع من الزمان، في المنطقة المشار إليها. أضف إلي هذا، ذلك العمق السكاني، والانتشار الاثنى للشعب الآشوري، في الأقاليم المحيطة به، والذي كان يمثل عمقا ستراتيجيا هاما على الصعيد القومي والديني واللغوي. فالآشوريون كانوا متواجدين بكثافة إلى الجنوب والغرب والشرق من الدولة الآشورية البدائية هذه.

---

[2] فقهاء القانون الدولي وضعوا الضوابط والشروط المطلوبة لحقوق السيادة على الأرض التي تمارسها مجموعة منظمة من الناس لها مؤسساها الخاصة بها على أرض محددة حدودها ولا تكون عرضة لتجاوز دولة أخرى. وفي حالة القبائل الآشورية ووطنها فان هذا الشرط كان منطبقا. إذ كان في المنطقة المحيطة بها دولتان قويتان هما تركية وفارس، ورغم ما تميزت به هاتان الدولتان من قوة وهيمنة على المنطقة فالهما خلال تاريخهما لم يحصل وان نجحوا ولو لمرة واحدة في السيطرة على وطن القبائل. وكذلك الحال مع جميع الغزاة الذين غزو بلاد ما بين النهرين لم يتمكنوا من اختراقه والسيطرة عليه. **John Basset Moore,** عالم القانون الدولي حين تناوله مسألة السيادة على الأرض كركن وشرط من شروط الدولة المستقلة يقول:

exercises within its own territory an absolute and exclusive jurisdiction, and

The benefit of this principle equally ensures to all independent and sovereign states, and is attended with a corresponding responsibility for that takes place

Nation. 2nd ed. New York, 1952. 299.

لقد كانت واحدة من الخصائص الهامة التي وفرتها طبيعة وطن القبائل الجغرافية والتي ساعدت على إبراز الحالة القانونية والسياسية التي نحن بصددها، هي وعورته البالغة، التي كانت توفر أسباب حمايته والدفاع عنه، والحيلولة دون تمكن الغزاة من اختراقه والسيطرة عليه من الناحية الأخرى. فبلاد تياري وحكاري كانت من الناحية الجغرافية تشكل واحدة من أكثر مناطق العالم وعورة. وكانت مقسمة إدارياً إلى أقاليم مختلفة حسب القبائل التي كانت تسكن كل إقليم.

1 – أقاليم وطن القبائل المستقلة في تياري وحكاري[3]

وللتعرف على أقاليم تياري وحكاري المستقلة، وتلك التابعة لرئاسة البطريرك مار شمعون من القبائل الشبه مستقلة والرعية[4]، فإننا نستطيع القيام بذلك بدلالة مسار نهر الزاب الأعلى. فكلا إقليمي **(تياري العليا)** و **(تياري السفلى)** يقعان على الجانب الأيمن لمسار النهر. في حين تقع الأقاليم الأخرى

---

[3] لقد استخدمنا في بحثنا هذا تسمية (تياري وحكاري) التي كانت شائعة الاستعمال لفترات تاريخية طويلة. وأهملنا التسمية الحديثة "حكاري". التي استحدثت بعد صدور نظام الولايات إذ قسمت أناضوليا في سنة 1964 أ إلى 14 ولاية. (Justin McCarthy, Muslim and Minorities. London, 1983. 1). أما "سنجق حكاري" فقد استحدث سنة 1888. وأصبحت جولرك الواقعة بالقرب من قوجانس مركزا له. انظر: Wilson, Asia, 239 ويذكر سمث ودوايت: "إن جولرك هي قلب كردستان. وهي عاصمة حكاري التي تحتوي على جبال وعرة وصعبة الاختراق. ويسكنها النساطرة الذين يسمون **(عشيرت – Ashiret)** والذي معناه القبائل التي لا تخضع بالولاء لأي سلطة غريبة. Armenia, 217 218.

[4] تعدد سرما بيث مار شمعون القبائل المستقلة التالية: تياري، تخوما، جيلو، أشتازين، بـاز، دز. وان أكبرها قبيلة تياري التي عاصمتها آشيثا البالغة ستة آلاف نسمة. وإن هذه القبائل المستقلة كانت تشرف على العديد من القبائل المجاورة لها ومنها: ليوان، جال، كو، كاور، وغيرها.
Surma D'Bait Mar Shimun, Assyrian Church Customs. 66 - 68



بحيرة
بحيرة ارشاك
ڤـان
ڤـان
خوشاب
برور سويني
برور شواوثا
ديلمـان
سـلامـس
باشـقلة
برادوسـت
بحيرة اورمية
اورمـيـة
دزه
قوجانس
تيـاري العلـيا
دز
تـال
بـاز
جـيلو
تيـاري السـفلى
تخـوما
آشـيثا
دوري
بـرور
چـال
اورامـار
نيري
منكيش
العمادية
بيبيدي
مارعوديشو
صـبنا
بـرزان
د. مارياقو
بافيـان معلثايا
عقرة
الشيخان (اليزيدية)
د. ربان هرمز
القوش
نهر الزاب
راونـدوز
د. مارمتي
خورسباد
حريـرة
د. مار كوركيس
الموصـل
اربيل
نمرود
نمـرود
بعض أقاليم وطن القبائل المستقلة والمجاور لها
عواصم و مواقع آشـورية قديمـة

على يساره. لنبدأ ب (**تياري السفلى**) التي تقع مباشرة إلى الشمال من (**إقليم بَرور**) العراقي الواقع إلى الشمال من (**العمادية**). في حين يقع (**إقليم تياري العليا**) إلى الشمال، والشمال الشرقي منها. وفي النواحي الشمالية الشرقية لتياري العليا، يقع (**إقليم سيلاي**)، وابعد منه نحو الشمال الشرقي أيضا، يقع (**إقليم بي جيلان**) وإلى الشمال منه مباشرة يقع إقليم (**بَرور سْويني**). أما من النواحي الغربية فكانت كما قلنا تشرف على سهول ما بين النهرين التي يطل عليها طور عبدين. هذه المنطقة عرفت تاريخياً باسم (**بلاد تياري**)

أما (**بلاد حكاري**)، فان أقاليمها تتوزع على النحو التالي، وابتداءُ من الأقسام الجنوبية أيضا:

(**إقليم منيانيش**) يقع مباشرة إلى الشمال من (**إقليم نروة**) العراقي، وإلى الشمال منه يقع (**إقليم تخوما**) وإلى الشمال الغربي (**إقليم قصران**) وإلى الشمال منه (**إقليم والطو**). في حين إلى شرقه يقع (**إقليم جَال أو تال**) وأبعد شرقاً (**إقليم جيلو**) وإلي الشمال من الإقليمين الأخيرين يقع (**إقليم باز**). أما (**إقليم دِزْ**) فيقع إلى الشمال والشمال الشرقي منه.

أما الأقاليم (**الشبه مستقلة**) و (**الرعية**)، فكانت بصورة عامة بالقرب من الحدود التركية ـ الإيرانية في منطقة أذربيجان، وفي النواحي الشمالية المتاخمة للتجمعات الأرمينية، حيث في كلا المنطقتين كان يتواجد ما يعرف بالقسم الكردي من "**حكاري**". هنا كان (**إقليم بَرور قوجانس**) وأقاليم (**بارجيلان**) و (**البق**) و (**دزّه**) وكان يواجه الإقليمين الأخيرين من الجانب الإيراني الأقاليم التي كان يتواجد فيها أتباع مارشمعون بكثافة: (**برادوز**) و

(تركة ور) و **(مركة ور)**، و **(كاور)**. وتستمر أقاليم القبائل **الشبه مستقلة** و **الرعية** بالامتداد جنوبا حيث يقع **(إقليم شمسدين)** وإلى الجنوب الغربي منه **(إقليم برادوست)**، في حين كان يقع إلى الجنوب الشرقي منه **(إقليم ناوجياي)**. وما يميز الكثافة الآشورية على امتداد الحدود التركية مع أذربجان إيران هو استمرارها في تلك المنطقة من الجانب الفارسي حيث كانت تنتشر عشرات القرى التي كانت قد سلمت إلى وقت بحثنا من عملية السيطرة عليها. والتي كانت تنتشر في السهول الخصبة المنبسطة من أقاليم الرعية مثل **(ديلمان)** و **(خسروا)** و **(سلامس)** و **(سوماي)**. و سهول **(اورمية)** و **(براندوز)** وغيرها.

وإلى الجنوب من **تياري و حكاري**، كان أتباع مار شمعون يتواجدون بكثافة في أقاليم **(برور)**، **(صبنه)**[5]، و **(بارزان)** و **(عقرة)** و **(الزيبار)** و **(راوندوز)** و **(مركه سور)**. أما في الأقسام الغربية، فكما يقول **Col. Sheil** فان اتباع مارشمعون، كانوا يتواجدون بكثافة في منطقة الخابور، حيث كان لهم في سنة 1836 ثلاثة مطارنة كانوا في زيارة للبطريرك مار شمعون أوراهم حين مر بتلك المناطق في تلك السنة[6]. في حين كانت الكثلكة قد نجحت أواسط القرن التاسع عشر بتحويل أتباع مار شمعون في منطقة الجزيرة، لاسيما في **(بازبدي)** والمناطق المحيطة بها. في حين ظلت عشرات القرى مواليه لمار

---

[5] لكي نُكَون صورة عن الكثافة التي كان عليها الآشوريون من أتباع مار شمعون في هذه الأقاليم في بداية القرن التاسع عشر نشير إلى تقرير القنصل البريطاني في الموصل الذي ذكر بان من مجموع 3000 بيت في منطقة العمادية ظل منها 100 فقط أواسط القرن المذكور.

F.O. 195 / 228. Mosul, 14 Dec. 1844. From Rassam to Canning.

[6] Dr. Grant, 128.

شمعون في السلاسل الجبلية المشرفة على سهول الجزيرة وعلى خط الحدود الحالية للعراق مع تركية[7]

هذا ولقد عاشت في البلاد التي كانت خاضعة لمار شمعون، العشرات من القبائل الآشورية في أقاليمها المختلفة. وكل قبيلة أعطت اسمها للإقليم الذي تسكنه. ونورد أسماء أهمها من دون الإشارة إلى القبائل الصغيرة:

2 - القبائل الآشورية التابعة لمار شمعون

1 تياري (العليا والسفلى)، 2- تخوما، 3- جيلو، 4- بني يانسكي، 5- التوشي، 6- آرتوشي باشي، 7- باز، 8- ساتي، 9- أورماري، 10- جولركي، 11- دز، 12- سلياهي، 13- برواري (وهناك برور السفلي، شاووثا، سويني، و برور قوجانس)، 14- والطو، 15- نافدي، 16- كزناك، 17- دابراشين، 18- بارون، 19- بيجلاله، 20- البقناي، 21- شمسديناي، 22- ناوجيايي، 23- كاورناي، 24- ناودزناي، 25- برادوستناي، 26- طلناي (تال جال)، 27- بليجناي، 28- ديراناي، 29- ليواناي. وفي الأطراف المحيطة كان هناك: 30 - كزناي، 31 - هوزناي، 32 - مركاي، 33 - بوتناي، 34 - سولدزناي وغيرهم الكثير[8].

3 - القرى التابعة لمارشمعون في الأقاليم المستقلة والشبه مستقلة والرعية[9]

أدناه إشارة إلى أهم القرى التي كانت تسكنها بعض القبائل المشار إليها، وهي تشمل جانبا من الأقاليم التي كان ينتشر بها أتباع الكنيسة الشرقية وليس من ضمنها

---

7 Badger, The Nestorians, vol. I: 68 70 Southgate, Visit. 167 169.

8 عن عدد من هذه القبائل أنظر: Ainsworth, II: 285 286.

9 لقد اعتمدنا في ذكر القرى مراجع عديدة منها الرحالة والمبشرين الذين زاروا أو أقاموا في الأقاليم المذكورة لفترات زمنية طويلة أو من خلال المقابلات الشخصية مع بعض المسنين من أبناء تلك الأقاليم الذين ولدوا فيها قبل الحرب الأولى. ومن بين الذين اعتمدوا لهذا الغرض: Cutts، Maclean and Browne, The Catholicos, Ainsworth, Travels, II, Maj. General Charles Wilson, Asia, Badger, The Nestorians, I, Southgate, Tour, II. Coan, Yesterday, Grant, The Nestorians, Or., Laurie, Dr. Grant, Perkins, Residence,

300 قرية نسطورية كانت تابعة لخط بطريركية مار إيليا السهلية التي أشار إليها الرحالة الدنيماركي نيبور في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[10]. ومن دون الإشارة بتفصيل إلى تلك الواقعة في حدياب وجبال بوتان وغيرها من مناطق انتشار أبناء أتباع مار شمعون.

1 - قرى إقليم تياري ختيثا (السفلي)

1- مرامون 2- جالوك 3- أروش 4- هالامون 5- تيري ريزان (هذه القرى كانت تقع إلى الغرب من قرية آشيثا مركز تياري السفلي).6- آشيثا 7- زاويثا 8- منيانيش 9- مركي 10- كوخية 11- ليزان 12- ارا تحتيثا 13- زرني 14- كاروختا 15- جمبا بيث سوسينا 16- ماثد د قصرا 17- بي زوزي 18- لقيبا 19- بي إلاثا 20- بي راؤولا 21- شورد 22- رائولا د سلاببيكان.[11]

2 قرى إقليم تياري عليثا (العليا)

1- سر سبيدو 2- سيدهور 3- جمبا د بي إيليا 4- جمبا د نيني 5- ميزرا 6- مراتيثا 7- بي نهرا 8- بي زراكو 9- جمياثا 10- إينا عليثا 11- رش د نهرا 12- قليثا [صومعة] 13- بي دالياثا 14- مزرا د قلياثا 15- جمبا د ماليك 16- جمبا د قورذاي 17- جمبا د هاسو 18- مالوتا د مالك 19- دورا علايا 20- دادوش 21- نبوئا 22- كو 23- بي مركو 24- جمبا د كورخي 25- روما سموقا [التل الأحمر] 26- دراوا د والتو 27- جمبا هادثا 28- زوراوا 29- ومتا 30- مرزا دقلاياثا.

3 قرى إقليم والطو

---

[10] أورد الأب الدكتور حنا شيخو في خارطته أسماء ما يقارب 140 مدينة وقرية. من بينها العديد من التي لم يعد فيها حضوراً لأتباع أية من الكنائس الشرقية والكلدانية والسريانية كأربيل مثلاً. أو المهجورة وغيرها. انظر الخارطة المرفقة بكتابه: كلدان القرن العشرين. ديترويت، 1992. 10.

[11] Rev. E. Cutts, 353–359 .

القرى التالية في تياري أوردها أنسورث و لم ترد في قائمة .Cutts

اورياثا، رووارى، بيزيزو، رومثا، سرسبيتين [لعلها سرسبيدو] بيث خي، تل بيكين [لعلها سلابكين]، أومرا. .Ainsworth, II: 285

1 سيرتا 2– شواووثا 3– ماثا د ماتمريم [قرية مريم العذراء] 4– خديانا 5– دنهرا

4 قرى إقليم دز

1– كولوزور 2– سووا 3– جيري جرا 4– ماديس 5– مار قرياقوس 6– أكوش 7– كـول جين 8– بي شماشا 9– ساراموس 10– ربـان داديشـو 11– ماكيثـا 12– الوكيبـا 13– كورسين.

5 قرى إقليم برور د قوجانس

1– قوجانس، مقر الكرسي البطريركي 2– نيروه 3– تركونيس 4– كيكار 5– سورسنيس 6– ترمل 7– بي خاجيج 8– بي خين 9– جاروس

6 قرى إقليم برور سويني

1– خردالانيس 2– قطرانيس 3– اخوانيـس 4– شمونينيـس 5– سـلوين 6– آسـبن 7– سالين 8– كورانيس 9– كارمي 10– اوريب (هذه القرى كانت تقع في المنـاطق الشـمالية لوطن القبائل الآشورية وكان العديد منها يجاور القرى الأرمنية)

7 قرى إقليم برور د شواووثا

1 شواووثا 2– ساكيران 3– دركي

8 قرى إقليم بليجناي

1 داريس 2– اويرت 3– دادين 4– آلاس

قرى إقليم تخوما (طوبي أو توبي)

1– كززا 2– تخوما كوايا 3– مزرا 4– كوندكثا 5– برجايي[12]

10 قرى إقليم جيلو

1– ألسان 2– مدهي 3– نهرا 4– زرني 5– ماثد مار زيـا 6– آمـود 7– تالانـا 8– بـي بقرا 9– نيرك 10– اوري 11– زير 12– ساربيل 13– بوبـاوا 14– شمكـي 15 مـاثد د اوريايا 16– موسبيران

11 قرى إقليم باز

---

[12]Ainsworth, II: 286.

1-أركيب 2- كوجيجا 3- ماثا تحتيثا 4- شواووثا 5- اورانتوز

12 قرى إقليم ريكان

1 ـ هيش 2- مركانيش 3- اربيش 4- كبا 5- أستيب

13- قرة إقليم كاور

1 ـ بي رويريه 2- زركانيس 3- اوريشا 4- داوا 5- كيت 6- مانونان 7- كاديـان 8- ميمكـان 9- سـيناوا 10- خولخـوس 11- كـاربيل 12- كوكـران أو (جـاكوران) 13- باشركا 14- وزير آوا 15- مار أوكين د آوا 16- برزالان 17- كاردفار 18- زيـزان 19 بائيلان 20- دآرا 21- بكيل 22- سردشت 23- دزه.

14- قرى إقليم ديراناي

1- مار بيشو 2- أيل 3- بي زيكنه 4- باسان

15- قرى إقليم خنانيس

1- خنانيس عليثا 2- خنانيس ختيثا 3- سلموآن 4- خاليلا

16- قرى إقليم البق

1- هوزي 2- أرجي 3- آتيس 4- منجيل آوا 4- كارالون 6- شارينيس 7- أوزان 8- بوسان 9- بوردوك 10- الاميان 11- كلانيس

17- قرى إقليم ليوان

1-أركـي 2- خركيـل 3- مـاثد د أمـرا 4- نفجيويـران 5- زارانيـس 6- كانونتـا 7- بليكين 8- خندكه 9- بيليه 10- ديرا زنجيل 11- جوهكه

18- قرى إقليم نودز

1- مار يونان 2- اولاما 3- تلخيلان 4- برخيلان

19- قرة إقليم جال

1- باديري 2- با عقتا 3- بي كورايي 4- بي عزيزا 5- رابات 6- تالانا 7- أرون 8- كو 9- آرك 10- بي شوقا 11- شاوا ريزا 12- بيبيا 13- بي إلاثا

20- قرى إقليم شمسدين

1– هيانا 2– كياتونا 3– بي بابي 4– بي ديوي 5– بي ايتونيو 6– كوستاكا 7– بي مرده 8– سر سيره 9– تيلس 10– مار دووخا 11– تير دوشا 12– بالكوا 13– هارفونان 14– ب\تالانا 15– ديرا 16– ككبيرزان 17– دارون 18– مارتا 19– سارونيس 20– دفري 21– بي طورا 22– جرجرناي 23– أسيرا 24– با طوطي 25– شابت 26– دارا

21– قرى إقليم برادوست

1– زيراوا 2– سيرون 3– جرميا 4– هاكي 5– باكلولان 6– كوردانا 7– شيكاني 8– توتيلكي 9– تللو 10– آنبي 11– سيهاني 12– زنكيلان 13– كافوكا 14– سالونا 15– روسنا 16– دزكاري 17– هورانس 18– باستا 19– هشماوا 20– نركي 21– هولوثان 22– ساسناوا 23– هالبي 24– أورثيرا 25– هوسار 26– كورانا 27– كوندك ملا 28– كانجاجين 29– آفاسو 30– نركي.

22 – قرى إقليم برور السفل

1 دير كلي، 2 روبارا، 3 مشيكيه، 4 آكوشتا، 5 إينا نوني [كاني ماسي] 6 – ميه، 7 إيات، 8 دوري، 9 بشميه، 10 هلوا، 11 ملاكتا، 12 أنكاري، 13 بيبال، 14 روبارا. 15 تاشيش، 16 بيش، 17 هيس.[13]

23– بعض القرى الواقعة وسط الأكراد في وحكاري+

---

[13] Ainsworth, II: 285

+ القائمة أعلاه لا تشمل جميع القرى التابعة لبطريركية مارشمعون في قوجانس أو تلك التي كانت عائدة للبطريركية السهلية في دير الربان هرمزد والتي أصبحت خلال الفترة موضع البحث تابعة للكنيسة الكلدانية والتي تشمل القرى الواقعة في: حدياب وفي أقاليم برور و زاخو ونوهدرا والزيبار وبرزان و عقرة و راوندوز وحاج عمران (ملتقى الحدود – 5 قرى لم تذكر أسمائها)، ومنطقة ديانا وهاوديان، وحرير وباطاس و شقلاوة و أربيل وكويسنجق وكركوك وسهول نينوى وسنجار ومنطقة الخابور والجزيرة. إضافة إلى غالبية المدن والقرى التابعة للكنيستين المشار أليهما في أذربيجان إيران ضمن هذا الجدول.

1 – كزنا 2– باشين 3– كارابان 4– باروس 5– مجهولة الاسم

4 جغرافية وطن القبائل المستقلة

يعتبر وطن القبائل الآشورية المستقلة بشكل عام بلاد جبلية بالغة الوعورة، حيث تقع فيه السلاسل الجبلية التي تعتبر من ضمن الجبال الشاهقة في قارة أسيا. ما يميز هذه الجبال هو جمالها الأخاذ الذي غالى بوصفه الرحالة والزوار والمبشرين الأوربيين، الذين تسنى لهم زيارته لاسيما بعد إخضاع القبائل هذه في سنة 1843 ، حيث لم يكن قبلها مطروقا أو مفتوحا للغرباء للدخول إليه، والتجول في أقاليمه. ويمتاز إضافة إلى جماله وجباله الشاهقة بالمضايق البالغة الوعورة التي يصعب على الإنسان اجتيازها، ما لم يكن قد اعتاد عليها واكتسب الخبرة في طرقها جيلا بعد جيل. أما بالنسبة إلى المياه فيعتبر وطن هذه القبائل من بين المناطق الأغنى بها قياسا على غيره من البلدان. إذ أن الأنهر الكثيرة التي تخترق وطن القبائل تغذيها مياه الثلوج الذائبة التي كانت كالكرستال[14].

5 – نهر الزاب وفروعه كالشرايين عبر وطن القبائل المستقلة

ونهر الزاب الأعلى وفروعه، هو أكبر روافد نهر دجلة، يخترق وطن القبائل الآشورية من النواحي الشمالية الشرقية، منحدرا باتجاه الجنوب الغربي إلى المنطقة الواقعة ما بين إقليم **(جال)** التي تقع إلى الجانب الأيسر. في حين تقع بلاد **(تياري العليا)** إلى الجانب الأيمن من مساره. من هذه

---

[14] يقول أنسورث " شربنا من جدول مياهه كالكرستال، تبقى على الدوام باردة بسبب ذوبان الثلود، وتحيط بكل مكان الورود التي تطرز المنطقة. Ainsworth, II: 233.

المنطقة يتجه النـــهر بمساره نحـو الغـرب تقريبـا فيفصـل إقليـم **(والطـو)** إلى الجنوب في حين يستمر في مساره بمحاذاة الحدود الجنوبية ل (تياري العليـا) حتى يلتقي بفرعه الشمالي بالقرب من قرية **(جميكرجي)** حيث يأخذ مسـاره بالاتجاه جنوبا، تاركا **(تياري السفلي)** إلى الجانب الغربي لمجـراه، وأقـاليم **(والطـو)** و **(قصـران")** و **(منيـانيش)** إلى الجـــانب الشـرقي إلى أن يدخـل الحدود الحاليــة للدولـة العراقيـة، حيـث يسـتمر في الاتجـاه جنوبـا مخترقـا السلاسل الجبلية، تاركا إقليم **(برور)** إلى الغرب وإقليم **(نروه)** إلى الشرق.

أما عن الأنهر والجداول التي تنحدر من الجبال المكسوة بالثلوج على مدار السنة، فإنها من الكثرة بحيث يمكـن مقارنـة سريانها في وطـن القبـائل المستقلة، كسـريان الأوردة والشـرايين في جسـم الإنسـان. ويمكـن اعتبـار نـهر الزاب الأعلى[15] بفرعيه الشمالي الشرقي، والشمالي كعلامة فصل طبيعيـة يمكـن بواسطتها الاستدلال على مواقع الأقاليم التابعة للقبائل المستقلة وشبه المسـتقلة والرعية.

و نهر الزاب يقسم وطن القبائل إلى قسمين رئيسيين معروفين تاريخيا باسم **(تيـاري)** و **(حكـاري)**. فالقسـم الأول يشـمل: تيـاري العليـا وتيـاري السفلي، وكلاهما تقعان على الجهة اليمنى للمسار المتعرج للنهر. أمـا الأقـاليم الأخرى المعروفة باسم **(حكاري)** فهي الأقاليم التي تقع على الجهـة اليسـرى من مجراه حتى دخوله الحدود العراقية كما أشرنا. ولقد وصـف أحد الباحثين

---

[15] إضافة إلى الفرعين الرئيسين فان لنهر الزاب فروع أخرى عديدة أهمها: نهر البق، نيحل، قوجانس، قطرانيس، جولمرك، سولباهي، ليون، آشيثا. في حين كانت تصب فيه روافد أخرى من الجهة اليسرى لمساره وهي: نهر دز، جال، والطو، رمثا، وكان نهر حوشاب يعتبر النهر الثاني في وطن القبائل مـــن حيث الكبر. انظر ك. ماتييف، الآشوريون في التاريخ. 30 – 31

وطن القبائل هذه وهو يتابع مجراه من المنابع العليا لنهر الزاب واختراقه للسلاسل الجبلية الشاهقة قائلا: "يمكن اعتبار هذه البلاد جنة عدن"[16]

6 وعورة وطن القبائل والطرق المؤدية اليه

لقد تحدث العديد من الرحالة والمبشرين عن وعورة وطن القبائل ومنهم **Mrs. Elizabeth Bishop** ، التي تذكر تفاصيل مسهبة عنها كما فعل غيرها ممن كتبوا عن الموضوع[17]. والوعورة كانت تضيف إلى جمال البلاد جمالا ، فالدكتور **Grant** حين وصل لأول مرة إلى بلاد تياري ، صعد قمة جبل **(آشيثا)** وكتب انه ظل يمتع نظره بذلك المنظر الخلاب الساحر الذي تراء أمام ناظره من جميع الجهات ، فاستعان بالبوصلة ليرصد الاتجاهات: آشيثا كانت إلى الجنوب ، **(عمادية)** أبعد منها جنوبا ، **(زاخو)** إلى الغرب ، **(تخوما)** إلى الشرق. .. و...[18]

لقد ترك المبشرون والرحالة ثروة كبيرة من المعلومات عن وطن القبائل المستقلة ؛ طبيعته ، وجغرافيته ، واقتصاده ومصادره المائية ، وقراه وجباله ، ووديانه وكل ما يتعلق بالأرض والإنسان فيه. وجولة في أقاليمه المختلفة ستساعد على تكوين صورة عن هذا الجزء المهم من بلاد آشور التي تعاقب أبنائها على العيش فيها جيلا بعد جيل. وللتعرف على هذه البلاد علينا أن نسلك الطرق المؤدية أليها أولا:

---

[16] Edwin M Bliss, Kurdistan and the Kurds. Andover Review 1885.Vol. 4. 20

[17] Mrs. Bishop, II: 314.Layard, Popular, 121. Laurie, 241. Armenia, 217. Grant, 64.

[18] Dr. Grant, 49. Ainsworth, II: 218, 233. Laurie, 257. بادجر يقول بان هذه الوعورة كانت وراء حماية القبائل من الأكراد وتغلغل المبشرين الكاثوليك. 1: 212.

1. طريق "فان" ـ "قوجانس": هذا الطريق كان يعتبر المدخل الشمالي إلى وطن القبائل الآشورية ويربط العالم الخارجي في تلك الجهات بالمقر البطريركي الرسمي الذي كان يقصد من قبل المسؤولين والمعنيين. ويتميز هذا الطريق بصعوبته ووعورته على امتداد ما يزيد على 200 كم. وكان عادة يسلكه المبشرون الأمريكان القادمين من القسطنطينية عبر "أرضروم"

2. طريق أورمية ـ "تركة ور" ـ "دزه" ـ "دز" ـ "قوجانس": هذا الطريق كان الطريق التقليدي للاتصال بين أقاليم القبائل الآشورية واخوتهم في أذربيجان إيران وكان يستخدم لأغراض اتصال آشوريو إيران بالمقر البطريركي بشكل خاص. ولكونه اقصر الطرق الموصلة بين **(أورمية)** و **(قوجانس)** فكان يسلك باستمرار من قبل مبشري البعثة الأمريكية هناك لاسيما خلال فترات الهدوء النسبي التي كانت تحصل بين فترة وأخرى.

3. طريق الموصل ـ القوش ـ العمادية ـ دوري ـ آشيثا: هذا الطريق كان من أكثر الطرق الموصلة مع وطن القبائل المستقلة طرقا لأسباب كثيرة منها سهولته وقصره[19] ولوقوعه في مسار تتواجد فيه المدن والقرى الآشورية بكثافة. أبناء القبائل المستقلة لاسيما أبناء قبيلة تياري و باز كانوا يسلكونه باستمرار في أعمالهم التجارية أو في العمل الموسمي في الموصل والمناطق المحيطة بها.

4. الطريق الغربي: الجزيرة ـ زاخو ـ دوري ـ آشيثا:

هذا الطريق كان من اقلها استعمالا ولم يكن يطرقه إلا صاحب حاجة ماسة، واقتصر تاريخيا استعماله على التجمعات الآشورية في إقليم برور لاسيما تلك المحصور بين المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر "**الخابور**" وحتى

---

[19] يذكر Rich, بان المسافة المطلوبة للذهاب ما بين القوش إلى اورمية تتطلب مسيرة سبعة أيام على النحو التالي: يومان إلى العمادية، ويومان إلى جولمرك، وثلاثة أيام إلى أورمية Residence, II.111

قرية "دوري" المجاورة لمركز **"عين نوني"** [كاني ماسي] حيث كان الطريق يلتقي مع ذلك القادم من الموصل. **Dr. Grant** ، في رحلته المشؤومة لحضور اجتماع المجلس الأعلى للتحالف الكردي بقيادة بدرخان بك، لوضع خطة الهجوم على وطن القبائل المستقلة، في سنة 1843 استخدم هذا الطريق في ذهابه إلى مقر بدرخان بك في الجزيرة، ودير كلي وإيابه إلى آشيثا[20].

وكانت كل من قوجانس و آشيثا مركزي تفرع الطرق إلى الأقاليم المختلفة. فالقادمون من إيران والأقاليم الشمالية إلى قو جانس، كانوا يتوجهون منها إلى أقاليم جيلو وباز وتخوما وجال وتياري. والعكس كان يحصل من آشيثا.

7 صعوبة التنقل في وطن القبائل المستقلة

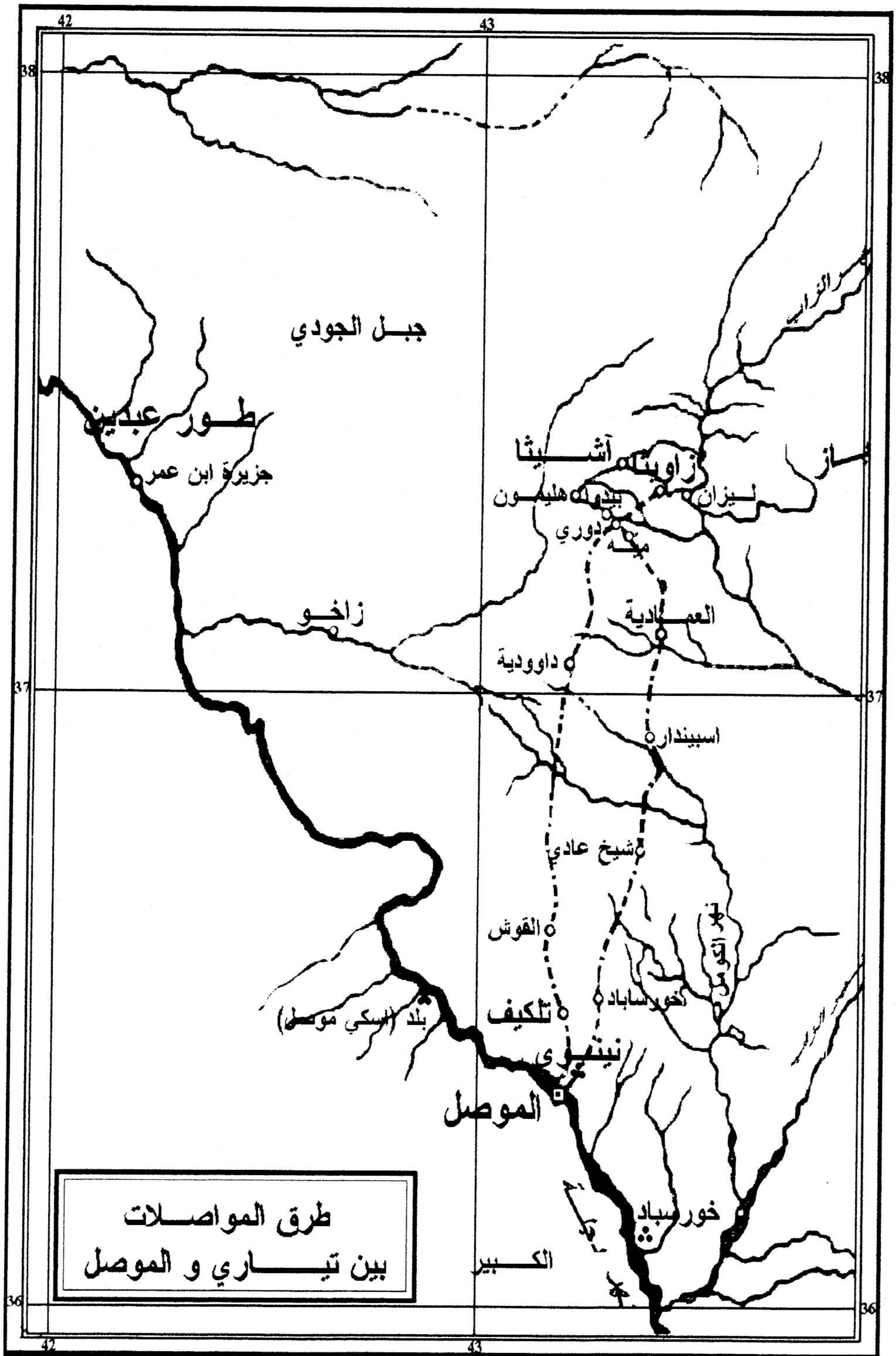
التنقل في وطن القبائل المستقلة كان صعبا للغاية، لاسيما في موسم الشتاء وهطول الثلوج. فالمسافر ما بين آشيثا و قوجانس كان عليه أن يمضي سبعة أيام متواصلة لكي يقطع المسافة بين القريتين.[21] وبالنظر لكثرة الأنهر والجداول فكان الانتقال من منطقة إلى أخري يزداد صعوبة بسبب عدم توفر الجسور للانتقال عبرها إلى الجانب الأخر مما كان يجبر المسافرين إلى السير مسافات طويلة حتى يتسنى لهم الانتقال إلى القرية المقابلة لقريتهم.

قرية ليزان الكبيرة الشهيرة، لعب موقعها الجغرافي دورا هاما، في تنقل الأعداد الكبيرة من أبناء القبائل من بلاد تياري إلى حكاري وبالعكس. إذ كان أبنائها قد أشادوا جسرا معلقا على نهر الزاب، كان غالبية أبناء القبائل القاطنة على الجانب الغربي لنهر الزاب، يقصدونه للعبور إلى الأقاليم الأخرى

---

[20] Laurie, 323- 345.

[21] Badger, I: 246 - 247


جبل الجودي
طور عبدين
جزيرة ابن عمر
آشيثا
زاويثا
ليزان
هليمون
دوري
زاخو
العمادية
داوودية
اسبيندار
شيخ عادي
القوش
خورساباد
تلكيف
بلد (اسكي موصل)
نينوى
الموصل
خورسباد
الكبير
طرق المواصلات
بين تياري و الموصل
42
43
38
37
36



جسر ليزان على نهر الزاب الكبير

في حكاري أو للذهاب إلى اورمية. وكان هذا الجسر يتميز بمتانته وقوته وقدرته على تحمل الأثقال وعبور الحيوانات، والحمولات الثقيلة عليه رغم استخدام المواد البدائية في بنائه، ويرتفع كثيرا عن سطح المياه الجارفة التي تجري وسط المضيق الجبلي بسرعة فائقة[22].

وبسبب الوعورة الفائقة والجبال الشاهقة والوديان والمضايق البالغة الصعوبة فان عملية التنقل ما بين التجمعات الآشورية لم تكن بالعملية السهلة ليس فقط بسبب طول المسافة وإنما لخطورة الطرق التي لم يكن بالإمكان سلكها إلا من قبل أبناء القبائل المتمرسين بالسير فيها جيلا بعد جيل. أحد المبشرين يصف الطريق المؤدي ما بين "جيلو" و "دز" و "قوجانس" قائلا: "إن الطريق يمر عبر جبال (جيلو)، ولم يكن هناك من أثر للطريق، سوى صخور صلدة، مرتفعة آلاف الأقدام عن قعر الوديان السحيقة. وان البغال وحدها كانت قادرة بصبرها على تلمس طريقها، وكانت تتوقف بين الحين والآخر ولا تعاود السير إلا بعد استراحتها من تعب الطريق. إذ كان يتطلب تسلق قمة ارتفاعها 13.000 قدم وتستمر قمة بعد أخرى على جانبي المضيق الذي يمر عبره الطريق"[23].

وعورة الطرق واستحالة سلوكها كانت قد أجبرت أبناء القبائل على التكيف معها واستنباط الوسائل المساعدة على سلوكها ومنها استخدامهم

---

[22] طول الجسر كان 150 قدم وعرضه 3 أقدام. ويرتفع 20 قدما عن مستوى مياه الزاب ومبني من جذوع الأغصان المحاكة كما يقول المبشر، Laurie, 253. ويصف غيره الجسور المشيدة على الأنهر والجداول بان العديد منها عرضها قدم واحد وترتفع عه المياه قدم واحد أيضا، وهي عادة مصنوعة من الخوص وجذوع الأشجار والألياف. العبور عليها صعب، ويحمل غير القادرين على الظهور. وذات مره بينما كان البطريرك محمولا على ظهر أحدهم للعبور، أرعبه حامله بقوله: "إنه سيقذف به إلى النهر إذا لم يحله من التدخين قبل أخذ القربان. Browne, and Maclean, 33.

[23] F. Coan, Yesterday, 80.

لأحذية من خيوط الصوف للواجهة المحاكة على نوع من جلد المطاط، التي تساعد مستخدمها على الثبات في المواقع التي تطأها قدميه[24]. لقد وصف أحد المبشرين نموذجا لوعورة الطرق في وطن القبائل الآشورية فذكر: " إن مواضع الأقدام في الكثير من الحافات الجبلية، الصخرية الحادة التي تشرف على هاوية الوديان العميقة، قد حفرت مواضع الأرجل حفرا لاستخدامها كموضع للأقدام أثناء اجتياز مثل هذه المناطق[25]. ويقارن مبشر آخر بين صعوبة ووعورة وطن القبائل المستقلة وبين غيره من البلدان فيقول: "إنه أوحش واصعب في مسالكه"[26]. عامل آخر كان وراء صعوبة الانتقال بين أقاليم وطن القبائل هو كثرة الأنهر والجداول وقلة الجسور البدائية المقامة عليها لتسهيل عملية التنقل ما بين قريتين متقابلتين على جانبي النهر الذي كان يتطلب الوصول إليها أحيانا مسيرة يوم كامل.

---

[24] Ainsworth, II: 229, 233, 236 إلا أن وعورة المسالك كانت تفعل مفعولها في استهلاك هذه الأحذية، فكان أبناء القبائل يستعدون للمفاجئات التي تحصل لهم أثناء رحلاتهم الطويلة حيث كان تقليدا شائعا أن يحمل هؤلاء الإبر الكبيرة التي كانوا يخرزونها في أعلى مواضع صدورهم مع كميات احتياطية من الخيوط

[25] Ainsworth, II: 234. Anderson, I: 193

عن الوعورة والجمال يقول Ainsworth: من قرية (كاليثا Galitha) تسلقنا جبل مخيف مثل ذلك الذي اختبرناه مع جبل كوركه kuriki. في هذا الطريق يسيل جدول حولت الأشجار الباسقة المتشابكة بعضها مع البعض إلى نفق جماله يأخذ الألباب، والسائر فيه تتساقط عليه رذاذ قطرات الماء. II: 236.

[26] Edgar Wigram, The Ashiret Highland of Hakkari, JNL of Royal Asiatic Society 1916, II: 41.

هذا ولقد كتب الكثير عن صعوبة ووعورة المسالك في وطن القبائل هذه ونكتفي بالإشارة إلى البعض منهم[27]. ومما جدير بالذكر أن بلاد تيـاري كـانت تمثل الثقل السكاني، والعسكري، والاقتصادي، للدولة الآشورية هذه. فأغلبية النشاطات القائمة في البلاد كانت **(آشيثا)**[28] تمثل محورهـا ونقطـة انطلاقـها. فكل الطرق كانت إما تتفرع منها أو تؤدي إليها. فكانت المركـز الـذي يقصده كل من له حاجة في وطن القبائل لاسيما بعد 1839. ومنها كانت تقوم وتنطلق كافة النشاطات المتعلقة بحياة أبناء القبائل. والمسافر منـها إلى **(جمبـا)** مركـز وقاعدة تياري العليا، كان عليه أن يقطع مسيرة ثمانية ساعات. ومن آشيثا إلى ليزان فيتطلب رحلة يوم كامل. وكان على الذاهب مـن آشيثا إلى العديـد مـن أقاليم حكاري، الجزء الشرقي لوطن القبائل كان عليه المرور عبر جسـر لـيزان واستخدام الطرق والمسالك والمضايق البالغة الوعورة كما أشرنا.والذي كان يقصد إقليم (تخوما) و (دن) عليه اجتياز جبل (ديرك) الشـديد الوعـورة. ومـن كـان يقصد قوجانس من هناك، كان عليه اجتياز (جبل جيلو) إلى (دن) وان يمر في مسار ليس فيه أثر للطريق، سوى الصخور الصلـدة الـتي ترتفـع آلاف الأقـدام عن قعر الوادي، والتي كانت البغال وحدها قادرة بصبرها على تلمس طريقها. وكانت تتوقف بين الحين والآخر للاستراحة، من صعوبة الطريـق، ولا تعـاود

---

[27] Grant, 64, 70. Maclean and Browne, 30. F. Coan, 80, 140 143. Perkins, 6. Smith and Dwight, Armenia, 217, 299. Ainsworth, II: 233 234. Badger, I: 212. A. Wigram, The Asheret, 41.

[28] كان كرانت قد فسر معنى آشيثا بأنها (انهيار الجليد **avalanche**) غير أن بادجر يقول بـــان قس أوراها، من أهالي آشيثا واكثر الكهنة تعلما في وطن القبائل اخبره: أن اسم آشيثا كمـــا ورد في كتبنا هي (شاتستا Shathista) أي الأساس. وسميت كذلك لأنها مركز لأكبر قرى تياري وهـي مركز انطلاق ومحطة للذهاب إلى الأقاليم الأخرى. وهي تقسم إلى خمسة محلات: تيماني، تيماني عليثا (العليا) ماثد دأمرا، خاتيبيت، أمرا خاتيبات، Badger, I: 214.

السير إلا بعد أن تستريح. إذ أن الطريق كان يتطلب تسلق قمة ترتفع 13.000 قدم عن سطح البحر[29].

ثانيا الركن الثاني: السكان

الشرط الثاني لقيـام الدولـة المستقلة هـو وجـود سكان ضمـن حـدود جغرافية تمارس عليها حقوق السيادة. هذا الشرط كـان أيضـا قائمـا بشـكل لم يكن متوفر أيضا في الكثير من الدول التي قامت في المنطقـة في فـترات لاحقـة. فأبناء القبائل المستقلة وحدهم كانوا بحدود (320.000 ألـف) شـخص[30]. عـدا

[29] Grant, 77. F.Coan, 79

[30] حسب التقارير الدبلوماسية البريطانية ومراسلات البطريرك مار شمعون فان القبائل المستقلة كـانت قادرة على تحشيد 40 ألف مقاتل. ولو قدرنا بشكل متحفظ عدد أفراد العائلـة بثمانيـة أشـخاص (بالرغم من أن التقاليد التي كانت قائمة كما شهد بذلك المبشرون والرحالة الـذي زاروا وعاشـوا وسط أبناء القبائل أفادوا بان جيلين وثلاثة أجيال تعيش في البيت الواحد واعتمد ثمانيـة اشـخاص كمعدل لنفوس العائلة في تياري وحكاري). فأنسورث يذكر نموذجا لذلك حين أشـار إلى كثافـة السريان في سعرت قائلا بأنهم بكثافة تعكسها مشاركة أربعة عائلات في السـكن في دار واحـدة. (انظر: Ainsworth, II: 359.). وبهذا فان مجموع نفوس القبائل المستقلة كان 320.000 ألـف شخص. سمث ودوايت يذكران نقلا عن المصادر المحلية في المنطقة بان نفوس القبائل المستقلة يتشـكل من 50 ألف عائلة (Armenia, 218.). والقبائل الشبه مستقلة والرعية في تياري وحكـاري كـان عدد أبنائها لا يقل عن 130 ألف إنسان **80 ألف منهم في مقاطعة (فان) وحدهـا كمـا أكـدت الإحصائيات الرسمية**. أنظر: (Mrs. Bishop, Journeys, II: 323 325) أما اتباع مار شمعـون في أذربيجان فكانوا يقدرون وقت بحثنا بما لا يقل عن 70 ألف شخص. في حين كان عدد أولئـك المتواجدين في أقاليم عقرة والزيبار و صبنة و برور وجبال بوتان بما لا يقل عن 50 ألـف شـخص. وبهذا يكون مجموع اتباع مار شمعون يقدرون 570.000 ألف شخص (وهـو رقـم قريـب مـن التقديرات التي اعطيت خلال الفترة ذاتها من قبل الدكتور والش). وفي تلك الحقبة التاريخية كـانوا يشكون بكل تأكيد نسبة أعلى من الدول التي تشكلت بعد ما يزيد على القرن من الزمان مثل دولـة الإمارات، والكويت أضف إلى هذا فإن فأتباع مار شمعون كانوا جزء من الكل المتمثل في الكلـدان

أولئك المعروفين بالقبائل الشبه مستقلة، والرعية، التابعين للسلطة الدينية لمار شمعون في أقاليم: تياري وحكاري، وأذربيجان، والتجمعات المنتشرة في حدياب وفي جبال بوتان، الذين كانوا يقدرون كما يلي:

80.000 في منطقة (فان)

70.000 في أذربيجان إيران كمعدل لمختلف الإحصائيات (هذا ما كان قد تبقي من 400.000 ألف كانوا في إيران سنة 1666 كما أفادت جريدة كيهان)[31]. إذ كما تمت الإشارة إلى ما ذكره **Edward Gibbon** من أن عدد أبناء القبائل التابعة لخط بطريركية مار شمعون هو 300.000 شخص في سنة 1580 . والآشوريون لم يكونوا استثناء عن بقية المجموعات البشرية في التكاثر وزيادة عددهم إذا ما علمنا بان تاريخ القبائل يظهر عدم حصول وباء خلال القرون اللاحقة، أو تعرضوا إلى مذابح جماعية. فهذا أمر لم يكن واردا نظرا لقدرة القبائل القتالية وفعاليتها ونجاحها في حماية حدودها. إلا أنه بعد 251 سنة فان الرقم الذي حصل عليه المبشران سمث ودوايت عن عدد هذه القبائل هو 50.000 ألف عائلة كما أفادت المصادر المحلية[32]. هذا الرقم أكده نائب السفير البريطاني في تبريز حين أخبرهما بأنه "اطلع على رسالة مرسلة من قبل مار شمعون يقول فيها بان عدد العائلات التابعة له في تياري وحكاري هي 40.000 ألف عائلة"[33]. إضافة إلى هؤلاء، فالآشوريون ـ كما نوهنا ـ كانوا

واليعاقبة الذين كانوا بأعداد هائلة والذين يشكون ذات العنصر العرقي والديني واللغوي الأمر الذي لا تتوفر حالياً ذات الخواص في الكثير من الدول القائمة حالياً في الشرق والغرب.

[31] انظر ماتييف. 9

[32] Armenia, 218.

[33] Armenia, 219. ماتييف يذكر بان مار شمعون أرسل رسالة الى القنصل الروسي تعهد فيها بتزيده ب (40.000) مقاتل إذا ما قامت روسيا بتسليحهم. تاريخ الآشوريين. 40

ينتشرون في مئات المدن والقرى، وكانت كثافتهم السكانية عالية جدا تعكسها ظاهرة انتشارهم على امتداد المنطقة الجغرافية الممتدة من بحيرة أورمية شرقا وحتى سهول طور عبدين، ومن بحيرة فان شمالا وحتى الموصل جنوبا وقت بحثنا وإذا ما أخذنا نسبة عدد السكان في تلك المرحلة فان عدد الآشوريين كان عاليا[34]، لا بل كان أكثر بكثير من عدد نفوس العديد من الدول المستقلة حاليا في منطقة الشرق الأوسط. هذه الكثافة بكل تأكيد كانت وراء ظاهرة حفظ التوازن الأثني والديني القائم على حالة العداء وغياب التعايش الذي كان يظهره الطامعون بوطن الشعب الآشوري. ولو لم يكن الشعب الآشوري مقسما داخليا على ذاته وتوزعت قدراته العددية والمادية بين ولاءات مذهبية مختلفة وصلت حد التنافس العدائي، فان العدد الإجمالي للشعب الآشوري لم يكن أواسط القرن التاسع عشر قليلا بأي شكل من الأشكال وإنما كان يمثل عنصرا اثنيا يتصدر المراتب العليا للتوزيع الأثني والديني في المنطقة. ولقد قدر الكثيرون عدد الآشوريين بمختلف طوائفهم آنذاك بما يقارب المليون إنسان وهذا رقم يقارب إلى حد ما الكثافة التي كانت عليها العناصر العرقية والدينية الأخرى المجاورة لهم آنذاك[35]. إلا أننا نؤكد مرة أخرى بان عامل التفرقة على

---

[34] يذكر سمث ودوايت بان عدد بان الأكراد في فارس كان عددهم ما بين 700 – 800 ألف شخص يعشون في الخيام. Armenia, 164.

[35] قدر الأب نعيم العدد الإجمالي للنساطرة واليعاقبة والكلدان ما بين 700 إلى 800 ألف. Shall This nation Die, XXIV. في حين كان الدكتور والش قد قدر عدد النساطرة فقط ب 500 ألف شخص قبل عام 1840 كما أشار أنسورث. هذا ومما هو جدير بالذكر الإشارة الى أمر لطالما أهمل في حساب أتباع الكنيسة الشرقية وهو عددهم في الولايات الأرمنية. فبطريك الأرمن ذكر وجود 123.000 من اتباع هذه الكنيسة في الولايات الأرمنية قبل الحرب الأولى. انظر: Mc Carthy, Muslim, 48. واورد ويكرام رقم 250.000 شخص نفوس اليعاقبة في تركية. Wigram, Cradle, 46.

خطوط مذهبية الذي كان عليه الآشوريون كان وراء بعثرة هـذه القـوة العدديـة وأثرت نتائجها السلبية على حاضر هذا الشعب ومستقبله.

2 – المبشرون الغربيون ونزعة تقليل عدد نفوس الآشوريين

في الوقت الذي اختلف فيه غالبية المبشرين الغربيين على إعطاء رقـم تقريبي محدد عن عدد نفوس أبناء القبائل المستقلة أو تلك التابعـة لمـارشمعون في الأقاليم الأخرى، فانهم على ما يبـدو اتفقـوا علـى شئ واحـد وهـو تقليـل عددهم. لذا رأينا من المناسب تقديم عينة مـن هـذه النزعـة الـتي اعتمدوهـا في تقديرهم لنفوس أبناء الشعب الآشوري عامـة وأبنـاء القبـائل المسـتقلة خاصـة. عن نزعة تقليل عدد نفوس أتباع الكنيسة الشرقية نشير إلى المبشران **Smith and Dwight** وهـم يتحدثـون في سـنة 1831 عـن اصـل خـط البطاركـة الشمعونيين فانهما اقتبسا المصادر التاريخيـة المعتمـدة الـتي وثقـت ملابسـات نشوء هذا الخط منذ عام 1575 م من جميع الجوانب. ولكن حين تطلب الأمـر ذكر ما ورد في تلك الوثائق عن نفـوس القبـائل آنـذاك _ كمـا أشـرنا إليـها – فانهم يهملون الإشارة إليها. هذان المبشران أوردا أرقامـا أقـل مـا يقـال عنـها بأنها غير صحيحة وسار على منوالهـم مـن تبعـهم مـن المبشـرين العـاملين في المنطقة.

ألان لنلقي نظرة على الأرقام التي يقدمها لنا مبشرون غربيون آخرون لهؤلاء (النساطرة) بعد هذه السنين الطويلة التي مرت علـى انشـقاق الأربعـين ألف عائلة. وأدناه بعض النماذج مما ذكره.

1.المبشران Smith and Dwight

على خلاف تقديراتهما السـابقة فقد قدر هـذا المبشران الأمريكيان نفوس النساطرة من أتباع مار شمعون بسبعين ألف نسـمة في سـنة 1831[36]. إلا أن القنصل البريطاني في "تبريز" اعتبر هذا الرقم أقل من الحقيقـة بكثير كما نوهنا[37]. غير أن كلا المبشـران ذكـرا بـان مصادرهمـا عـن النفـوس كـانت مـن جهتين كلاهما حرصتا على التقليل من العدد الكلي لأتباع مار شمعون: الأول كان المتكثلكين من أتباع هذه الكنيسة المنضويـن تحـت الكنيسـة الكلدانيـة في منطقة أذربيجان والثاني بعض المطارنة التابعين لمار شمعون الذين كان تقليلهم للعدد ناتج من الخوف من معرفة العدد الحقيقي حيث تزاد على سكان القرى الضرائب التي كانت عالية جدا.

2. المبشر Edward Cutts

يشير إلى النسبة العددية لأتباع مـار شمعـون مقارنـة مـع بقيـة أتبـاع الكنيسة الشرقية قبل انقسام سنة 1551 فيقول بـان نسـبتهم إلى البقيـة تمثـل 3/2 من المجموع الكلي[38] وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الرقم الذي أورده المبشـران السـابقان الـذي هـو خمسـين ألـف عائلـة يكـون مجمـوع اتبـاع مـار شمعـون 400.000 ألف نسمة (8 أشخاص للعائلة كما اعتمد انسورث). ولما كان هـؤلاء يمثلون ثلثي عدد الآشوريين من اتباع الكنيستين الشرقية والكلدانية كما يقـول المبشر Cutts, فان المجموع الكلي يكـون600.000 نسـمة. وإذا مـا علمنـا بـان مركز كثافة أتباع مار شمعون من الناحية العددية كـان يـتركز بـين أتباعـه في تياري وحكاري، وإذا ما قارنـا الرقـم 70.000 المشـار إليـه فـان الفـرق يكـون

---

[36] Smith and Dwight, Armenia, p. 294

[37] Liet. Col. Car, E. Ralf, The Kurdish Mountain Range, .. JRN. of The Royal United Service. Vol. 22, 1878 – 1879 , p. 182

[38] Rev. E. Cutts, Report,10, 175

330.000 وهو رقم لم يشر إليه أي من المصــادر التاريخيــة لعـدد النسـاطرة في أذربيجان في القرن التاسع عشر. المبشر Cutts يفصــل عـدد اتبـاع مـارشمعون حسب بعض مناطقهم الجغرافية على النحو التالي:

1 – تياري وحكاري	56.000
2 – اورمية	25.000
3 – المتكثلكين في أذربيجان	36.000
المجموع الكلي	117.000

3. المبشر Dr. William Ainsworth

الأرقام التي يوردها هذا المبشر تظهر بما لا يقبل الشك نزعـة التعمـد في تقديم أقل رقم يخص نفوس القبائل المستقلة الأمـر الـذي جعلـه غـير قـادر حتى على تقديمها بشكل مقنع ومن دون أن يناقض نفسه، حيث قدم الدليـل على خطأ تقديراته. أدناه الأرقام التي يوردها عن عدد نفوس القبائل المستقلة.

أسم الإقليم	عدد القرى	عدد البيوت	معدل نفوس العائلة	المجموع
تياري	24	480	8	3840
جيلو	12	240	8	1920
جولمرك	24	480	8	3840
برور	17	340	8	2720
تخوما	5	100	8	800
باز	4	80	8	640

دز	11	220	8	1760
خارج حكاري	11	220	8	1760
العمادية	1	20	8	160
13 إقليم مجهول	–	1300	8	10400
المجموع				27000

وقفة تأمل للأرقام التي يقدمها **Dr. Ainsworth,** تفسر النزعة التي أشرنا إليها. وهنا نحن لا نأتي بجديد لدحض مزاعمه هذه وإنما نعتمد الأرقام والبيانات التي أدلى هو نفسه بها في مؤلفه عن زيارته للقبائل المستقلة سنة 1840 فنشير وباختصار إلى البعض منها وفيها الكفاية لإختبار مدى صدق نواياه.

الدكتور المشار إليه إضافة إلى اثنان من بني جلدته قاموا بزيارة القبائل المستقلة بعده مباشرة وهما: Dr. George Badger, and Edward Cutts، وكلاهما قدما قائمة بالقرى الآشورية التابعة لمارشمعون. مقارنة بين ما ورد في القائمتين ستوضح الكثير من الأمور المتعلقة بعدد نفوس اتباع مار شمعون وتثبت عدم صحة ما ادعاه الكثيرون من المبشرين حول هذا الموضوع

قائمة بعدد قرى كل إقليم كما ورد في المصدرين أدناه

اسم الإقليم	قائمة Ainsworth	قائمة Badger & Cutts
تياري العليا والسفلى	24	52
جيلو	12	16

تخوما	5	5
باز	4	5
دز	11	13
جولرك	24	0
برور	17	0
والطو	0	5
برور قوجانس	0	9
برور سويني	0	10
برور شواووثا	0	3
بليجناي	0	4
ريكاناي	0	5
كاور	0	23
ديراناي	0	4
خنانيس	0	4
البق	0	11
ليزتم	0	4
نودز	0	4
شمس دين	0	26
برادوست	0	30
بين الأكراد	0	5
المجموع	97	253

Badger و Cutts، مثل الدكتور Ainsworth, لم يوردا القرى الآشورية التابعة لمارشمعون في الكثير من أقاليم أذربيجان وبَرور وصبنة والزيبار وعقرة

وبارزان وراوندوز والجزيرة والكثافة الكبيرة التي كانت قائمة سنة 1836 في الخابور.

عودة إلى الدكتور أنسورث المشار إليه الذي حاول جهده تقليل عدد أتباع مارشمعون إلى أقصى ما يمكن. فعند حديثه عن تياري السفلى يذكر بان مركزها هو قرية آشيثا الكبيرة، التي بإمكانها تحشيد ألف مقاتل، وان نفوسها قدرهم بخمسة آلاف نسمة فقط. ومن السجل أعلاه فانه يعطي لمجموع نفوس تياري العليا والسفلي رقم **3840 نسمة فقط.**

نموذج آخر عن التعمد الظاهر في تقليل عدد نفوس اتباع مار شمعون. فبالنسبة إلى العدد الذي يعطيه لنفوس إقليم تخوما هو 800 شخص فقط في سنة 1840 وإذا ما علمنا بان تخوما تعرضت لمذبحة بدرخان بك ومعه التحالف الكردي في سنة 1846، وحسب الأرقام المتواضعة التي أوردتها المصادر الدبلوماسية البريطانية ذاتها فان عدد الضحايا تجاوز ضعف مجموع السكان الذي أورده[39]. وهو يذكر أرقامه هذه عن عدد النساطرة[40] لم ينسى

---

[39] مرعبة هي أحداث مذبحة تخوما التي وردت تفاصيلها بعد نجاة شابتين من بين مئات الضحايا. فلقد أبيدت قافلة الأطفال والنساء التي كانت متوجهة لإقليم جال للجوء عند الآغا الكردي الذي عرض على اهل تخوما حماية النساء والأطفال فغدر بهم حين وشى الامر لبدرخان الذي طوق اللاجئين من الجميع الجهات وقتل من النساء فقط 600 امرأة في المضيق المؤدي الى باز. إلى جانب ماريزيد على 300 طفل. أما الرجال فقد قتلوا أثناء المعارك، وهرب قسم إلى فارس. اضافة الى 100 شخص أخذوا اسرى وجلبوا امام احدى كنائس تخوما حيث سمعوا حكم الأعدام الذي قراه نورالله بك عليهم "الهوهم، فالقنصل الإنكليزي في الموصل لا يستطيع اطلاق سراحهم من القبر" وقتل المئات في منطقة أخرى، كما واخذ نورالله أعدادا كبيرة من الاسرى. انظر: F.O. 78 / 2699. Mosul, 19 September, 1846. From Rassam to Wwllesley. ff,Badger, I: 370 371. وذكر لايارد بانه قتل من اربعة قرى فقط 770 شخصا، 355 - Laurie, 364

[40] Ainsworth, II: 286:

الإشارة إلى الأرقام التي كان قد أوردها الدكتور "والش" قبله بفترة قصيرة والذي اعتبرها عالية[41]

4.المبشر **Dr Grant,** قدر عدد أبناء القبائل المستقلة وحدها قبل مذابح 1843 بمائة ألف نسمة. في تياري وحكاري و 200.000 في تركية وفارس[42] والرقم الأخير يعطيه أيضا توماس لوري[43]

5 . **J.W. Etheridge,** وهو يتحدث عن النساطرة، يشير إلى انه لغاية مذابح بدرخان بك سنة 1843 فان الرقم الإجمالي لعدد نفوس اتباع مار شمعون هو 200.000 نسمة من الذين يعيشون غالبيتهم في المناطق الجبلية، داخل بلاد آشور، ومن الذين حافظوا ولعهود طويلة على استقلالهم وكانوا في حالة تصادم دائمة مع الأكراد الرحل.[44]

6 . المبشر Dr. Justin Perkins,

خلال فترة عمله الطويلة كرئيس لأول بعثة تبشيرية أمريكية للكنيسة الشرقية التي اتخذت من مدينة "اورمية" مقرا لها منذ عام 1835 يقدم تقديراته لعدد أتباع مارشمعون حسب توزيعهم الجغرافي. فيورد الأرقام التالية :

الإقليم	عدد النفوس
تياري	50.000
بقية الأقاليم المستقلة	60.000

[41] Ainsworth, 287.

[42] Dr. Grant, The Nestorians, 49, 128. American Sunday School Union, The Nestorians of Persia, 61.

[43] Laurie, 153.

[44] J. W. Ehteridge, The Syrian Churches, London, 1848.128.

أذربيجان	30.000	40.000
المجوع	140.000	150.000 [45]

45 .perkins, 12 - 13

الفصل الثاني

القبائل الآشورية ووطنها – تابع

ثالثاً ـ ركن السيادة:

استقلال القبائل الآشورية والآراء التي قيلت فيه

لا يمكن أن تنطبق شروط الدولة المستقلة على أي مجموعة بشرية تعيش ضمن حدود جغرافية خاصة بها تاريخيا ما لم تمارس هذه المجموعة حق السيادة على ترابها وثرواتها. وأن يكون لها القدرة العسكرية على حماية تلك الحدود. ولها حريتها في إدارة شؤونها الداخلية، والخارجية، بمعزل عن أي تدخل لقوى خارجية. هذه الشروط كانت منطبقة، وقيد الممارسة بالنسبة إلى القبائل الآشورية المستقلة. ولا نبالغ إذا قلنا بان هذه القبائل وتلك التابعة لها، كانت أقوى قوة عسكرية في المنطقة. هذا ما أفاد به وذكره الدبلوماسيون الأجانب الذين درسوا عن كثب الحالة السياسية والعسكرية في المنطقة، وما عكسه تاريخها قبل إخضاع هذه القبائل سنة 1843. فالمقيم البريطاني في بغداد الذي كان قد أمضى سنتان في بلاد آشور يدرس أحوالها، ذهب إلى ابعد من ذلك حين ذكر بأن أبناء القبائل الآشورية المستقلة كانوا قد تجاوزوا مرحلة القدرة على حماية حدودهم، ليصلوا مرحلة بموجبها كانوا قد "أدخلوا الخوف والرعب في قلوب العناصر المسلمة المجاورة لهم، لدرجة كانوا يخشون على أنفسهم من هجماتهم وانتقامهم إذا ما تعرضت مصالحهم لأي اعتداء"[1].

[1] Rich, I: 276. ويذكر عن قوتهم وهيمنتهم والرعب الذي كانوا قد فرضوه على المنطقة قائلاً:

وخلال معظم فترة الحملة التركيـة لإخضـاع الكثير مـن المراكـز المستقلة، ظل الدبلوماسي الإنكليزي **Henry Ross** مقيما في الموصـل متنكـرا مرة بصفة تاجر وأخرى بصفة منقب آثار. كان يرصـد الأحـداث والتطـورات السياسية الحاصلة في المنطقـة. ولقد قـام بزيـارة لوطـن القبـائل الآشـورية في تياري وحكاري بعد المذبحة الثانية الـتي اقترفـها التحـالف الكـردي بقيـادة بدرخان ضد إقليم (**تخوما**) في نهاية أيلـول 1846. وحـين وصـل إلى حـدود وطن هذه القبائل ووقف على القمم التي تشرف على تياري وكتب يقول:

".. نزلنا منحدرين الجبال الـتي كـانت حصـن القبـائل النسـطورية التي كانت مستقلة إلى عهد قريب جدا"[2]

Ross هذا، لا يتحدث عن الاستقلال الضائع للقبائل المستقلة، بقدر ما يعبر عـن اسـتغرابه لكيفيـة ضيـاع هـذا الاسـتقلال، لما عـرف عنـها مـن استعداد قتالي لا يباريها فيـه شـعب آخـر. فيتحـدث عـن قدراتـهم القتاليـة الفائقة والتي كانوا عليها لغاية بضعة سنوات قبل إخضاعهم.* وما لحق بـهم

" إن أكثر القبائل الوحشية في جولمرك وحكاري استقلالا هم القبائل الكلدانية ... هؤلاء لا يعيرون اهتماما لأمير حكاري، ويعيشون حياة بربرية .. الرجال يتميزون بقدرتهم البدنية وشجاعتهم. ويقال بأنه أكثر أمنا احتياز منطقة إسلامية من المرور وسط بلادهم الممتدة ما بين العمادية و جولمرك التي لا توجد فيها إلا قبيلة مسلمة واحدة. ويورد مثالا عن الهيمنة التي فرضوها على المنطقة فيذكـر بـان زعيم أكراد العمادية له بيت ريفي في المنطقة القريبة من المدينة [لعلها سولاف] وانه مضطـر إلى إبقاء قوة حراسة دائمة فيها من خشيته عليها من هجوم أبناء قبيلة تياري المستقلة. 1: 156. ويذكر انه في سنة 1820 كانت منطقة العمادية تعج بالقرى النسطورية وان سكانها كانوا يلبسون القبعات الشبيه بتلك التي يستخدمها الأوربيون. 2: 111- 112.

[2] H. Ross, Letters From The East. Edited by J. Ross. London, 1902. Mosul 19 November, 1847, From Ross to Layard, 61, 63, 79

* بكل تأكيد فان الفترة التي يشير أليها هي الفترة السابقة على دخول المبشرين الغربيين وطن هذه القبائل

من خسارة لاستقلالهم لا تتماشى مع تلك القدرات الدفاعية التي عرفوا بها. ويسرد قصة واحدة من الأحداث النادرة في شجاعتها، التي تميز بها أبناء القبائل، حيث اظهروا البطولة الفائقة، والقدرة اللامحدودة على المحافظة على الوطن والاستقلال. فيشير إلى منازلتهم لزعيم **"راوندوز" محمد باشا "مير كور"** الذي كان قد فرض هيمنته المطلقة على جميع المنطقة الممتدة من إيران، وحتى **"ماردين"**، ويدعم جبروته هذا جيش نظامي جرار، مكون من أربعين ألف مقاتل، والذي تدعمه أيضا صناعة حربية محلية خاصة به. فبعد أن اخضع المنطقة بأكملها، يبدو بان باشا راوندوز هذا، كان قد عزم على إخضاع القبائل المستقلة، (أسوة ببقية المراكز المستقلة التي كان قد أخضعها بمباركة تركية ـ إنكليزية). ولهذه الغاية قاد بنفسه جيشه لكي يخضع قبائل تياري وحكاري الآشورية المستقلة. لندع **Ross** يروي لنا ماذا حصل!.

"القوم [القبائل الآشورية] كانوا في حالة حرب دائمة .. بيوتهم كانت مملوءة بالأسلحة المعلقة على الجدران. طلقة واحدة في الوادي الذي هو من الوعورة، بحيث حتى الماعز، لا يستطيع أن يسلكها، كانت كفيلة بتعبئة أبناء القبائل بأكملها بسرعة فائقة. كل ذكر ْ فوق الخامسة عشر من عمره، كان يحمل البندقية التي يجيد استخدامها بمهارة. .. قريتا **(اوري)** و **(بيدون)** الكرديتين الواقعتين في مدخل المضيق المؤدي من **"بَرور"** إلى **(تياري)** اضطر سكان الأولى لهجرها، في حين أقام سكان الثانية برجاً للمراقبة والإنذار المبكر. **اسم تياري اصبح مرادفاً للخوف والرعب.** وحين حَشَدَ محمد باشا الراوندوزي قواته في المناطق الواقعة إلى الجنوب من بلادهم، قام خمسون مقاتلاً من تياري، بالانقضاض على معسكره كالنسور،

واقتحموا قرية بالقرب من خيمته بجوار العمادية، وتركوا خمسة عشر رأسا تنزف لوحدها، كشهادة لزيارتهم.

سرعتهم في الحركة والانتقال، لا يمكن تصديقها. فلقد قطعوا مسافة سبعين ميلا [112كم] ، طوقوا القرية عند الغروب، وقاموا بحرقها، ووصلوا إلى بلادهم قبل الفجر. بعد ستة أيام، أعادوا الكرة ثانية، على قرية أخرى، هذه المرة وضعوا رؤوس ضحاياهم، على معبر على الحدود المؤدية إلى تياري، كعلامة إنذار لباشا راوندوز. العملية الأخيرة أدت إلى التعجيل في هجوم محمد باشا الراوندوزي عليهم. حيث انظم إليه جميع أكراد المنطقة: من العمادية و برور وغيرها. .. وعند قرية **(ليزان)**، وعلى ضفاف نهر الزاب، وقعت المعركة الحاسمة التي حشد لها أبناء تياري، 1500 مقاتل فقط. كانوا أقل عددا، ولكن أكثر تحصينا. وبعد معركة عنيفة، هزم **"بك راوندوز"**. فلاحقه النساطرة لعدة ساعات [إلى أسوار العمادية]. وكانت خسائر الطرفين فادحة. هؤلاء النساطرة أصبحوا مصدر رعب لجميع المسلمين في المنطقة[3]

المبشر الدكتور كرانت يحدثنا عن الرعب الذي كان قد ولده اسم أبناء القبائل بين جيرانهم فيقول: " إنهم يمثلون أكثر العناصر البشرية رعبا وخوفا. .. وإن أي وأحد منهم يذهب إلى العمادية للتجارة، فانه غير مسموح له بالمبيت فيها ليلا... ويتداول عنهم الأكراد قصصا غريبة منها: أن لهم قدرة سحرية على إخفاء أنفسهم"[4].

---

[3] Ross, Mosul, 19 November, 1847. From Ross to Layard, 61, 63, 79

[4] Dr. Grant, 45 - 46 أورد كرانت هذا موضحا بسبب رفض الشخص الذي كان قد نسبه معه أغا عقرة لمرافقته إلى العمادية وهو في طريقه [أي كرانت] إلى تياري. أنسورث يذكر انه في صيف عام 1840 ،أي بعد سنة من زيارة كرانت لوطن القبائل المستقلة، وفي ذات الليلة التي

الضـابط والدبلومـاسـي البريطـاني، **Capt. Campbell** أخـبر المبشران سمث ودوايت سنة 1831 مؤكدا لهما: بان النساطرة هم بدون مقارنة من أقوى العناصر في المنطقة، وان الأكراد يخشونهم. وظلوا يعيشون مستقلين في وطنهم من دون أن يتمكن أحد من الاقتراب منهم بسبب قوتهم وكفاءتهم[5].

القنصل البريطاني **كلاوس رج - Claus J. Rich** بعد أن أمضى فترة سنتين في بلاد آشور حيث أمضى معظمها في الموصل دارسا أحوال الأقوام العرقية والدينية المختلفة فيها، وفي المناطق المحيطة بها، كتب عن أبناء القبائل المستقلة في تياري وحكاري ما يلي:

"للوصول إلى أسيا الصغرى عبر (فان)، يجب المرور في وطن القبائل المسيحية الكلدانية الموحش، ذو المسالك الوعرة التي يصعب اجتيازها. وإنني أعتقد بأنهم المسيحيون الوحيدين في الشرق، الذين نجحوا في المحافظة على استقلالهم، وسط الإسلام. فلقد فرضوا عليهم الرعب والخوف والرهبة ... وهم لا يعيرون اهتماما ولا انتباها لأمير حكاري الكردي .. وان أكثر القبائل وحشية واستقلالا في جولمرك، أو حكاري، هي القبائل الكلدانية التي عددها أربعة ... وتعيش في حالة بربرية تامة .. الرجال متميزون بقوتهم العضلية وشجاعتهم. ويقال بان اجتياز منطقة إسلامية هي أقل خطورة من اجتياز مناطقهم"[6]

وصلها، فان أبناء تياري هاجموا قرية كردية والحقوا بها الكثير من الأضرار والإصابات. انظر: Ainsworth, II: 202.

[5] Smith and Dwight, Armenia, 219.

[6] Rich, I.175 – 176

لندع النعوت التي نعت بها (رج) القوم جانبا فقد رد عليه ابن جلدته أنسورث.[7] وما قاله عن القبائل المستقلة كان تعبيرا عما سمعه من أصدقائه الأتراك الحاقدين عليهم. ولكن لنطلع على تجربته الشخصية مع أبناء هذه القبائل، فهي انعكاس واضح لحالة القوة والهيمنة التي كانوا عليها. فلقد أراد هذا القنصل أن يرسل بريدا مستعجلا وصله من الهند، ويبدو انه كان على درجة عالية من الأهمية الأمر الذي كان يتطلب إرساله بأسرع ما يمكن. وبعد دراسة مستفيضة وجد بان أقصر الطرق الموصلة للعاصمة "**القسطنطينية**" حيث مقر السفير، تمر عبر "**فان**" فقر رأيه على إرساله عبر هذا الطريق، الذي يتوجب المرور وسط وطن القبائل المستقلة. فاختار للمهمة شخص تركي اسمه "**عمر أغا**". ويقول بأنه بحث معه مطولا مسار الطريق الذي " **لم يسبق لتركي واحد حاول أن يسلكه سابقا**". ولكي يسهل مهمته، فانه ندب معه أحد أبناء (**عينكاوة**) القرية الآشورية المجاورة لأربيل، الضليع باللغات المحلية، وفي مقدمتها اللغة السريانية التي يتحدث بها أبناء القبائل.

وحين وصل مبعوثا القنصل إلى "**العمادية**". حذرهم حاكمها من مخاطر مثل هذه الرحلة. وصارحهم بان حياتهم ستكون عرضة للهلاك. غير أن تحذيرات الحاكم لم تثني عمر أغا من مواصلة تنفيذ المهمة التي كلفه بها الدبلوماسي البريطاني. هنا لم يجد الحاكم من بد إلا أن يسدى لهم النصائح

5.[7] لقد ذكر أنسورث بان القنصل كان تحت تأثيرات الإساءة التركية التي كان يستقي منها معلوماته وكان الكره للقبائل الآشورية المستقلة واضحا بسبب كونهم مستقلين وغير خاضعين للسلطان كما كانوا يرغبون. أنسورث أطنب في وصف أخلاق ومناقب أبناء هذه القبائل وحسن معاملتهم للغريب. انظر .Ainsworth, II: 282

والإرشادات، لكي يتقيدوا بـها أثنـاء اجتيـازهم لوطـن القبـائل الآشـورية هذه. فقال الحـاكم لهـم: ' إذا ارتم أن تبقـوا أحيـاء! ادفعـوا ثمـن أي شـئ تأخذوه؛ لا تظهرا أي نفور أو اشمئزاز مـن الطعـام الـذي يقـدم لكـم، مـهما كانت نوعيته. على العكس، بالغوا في مدحه، والإطناب في وصفه. إذ أن أية إساءة بسيطة سوف تثيرهم، وستؤدي إلى هلاككم'".[8]

القنصل يصف لنـا مـا حـدث لمبعوثـه حـين وصـل إلى حـدود وطـن القبائل المستقلة فيقول: "لقد أوقفوه وسألوه: 'من أنتم؟ ومـن أي قـوم انتـم'؟ فأجابهم عمـر أغـا: بأنـه (عثمـاني). ولكنـهم لم يفـهموا مـاذا تعـني كلمـة (عثماني). فكظم التركي غيظه، محاولا عدم إظهار تهيجه. فأجابوه: 'إنهم لا يعرفون السلطان، ولا يـهتمون بمعرفتـه..' وقـالوا لـه: 'إنـهم يعيشـون في وطنهم قبل ظهور نبيه بفـترة طويلـة ..' واخـبروه: 'بأنـهم لم يشـاهدوا قـط خيالا يجتاز جبـالهم مـن قبـل'. وعنـد حديثـه عـن أمـير حكـاري، يذكـر القنصل: بان مبعوثه لم يشاهده، وهو على أيـة حـال، لديـه سـلطة ضعيفـة جدا على اتباعه".[9]

ولم ينسى القنصل وهو يتحدث عن قـوة وهيمنـة القبـائل، أن يـورد مثالا على ذلك، معبرا فيه عن السطوة والسيطرة التي كانوا قد فرضوها علـى المنطقة المحيطة بهم. فيذكر بان أمير العمادية، كان يملك بيتا ريفيا بالقرب من العمادية [على الأغلب في منطقة سـولاف]، فكـان مضطرا أن يقيـم عليـه

---

[8] Rich, I: 276 – 279.

[9] Rich, I: 276 – 279.

حراسة دائمة، ومشددة، خوفا من تعرضه لهجمات أبناء تياري، **"القبيلة المسيحية التي يرتعب منها كثيرا جميع المسلمين"**[10]

وللاستدلال على هذه الحقيقة نذكر بان وطن القبائل المستقلة ظل عبر حقبات الزمن مقفلا بوجه الغرباء، ولم يدخله أحد إطلاقا. فحالة اليقظة والاستعداد كانت ظاهرة يومية في حياة أبناء القبائل. والحدود كانت محروسة لدرجة لم يكن يجرأ غريب، على الاقتراب منها، لان ذلك كان مغامرة عواقبها مأسوية. هذه الحقيقة عبر عنها بكل مرارة والي الموصل التركي (**محمد إنجة بيرق دار**) الشهير بقسوته، وحبه لسفك الدماء، وفرض السيطرة التركية على جميع المناطق، وإخضاعها لحكم السلطان، بما فيها وطن القبائل المستقلة. فحين أراد المبشر الدكتور **Grant** أن يزوده بكتاب توصية، لتسهيل مهمته التي كان يعتزم فيها القيام بزيارة هذه القبائل في سنة 1839 أملا أن يوفر له الباشا التركي الدموي، أسباب حماية حياته فأجابه على طلبه قائلا:

"إلى حدود وطنهم ' قال باشا الموصل العنيف ' سأكون مسؤولا عن سلامتك؛ بإمكانك وضع الذهب على رأسك من دون أن تخشى شيئا؛ ولكن أحذرك: بأنني لا أستطيع حمايتك أبعد من ذلك. هؤلاء الجبليين الكفار [المسيحيون] لا يعترفون لا بالباشاوات ولا بالسلاطين. ولكن منذ الأزمنة السحيقة كل واحد منهم هو ملك نفسه"[11]. هذا كلام نطق به أعلى وأقوى

---

[10] Rich, Footnote, 156.

[11] Dr. Grant, 46. Laurie, 129.

مسؤول تركي في ولاية الموصل سنة 1839 ولنا أن نتصور رأي وموقف غيره من العناصر الأخرى المجاورة[12].

الاستعداد واليقظة التي كان عليها أبناء تياري

المبشر الدكتور كرانت لم يكن قد وصل بعد إلى حدود القبائل المستقلة، إذ ما أن اجتاز قرية (دوري)، الواقعة إلى الجنوب من تياري حتى فوجئ بحراس تياري اليقظين. فيقول بأنه أوقفته مجموعة من النساطرة من أبناء تياري المستقلين، الذين طالبوه بمعرفة: **من هو؟ وماذا يريد؟ وإلى أين هو ذاهب؟**. هذه الطلبات تم تكرارها مرارا، من قبل كل مجموعة مررنا بها، حتى سمعنا صراخا صادرا من الصخرة المطلة على رؤوسنا: "**من أنت؟ من أين أنت قادم؟ ماذا تريد؟** صرخات، رددت مرات عديدة، بلغة سريانية ويصوت خشن، وملامح قاسية، تعبر عن قوتهم، وعنفهم وروحهم القتالية"[13]. وحين وقف على مشارف بلاد تياري كتب ما يلي: "**هنا وطن 100.000 مسيحي مستقل .. بجباله التي تغطي قممها الثلوج**"[14]. ذات الاستعداد وذات الأسئلة وجهت إلى المبشر الدكتور أنسورث، حين قصد تياري في صيف 1840 لزيارة وطن القبائل المستقلة[15]

جملة عوامل كانت تعمل بشكل مشترك وتجعل أبناء القبائل المستقلة يحافظون على استقلال بلادهم. فإضافة إلى الاستعداد واليقظة الدائمة

---

[12] يقول سمث ودوايت بأن النساطرة المستقلون كانوا يأخذون الأتاوة من الأكراد وليس العكس كما كان حال نساطرة أذربيجان. Armenia, 218.

[13] Grant, 46 - 47

[14] Grant, 49 - 50

[15] Ainsworth, II: 218

كما لاحظنا، فان سر القوة الكامن في نجاح القوم في الدفاع عن بلادهم والمحافظة على استقلالهم، كان يكمن في وحدة الصف القائمة بينهم. فالكل كانوا يدركون بان بقائهم، وحريتهم، مرتبطتان بوحدتهم. وطالما حافظوا عليها، فان الأعداء لن يكون بمقدورهم هزيمتهم، مهما كانت الظروف. من هنا فان العوامل الذاتية القائمة بين أبناء القبائل الآشورية، كانت تعكس حالة الارتباط المصيري بين القيادة والشعب على هدف مشترك، وهو حماية البلاد واستقلالها. هذه المهمة شعر بها المسؤولين وأتباعهم بأنها مسؤولية كل فرد منهم ويتوجب عليه القيام بها.

ومما جعل عوامل التكامل قائمة في هذه الدولة الآشورية البدائية، هو الاعتماد على النفس في تهيئة مستلزمات الدفاع. فكانت الأسلحة تصنع محليا وكذلك كانت الذخيرة اللازمة، وكل ذكر بلغ الخامسة عشر من عمره كان يحمل السلاح للدفاع عن الوطن ويقوم بنفسه بتحضير كل ما يلزمه من الأسباب لذلك.[16] لا بل إن النساء كن يقمن بمهام الحرب جنبا إلى جنب الرجال، ولقد سجلن في مناسبات كثيرة مآثر ظلت تروى جيلا بعد جيل تمثل قصص البطولة التي أبدتها الكثيرات منهن[17].

---

[16] حالة الاستعداد الدائم التي كان كل فرد من أبناء القبائل قد تحسس بها وعمل على تحقيقها لمسها للمبشر الدكتور كرانت حين زار وطن القبائل لأول مرة سنة 1839. فلقد ذكر بأنهم يصنعون الذخيرة المطلوبة لأسلحتهم بأنفسهم. وإن أفران لصهر الرصاص، وصناعة الذخيرة محيا قائمة في وطن القبائل. فكل بالغ وقادر على حمل السلاح يصنع بارووده، وطلقاته وكذلك قبعته وحذائه. Grant, 64, 86. أنسورث الذي سبقه كرانت بسنة واحدة بزيارته لتياري وحكاري أفاد: إن أبناء القبائل يجيدون الرماية بمهارة وان مرافقه نجح في صيد طريدته بطلقة واحدة. Ainsworth, II: 237.

[17] يورد Fletcher, نموذجا لقصص البطولة التي خاضتها المرأة الآشورية في تياري وحكاري فيذكر بان (مرتا) السيدة الآشورية في تياري قتلت 5 من الأكراد أثناء مذابح بدخان بعد مقتل

4 – النظام السياسي

حين أشرنا إلى حالة القبائل الآشورية في تياري وحكاري وقلنا بان ما كان قائما وسط تلك القبائل وتلك البلاد كان حالة دولة مستقلة. فإننا في الواقع لم نأتي بجديد بقدر ما كان انعكاسا لواقع قائم كان له شروطه ومستلزماته، التي كانت فرزا طبيعيا لتجربة تاريخية فريدة في نوعها. وقد تكون فريدة في وصفها، إذا ما استخدمت المعايير المعاصرة في الحكم عليها. فهنا، في تياري وحكاري، عاش قسم من أبناء الشعب الآشوري، وطوى القرون الطويلة، واحدة بعد الأخرى، يعيش حالة استقلال كامل، ويدير شؤونه بنفسه. واثبت ـ كما أشرنا ـ قدرته على الدفاع عن نفسه ووطنه. فماذا يمكن أن توفره الدولة المستقلة، أكثر مما وفرت التجربة الطويلة للقبائل الآشورية، في هذا الجزء الحيوي والهام من بلاد آشور؟. هذا الواقع استمر رغم محاولات الإخضاع والهجمات المستمرة من قبل الغزاة المتعاقبين إلى سنة 1843.

ولما كان عنصرا الأرض والسكان متوفران في دولة تياري وحكاري الآشورية فان عنصر السيادة كان من الوضوح والفعالية، بحيث أقر به كل المعنيين بدراسة أحوال هذه القبائل، من الدبلوماسيين الغربيين، والمستشرقين والمبشرين والباحثين. فقد كانت بلاد تياري وحكاري تتمثل بشعب يعيش على أرضه التاريخية الواسعة، ويتمتع باستقلاله الكامل عن هيمنة وسيطرة أية قوة أجنبية سواء كانت محلية أو دولية. وكما يؤكد كرانت فانهم كانوا قد فرضوا الرعب والهيمنة على جيرانهم الأكراد، وغيرهم ارتعبوا من

زوجها وابنها الكبير، ونجحت بالانسحاب مع ابنها الصغير، ووصلت إلى الموصل حيث ماتت تاركة صغيرها لوحده. Notes, I: 331 – 333.

الاقتراب منه، وكانت حدودهم مصانة بسبب قوتهم وقدرتهم على الدفاع عنها وحمايتها[18]. الشروط الثلاثة المطلوبة لقيام الدولة: الأرض والسكان والسيادة كانت متوفرة وتعكسها الحالة التي ظلت قائمة إلى أواسط القرن التاسع عشر. حيث كانت قيادته الشرعية تمارس دورها المطلوب الذي عكس أهليتها السياسية وتمتعها بالاستقلال في إدارة شؤونها الداخلية والخارجية. هذا الشرط كان متوفرا بشكل أذهل الدبلوماسيين الغربيين في القسطنطينية، وطهران، وبغداد، والموصل، وتبريز، وارضروم، وغيرهم، ممن كانوا في مواقع وظيفية مؤهلة لتقييم حالة الاستقلال، الذي كانت تلمس حقيقته يوميا من خلال الممارسة. وبكلمة أخرى فإن الشعب المستقل هو الذي يعبر بالممارسة عن شروط السيادة على أرضه وشؤونه الداخلية والخارجية ويحكمه ويشرع قوانينه وينفذها ذاتيا أبنائه، ولا يخضع في ذلك إلى إشراف أو تدخل قوى خارجية. وهذا كان حال قبائل تياري وحكاري الآشورية وحكومتها البدائية.

اجل القبائل الآشورية كانت الدولة المسيحية الوحيدة في الشرق، التي ظلت على استقلالها خلال قرون الغزوات والمذابح حيث تم القضاء على جميع تلك التي برزت إلى الوجود خلال حقبات التاريخ المختلفة كما أفاد بصواب المستر رج، الدبلوماسي البريطاني. ولهذه الدولة الآشورية المستقلة يعزى عامل التوازن الديني والقومي في المنطقة لاسيما بين المسلمين والمسيحيين، خلال فترة هيمنة العناصر الغريبة وغياب الحكم المركزي للدولة المركزية[19].

---

[18] Grant, 45.

[19] ريجاد كوك، بغداد مدينة السلام. 1: 246.

ورغم بداية اختلال الموازنة المشار إليها بدء من سنة 1831 مع استهلال الأتراك فرض سلطتهم المركزية على المراكز المستقلة والظهور المفاجئ لسيل المبشرين الغربيين، فان العلاقة بين الآشوريين والأكراد عامة وبينهم وبين الأغلبية المسلمة كانت قد استقرت ثوابتها بشكل أو آخر، إن لم نقل بان العلاقة بين الطرفين كانت ودية إلى أن دخل العامل الأجنبي (التركي والغربي) إلى الساحة القومية والدينية وعمل على زرع الشقاق والخلاف الذي ساعد على قيامه محدودية الرؤية السياسية وضعف القدرة في قراءة عواقب الأمور المدمرة على كلا الطرفين، وانخداعهما بالطروحات والمشاريع التي كانت قيد التنفيذ والتطبيق في المنطقة. ورغم كل ذلك فان واقع استقلال القبائل وسيادتها على مقدراتها كان حالة لم يكن بالإمكان تجاهلها أو إهمالها ففرضت على الجميع الاعتراف بها كحقيقة قائمة تم التعامل معها على ضوئها.

صحيح أن دولة القبائل المستقلة لم يكن لها مؤسساتها السياسية الحديثة كما هو الحال في الدول المعاصرة. ولكن إذا عرفنا الخصوصية التاريخية التي كانت عليها القبائل فان غياب هذا العامل يمكن إدراكه. فالقوم كانوا قد عاشوا في عزلة تامة عن العالم، وان كل ما كان قائما وسطهم من عادات ومفاهيم وأفكار كانت فرزا محليا، لا علاقة له قط بالعالم الخارجي. وكان استجابة وفرض لأحكام الضرورة للبقاء والديمومة. وان المؤسسة السياسية التي عرفتها القبائل كانت تمثل ذلك الامتداد التاريخي لما كان قائما في بلاد ما بين النهرين لآلاف السنين قبل الميلاد، حين كان سائدا فيها النظام البطريركي. فبلاد تياري وحكاري التي دام استقلال الآشوريين فيها إلى أواسط القرن التاسع عشر، نقلوا بكل أمانة كل ما كان قائما من

تراث وممارسات سياسية وتشريعية في الماضي البعيد إلى الحاضر القريب.

لا بل إن هذا الواقع في كثير من جوانبه التراثية كان قائما حتى في سهول نينوى وسط التجمعات الآشورية.

المؤسسة السياسية

الدولة الآشورية و هيكلها السياسي المطلوب لإدارة شؤونها.

وإذا كان البعض يستغرب من ظاهرة ازدواج السلطة الدينية والمدنية للبطريرك، والدور الكبير، والنفوذ المؤثر الذي كان يمارسه **(ملوك)** القبائل، على قبائلهم، فإن هذا لم يكن ظاهرة غريبة أبدا، عن مجتمع القبائل البدائي، في مفاهيمه، ونظرته لأمور الحياة التي كان ينظر أليها كانت ذات النظرة التي كانت سائدة قبل أربعة آلاف سنة. من هنا فإننا عندما نتحدث عن الهيكل السياسي واستمرار الدولة الآشورية، فإننا في الواقع لا نشير إلى ما كانت عليه حالة الدولة أيام مجد الإمبراطورية في عهد سركون الثاني وسنحاريب وآشوربانيبال على سبيل المثال. لان عصر هؤلاء كان قد اعتمد على القاعدة الحضارية التي كان قد بناها الشعب الآشوري عبر القرون الماضية. في حين كانت حالة القبائل الآشورية في تياري وحكاري مشابهة إلى حد ما لعصر الفترة الأكدية وزمن البطريرك الأول **(مار اوراهم)** من اور الكلدان كما يذكر العهد القديم. من هنا فان الدول الحديثة التي هي مقسمة بين تلك التي تعتمد الأنظمة الديموقراطية والديكتاتورية، جمهورية، وملكية. لا نجد تشابها بينها وبين الدولة الآشورية في تياري وحكاري.لأن نظام الأخيرة كان نموذجا للنظام **(البطريركي)** كما قلنا، ذلك النظام الذي شغل مساحة كبيرة في تاريخ الدول في المراحل الأولى لتشكيلها في بلاد ما بين النهرين.

ورغم بدائية المؤسسة السياسية التي أخذت على عاتقها إدارة شؤون اتباعها فإننا نستطيع الحكم عليها من خلال النوعية العالية لأدائها ومن خلال محصلة ذلك الأداء، والخدمات والمكاسب التي حققتها لأتباعها. فلقد نجحت وبشكل متواصل في المحافظة على استقلال القبائل، والدفاع عن حرية الوطن والأرض. ولا نعتقد بان النظم والمؤسسات السياسية، للدول القائمة حديثا، يمكن الحكم على دورها وأهليتها للقيام بواجبات الدولة المستقلة، في مجال وظيفتها الحيوية تنجز أكثر مما أنجزته الدولة الآشورية في هذا المجال، وهو الدفاع عن حرية واستقلال الوطن وتحقيق الأمن لمواطنيه.

والتجربة التاريخية لهذه القبائل أثبتت امتلاكها لإدارة سياسية متمكنة قادرة على إدارة شؤونها الداخلية والخارجية. فلقد عرفت نوعا من المجلس التشريعي الذي كان أشبه ما يكون بمجالس ال (شورى) مشكلا من الملوك والرؤساء والكهنة والمسنون (تماما كما كان في زمن كلكامش كما تخبرنا الألواح المسمارية العائدة لتلك الفترة). هؤلاء الذين كان يرأسهم البطريرك كانوا مسؤولين عن شؤون البلاد السياسية والعسكرية وحتى التشريعية. ولكن جل وظيفتهم كانت تتمركز على الدفاع عن البلاد. في حين كان (**ملك**) كل قبيلة يمارس نوعا من الحكم الذاتي على قبيلته بحيث لا يتدخل في شؤونها الداخلية ملك قبيلة أخرى. وهكذا كانت محصلة التركيبة السياسية والعسكرية والتشريعية والدينية القائمة بين القبائل الآشورية في تياري وحكاري وراء إبراز معالم الدولة الآشورية للعالم الخارجي والذي عكس لهم حقيقة هذه الدولة واعترفوا بواقعها كما كان قائما.

والدولة الآشورية المستقلة البدائية في تياري وحكاري تركت شواهد استمرار السلطة السياسية والعسكرية للشعب الآشوري عبر القرون وحتى مرحلة الحضور الاستعماري الغربي الذي كانت أطماعه في استعمار المنطقة وراء الكثير من النكبات التي حلت بهذه الدولة الآشورية. إذ هنا بدأت ولأول مرة عملية التصادم، بين القديم، بكل ما كانت تحمله القبائل الآشورية في تياري وحكاري من تراث، وبين الحديث بكل ما حمله الغرب الاستعماري إلى من قيم ومفاهيم مغايرة، لتلك النقاوة البدائية، والإيمان الصادق، الذي كان عليه أبناء القبائل. فلقد تم غزو البنية الفكرية، البدائية والمفاهيم المستقرة لآلاف السنين، من قبل إفرازات الحضارة المادية المعاصرة، الأمر الذي لم يكن لتلك المبادئ والمفاهيم التي أشرنا إليها، القدرة على الصمود والمقاومة أمامها. من هنا فان هزيمة القبائل نفسيا وسياسيا حصلت من خلال هذا التصادم، قبل أن تحصل الهزيمة العسكرية على يد الأكراد الذين مهد لنجاحهم تغلغل الغرب وسط القبائل عبر مبشريه في البداية.

والدولة الآشورية كان لها نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي المميز. فعلى صعيد العلاقات الخارجية فان تقرير شؤونها كان مرتبطا بالمؤسسة السياسية القائمة التي كان يرأسها البطريرك الذي جرى التقليد والتقبل من قبل الشعب على إناطة السلطة المدنية به إضافة إلى سلطته وصلاحياته الروحية. وحينما كان الأمر يتطلب الاتصال في شأن من شؤون العلاقة مع وطن هذه القبائل فان العملية لم تكن تتم عبر طرف ثالث وإنما كانت المفاوضات والاتصالات بين القوى الأجنبية وبين هذه الدولة الآشورية تتم مع سلطتها السياسية ويجري التفاوض معها. هكذا تعاملت المراكز

الكردية مع شعب تياري وحكاري وتعامل الإنكليز والسلطان العثماني، وقيصر روسيا وغيرهم.

القبائل المستقلة وإمارة حكاري المشتركة

القبائل الآشورية التي سكنت بلاد حكاري وتياري التي قال عنها الكثير من الباحثين بأنها تشكل قلب آشور، لم تخضع منذ سقوط نينوى 612 ق. م. وحتى القضاء على استقلالها سنة 1843 لم تخضع لحكم نظام أجنبي غريب كما قلنا. وحتى تيمورلنك وزلزاله المرعب وتحالف الأكراد معه لم يستطع أن يدخل وطن هذه القبائل ويحتله رغم انه حام حوله من جميع الجهات. وجل ما استطاع أن يفعله هو أن يكرم الأكراد المتحالفين معه بإعطائهم المناطق السهلية والمتموجة الواقعة إلى الشرق من وطن القبائل المستقلة أي المناطق التي تتاخم حاليا الحدود التركية ـ الإيرانية في منطقة أذربيجان إيران والتي اصطلح على تسميتها بحكاري[20].

- **القبائل الآشورية والأكراد وحق السيادة**

لحين ظهور العائلة الصفوية على المسرح السياسي في الشرق الأوسط واستلامها السلطة مع مطلع القرن السادس عشر، فإن أبناء القبائل الآشورية المستقلة لم يكونوا قد اختبروا أي علاقة عداء مباشرة مع الأكراد، لاسيما أولئك الذين كان تيمورلنك قد وطنهم في الأقسام الشرقية المشار إليها. ومع ظهور الحركة الصفوية بكل ما حملته من تهديد للمنطقة بسبب نزعتها الطائفية المتمثلة بفرض (التشيع) على سكان المنطقة من (السنة) فان العلاقة بين القبائل الآشورية والأكراد السنة المضطهدين تعززت مع ازدياد قوة

---

[20] شرف خان البدليسي، الشرفنامة، 1: عربه عن الفارسية محمد على عوني، القاهرة، 88.

الصفويين وانتشار خطرهم. فالأكراد الذين موطنهم الأصلي هو إيران[21] كانوا هدفا مباشرا للحملة الصفوية لفرض التشيع عليهم، الأمر الذي قاوموه بكل قوة. ولقد فشلت جميع محاولات بيت الشيخ صافي الأردبيلي، رائد التشيع في إيران، في إقناع الأكراد بتغيير معتقدهم سواء بالتهديد أو الوعيد. المقاومة الكردية لفرض التشيع جلبت حقد وغضب الصفويين واضطهاداتهم

[21] الأكراد ليس لهم تاريخ مكتوب يرقى إلى ما قبل العهد العثماني. ويكاد يحصل إجماع بين علماء الأجناس والمؤرخين بان أصلهم إيراني وتحديدا من الأقسام الشمالية المحيطة بالسواحل الجنوبية لبحر قزوين. المؤرخ الكردي حسان عرفه يقول: "هم خليط من الفرع الميدي [جنوب بحر قزوين] للعنصر الآري في حين الإيرانيين هم الفرع الفارسي. .Arafa, The Kurd, 1 الكاتب الكردي علي سيدي الكوراني يقول: اختلف المؤرخون في أصلهم. الأبحاث العلمية ترجعهم إلى الأصل الآري. إلا انه يعتقد بأنهم السكان الأصليين لجبال زاغروس [إيران] وان أثناء الفتح الإسلامي كانوا جنوب القفقاس. انظر: من عمان إلى العمادية. 230، 231، 243. كاتب كردي آخر هو محمد أمين زكي يقتبس الوثائق الملكية الآشورية لمعرفة أصل الأكراد. فيقول: "صادف الجيش الآشوري في عهد الملك شلمنصر الثاني العشائر الميدية في الحدود الشرقية لبلاد آشور حيث قدمت الطاعة له. (تاريخ الكرد وكردستان. 112.). السيد فؤاد حمه خورشيد، يقول: الميدون هم أسلاف الأكراد الحاليين. (الأكراد ...، 48.) باسيل نكتين يقول: " إن اللغة الكردية رغم تعدد لهجاتها هي إيرانية الأصل، وانها تأثرت بالميدية وهي لغة ميديا الصغرى". ويقسم الأكراد إلى قسمين: الكردي الشرقي يشبه تماما الإنسان الفارسي في لونه وفي شكل جمجمته وهي من نوع .Brachycephale أما الأكراد الغربيون فيختلفون عنهم بلونهم الأشقر وعيونهم الزرقاء وشكل جمجمتهم وهي من نوع Dilichacephale ولقد اثبت ذلك دراسات العالم (فون لوشان) الذي يعتقد ان هؤلاء ينحدرون من شعوب أوربا الشمالية. انظر: الأكراد، 18 – 19.، 22 – 23. الدكتور عبد الرحمن قاسملو يقول انهم من سلالة قبائل زاغروس، ... ويسود الاعتقاد بأنهم من أحفاد الميديين. انظر: كردستان والأكراد، 39 – 40. أما ما ذكره العلامة مينورسكي فقد دحض ما ظل شائعا من اعتقادات عن الربط بين التسمية الكردية ولفظة (الكردوجيين) التي قال بها المؤرخ العسكري الإغريقي Xenophon سنة 401 ق.م. أثناء رحلة التقهقر للعشرة آلاف من جنوده من بابل إلى آسيا الصغرى. ويؤكد "الأكراد لغتهم آرية وتدخل ضمن عائلة اللغات الإيرانية وعلى هذا الأساس فان وطنهم ولغتهم في الشرق [يعني إيران]. انظر الأكراد، ترجمة فؤاد حمه خورشيد. 22. أما فلتشر فيذكر نقلا عن البلدانيين العرب بان أصلهم فارس. Fletcher, Notes, I: 169

عليهم. فلقد اعتقل جميع زعمائهم من قبل الشاه إسماعيل. إلا أن مجموعات كبيرة من الأكراد تركت مواطنها الأصلية واتجهت شرقا نحو وطن القبائل المستقلة بهدف التخلص من الاضطهاد المشار إليه. هذه العملية على ما يبدو لم تلقى المعارضة من قبل القبائل الآشورية المستقلة التي كانت تراقب باهتمام تطورات الأحداث السياسية الحاصلة في المنطقة. حيث لأول مرة أصبحت بلادها مطوقة بخطر قوتين استثنائيتين مجاورتين هما: الأتراك من الغرب والشمال، و الصفويون من الشرق. ورغم أن السلطة السياسية آنذاك كانت بيد دولة الخروف الأبيض (1467 - 1508) التي كان مقرها أذربيجان إيران، إلا أن النفوذ الصفوي، وقوته كان قد أظهر ضعفهم وعدم قدرتهم على منازلة هذه الحركة الناهضة بكل عنفوان. الأمر الذي جعلهم يحتاطون للتطورات المقبلة كما يبدو، فقاموا خلال هذه الفترة باحتلال (قلعة دز) القريبة من الحدود الإيرانية التركية الحالية وبذات الوقت تشكل مدخلا للمنطقة الجبلية الوعرة. هذا التحرك من جانب الخروف الأبيض لا يمكن تفسيره إلا بكونه محاولة الحصول على مواقع جغرافية حصينة لمواجهة الخطر الصفوي الماثل.

وخلال أواخر القرن السادس عشر كانت بداية قيام ما اصبح يعرف ب **(إمارة حكاري)** التي كانت تشمل الأجزاء الشرقية من وطن القبائل الآشورية فقط. ولم تكن الأقاليم الوسطى أو الشرقية من ضمنها. ومما هو مؤكد أن بروز هذا الكيان السياسي المبكر المشكل من الآشوريين والأكراد، كانت قد أملته الحاجة المشتركة للطرفين لمواجهة خطر مشترك ماثل أمامهم.

لقد تعرض هذا التحالف للامتحان لأول مرة أواخر عهد دولة الخروف الأبيض التركمانية مباشرة بعد احتلال دز واتخاذها مقرا للحاكم

التركماني مشكلا أول تهديد لبلاد القبائل الآشورية في تاريخها.فيبدو أن الأكراد في تلك النواحي لم يستطيعوا الإيفاء بالتزاماتهم مع الجانب الآشوري في حكاري ويحولوا دون تغلغل التركمان ونجاحهم في احتلال الشريط الحدودي المشار إليه. فلقد ظهر ضعفهم وعدم قدرتهم على حماية المنطقة من الخطر القادم أليها من الشرق. فلقد سقطت قلعة "دز" وقتلوا حاكمها الكردي الذي كان قد نصبه الآشوريون والأكراد سوية. هذه الحادثة كان لها مضاعفات بعيدة المدى، عبرت عن قضايا كثيرة وفي مقدمتها: إنها قدمت الأدلة عن الرابطة والشراكة التي كانت قائمة بين الآشوريين والأكراد في **"حكاري"**، وشكلها، والصلاحيات التي كانت للطرفين في حكم هذه المنطقة الشرقية التي كانت قائمة على تحالف بين الطرفين. إضافة إلى ما عكسته من كون المنطقة تدار بموجب اتفاق ينتخب الحاكم (أو الأمير كما اصبح يعرف فيما بعد) من قبل الطرفين الآشوري والكردي. هذا المسؤول اصبح يعرف فيما بعد يلقب منصبه ب **"أمير حكاري"**. وفي حالة شغر المنصب، يجتمع الطرفان لانتخاب الحاكم المسؤول، كما كان للآشوريين حق تنحيته حسب التقليد العشائري المتفق عليه. ما حصل يعكس حجم الدور الآشوري ومدى اهتمامهم بأمن وسلامة هذه المنطقة.

ومن التطورات التي أعقبت حادثة احتلال (دز) يظهر حجم وأهمية الدور الآشوري فيما يخص شؤون حكاري بالنسبة للقبائل المستقلة ووطنها.خلال الفترة التي نحن بصددها فان الأحداث التي حصلت تعكس بما لا يدع مجالا للشك بان المبادرة السياسية والعسكرية كان حصرا بيد القبائل الآشورية المستقلة، وكانت وحدها الجهة التي تقرر مصير المنطقة بما فيها (**إمارة حكاري الآشورية ـ الكردية**) التي أشرنا اليها. شرف خان

البدليسي، صاحب "**الشرفنامة**" الذي يعتبر أقدم مؤرخ كردي يعطينا الجواب الشافي على ما ذكرناه. لندع البدليسي يروى القصة بنفسه لنتعرف إلى حقيقة تعامل الآشوريين مع موضوع إمارة حكاري، وحقوق السيادة، وكيف عالج الآشوريون المشكلة ووضعوا الخطط العسكرية أولا لتحرير تلك الأجزاء الشرقية المحتلة وتعيين الحاكم الذي اقتنعوا بأنهم مناسب لحكم الإمارة ثانيا.

يقول البدليسي:

" جماعة من الرعايا نصارى تلك الولاية المشهورين بالاسوريين [**الآشوريين كما يلفظها الأكراد** والفرس] قد ذهبت كالعادة إلى مصر والشام للتكسب والعمل. فأتيحت لهم الفرصة ليروا بأنفسهم ما كان عليه (**أسد الدين زرين جنك**) من المكانة وعلو الشان، فاستقر رأيهم على أن هذا الشخص يليق لحكومة حكاري، وقالوا ينبغي أن نخدعه [قارن...!] ونحمله على قبول ما ارتأياه من الذهاب به إلى حكاري ونصبه حاكما عليها. ولما عرضوا رأيهم هذا على أسد الدين، رضى به، ووافقهم على الخطة. فسار معهم إلى ولايته الموروثة ، ولبث وقتا ما مختفيا بين الطائفة الاسورية هذه منتظرا الفرصة السانحة. وكان من عادة النصارى في هذه الجهة انهم يوم السبت الذي يعطلون فيه أعمالهم الخاصة يقومون بنقل الذخيرة والحطب وغيره من اللوازم والمؤن إلى قلعة (**دز**) .. ففي يوم السبت المبارك عمدوا إلى إلباس أسد الدين مع جمع من أبطال العشيرة (**ثياب النصارى وأزيائهم**). ودخلوا جميعا حسب العادة القلعة، والقوا فورا الأحمال وتقلدوا السيوف وباغتوا حامية القلعة بهجوم خاطف بالسيوف البتارة. فلم يتركوا مجال الدفاع والمقاومة قط، فتشتت شملهم .. وهكذا طهروا داخل القلعة من لوث

الأعداء .. وأنشد لسان حال الدهر البيتين الآتيين المناسبين لهـذه القصـة العجيبة :

روز شنبه كه دير شماسي خيمـــة زد در ســـواد عباســـي

جمع بدخواه رابو بشان ساخت بفراغـت بسـاط عيـش انـداخ[22]

معنى هذين البيتين الشعريين اللذين هما باللغة الفارسية التي هي قريبـة مـن الكردية كما يلاحظ من له إلمام بها تفيد بأنه في يـوم السبت ضرب شماس الدير خيمته السوداء العباسية حيث هزم أعدائه ثم طرح بساط العيش ألهاني

إذا تركنـا جانبـا العواطـف الخاصـة للبدليسـي، ومحاولتـه تحميـل الموضوع ما لا يمكـن تحمليـه، وجحـده للجـهد الآشـوري في عمليـة انتقـاء، وتنصيب أمير لحكاري، كما يروي هو بنفسـه. وتركنـا أيضـا تحاملـه علـى الآشوريين، الذين وصف محاولتهم لتنصيب كـردي، كأمـير لمنطقـة حكـاري المشار اليها، مدعيا بأنهم كـانوا (**يخدعونـه**) لقبـول المنصـب، وكأنـه كـان عازفا عنه، فإننا نستخلص الحقائق التالية :

1 – إن دولة الخروف الأبيض كانت قد نجحت في احتلال الأجزاء الشـرقية من وطن القبائل المسـتقلة وإن الأكـراد أثبتـوا عجزهـم عـن تنفيـذ التزاماتـهم بحمايتها وعدم قدرتهم على صد هجوم تركمان دولة الخروف الأبيض.

2 – إن الزعيم الكردي الذي كان قد تم تنصيبه بالاتفاق المشـترك المدعـو عـز الدين شير، قد قتله التركمان، وعجـز الأكـراد عـن حمايتـه والحيلولـة دون ذلك.

3 – ولما كان الشخص الثاني بالمرتبة على ما يبدو هو أسـد الديـن جنـك قـد هرب من الساحة، ولم يتوقف إلا في مصر.

---

[22] البدليسي،1: 90 - 91

4 – إن القيادة السياسية الآشورية قد قدرت خطورة الحالة، وقررت من جانبها مواجهتها، والتعامل معها، بشكل يعيد الأمور إلى نصابها السابق. فوضعت الخطة السياسية، والعسكرية التي رأتها مناسبة لمعالجة الموقف، بما فيها اختيار الشخص المناسب والمؤهل، لخلافة عز الدين شير للمنصب، باعتباره يتمتع بمواصفات مقبولة من قبل القيادة الآشورية.

5 – وعلى عكس ما يقوله البدليسي، فان القيادة الآشورية وضعت خطتها موضع التنفيذ، وقررت جلب أسد الدين جنك من مصر، لاستلام الحكم في حكاري. وان هذه القيادة قررت إيفاد وفد إلى مصر لهذه الغاية، وجلب الشخص الذي قررت أن تنصبه في مركز الإمارة، وليس "خدعه" كما يقول البدليسي. إذ أن نوايا الوفد كانت واضحة ومحددة. وإن استخدامه تعبير "خدعة" ما هو إلا محاولة تعتيم واضحة، على الحقيقة المتمثلة في إصرار القيادة الآشورية، على الدفاع عن وطنها، وتصحيح الخلل الذي سببه الضعف الكردي، وعدم قدرتهم على حماية الحدود في ذلك الجزء من وطنهم. أما ادعاء كون الوفد الآشوري في مصر للارتزاق والكسب، فهذا إدعاء آخر لحرف حقيقة مهمة الوفد السياسية والأساسية. إذ لا سند تاريخي له، وليس هناك من دليل واحد، يثبت بان أبناء القبائل المستقلة، تعاملوا مع العالم الخارجي أبعد من الموصل وديار بكر وسلامس واورمية، وفي حالات نادرة مع أرضروم وحلب منذ بداية القرن التاسع عشر، حيث كان يقوم بالأعمال التجارية والرحلات أبناء جيلو وليس تياري.

6 – إن قرار تنصيب حاكم سياسي لحكاري، هو قرار سياسي بالدرجة الأولى، ويقدم عليه من هو معني به بالدرجة الأولى أيضا، ويتخذه من له القدرة على تنفيذه. فالبدليسي لم يذكر بان الأكراد اتخذوا هذا القرار، وقاموا

بتنفيذه (إذا كان الأمر يعنيهم وحدهم)، وذهب وفد منهم إلى مصر وجلبوا المشار إليه، ونصبوه في المنصب بعد قتال. بل كان واضحا رغم محاولة التعتيم بان الآشوريين فعلوا ذلك. وانهم هم الذين أبقوه بينهم. وهم الذين وضعوا الخطة العسكرية، وقاموا بمهاجمة وهزيمة تركمان الخروف الأبيض. فحين عاد الآشوريون من مصر ومعهم أسد الدين جنك، لم يقصد المناطق الكردية في حكاري المشار إليها، ليحشد جماعته لتنفيذ خطة القضاء على الغزاة. بل أبقاه الآشوريون وسطهم، في أقاليم القبائل المستقلة، وانهم هم الذين البسوه ملابسهم، وادخلوه أسوار القلعة بملابس آشورية وليس كردية.

7 – إن قرار إعلان الحرب على دولة هيمنت لفترة طويلة على مقدرات مناطق واسعة من الشرق الأوسط، لا يمكن أن يقدم عليه من ليس له قوة وقدرة عسكرية، قادرة على منازلة قوات دولة كدولة الخروف الأبيض التركمانية في ذلك الحين. هذه القوة المطلوبة لم تكن متوفرة في الجانب الكردي في المقام الأول، وإلا لما كان قد حصل ما حصل أو على الأقل لكانوا قد قاموا بمحاولة لهذه الغاية.

8 – إن معركة "شمبه ـ السبت" كانت من الناحية العسكرية من تخطيط وتنفيذ الآشوريين، الذين تمكنوا من القضاء على الجيش التركماني الموجود داخل القلعة، وإلا فان القلعة والجيش التركماني كانا هناك فلماذا لم يقوم بالهجوم عليهما الأكراد أنفسهم، ويقضوا على الغزاة التركمان إذا ما كانوا فعلا قادرين وحدهم على القيام بذلك؟.

9 – إن الشاعر المعاصر الذي أرخ بطولة الآشوريين في هذه المعركة الهامة، كان صريحا في تعبيره عن أحداثها. فقد قال إن "**شماس الدير**" قام بنصب خيمته، كتعبير رمزي لدور المسيحيين الآشوريين. ولم يقل بان "**ملا الجامع**" قام بذلك لو كان العكس قد حصل.

من هنا فان الحقيقة التي لا تقبل النقاش، تكمن في كون أبناء القبائل المستقلة، هم أصحاب السيادة، والسيطرة الفعلية على مقدرات بلاد تياري وحكاري، وكانوا وحدهم أصحاب القرار في ذلك، كما أثبتت هذه الحادثة. وانهم وضعوا الضوابط التي تحكم المشاركة في إدارة شؤون الإمارة شراكه بينهم وبين الأكراد، في تلك المناطق التي عرفت باسم (**حكاري**). وان هذه الضوابط التي وضعها الآشوريون لعلاقتهم مع الأكراد هي التي سادت بين الطرفين لقرون عديدة. والحق يقال بان تاريخ العلاقة بين الآشوريين والأكراد ضمن هذه المنطقة لم يسجل قيام عداء بينهم. وبذات الوقت لم يسجل خرق الأكراد للبنود المشتركة لإدارة إمارة حكاري لغاية وقت (**نور الله بك**) مباشرة بعد قضاء الأتراك على إمارة راوندوز سنة 1836، إلى جانب العديد من المراكز الكردية الأخرى، التي على ما يبدوا أرعبته، وقام بتسليم حقوق السيادة التاريخية المشتركة على إمارة حكاري بين الأكراد والآشوريين إلى الأتراك. لقاء ضمان مركزه، كموظف عند الأتراك، بعد أن لاحظ بان القضاء عليه وشيك بعد قضاء الأتراك على جميع الزعماء الأكراد المجاورين له.

حق الاختيار المشترك لانتخاب أمير حكاري بين الآشوريين والأكراد في حكاري فقط أشار إليه المبشر الدكتور **George Badger** أثناء حديثه عن العلاقة بين الطرفين. فحتى سنة 1836 فإن أمير حكاري لم يكن له أية

سلطة على القبائل المستقلة الواقعة خارجها، عملا بالتقليد الممارس منذ معركة "شمبه" المشار اليها. وكان قبله **C. J. Rich** قد أكد هذه الحقيقة في سنة 1820 حين ذكر بان أمير حكاري ليس له أي سلطة، أو سيطرة وان سلطته حتى على قبيلته كانت ضعيفة. أما القبائل الآشورية المستقلة فلقد رأينا القوة التي كانت عليها حين نازلها أقوى الزعماء الأكراد وهو محمد باشا الراوندوزي الذي هزموه شر هزيمة.

والآشوريين ظلوا لقرون يمارسون حقهم التاريخي في تقرير من ينتخب لمنصب إمارة حكاري. وكان لهم أيضا حق تقرير مصيره، وتنحية من لا يجدونه مناسبا لحكم الإمارة. هذا الحق ظلوا يمارسونه لمدة ثلاثة قرون متواصلة[23]. تطبيقاته ظلت قائمة إلى سنة 1840 حين زار أنسورث تياري وحكاري ووجد البطريرك جالسا على كرسي الأمارة في جولمرك بسبب غياب الأمير.

3 – بعض مما قيل عن استقلال قبائل تياري وحكاري الآشورية:

قلنا بان وطن القبائل المستقلة لم ينجح أي غازي عبر التاريخ لا من الدخول إليه أو إخضاعه. وان فترة الحكم التركي ـ العثماني تطرح الكثير من التساؤلات عن حالة استمرار استقلال هذه القبائل وعدم مقدرة العثمانيين من بسط سيطرتهم ونفوذهم على بلادها في الوقت الذي كانوا قد اخضعوا وسيطروا على معظم الدول والمناطق المجاورة لها. وبلغوا من القوة والبأس ما أرعب أوربا لقرونا طويلة.

وقبل أن نختم هذا الفصل نشير إلى بعض ما ذكر عن حالة استقلال القبائل الآشورية ممن لم يرد ذكرهم

---

[23] Badger, I: 258 - 259

1 – القنصل البريطاني برانت Consul Brant

القنصل البريطاني في ارضروم التي كان الأتراك وقت فرض سيطرتهم على المناطق المستقلة (1831 – 1847) قد اعتبروا وطن القبائل المستقلة تابعا لباشويتها، كتب في 2 تموز سنة 1840 تقريرا إلى وزارة خارجية بلاده يشير فيه إلى حالة الاستقلال الكامل التي كانت عليه القبائل النسطورية (الآشورية) فذكر:

"السكان المسيحيون هم عنصر صلب وشعب عامل ومثابر. لقد حافظوا على شخصيتهم المميزة عن الإسلام، كما حافظوا على بلادهم وأموالهم وحقوقهم بقوة السلاح .. وهم غيورين على حريتهم"[24]

وبتاريخ 27 تموز من سنة 1840 أرسل تقريرا آخر يوضح فيه الحالة السياسية القائمة في المنطقة يقول فيه: " منطقة حكاري مقفلة تماما بوجه الأتراك"[25]

2 – القنصل أبوت ـ Consul Abbott

القنصل البريطاني هذا خدم لسنوات طويلة في "تبريز" وكان على اتصال ومعرفة دقيقة عن أحوال الآشوريين في أذربيجان و بلاد تياري وحكاري. كتب إلى وزارة الخارجية بمناسبة المذابح التي حلت بالقبائل المستقلة في سنة 1843 قائلا:

"قبل المذبحة، كانوا قد حافظوا على استقلالهم وسط جبالهم العاصية ومنذ أزمنة سحيقة في القدم. وهم يعيشون تحت حكم بطاركتهم

---

[24] F.O. 78 / 2698 Erzeroom, 2 July 1640. From Brant to Palmerston

[25] F.O. 78 / 2698 Erzeroom, 2 July 1840. From Brant to Palmerston

المتعاقبين. إن مجدهم الغابر وحالتهم الحاضرة، وعقيدتهم الدينية تستدعى تعاطف جميع الإنكليز معهم"[26]

3 – الدبلوماسي البريطاني فريزر ـ Fraser

هذا الدبلوماسي والرحالة الشهير الذي عمل عضوا في اللجنة الدولية لنزاع الحدود بين تركية وفارس، أرخ فترة مهمة من تاريخ المنطقة بضمنها أهم الأحداث التي حصلت في العراق الحديث. فضمن أمور كثيرة فانه قدم دراسة اثنيه وجغرافية عن بلاد ما بين النهرين وآشور. وبقدر تعلق الأمر بالقبائل المستقلة في تياري وحكاري أفاد بما يلي:

غرب أورمية، وبين قمم الجبال الوعرة والعاصية .. هناك يعيش الشعب النسطوري المسيحي الذي عاش هناك منذ حقبات تاريخية سحيقة .. هؤلاء النساطرة لا يخضعون ولا يقدمون الولاء لأي سلطة أجنبية .. في الواقع هم ليسوا رعايا لأي أحد ولا يدينون بالولاء إلا لزعمائهم الذين يرأسهم البطريرك الذي يمارس في حكمه لشعبه كلا الصلاحيتين الدينية والمدنية. .. ولكل قرية رئيسها الخاص بها فيعمل كقاضي وإداري لها. إنهم فخورون جدا بحريتهم، وقادرون على الدفاع عنها، لأنهم شجعان جدا .. ولديهم أتثنى عشر ألف تفنكجي [حامل البندقية] .. **هذه هي البلاد التي يقال عنها بأنه ليس هناك من قوة نجحت في السيطرة عليها وإخضاعها.**

[ثم يضيف] .. إن واقع الحياة التي تعيشها القبائل المستقلة جعلتهم يعيشون بعزلة تامة، .. فهم لا يعترفون إلا بسلطة رؤسائهم الذين هم البطريرك

---

[26] F.O. 78 / 2699 Tabreez, 5 September 1844. From Abbott to Palmerston

والمطارنة. وهؤلاء بالنسبة اليهم هم كالخلفاء بالنسبة إلى الإسلام، ومقرهم في قوجانس.[27]

4 - P. Janin

يقول بان أبنـاء القبـائل حـافظوا علـى اسـتقلالهم إلى أواسـط القـرن التاسع عشر وإن الأتراك لم يتمكنوا من بسط سيطرتهم عليهم إلا بعـد مذابـح الأكراد ضدهم، والتي كانت نتيجتها القضاء على استقلالهم بعد دوامـه فـترة طويلة.[28]

5 - الدكتور ابراهام يوحنان:

يعزو اسـتقلال القبـائل إلى الطبيعـة الجغرافيـة الـتي سـاعدها علـى المحافظـة عليـه[29]. هـذا وكتـب الكثـيرون عـن اسـتقلال القبـائل نـورد ذكـر بعضهم[30]

[27] J.B. Fraser Travels in Kurdistan, Mesopotamia, etc. London, 1842, 59 - 61

[28] The Separated Eastern Churches, 201.

[29] Yohanan, Ibraham. The Death of a Nation. New York. 1916. 73, 146.

[30] Smith and Dwight, Armenia, 218 –219, 267. Maclean and Browne, 10. Wilson, Asia, 81.,239. Laurie, 104. ويذكر بان البطريرك في بعض المناسبات يقود بنفسه الجيش الآشوري. ولقد فعل ذلك عدة مرات كانت آخرها الحملة المضادة على برور والعمادية في صيف 1841. انظر أيضا: نيبور، 76. Perkins, 501. Wigram, The Cradle, 293. Southgate, Visit, 158.

الفصل الثالث

الحالة الدينية وصلاحيات البطريرك

1 – الخلفية التاريخية

منذ أن دخلت المسيحية بلاد مــا بـين النـهرين في القرن الأول للميـلاد وترسخت في القرن الثاني كما نوهنا، فإن الشعب الآشوري الذي اعتنقها تمـيزت شخصيته بالولاء المطلق للمسيحية التي سخر لها جميع طاقاتـه لنشرها، وبلـوغ هدفه في بناء كنيسة عظيمة. هذه النزعة المثالية، جعلت أبناء الشعب الآشوري / البابلي ينضوون بكل قناعة تحت قيادة رئاستهم الروحية، معبرين لها عن كامل ولائهم لها بالممارسة والفعل. ولقد أثمرت هذه العلاقة في نتائجها النهائية في بناء أعظم وأوسع كنيسة شهدها التاريخ. حيـث لم تبلـغ كنيسـة أخـرى، مـا بلغتـه الكنيسة الشرقية التي شادها هذا الشعب المؤمن. ولقد تركوا شواهد ذلك بشكل لا يمكن لأي أحد إنكاره.

إن التصاق الإنسان الآشوري بكنيسته، كانت تعبيراً وانعكاسا واستجابة واعية، للواقع الذي كان يعيشه عند ظــهور المسيحية، والقرون اللاحقـة. إذ لم يكن لهذا الشعب سلطته السياسية الخاصة به في أرضه التاريخية بالشـكل الـذي عرفه، خلال فترات مجده قبل الميلاد. وكان لخضوع بلاد ما بين النهرين للقوى الأجنبية، عاملاً جذرياً في بلورة نزعة البحث ليـس فقـط عـن الهويـة الذاتيـة، لكي يعبر من خلالها عن عطائه وإنجازاته، بل عن الوسيلة القادرة علـى احتـواء شخصيته وقدرتها على الإنجاز والعطاء. وباعتناق المسيحية، وجـدت الشـخصية

الآشورية تلك (**الذات**) التي كانت تبحث عنها بعد قرون من الانتظار. فقام هذا الشعب ببناء ذلك الهيكل الكنسي الذي لا مثيل له، وجعل منه أسطورة، لتجربة إنسانية مادتها الإيمان، والقدرة على بلوغ الأهداف المرتبطة به. فشاد كنيسة اتسمت ليس فقط باتساعها الجغرافي وإنما بالثراء اللاهوتي والثقافي، الذي سخره أبنائها لخدمة جميع الأقوام التي بشروا وسطها، في آسيا، ونقلوا لهم الإيمان والثقافة والمعرفة حيثما مدت كنيستهم جذورها.

من هنا فإننا نجد بان ظاهرة اعتناق المسيحية وإحكام العلاقة الإيجابية والمصيرية بين الإنسان الآشوري، وبين قيادته الروحية، كانت في الواقع فرزاً لحالة فقدان الوسيلة المعبرة عن (**الذات**) ومحاولة لإيجاد البديل الملائم والمناسب للكيان السياسي المفقود. وهكذا ومن خلال التطبيق العملي عبر القرون، فان كنيسة الشعب الآشوري / البابلي ومؤسساتها المختلفة حلت محل الدولة ومؤسساتها. فقدم لها الولاء المطلق، والدعم الدائم والمستمر الذي كان مصدر رفدها بأسباب القوة والصمود، أمام التجارب المريرة التي اختبرتها. وعمل على تمكينها من تأدية دورها الطموح في أداء رسالتها، وتحقيق تطلعاته ليس فقط في المجال الروحي وحسب، وإنما في الحقول المدنية المطلوبة لبناء الإنسان ثقافياً، وعلمياً، وخلقياً.

والكنيسة من جانبها مَثلتْ استجابتها الواعية لحاجة مؤمنيها، الركن الأساسي في سر قوتها ونجاحها. إذ قامت، وبغياب السلطة السياسية - كما قلنا - بدور الدولة، ومؤسساتها حيث وفرت لهم ما افتقدوه في حقول التعليم والقضاء والأحوال الشخصية والتشريع وغيرها من الأمور المتعلقة بالحياة المادية والروحية

للإنسان التي عادة ما تقوم الدولة بالعناية بها. فأضحت الكنيسة القلعة الحصينة لهذا الإنسان. وهكذا نجد ومنذ القرون الأولى بأن للميلاد بـأن الإنسـان الآشـوري وكنيسته اصبح بقاء واستمرار أحدهما، مرتبطا ببقاء واستمرار الجانب الآخر.

2 – ازدواجية سلطة البطريرك

لقد كان الواقع المشار إليه وراء خلق حالة الازدواجية في وظيفة بطريـرك الكنيسة، وتطويرها تدريجيا لتأخذ حيزها في التعامل سواء على نطاق العلاقة مع الحكام أو ضمن العلاقة الداخلية بين الكنيسة وأبنائها. فـأضحى دور البطريـرك يشمل: السلطة (**الدينية**) إضافة إلى (**المدنية**). وأصبح تحـت حكـم السـلالات المتعاقبة، المرجع المختص لكل ما يتعلق بأتباعـه في شؤونهم المدنيـة، والدينيـة، كما كان معترفا به رسميا. هذه الظاهرة نجد شواهدها في الممارسة الفعليـة خـلال الفترات التاريخية المختلفة. إذ نلاحظ بان جميع السلالات التي حكمت بلاد مـا بين النهرين منذ ظهور المسيحية في العهد الفرثي، (انتهى سـنة 226 م.) ومـرورا بالساسانيين (226 – 651 م.) والعرب المسلمين (637 – 1258م) والسلالات المغولية (1258 – 1508م) والصفويـة (1508 – 1514م) وفـترة الحكـم العثمـاني (1514 – 1917م)، قد اعترفت بأتباع الكنيسـة الشـرقية ك (**ملـة النصـارى**) وببطريركـهم كرئيس **ديني ومدني لهم**[1]. هذه السلالات كلها تعاملت مع هذه الحقيقة المشـار إليها. ولم يجد الحكام المتعاقبين من بد سوى الاعتراف بسلطة بطريرك الكنيسـة

---

[1] كان الاستثناء لهذه الحالة أبناء القبائل المستقلة في تياري وحكاري الذين لم يخضعوا لحكم أي من السلالات المشار إليها.



مـار اوراهـم ـ 1820 – 1860

كزعيم روحي و مدني لشعبه كما كان تعكسه واقع العلاقة القائمة بالممارسة الفعلية وان تباينت المعاملة ما بين التسامح والاضطهاد ما بين سلالة واخرى.

الاعتراف بالسلطتين الروحية والمدنية للبطريرك التي اصطلح عليها تاريخياً تعبير "**ملة النصارى**" كما أشرنا، لم يشذَّ عن الاعتراف بها أي من الحكام المتعاقبين حتى في اكثر الفترات ظلامه في تاريخ بلاد ما بين النهرين. ففي عهد السلالتين التركمانيتين (**دولتي الخروف الأسود والأبيض**) على سبيل المثال، مُنح بطريرك الكنيسة الشرقية، براءة رسمية، يعترف فيها الحُكام به كرئيس ديني ومدني لشعبه. ولا زالت لحد اليوم محفوظة ضمن وثائق البطريركية الكلدانية، وثيقتان رسميتان صادرتان خلال الفترة المشار أليها. إضافة إلى تلك الصادرة من قبل الحكام الآخرين، لاسيما خلال الفترة العثمانية التي كانت عادة تصدر (**الفرمانات**) باسم بطريرك الخط السهلي في دير الربان هرمزد، وليس خط البطاركة الشمعونيين في قوجانس بسبب عدم وجود رابطة أو علاقة بين الطرفين. فالأولى كانت خاضعة للحكم العثماني في حين لم تكن الثانية كذلك. وبغياب السلطة التركية في تياري وحكاري وعدم قدرة السلطان على بسط سيطرته على تلك البلاد، فكان من المنطقي أن لا يعنيه أمر بطريركية خط مار شمعون، التي كانت قائمة قبل احتلال الأتراك لقسم من بلاد آشور في سنة 1514 واستمرت مستقلة عنهم إلى سنة 1843. وفي الواقع لم يكن هذا الفرع معنى باعتراف الحكام الأتراك العثمانيين بهم أو عدمه. لأنهم كانوا في الواقع يعيشون حالة استقلال كاملة لدرجة أنهم لم يكونوا قد سمعوا بالسلطان كما أفاد المعتمد السياسي البريطاني في بغداد. لذا فان البطريرك كان يمارس فعلياً كلتا السلطتين

بشكل يعكس بالممارسة العملية حالة السيادة على أرضه ورعيته. ولم يكـن مقيـدا بأية شروط كما كان حال الآخرين

3 – قبائل تياري وحكاري واستقلالها الكنسي

وطـن القبـائل المسـتقلة كـان محاطـا مـن الجـهات الغربيـــة والشـــرقية والجنوبية بالأقاليم الآشورية العريقة – كما نوهنا في القسم الأول – مشكلا امتدادا لتواصل وانتشار الشعب الآشوري في وطنه التــاريخي. لم يكـن هنـاك مـن عـازل عرقـي أو ديـني أو لغـوي يفصـل بعضـهما عـن البعـض، قبـل بدايـة الغـزوات والمذابح، التي قامت بها العناصر الطامعة بالسيطرة عليـه والاسـتقرار فيـه. تلـك العناصر التي نجحت في نهاية المطاف في اختراق جميع المناطق، والأقـاليم الـتي لم يكن يتوفر لها أسباب الدفاع الذاتي، مثلما كان متوفرا لأبناء القبائل المستقلة. ناهيك عن عدم وجود حاجز طبيعي يفصلهما كالبحر مثلا. وكـل مـا كـان قائمـا بين هذه القبائل، وبين امتدادها القومي، كان ذلك التقوقع الطائفي، المبني على الخلافات المذهبية التي كانت قد باعدت بين أبناء شعب وأمة واحـدة. والحالـة التي كانت قائمة بين الآشـوريين مـن أتبـاع الكنيسـة الشـرقية، واخوتـهم أبنـاء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية على سبيل المثال كانت نموذجا لذلك. أو ما آلت إليه حالة الانقسام المأسوية في الكنيسة الشرقية ذاتها حـين انقسـمت إلى فرعـين (نسطوريين)، منذ أواخر القرن السادس عشر. فـاصبح لهـا خطـين بطريركيـين

مستقل أحدهما عن الآخر[2]، يتمثلان بالخط البطريركي المنحدر من مار أدي ومار ماري والذي استقر به المطاف في دير الربان هرمزد بالقرب من

---

[2] الانقسام المذهبي الأول وسط الشعب الآشوري حصل في القرن الخامس الميلادي في مجمع أفسس سنة 431 حيث شمل جميع المنضوين تحت مظلة الكنيسة الشرقية الواقعين تحت الاحتلال الفارسي. في حين كانت نتائج مجمع خلقدونية سنة 451 بروز الكنائس الأرثوذكسية بكل ما تبعها من انقسامات لاحقة وبضمنها الكنيسة السريانية التي كان أتباعها تحت الاحتلال الروماني.

أما بالنسبة إلى الانقسام الذي حصل في الكنيسة الشرقية سنة 1551 فقد حصل عقب المذابح، وحملة التدمير الشاملة التي قام بها العنصر الترك ــ مغولي وحلفائهم خلال الفترة المحصورة بين 1295 – 1514 التي كانت قد أدت إلى تحطيم كامل هيكل الكنيسة الشرقية، و لم يبقى لها إلا مطرافوليط واحد يتبعه بقايا محطمة ممن سلم من المذابح الجماعية لتيمورلنك أواخر القرن الرابع عشر. ولقد كان قيام المبشرين الكاثوليك بحملة التبشير قد تزامن مع تدمير الكنيسة الشرقية والأحوال السياسية التي كانت ترتبط بها الدولة العثمانية، التي أصبحت تدريجيا تعتمد في بقائها على الدعم الأوربي، لاسيما الفرنسي الذي حمل لواء دعم ونشر الكثلكة بين رعايا السلطان المسيحيين. (ولقد كانت العلاقات الودية بين الطرفين قد وصلت حدا بموجبه أمر البابا بإقامة الصلاة على روح السلطان سليم الأول [1512 – 1520] عند وفاته كتعبير للعلاقات الودية التي كانت قائمة بين الجانبين. ــ عن العلاقات بين الطرفين انظر: Charles Frazee, Catholics and Sultans. London,1983. 24 – 30). وكان من ثمار هذه العلاقة نجاح الجهد التبشيري في كسب الراهب يوحنان سولاقا وإقناعه بتبني العقيدة الكاثوليكية وترقيته إلى المنصب البطريركي في سنة 1553. إلا أن هذا الخط – كما تظهر الأحداث التاريخية ــ لم يكن له مقومات البقاء والصمود والاستمرار. إذ يقول المؤرخ الكنسي الكاثوليكي، المشار إليه عن التطورات المرتبطة بظهور هذا الخط وما رافقه من أحداث ما يلي:

" يوم 20 شباط سنة 1553 سولاقا قدم صورة إيمانه الكاثوليكي، واعدا بإعلان خضوعه للبابا باعتباره رئيسه الأعلى. وان سجل أرشيف الوثائق الفاتيكيانية يقرا:

'بما أن المشارقة في آشور، من العلمانيين والكهنة وطبقا لتقاليدهم القديمة قد اختاروا بطريركا لهم وهو الراهب سيمون [شمعون] سولاقا رئيس بيت هورمزد في أبرشية الموصل، كرئيس لهم. فان بإمكانه الآن أن يأخذ مكانه كرئيس للكنيسة، **لان شمعون ماما** المباركة ذكراه، قد توفى.' **ولم ترد في الوثائق إشارة بأنه كان لسولاقا منافس، وان الأسلوب المتبع في انتخابه قد خالف وخرق التقاليد"، كما يقول الكاتب.**

(القوش)[3]**. والخط المنشق المعروف بخط (البطاركـة الشـمعونيين)، والـذي أول سلسلته تنحدر من المحاولة الأولى لروما سنة 1551 لخلق خط كاثوليكي يتبعها، من بين مؤمني الكنيسة الشرقية، والذي استمر من (سنة 1553 إلى سـنـة 1579)**

"On 20 February 1553 Sulaqa made profession of his Catholic belief and promised to recognize the pope as his ecclesiastical superior. The record in the Vatican archives reads, " since all the Oriental people of Assyria, both clergy and laity, according to their ancient custom, have acclaimed for their patriarch the monk Simon Sulaqa, superior of the house of Hormizd, of the order of St Basil, in the diocese of Mosul, he may now take his place as head of the church, since Simon Mannae [Mama] of blessed memory, is deceased. There was no mention that Sulaqa had a rival or that the method of his election had violated tradition. 56 – 57. Perkins, Residence, 174 – 175.

مار يوحنان سولاقا قتله الأتراك إلى جانب بطريرك الأرمن الكاثوليكي وعدد من مطارنته. خلفاء سـولاقا المباشرين كانوا اثنان فقط هما: مار عبديشوع (1555 – 1567) و إيثالاها (1567 – 1579). نصري، ذخيرة 2: 143 – 146. ويبدو بان إيثالاها لم يكن له وريث. ولكـــن سياســة تشـجيع الخلافــات والانقسامات التي كانت تتبعها روما آنذاك تجاه الكنيسة الشرقية بشكل خاص شجعت (**شمعون دنخـــا**، مطران (**جيلو وسعرت وسلامس**) على التمرد على **مار إيليا**، (**بطريرك الكنيسة الشرقية في دير الربـان هرمزد**) وان روما استقبلته بترحاب حيث قامت بتعينه بطريركا كاثوليكيا في أورمية. وكان **مار شمعــون دنخا** (**الرابع في خط يوحنان سولاقا**). **في حين يعتبر** (**الأول في سلسلة البطاركة الشمعونيين**) الذين أرتد خلفاءه عن الكثلكة، وعادوا إلى عقيدة آبائهم وأجدادهم. وهكذا أصبح للكنيسة الشرقية منذ ذلك الحين بطريركان أحدهم في السهول (**دير الربان هرمزد**) والثاني في (**قرية قوجانس ـــ في أقلم دز المســـتقل**). Badger, I: 145. ويقول **Edward Gibbon** أن تمرد شمعون دنخا كان قد حصل بدعم الفـــرس الصفويين. **Gibbon, The Decline and Fall, V: 261.** ويذكـــر بطـــرس نصـــري، (**تلميـــذ البروباكندا**) بان البابا يوحنا الثاني والعشرين أرسل رسالة إلى عباس شاه الصفوي في سنة 1661 للتدخـل لمصلحة البطريرك الذي كان اتباعه قد أزاحوه لمخالفة عقيدته، عقيدة الكنيسة الشـــرقية "يســترحمه أن يلطف بمار شمعون البطريرك، ويعيده إلى كرسيه الذي نفي منه بوشاية أعدائه لاتحـــاده مـــع الكرســـي الرسولي" ذخيرة، 2: 197 –198. عن هذا الموضوع أنظر:

[3] Professor Kurtz, Church History, II: 444 – 445. Smith and Dwight, Armenia, 206. Fortescue, 102. Cutts, 101 - 102 173. 174. Gibbon, V: 261.

ودخل التاريخ باسم بخط **(مار يوحنـان سولاقا)** الـذي اسـتهل نشـاطه في **آمـد** وانتهى المطاف بثالث بطاركته وأخرهم في **(سعرت)**. أما رابعـهم **(مـار شمعـون دنخا)** الذي عاد خلفائه إلى عقيدة وإيمان الكنيسة الشرقية، ولكن بفرع مسـتقل - حسب تقويم البطاركة الشـمعونيين - إذ اصبح يعـرف بخـط **(مـار شمعـون)** والذي كانت مدينة **(أورمية)** أول مقر له. ثم تنقل من مكان لآخر ليستقر أخـيرا به المقام في قرية **(قوجانس)** في حكاري.

ومنـذ سـنة 1580 أصبحـت ابرشـيات الكنيسـة الشـرقية، موزعـة بـين البطريركيتين النسطوريتين: السهلية، والجبلية، لحين بروز خط بطريركي ثالث في سنة 1681 وهو خط **البطاركة اليوسفيين** في **(آمد)** الخاضع لروما والذي حتى اختفائـه النـهائي سـنة 1828 لم يتجـاوز في انتشـاره. وحـدوده الجغرافيـة آمـد وماردين. ومنذ الربع الأخـير مـن القرن الثـامن عشـر أصبـح **الخـط السـهلي**. - وبحكم موقعه الجغرافي - هدفا سهلا للحملة الكاثوليكيـة الـتي اشـتدت اشـتداد الانحطـاط العثمـاني، وهيمنـة فرنسـا وبريطانيـا علـى مقـدرات وسياسـة الدولـة العثمانيـة. وكـان قـدر الشـعب الآشـوري، وكنيسـته، أن يتعـرض هــذا الخــط البطريركي إلى عملية إخضاعه، والسـيطرة عليـه، مـن قبـل البعثـات التبشـيرية الكاثوليكية العاملة في السـهول، وبدعـم مباشـر مـن فرنسـا، والعثمـانيين. ومنـذ أواسط القرن التاسع عشر، اختفى هذا الخـط البطريركـي للكنيسـة الشـرقية مـن السـهول، وحل محله المجموعة التي شكنت منها روما الكنيسة الكلدانيـة[4] الـتي

[4] رغم المحاولات الدءوبة التي كانت قد قامت بها روما منذ أواسط القرن السادس عشر للسيطرة علـــى الكنيسة الشرقية وإقامة كنيسة تابعة لها، إلا أن محاولاتها لم تثمر، وتترجم على أرض الواقع. صحيح بـــان

أصبحت تجاور جغرافيا، أختها الكنيسة الشرقية - **خط مار شمعون** - سـواء في المناطق الواقعة إلى الجنوب من وطن القبائل المستقلة حيث الكثافة الكلدانيـة، أو التجمعات المتفرقة الـتي كـانت تتبـع الكنيسـة الكلدانيـة في المنـاطق الواقعـة إلى الغرب من وطن هــذه القبـائل، في منطقـة الجزيـرة والمنـاطق الواقعـة في الأجـزاء الشمالية لبلاد ما بـين النـهرين. أو أولئـك المنتشـرين بـين التجمعـات الآشـورية التابعة لخط مار شمعون في أذربيجان إيران.

4 - صلاحيات البطريرك

خـلال فـترة بحثنـا هـذا كـان (**مـار اوراهـم ـ 1820 - 1860**) بطريـرك الكنيسة الشرقية، ومقره قوجانس. ولقد شهد عهده ما لا يمكن التعبـير عنـه مـن الأهوال والمصائب التي حلت بشعبه وطالتهشخصيا، والـتي كـانت مـن افجعـها مذابح التحالف الكردي المشار إليها خلال السـنوات 1843 - 1846، والـتي كـان من بين ضحاياها والدة البطريرك المسنة وعدد كبير من أفراد عائلته.

ولد مار أوراهم سنة 1801، وبعد ما يقارب العشـرين عامـا علـى تسـلمه مسؤولية البطريركية كــانت جسـامة الأحـداث وكـثرة المشـاكل الـتي كـان عليـه

محاولاهما المختلفة تركت آثارها كحدث تاريخي وليس تغيير حذري. وما كانت تسعى إليه لم تحققه إلا في أواسط القرن التاسع عشر. إذ لأول مرة تم الاعتراف بحصاد التبشير الكاثوليكي في بلاد آشور في سـنة **1844** حين استحصل السفير الفرنسي في العاصمة العثمانية، القسطنطينية، فرمانا من السلطان عبد المجيد، يعترف فيه بالكنيسة، والطائفة الكلدانية لأول مرة في التاريخ. (عن فترة الصراع الحاسم الذي حصـل في سهول نينوى وانتصار روما في نهاية المطاف بتأسيس الكنيسة الكلدانية) انظر:

Dr. Joseph, John. The Nestorians and their Muslim Neighbor. New Jersey, 1961. 30 – 33. Smith and Dwight, Armenia, 207 – 217.

مواجهتها قد تركت بصماتها على ملامحه. فلقد كتب أحد المبشرين الذين قابلوه يصف حالته قائلا: "لقد جعلته هذه الأحداث يبدو وكأنه في الخمسين من عمره وهو دون الأربعين"[5].

لقد كتب الكثير عن هذا البطريرك ومما ذكر عنه انه كان ذات خصال حميدة، وكانت شخصيته تفرض احترامها على كل من يقابله. ويذكر عنه إجادته لاستخدام البندقية التي كان يستخدمها لصيد الدببة أكثر من استخدامها للحرب. أما حالته المادية فكما يذكر المبشرين الذين زاروه وتعرفوا عن كثب على أحوله فانهم يقولون بأنه كان يعيش حياة متواضعة بسيطة[6]. ويقول الدكتور كرانت الذي كان من أكثر المبشرين معرفة به، بأنه كان يعيش في حالة فقر واضح، ويورد حالة لتوضيح ما يقوله:

"مارشمعون كان بمثابة الوالد لأخيه اسحق. وحين أراد اسحق تزويج ابنه، أرسل من يثق به لكي يخطب له فتاة من منطقة بعيدة. خادمه أخذ معه ما يلزم من حلل للمناسبة. الخادم كان أغنى من اسحق".[7]

الظروف السياسية المحيطة بمار شمعون اوراهم كانت تتطلب منه التعامل معها بحكمة وتبصر. وفي أكثر من مناسبة عبر فيها ليس فقط عن إدراكه لأهمية إقامة علاقات ودية مع الأكراد بل عبر عن مدى عمق الخصال الحميدة التي كان يتحلى بها وروح التسامح التي كان عليها. ففي إحدى الحالات التي شهدها أحد المبشرين الحاضرين في مجلسه. أطلق سراح اثنين من الأكراد اللذان كانا قد

---

[5] Laurie, 146.

[6] Laurie, Dr. Grant, 146.

[7] Dr. Grant, 199.

قاما بقتل عدد من أتباعه[8]. وما من شك بان مار شمعون كان يعيش وسط ظروف معقدة وصعبة للغاية، وكان عليه مواجهتها والتعامل معها بشكل استثنائي وبحكمة[9].

أبناء القبائل واتباعه من المناطق البعيدة الأخرى كانوا يقصدونه للتشاور وباعتباره " .. رئيس الكنيسة وزعيم الأمة. يعرضون عليه جميع قضاياهم المتعلقة بحياتهم الروحية والمادية. فأبناء القبائل المستقلة كانوا يقصدونه لأمور سياسية. آخرون يعرضون عليه مظالمهم وما يتعرضون إليه من اضطهاد الأكراد .. من سلب لمواشيهم أو تدمر لحقولهم ومزارعهم"[10]. وإن المسؤوليات الجسمية الملقاة على عاتق البطريرك كانت انعكاسا للأوضاع الداخلية التي يعيشها اتباعه من ناحية والظروف السياسية المحيطة بهم من ناحية أخرى. وتعتبر تلك التي عاصرت عهد مار أوراهم من أخطرها خلال كامل تاريخ القبائل المستقلة.

وكما قلنا فان الشؤون الروحية والمدنية كانت منوطة بمقام البطريرك[11]. لنتفحص الآن السلطة السياسية والصلاحيات التي كان يتمتع بها والتي كانت موضع دراسة وبحث الكثير من الدبلوماسيين والمستشرقين والمبشرين والرحالة الغربيين وكما لمسها المراقبين المحلين. ونورد آراء البعض منهم:

- **الدكتور ويكرام ـ W. Wigram**

---

[8] Laurie, 146

[9] Dr. Grant, 75 – 76.

[10] Maclean and Browne, 13.

[11] Badger, XIV. Laurie, 138. Luke, New Turkey, 8. Grant. 65, 75,183. ويذكر Maclean and Browne, 188. Etheridge, 105. American Sunday- School, Nestorians, 66.

كتب عن صلاحيات البطريرك والسلطة التي يمارسها على أتباعه يقول: "مار شمعون متعود على الاعتقاد بأنه زعيم أمته أكثر مما هو بطريرك الكنيسة. ولكي نكون أكثر دقة ووضوحا فانه لا يفرق أو يميز في تفكيره بين هذين المركزين[12]

- **هيزل وما كليوث ـ Heazell and Margoliouth**

ذكرا عن علاقة البطريرك بشعبه وصلاحياته ما يلي: "لقرون عديدة يمارس السلطتين الروحية والمدنية على شعبه. وهذا تقليد هام ومستمر جيلا بعد جيل، ويستند على إرادة شعبه.[13]

- **الأب نعييم**

عن حالة القبائل الآشورية وعلاقتها بمار شمعون كتب يقول: "إنهم يعيشون تحت إدارة زعمائهم الذين يعرفون ب "الملوك" وشكل حكومتهم كان بدائيا جدا. وكان يرأسهم جميعا رئيس أعلى يسمى مار شمعون الذي يعيش في قوجانس[14]

- **ماكلين و براون ـ Macleam and Browne**

بعد معايشة استمرت أكثر من ربع قرن وسط القبائل المستقلة وبالقرب من المركز البطريركي ودراسة مفصلة لأحوال البطريركية وأتباعها من جميع الجهات كتبا يقولان: "البطريرك مار شمعون يمارس سلطته الدينية والمدنية على القبائل الآشورية المستقلة مثل "تياري" و "تخوما" و "جيلو" و "باز" و "دز"[15]

---

[12] Wigram, The Cradle, 273.

[13] Heazell and Mrs Margoliuth, (edited) The Woes of a Distressed Nation, F.N. 12.

[14] Naayem, O.I. Rev., Shall This Nation Die? New York, 1920. 261.

[15] Maclean and Browne, 188.

- إزابيلا بيشوب ـ **Mrs. Ezabella Bishop**

عن المركز الديني والمدني لمار شمعون تقول: "مار شمعون ليس فقط الأمير الروحي لشعبه، بل هو أيضا الحاكم المدني وكذلك القاضي .. هو الذي يعين 'الملوك' ويضع القوانين .. لكل إقليم لا يكون فيه مركز 'الملك' وراثيا. .. ولأربعة قرون فأن المركز البطريركي محصور بعائلة مار شمعون التي تعتبر كعائلة ملكية، ويساعده مجلس عائلي[16]

- الدكتور أساهيل كرانت ـ **Dr. Asahel Grant**

يصف مركز البطريرك بالنسبة إلى شعبه قائلا: "إنه زعيم ديني ومدني لشعبه. .. يتصدر مجالس المسؤولين وكبار القوم للقبائل المستقلة للبحث في الأمور الهامة. ويصدر العقوبات ضد المخالفين وبضمنها التحريم الديني .. وان القناعة الراسخة هي أن سلطته هي من الله.[17]

- **American Board of Commissioners for Foreign Missions**

تشير الدراسة التي قام بها المجلس الأمريكي للتبشير عن الآشوريين الى مكانة أشقاء مار شمعون بين شعبهم فتول: " أن اخوة ما شمعون يعاملون كأمراء بين قومهم"[18]

- الدكتور كارسن نيبور ـ **Dr. Carsten Niebuhr**

---

[16] Mrs. E. Bishop, 1891, 288.

[17] Dr. Grant, 65, 75, 183.

[18] American Board of Commissioners, 288, 323.

زار في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بلاد آشور ودرس أحوال أبنائها، وكتب عن بطريركية مار شمعون مؤكدا بأنها "مستقلة ولا تخضع بأي شكل من الأشكال إلى سلطة أخرى[19]

- **القنصل البريطاني في تبريز أبوت ـ Abbott**

كتب في تقرير له مشيرا إلى حالة القبائل الآشورية قبل المذابح موضحا العلاقة بين هذه القبائل والبطريك قائلا: "النساطرة كانوا يعيشون تحت حكم بطاركتهم المتعاقبين"[20]

- **الكولونيل ستافورد ـ Col. Stafford**

عند حديثه عن مأساة الآشوريين أبان حوادث "سميل" سنة 1933 والتي كان آنذاك يشغل منصب الضابط السياسي في الموصل، كتب عن ضحايا المذبحة مشيرا إلى انهم كانوا في بلادهم يعيشون أحرارا. وتطرق إلى علاقتهم بمار شمعون قائلا: " إن النساطرة اعترفوا بمار شمعون كزعيم مدني لهم ورئيس روحي في الوقت ذاته[21]

- **علي سيدي الكوراني**

أشار الكاتب الكردي إلى مركز مار شمعون وسط أتباعه ذاكرا: "مار شمعون هو الرئيس المدني والروحي للنساطرة الآثوريين"[22]

- **إثريج ـ J.W. Etheridge,**

---

[19] رحلة نيبور إلى العراق، الترجمة العربية، 76.

[20] F.O. 78 / 2699 Tabreez 5 September 1846. From Abbott, to Palmerston.

[21] R.S. Stafford, Tragedy of the Assyrians, London. 1935. 15.

[22] علي سيدي الكوراني، من عمان إلى العمادية، 146.

يقول بان البطريرك مار شمعون هو أعلى سلطة لجميع المراتب الكهنوتية. وهو ينظم جميع الشؤون الروحية المتعلقة بالقبائل النسطورية المستقلة التي يمارس عليها كلا السلطتين الدينية والمدنية[23]

- ♦ **جارلس ولسن ـ Maj. Gen. Sir Charles Wilson**

يقول بأن مار شمعون يمارس نفوذا مباشرا وقويا على شعبه دينيا ومدنيا بشكل لا يقبل أي جدل. وان أتباعه يدينون بالولاء المطلق له. إذ حين يحلفون باليمين فانهم يقولون "برأس مار شمعون. أو ببيث مار شمعون"[24]

- ♦ **سرما د بيث مار شمعون**

بقدر تعلق الأمر بعائلتها البطريركية، فإنها تقول بأن البطريرك ولمدة أربعة أربعمائة سنة يمارس ورائيا على شعبه السلطتين الدينية والمدنية. وتشير إلى عملية تنصيبه فتول: يقوم بتنصيبه مطرافوليط شمسدين مع بقية المطارنة وبحضور جميع الملوك* ورؤساء القبائل. وتوضح دور الملوك والرؤساء ضمن المؤسسة الإدارية للقبائل فتقول:

"في الوقت الذي يقوم مارشمعون بأداء وممارسة الرئاسة الروحية والمدنية على شعبه، فان ملوك القبائل يمارسون دور الرئاسة على قبائلهم. هؤلاء أيضا

---

[23] Etheridge, 105.

[24] Wilson, Asia Minor, 239.

* لقب الملك كان يطلق تاريخيا على الرئيس الأعلى لأي قبيلة من القبائل الآشورية. وهذا كان تقليدا متوارثا ومتداولا في بلاد ما بين النهرين منذ أجيال سحيقة في القدم. توما المرجي، مؤرخ القرن التاسع، يوضح في كتابه **"الرؤساء"** مدلول الكلمة بقوله: "في الأجيال الغابرة، والأزمنة القديمة كان لكل بلد رئيس يعتبر مليك بلاده" انظر كتاب الرؤساء تعريب الأب البير أبونا، الموصل 1966. 284.

مناصبهم وراثية تنتقل من الأب إلى الابن. إلا أن هذا يخضع إلى موافقة القبيلة، ممثلة بكهنتها ورؤسائها. ولهؤلاء الحق في تثبيت ابن الملك أو شقيقه. .. وعندما يتم الإجماع على اختيار الملك فإنه يقصد مع وفد من قبيلته مقر البطريرك لكي يحصل على التثبيت في مركزه، وإضفاء صفة الشرعية على لقبه. وبعد أن يقوم البطريرك بفحص ومعاينة الإجراءات التي اتبعت في الانتخاب للتأكد من سلامتها ومطابقتها لإرادة أبناء القبيلة، يقوم بتثبيته، مقدما له هدية رمزية بهذه المناسبة وتكون عادة تشمل سيفا أو بندقية. بعدها يعود إلى قبيلته وهو يتمتع بلقب الملك الرسمي."[25]

- **المبشر توماس لوري - Thomas Laurie,**

يؤكد بان مارشمعون يمارس السلطتين الروحية والمدنية على شعبه.[26]

- **السير هاري لوك - Sir Harry Luke**

يقول بأن مار شمعون لديه السلطتين المزدوجتين: الدينية والمدنية.[27]

5 - ولاء الآشوريين للكنيسة والبطريرك

رغم غلبة الولاء الديني عند الإنسان الآشوري على ولائه القومي منذ اعتناقه للمسيحية ورغم ما سببه ذلك من تراجع في حياته على مختلف الأصعدة إلا أن الظاهرة ظلت تلازمه، وظل متمسكا بها. وما كانت عليه العلاقة بينه وبين

---

[25] Lady Surma D'Bait Mar Shimun, Assyrian Church and.. The Murder of Mar Shimun, London. 1920, 59 – 60.

[26] Thomas Laurie, Dr. Grant, 138. Badger, I: XIV.

[27] Sir Harry Luke, The Making of a New Turkey, London. 1936, 8.

الكنيسة وبطريركها وقت بحثنا لم تكن تختلف عما كانت عليه في القرون السابقة. وما يهمنا هنا هو عكس الظاهرة وليس تقييمها. ومسألة الولاء هذا كانت ظاهرة بارزة رصدها كل من تسنى له من الغربيين الاتصال بالشعب الآشوري عامة وأبناء القبائل المستقلة وخطهم البطريركي في قوجانس خاصة. لايارد الشهير بلايارد نينوى الذي نقب واخرج كنوز آثار الشعب الآشوري في نينوى قصد وطن القبائل الآشورية بعد المذبحة الأولى سنة 1843 وقبل شهر من المذبحة الثانية في سنة 1846 بهدف زيارة المنطقة والاطلاع على ما حل بأبنائها من جراء المذابح وللتعرف على أحوال إقليم **"تخوما"** الذي كان قد سلم من المذبحة الأولى فصرف لايارد وقتا في دراسة أحواله وقدرة أبنائه الدفاعية. ولغرض تسهيل مهمته في وطن القبائل فانه تزود برسالة توصية من البطريرك مار شمعون الذي كان قد مر عليه مدة ثلاثة سنوات كأسير في القنصلية الإنكليزية في الموصل

وحين وصل لايارد إلى "آشيثا"، انتقل إلى "زاويثا" القرية الآشورية الوحيدة التي كانت قد سلمت من مذابح بدرخان بك في تياري بسبب العلاقة الخاصة التي كان لرئيسها مع الزعيم الكردي هذا. في زاويثا يقدم لنا صورة عن المنزلة التي كان عليها البطريرك بين أتباعه فيقول: بعد أن قدمت كتاب البطريرك جرت مراسيم تقديمه وقراءته " قبله القس كنا ووضعه على رأسه، فعل الشيء ذاته جميع الحاضرين، ثم قرأ عليهم". ورغم النكبة التي كانوا يعيشونها بسبب الدمار الشامل الذي لحق قراهم ومزارعهم وكنائسهم فان اهتمامهم كان مركزا على مصير بطريركهم. إذ يقول بان استفسارات الحاضرين تركزت على ما كانوا يعتقدونه بان مار شمعون هو سجين القنصلية في الموصل. وعبثا حاول إقناعهم

بالعكس وبأنه ضيف القنصلية الإنكليزية، إذ أن هذه الضيافة كما يقول كانت قد تجاوزت الثلاث سـنوات. إلا انـه يستدرك محـاولا أن يكـون منصفـا في مسـألة احتجاز البطريرك من قبل بـني قومـه. فيعـترف بحاجـة القـوم الروحيـة الماسـة لوجوده بينهم. إذ أن تقييد حريته وعدم السماح له بالعودة إلى وطنـه. قـد حـرم أتباعه من مصدر لا يمكن تعويضه لتلبية متطلبات تقديس الكنـائس. الـتي أعيـد بنائها بعد أن كانت قد هدمت أثناء المذابـح. إضافـة إلى الحاجـة الماسـة لسيامة كهنة جدد لكي يحلوا محل أولئك الذين قتلوا. هـذه الأمـور جعلـت الحضـور في مجلـس لايـارد في "زايثـا" أن يكـون البطريـرك ومصـيره محـور حديثـهم واستفساراتهم[28]. وعن علاقة الولاء هذه كتب ماكلين و بـراون يقـولان: الغريـب الذي يتجـهز برسالة البطريرك هي أقوى من أي حمايـة أو توصيـة حكوميـة. إذ أينما يحل يقابل بالترحيب ويودع بتكرار 'حللت بالسـلامة مائـة مـرة' "[29]. وإن التصاق القوم بكنيستهم وبطريركهم كانت ظاهرة ملفتة للانتباه.[30] Maclean and Browne، يوردا مثالا آخر عن تعلق الآشوريين ببطريركهم من خـلال مشـاهداتهم وتجربتهم الشخصية فيذكران: " كل قادم يصل مقر البطريرك يقوم بتقبيـل يـده. معظمهم يركعون على ركبهم وهـم يقبلونـها. البعـض الآخـر يـأخذ يـده. غـيرهم يتبركون بلمسها.[31]

---

[28] Layard, Popular, 130.

[29] Maclean and Browne, 30.

[30] Rev. Cutts, The Assyrian Christian, Report, 11 – 12.

[31] Maclean and Browne, 14 – 15.

المبشر George Badger, يتحدث عن التصاق القوم بكنيستهم ومدى النفوذ الذي يتمتع به رجال الدين بين أبناء القبائل. إذ يقول: إن للكهنة منزلة احترام رفيقة، حيث يقبل أبناء القبائل أيديهم، ويتخذونهم كمستشارين في قضاياهم الخاصة، ويلقبونهم عادة بلقب "رابي قاشا" أو "كسي"[32]

6 – العبادة والكنائس

كثيرون هم الغربيون الذين قاموا بزيارة وطن القبائل الآشورية المستقلة بعد إخضاعها سنة 1843 ونقلوا مشاهداتهم وانطباعاتهم عن الحالة الدينية التي كانت قائمة هناك. ولعل من بين أبرز ما لاحظوه هو ظاهرة عمق ونقاوة الإيمان بالمسيحية بين الجميع. فمن الظواهر التي رصدت، ظاهرة تلبية نداء العبادة مع شروق الشمس يوميا. فيقصد الجميع الكنيسة وأول ما يفعله المؤمن : يقبل عمود باب الكنيسة قبل الدخول، وينزع حذاءه قبل الدخول إلى الهيكل، ويحني رأسه، وهامته في خشوع. ثم يواصل مراسيم الخشوع متوجها إلى موضع الإنجيل الموضوع أمام المذبح، فيقبله، ثم الصليب، وأخيرا يد الكاهن.

الكنائس التي كان يتعبد فيها أبناء قبائل تياري وحكاري، كانت مبنية من الصخور الصلدة، وذات سقوف معقوفة على شكل قبة مشكلة من أقواس ظلت تقاوم عوادي الزمن قرنا بعد قرن. وكانت من المتانة لدرجة أنها ظلت شاخصة يتعبد فيها المؤمنين منذ أربعة عشر قرنا من تاريخ بنائها كما كان موضحا في وثائقها وسجلاتها.

---

[32] Badger, I: 228 – 229.

ولقد تميزت مداخل [أبواب] الكنائس بكونها واطئة جدا، لا تسع إلا لدخول شخص واحد، عليه أن يحني رأسه للدخول. وكما أفاد أبناء القبائل ردا على استفسارات المبشرين عن هذه الظاهرة الشائعة في بناء الكنائس في وطن القبائل الآشورية، هي لتذكير المؤمنين، بان الحياة الدنيوية زائلة، وانه يتطلب المشقة والجهد والتعبد، للوصول إلى أبواب الجنة الواسعة. ويؤكد المبشرون بان كنائس تياري وحكاري كانت تتميز بصلابتها ومتانة بنائها، وأنها كانت تخلو من الأبراج والنواقيس. أما عن موقعها فهو غالبا في موضع مرتفع عن المنطقة المحيطة بها، وأنها عادة تصبغ بلون أبيض.[33]

مراسيم الصلاة كانت تتم باللغة السريانية / الآشورية حيث كانت ترتل التراتيم الدينية ومراسيم الطقس والعبادة وقراءة الكتاب المقدس. ومن العادات التي كانت شائعة بين أبناء تياري وحكاري، عندما تنتهي مراسيم القداس، وبعد أن يباشر المصلون بالخروج، فان كل منهم كان يتسلم عند الباب، قطعة صغيرة من الخبز الملفوف، وبداخله كمية من اللحم. "هذه الممارسة كانت امتدادا للتقاليد المسيحية التي كانت سائدة في القرون الأولى للمسيحية، لاسيما في القرن الأول والثاني حيث كان يطلق على هذه العادة 'صوم المحبة' ".[34]

ظاهرة أخرى تميز بها أبناء القبائل الآشورية وجلبت انتباه المبشرين أيضا، هي توقيرهم وحفظهم ليوم السبت. إذ كانوا يولونه القدسية المطلوبة.

---

[33] Ainsworth, II: 227 – 228.

[34] Maclean and Browne, 22

ويمتنعون خلاله عن العمل، أو السفر، لان ذلك يجلب الموت حسب اعتقادهم[35].
لذا لا غرابة أن نجد أحد المبشرين يصفهم بأنهم من أنقى العناصر المسيحية إيمانا في الشرق.[36] تعكس النقاوة التي كانت سائدة في القرون الأولى للمسيحية، ولديهم الإعجاب بهويتهم القومية[37]

7 – عدد الكنائس المسماة على أسماء القديسين في وطن القبائل الآشورية

التصاق الآشوريين بالمسيحية الذي أذهل كل من تسنى له معرفتهم في وطنهم وعراقة المسيحية بينهم وقيامهم منذ القرن الأول للميلاد ببناء الكنائس ودور العبادة. ولقد كانت تقاليد المسيحية راسخة بين القوم، ومنها اتخاذ أسماء القديسين كتسميات لكنائسهم الكثيرة. ومن الجدول أدناه يستدل على المكانة المتقدمة والبارزة لكل قديس من خلال شيوع التسمية باسمه:

---

[35] American Sunday School Union, Philadelphia, 1848, 63 – 64, Cutts, 22. Thomas Laurie, 257.

[36] Horatio Southgate, Visit, 271.

[37] Heazel and Marglioth, Kurd and Christian, 194.

قائمة بعدد الكنائس المسماة على أسماء القديسين[38]

عـــدد الكنائس	اسم القديس	عـــدد الكنائس	اسم القديس	عـــدد الكنائس	اسم القديس
1	مار عزيزا	2	مار أدي	63	مار كيوركيس
1	= ميخائيل	2	= يوسف	61	مارت مريم
1	= قيوما	2	= شونا	26	مار قرياقوس
1	= بيشو	2	= ماسترينا	13	= يوحنان
1	= كاردي	2	= موشي	12	= شليطا
1	= تالاي	1	= قديشا	9	= شمعون
1	= ايشو	1	= بيثسون	8	= بني شموني
1	= حزقيل	1	ربان برسومورو	7	= اسطبانوس
1	= دانيال	1	قديشا	5	= سركس
1	= سوريشو	1	مار زيا	5	= سابا
1	= كوريل	1	= ماري	4	= صليوا
1	= بورور	1	= سارابيون	4	= توما
1	ربان سادا	1	ربان بربوراتو	4	= سوريشو
1	ربان ياقو	1	= اسحق	3	= عوديشو
1	مار عزيز	1	= خنانيا	3	= أوراهم

[38] مجموع الكنائس التي أورد أسمائها هي 290 كنيسة. ولقد أورد المبشر Badger أسماء كنائس عديـدة أخري في مناطق الرعية إلى الجنوب من وطن القبائل المستقلة وشرقه: في مناطق برور وصبنه والزيبـــار و عقرة وجبل كاره وجزيرة بوتان وجبالها، تم الإشارة إليها ضمن أبرشيات بطريركية مار شمعون في موضع آخر. أنظر:359- 358 ,Cutts, Christians

= كوريل	3	= ناثانيل	1	مار سادا	1
= يوحنان	2	= داود	1	مار عبديشوع	1
= ياقو	2	بطرس وبولس	1	= اورا	1
= زرواندا	2	مجهولة	16		

8 – ابرشيات بطريركية مار شمعون

بسبب الاضطهادات المستمرة التي كان يتعرض لها الشعب الآشوري عامة واتباع بطريركية مارشمعون خاصة فان المطرافوليطيات والأبرشيات التابعة لهذا الخط ظلت تسجل تقلصا مستمرا في عددها، تماما كما كان الحال بالنسبة إلى الخط البطريركي للكنيسة الشرقية الآخر الذي كان مقره كما قلنا دير الربان هرمزد في السهول. فلقد اختفت منذ القسم الأول من القرن التاسع عشر المطرافوليطيات والابرشيات التي كانت واقعة في المناطق السهلية مثل مطرافوليطية "مار يوحنان" التي كان مقرها مدينة "بازبدي" العريقة. كما واختفت ثلاثة مطرافوليطيات في منطقة الخابور بعد سنة 1836. وعموما فان الكراسي الكنيسة التابعة للكنيسة الشرقية ظلت تختفي واحدة بعد الأخرى. وبسبب الأحوال السياسية المضطربة من ناحية ولشغر الكثير من المراكز المطرانية بسبب عدم وجود (**ناطر كرسي**) لها فان المطرانيات التابعة للكنيسة الشرقية في خط مارشمعون كانت تتعرض لتغيير مستمر ولكن خلال فترة بحثنا كان الهيكل الكنسي يظم الأبرشيات المدونة أدناه كما أوراها المبشر Cutts وستجري الإشارة إلى تلك التي أهملها من خلال الإشارة إلى ما أورده المبشر Badger وغيره. ومن

بين المطرافوليطيات والأبرشيات العديدة التي كانت تتشكل منها الكنيسة الشرقية ظل منها في أواسط القرن التاسع عشر الأبرشيات التالية:

الأبرشيات التابعة لبطريركية مار شمعون والأقاليم والقرى والكنائس التابعة لها[39]

الأقاليم	عدد القرى		عدد الكنائس		الملاحظات
	سنة 1850	سنة 1877	سنة 1850	سنة 1877	
أبرشية مار شمعون ـ قوجانس					
تياري السفلى	23	23	19	20	
تياري العليا	34	29	14	11	
والطو[40]	–	5	–	7	
دز	13	13	13	13	
برور قوجانس	10	9	9	11	4 كنائس في قرية تركونيس و2 في كيكار و2 بونيس
برور سويني	10	10	9	11	
برور شاووثا	3	3	3	7	4 كنائس في قرية ساكيران
بليجناي	7	4	4	3	

---

[39] عن الابرشيات التابعة لبطريركية مار شمعون سنة 1850 وما بعدها انظر: George Badger, Nestorians and Their Ritual, I: 392 – 399. Cutts, 353 – 359. Maclean and Browne, The Catholicos, 194 - 195

[40] ذكرها Cutts, 353 – 359 أما Badger فقد أوردها في جدوله ضمن تياري العليا. انظر I: 392 - 399

أبرشية مار سركس ـ د جيلو					
تخوما	2	2	2	6	
جيلو	16	16	12	14	
باز	5	5	5	11	5 كنائس في ماثا تحتيثا
ريكان	4	5	4	7	
جال او تال	13	13	11	14	
أبرشية مار صليوه ـ كاور					
كاور	20	23	20	19	
ديراناي	4	–	4	–	لم ترد عند Cutts
خنانيس	4	–	4	–	= = = =
البق	11	11	5	7	3 كنائس في قرية كالانيس
نودز	–	4	–	3	لم ترد عند Badger
أبرشية مار خنانيشو مطرافوليط شمسدين					
شمسدين وتوابعه	–	26	–	22	= = = =
برادوست	–	31	–	19	= = = =
أبرشية مار يوحنان في أورمية وتوابعها					
اورمية وسهولها وتركه ور، سولدز	–	52	–	25	= = = =
أبرشية مار كوريل وتوابعها ـ سهول أورمية					

حوض نهر براندوز، نهر اورمية، جنوب البحيرة	–	90	–	40	في 90 قرية متبقية ظل فيها 40 كنيسة فقط 5 في أردشاي، و 2 في تاكيا، الكاي،دزتا كي الخ
أبرشية مار أوراهم ـ كندك					
عقرة والزيبار	5	–	4	–	لم ترد عند Cutts
مزوري	3	–	3	–	= = = =
جبل كارا	7	–	6	–	= = = =
أبرشية مار إيشوعياب ـ برور					
صبنه	8	–	6	–	= = = =
نروه	4	–	4	–	= = = =
برور	15	–	10	–	= = = =
مطرافوليطية مار يوسف ـ بوتان					
جبل بوتان	20	–	20	–	= = = =

حوض الخابور	3	-	3	-	= = = لم ترد أسماء عشرات القرى في المنطقة الجبلية المجاورة

إضافة إلى الكنائس المشار إليها فان بقية كنائس الكنسية الشرقية في المناطق السهلية من بلاد آشور كان الجهد التبشيري الكاثوليكي في سنة 1850 قد نجح بالاستحواذ عليها مشكلاً منها الكنيسة الكلدانية. المبشر المشار إليه قام بإيراد قائمة شبه متكاملة عن تركيب الكنيسة المشار إليها وتوزيع أبناء الطائفة الكلدانية خلال هذه الفترة. ومن الجدول المرفق يتبين مدى انتشار الطائفة والكنيسة التي هي في الواقع امتداداً طبيعياً للكنيسة الشرقية التي لولا الجهد التبشيري المشار إليه لكانت حسبت ضمن التركيبة الخاصة بالكنيسة الشرقية.[41]

---

[41] أدناه جدولاً بالأبرشيات التابعة للكنسة الكلدانية:

الكنيسة والطائفة الكلدانية في سنة 1850

الإقليم	المدينة	عدد الكنائس	عدد العائلات	الملاحظات
ابرشية الموصل				
الموصل	الموصل	5	350	مركز البعثة التبشيرية الكاثوليكية
-	تلكيف	2	320	
=	بطنايا	1	60	
=	تل اسقف	1	110	

=	باقوفة	1	20	
=	القوش	2	250	
=	كرمليس	2	25	
=	بيوس	1	20	
=	نصيرية	-	10	
بغداد	بغداد	1	60	
العمادية	العمادية	-	10 أشخاص	مقر مطرانية مار يوسف أودو
=	دهوك	1	50	
=	معلثايا	1	20	
دهوك	شيوز	-	20	
=	مار ياقو	1	21	
=	دزي	-	20	
=	بدول	1	20	
=	بيبوزي	1	10	
=	ميزي	1	7	
=	جاماني	1	4	
=	آتوش	2	11	
=	منكيش	1	150	
=	تنه	1	30	
=	آرادن	2	50	
=	إنشكه	1	20	
ديار بكر	ديار بكر	1	120	
=	خاروجيا	1	30	
ماردين	ماردين	1	60	
سعرت	11قرية	12	300	

				أبرشية بازبدي ـــ جزيرة ابن عمر
وهي جزيرة ابن عمر. وهناك قرى أخرى في الجبال	60	1	بازبدي	الجزيرة
	8	–	زاخو	=
	15	1	تاكيان	=
	60	1	فيشخابور	=
وتسمي كرككي بيدروس	12	1	كرككي	=
	10	1	تل كايين	=
	14	1	بيدارو	=
				أبرشية كركوك
	40	1	كركوك	كركوك
	30	1	شقلاوه	كركوك
وتقع بالقرب من كويسنحق	30	1	أرموطة	=
		1	عينكاوه	=
3 قرلا في لايرلت على الحدود	28	4	سنا	=
				أبرشية خسراوا*
	150	2	خسراوا	خسراوا
يذكر المبشر بان الكلدان في الموصل اخبروه بوجود قرى في أذربيجان إيران تابعة للكنيسة الكلدان	؟	؟	سلامس	=

ويذكر المبشر: بأنه إذا كانت التقديرات التي زوده بها الكلدان في الموصل صحيحة فان مجمـــوع نفـــوس الكلدان في سنة 1850 هو 20.000 نسمة وهذا رقم نعتقد بأنه لم يكن يمثل نصف عدد الكلدان خلال الفترة موضع البحث. انظر: Badger, I: 174 – 175, 201.

---

* لقد ذكر بادجر عدم حصوله على إحصائيات لعدد الكلدان في أذربيجان إيران رغـم أن اثنـين مـن المبشرين الأمريكان كانوا قد سبقوه إلى تلك المنطقة وقدموا مسحا لها ومن ضمن ما ذكـروه في سـنة 1831 هو عدد الكلدان هناك. ولقد ذكرا:

تواجد الكلدان في أذربيجان:

أورد المبشران أسماء القرى التي يتواجد فيها الكلدان في أذربيجان إيران وذكرا ما يلي:

اسم القرية	عدد العائلات:
خسراوا	150 – 170
أوولا	26
كوليزا	20
باتافور	15
خاخيا	7
غيرها	6
اورمية	200
مهاجرون	30 هاجروا الى منطقة شارور في يرفان.

نفوس الكلدان في أذربيجان حسب القائمة المزودة من قبل القس الكلداني هو: 2300 شخص.
Smith and Dwight, 198.
وعند حديثهما عن خسراوا، كبرى القرى التي يتواجد فيها الكلدان في أذربيجان يقولان: خسراوا قريـة كلدانية [التعبير المشترك الذي كان يطلق على النساطرة أيضا] تبعد ميلين عن ديلمان. هؤلاء الكلدان هم حديثو العهد في الكثلكة. والقرية مقر المطران الذي يتبعه المتكثلكين من الكلدان في المنطقة واسمـه مـار يوحنان، ويساعده قس أمضى 12 سنة في البروباكندا واتسم بطبيعة عنصرية تعصبية تجاه النساطرة.
ما قبله، 186 – 187.

الفصل الرابع

عراقة القبائل الآشورية في تياري وحكاري

1 - القبائل الآشورية ونظرية الهجرة من الجنوب

لقد ادعى بعض الكتبة الغربيون، لاسيما الإنكليز منهم بان تواجد القبائل المستقلة في وطنها حديث العهد نسبياً، ويرجع إلى فترات المذابح والاضطهادات المغولية وبشكل خاص مذابح تيمورلنك. ولقد كان أول القائلين بها المبشر جورج بادجر[1] وتبعه آخرون. كما ذهبوا إلى أبعد من ذلك لحد التشكك في وجود رابطة ما بين آشوريي اليوم والأمس. إلا أن العديد من العلماء والمؤرخين والمختصين ـ ومن بينهم الإنكليز أيضا ـ بالرد على هذه النظرية ودحض مزاعم القائلين بها. هؤلاء، وعلى عكس المجموعة الأولى كان ردهم يستند على دراسات ميدانية مدعومة بأدلة، وشواهد تاريخية قائمة في وطن القبائل المستقلة. تلك الدراسات التي كانت محصلتها إثبات وبصورة قاطعة عراقة وقدم تواجد هذه القبائل في وطنها، ومنذ الأزمنة السحيقة في القدم.

آراء بادجر ومن تبعه، انعكست بصورة أو أخرى على بعض الكتبة المحليين أيضا. فردد هذا البعض تلك المزاعم دون فحص أو تدقيق يستند على قواعد علمية وتاريخية. هؤلاء اختاروا أن يكونوا نقلة مرددين ما قاله غيرهم بدل أن يكونوا مدققين وفاحصين لحقائق التاريخ كما حصلت لا كما تمناها له مصلحة بالطروحات التي دحضتها الدراسات والأبحاث الميدانية التي بموجبها توصلوا عبر الشواهد التاريخية إلى حقيقة عراقة القبائل وقدمها

---

[1] Badger, I: 256 – 257.

في تياري وحكاري، وذهب البعض منهم إلى تأكيد كونهم هناك منذ أيام مجد الدولة الآشورية[2].

الذين قالوا بحداثة تواجد القبائل، سواء من الغربيين أو المحليين والإقليميين، لديهم من دون شك دوافعهم وأسبابهم الخاصة للتمسك بمثل هذه الادعاءات وهذه المزاعم ولهم قاسم مشترك واحد، وهو العجز عن إيراد دليل واحد يؤكد ادعاءاتهم. لا بل إن أول القائلين بهذه النظرية وهو المبشر George Badger أورد وهو يتحدث عن القبائل، ما يدحض نظريته ومزاعمه بنفسه[3]، ناهيك عن الرد الدامغ عليه من أبناء جلدته، لاسيما أولئك الذين كانوا قد امضوا ما يزيد على 25 سنة من الإقامة في وطن القبائل المستقلة والعيش وسط شعبها. وقدموا الشواهد التاريخية القائمة فيها كدليل على عراقة تواجد أبناء القبائل المستقلة فيها كما كان حال الدكتور Browne الذي دفن وسط القوم بعد ربع قرن من البحث والدراسة، والذي لم يملك إلا الرد الساخر على مزاعم مواطنه Badger مؤكدا بان الشواهد التاريخية المتواجدة في وطن القبائل والمناطق المحيطة به هي من القدم والعراقة ما تعود إلى

---

[2] الدكتور ويكرام يقول بان أبناء القبائل هم من ذات الدم الآشوري لقدماء أبناء نينوى.
Wigram, Assyrian, 4 , 164 - 170.

[3] يذكر بادجر بأنه حين وصل إلى منطقة صبنة في شباط 1843 فانه وجد مخطوطات سريانية كتبت في كنائسها قبل 600 سنة [أي في سنة 1240.] وهذا التاريخ بكل تأكيد له مغزى. إذ أن ظهور تيمورلنك الذي يعزو لمذابحه هجرة أبناء القبائل حصل بعد 160 سنة من التاريخ الذي يخبرنا فيه عن كتابة المخطوطات في منطقة صبنة التي كانت إلى الجنوب من تياري والتي لم يكن لها ذات القابليات الدفاعية التي عرفت توفرها عند أبناء تياري عبر التاريخ. أنظر: Badger, The Nestorians, I: 201 – 202. يقول بادجر: بأن المنطقة المحصورة بين دياربكر وفارس وبين تياري وبغداد كانت في القرون القديمة زاخرة بأعداد هائلة من النساطرة. !: 176 . و بادجر يخبرنا بأنه طلب من القس أورها، قس آشيتا في سنة 1842 أن يقدم له قائمة بالأسماء الشائعة بين القبائل وان القس المذكور قدم 80 اسماً 10 منها تاريخية قديمة جداً، و12 من فترة العهد الجديد. Badger, II: 211 – 212.

الفترات السابقة لظهور العنصر المغولي في بلاد ما بين ا لنـهرين. لا بـل يـورد أدلة وشواهد تعود إلى الفترات السابقة لظهور الإسلام بعدة قرون. إذ يقـول " **نحن نعتقد بان الدكتور باجر كان مخطـأً حـين قـال بعـدم وجـود شـواهد معمارية أو سـجل آثـار تؤيـد قـدم سـكن النسـاطرة في وطنـهم قبـل وقـت تيمورلنك. هناك العديد من الكنائس التي كانت قد بنيت مـن قبـل الملـوك [ملوك العجم الذين سجدوا للطفل يسوع] التي يظهر بنائها قبل الإسـلام، مثـل كنيسـة مـار كيوركيـس في خنـانيس، وكنيسـتان في إقليـم (دز) أو ديزان"**[4].

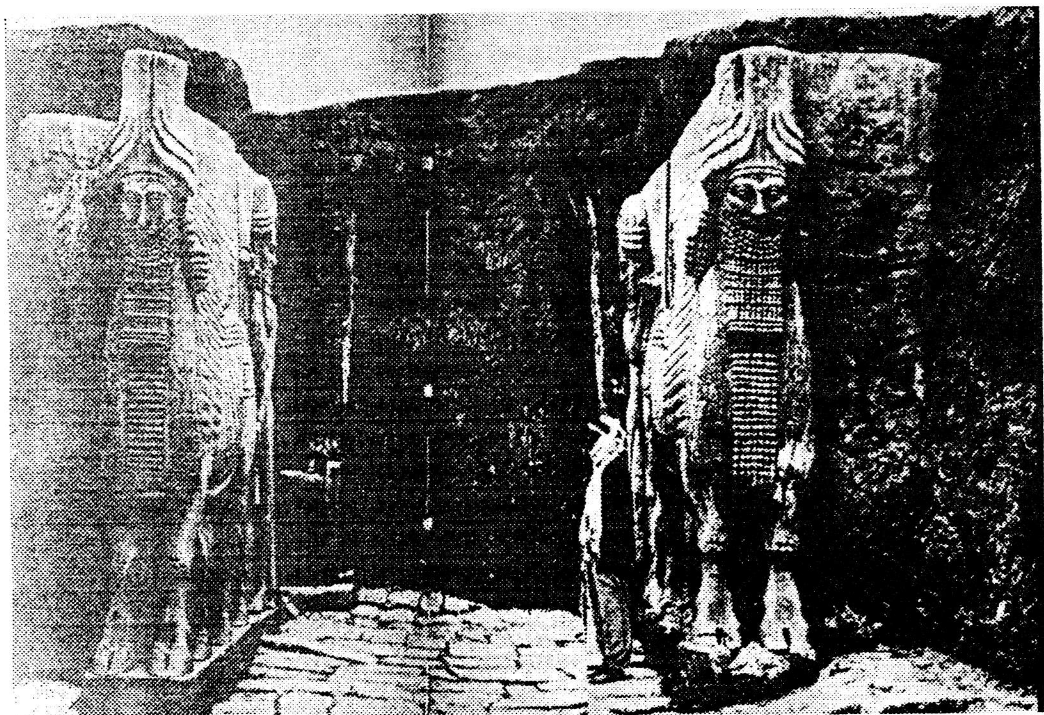
وإذا ما أخذنا بنظرية الدافع الشـخصي في تصـرف الإنسـان، فإننـا نجد في ادعاءات بعض الكتبة الإنكليز، الكثـير مـن تلـك الـتي تفـرض علـى أصحابها القول بها، وإن كانت مغايرة للواقع والحقيقة. فقبل كل شـئ فـإن هذه المزاعم لم تظهر مع الحضور المكثف للإنكلـيز في بـلاد مـا بـين النـهرين وعموم المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر[5]. فلمدة نصـف قـرن تقريبـاً مـن الوجود الإنكليزي لم يقل بها أحد منهم. إذ أن كل ما قاله المختصـين منـهم في تلك الفـترة عـن هويـة سـكان البـلاد الأصليـين مـن النـاطقين بالآراميـة / السريانية هو: إنهم آشوريون و كلدان، كما كان الحال مع المعتمد البريطاني **Rich** الذي أشار صراحة إلى التسميتين أثنـاء حديثـه عـن القـوم[6]. إضافـة إلى غيره خلال الفترة المشار إليها. وكذلك كان قد فعل من قبله الرحالة الفرنسي

---

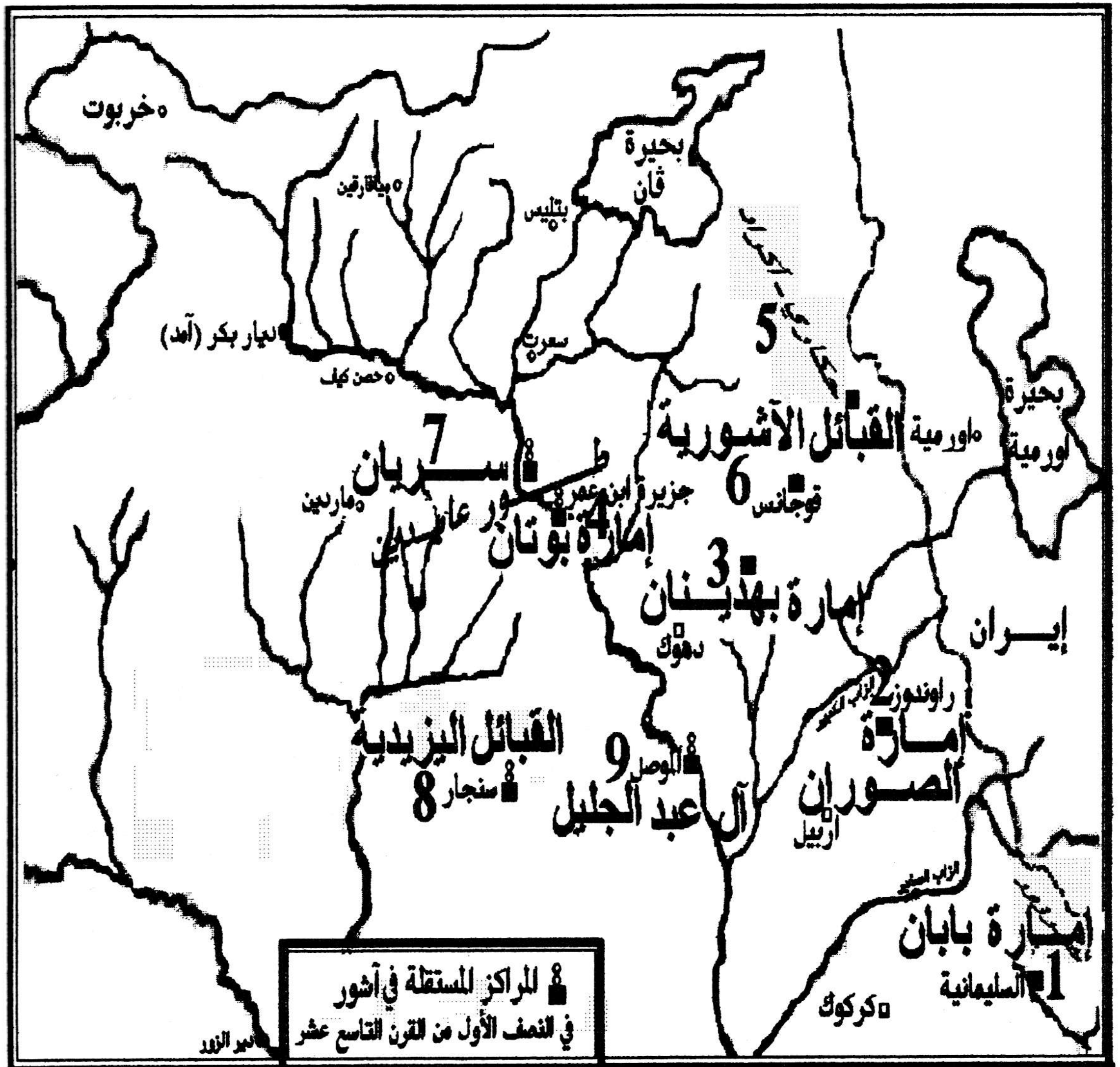
[4] Maclean and Browne, 298 – 299.

[5] مباشرة بعد احتلال نابليون لمصر وتهديده لخطوط مواصلات الإمبراطورية البريطانية إلى الهند. قام الإنكليز بفتح معتمدية سياسية في سنة 1802 في تركية العربية واتخذوا بغداد مقراً لها

[6] Rich, II: 120.



أينما تم الحفر في بلاد آشور فإن الآثار الآشورية كانت ولا زالت تكتشف في كل مكان



المراكز المستقلة في آشور ـ النصف الأول من القرن التاسع عشر

1 ـ إمارة بابان: مركزها السليمانية. أكراد

2 ـ إمارة الصوران: مركزها راوندوز =

3 ـ إمارة بهدينان: مركزها العمادية. =

4 ـ إمارة بوتان: مركزها جزيرة ابن عمر. =

5 ـ إمارة حكاري: مركزها جولمرك ـ مشتركة بين الأكراد والآشوريين.

6 ـ القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري: مركزها قوجانس.

7 ـ القبائل السريانية المستقلة في طور عبدين: مركزها مديات

8 ـ القبائل اليزيدية: مركزها جبل سنجار، الجزيرة الشيخان.

9 ـ أسرة آل عبد الجليل ـ باشوية الموصل: مركزها مدينة الموصل.

المنسنيور 'تافرنييه' أو ما كان قد أشار المؤرخ الشهير **Edward Gibbon** وآخرون غيرهما.

هذه النظرية وطروحاتها تزامنت مع الاكتشافات الأثرية التي قام بها الإنكليز في العواصم الآشورية واستخراجهم، ونقلهم للكنوز الآشورية إلى بلادهم. من هنا فان الطليعة المتقدمة للاستعمار الحديث المتمثلة بالمبشرين والأثريين، جاهدت لنشر مثل هذه المزاعم والآراء. وعملوا على نشرها لتبرير استيلائهم على كنوز تعود للشعب الآشوري. فبرروا ما أخذوه من أرض الحضارات، لا وريث له. وعليه فان الاستيلاء عليه ونقله إلى بلدانهم هو عمل مشروع، ولا غبار عليه ومقبول في أعرافهم[7]. ولما كان هذا لوحده لا يحل المشكلة التي تواجههم في المستقبل وان عليهم تقديم تفسير للوجود الكثيف للشعب الآشوري في المناطق الجبلية لاسيما القبائل المستقلة في تياري وحكاري. لذا كان لابد إن يحاول البعض منهم أن يجد المخرج لهذه الإشكالية، من خلال التشكيك بتواجد الكثافة الآشورية في بلاد آشور والممتدة إلى حدود أرمينيا وأعالي ما بين النهرين. فتفتقت الذهنية الاستعمارية عن نظرية الهجرة من الجنوب إلى الشمال للخروج من المأزق، الذي يتعلق بتفسير النظرية الأخرى، القائلة بعدم وجود صلة بين آشوريو اليوم والأمس. من هنا فان كلا شطري النظرية والمزاعم مرتبطة بعضها ببعض ودوافعها هدفت إلى تبرير السيطرة على الكنوز الأثرية والعلمية والثقافية الآشورية التي كما قلنا لا يمكن تقديرها بثمن.

---

[7] في هذا الفصل سنكتفي في الإشارة إلى عراقة وقدم القبائل الآشورية في تياري وحكاري. أما موضوع التواصل التاريخي للشعب الآشوري بعد سقوط سلطته السياسية بسقوط نينوى فقد تم التعامل معها في المجلد الأول من (الآشوريون بعد سقوط نينوى 612 ق. م. — 226م)

المجموعة المحلية التي تقول بما قاله أصحاب النظرية المشار إليـها الناكرين لتواصل الشعب الآشـوري. هـؤلاء دوافعـهم لا تقـل أهميـة بالنسـبة إليهم من دوافع الغربيين إن لم نقـل بأنـها اكـثر حساسـية. فأصحـاب هـذه النظرية لهم مصلحـة مباشـرة بالتمسـك بـها وفي استعارتها واسـتخدامها إلى أقصى حد ممكن. فـهذا الادعـاء والتمسـك بـه هـو المبرر الوحيـد الـذي بـه يحاولون إضفاء الشرعية علـى واقـع التغيـير في الخارطـة الديموغرافيـة الـتي حصلت في آشور، وطن الشـعب الآشـوري. إذ هنـا التقـت مصـالح الغربيـين وبعض العناصر الأثنية في بلاد ما بين النهرين على التمسك بالنظرية والمزاعم المشار إليها.

والشعب الآشوري الذي لديه سجلات ووثائق وأدلة تاريخية محفورة على جبال آشور، وكلها تؤكد بان بلاد أشور عبر مراحل التاريخ وقبل بداية الحضور والاستقرار فيها من قبل العناصر الغريبة، لم يكن يسكن فيها سـوى الآشوريين، لا غيرهم مثلما قال هنري لايارد، عند حديثه عـن الأقـوام الـتي كانت تقيم في بلاد آشور أواسط القرن التاسع عشر فكـان حاسمـا في حكمـه:

"إن النساطرة والكلدان هم السكان الأصليين للبلاد. أما البقية فغرباء"[8]

من هنا فان ادعاءات المجموعة الإقليمية والمحليـة مرتبطـة بمسـألة على جانب كبير من الأهمية وهي الأرض التي اسـتقروا عليـها خـلال قـرون الفوضى والمذابح والاضطهادات. إلا أن هذه المجموعة موقفها هـش وضعيـف ولا يمكن أن يقدم ما يعزز طروحاتها. فهي عاجزة تماما عـن إثبـات عائديـه الأرض لهـا. فـإذا كـان دليـل إثبـات الآشـوريين لعائديـه الأرض لهـم هـو آشوريتهم والسلسـلة الغـير منقطعـة لمواصلتـهم للعيـش في هـذه الأرض، فـان

---

[8] Layard, Popular, 24.

أولئك الذين سماهم لايارد ب (**الغرباء**) هم في عجز تـام عـن تقديـم أي مـن الأدلة والشواهد على ارتباطهم مع هــذه الأرض ويكـون لهـا قيمـة تاريخيـة. فهؤلاء عـاجزون عـن تقديـم أدلـة امتلاكـهم لـتراث اجتمـاعي وثقـافي وفـني وعمراني يرقى إلى أبعد من عهد الاحتلال العثمـاني. هـذا الـتراث هـو الفـرز الطبيعـي لأي مجموعـة بشـرية تعيـش بشـكل متواصـل علـى أرض محـددة وتمارس عليها تلك النشاطات التراثية التي تترك شواهدها للدلالة والإثبـات.

عملية قطع الشك باليقين هي عملية سهلة للغاية. فالقيام بـالتنقيب وأعمال الحفريات تحت التراب في أي بقعة من ارض آشور ستكون محصلتها النهائية آثارا آشورية تعود لفترتي ما قبل وبعد الميلاد، لان كـل مـا في بـلاد آشور يشهد على آشوريتها.

2 ـ قدم القبائل الآشورية في وطنـها

كثيرون هم الكتـاب والبـاحثين والمؤرخـين والرحالـة والدبلوماسـيين الذين أشاروا إلى قدم القبائل الآشورية في وطنــها. وفي الإشـارة إلى بعـض ممـا كتبوه والاستشـهاد بآراء المختصين، ستساعد علـى تكويـن تصـور عـن عراقـة تواجد هذه القبائل الآشورية في الأقاليم المختلفة لتياري وحكاري.

- **الكاتب محفوظ العباسي**

عند إشارته إلى آخر عهد لوجود أبناء القبـائل الآشـورية في وطنـها، يشير الكاتب إلى المجموعة التي كانت قد غادرت مخيم بعقوبـة للاجئـين في سنة 1919 وعادت إلى قـرى أقاليمـها المختلفـة في تيـاري وحكـاري وأعـادت تعمير ما كان قد دمره الأكراد والأتـراك خـلال الحـرب الأولى. مصـير هـؤلاء العائدين، كان على ما يبدو، مرتبطا بالوضع السياسي والعسكري العام القائم في المنطقة يومئذ، وقررته المصالح الإنكليزية والتفاهم الإنكليزي التركي الـذي

حصل على حساب المصالح الآشورية. عن مصير الآلاف من العائدين يقول العباسي:

".. أثناء زيارة والي (فان) رفعت باشا بك لجولمرك، ومعه 30 خيالا من الجندرمة .. كمنت له عصابة من (الجيلوويين) عليها الملك (لاوكو) في موقع يسمى (ملي خان) .. أسروا الوالي وسلموه إلى الملك خوشابا، ملك تياري السفلى. لم يمسه بأذى، وأعاده إلى جولمرك.. . ساقت الدولة العثمانية، قوة من الجيش، ودمرت حصونهم وقلاعهم. وهكذا عبروا الحدود دون أن يتركوا نسمة واحدة. **وكان هذا آخر عهدهم في تلك الجبال التي سكنوها زهاء خمسة وعشرين قرنا** "[9]

- **الكاتب الكردي محمد أمين زكي:**

لا يملك إلا أن يعترف بان القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري عاشت في وطنها منذ خمسة وعشرين قرنا من الزمان.[10]

- **الكاتب الكردي علي سيدي الكوراني:**

كاتب كردي آخر، عند حديثه عن القبائل المذكورة، يؤكد بأنهم أحفاد أولئك الذين بنوا أمجاد نينوى. وعن قدمهم في تياري وحكاري يقول: بأنهم عاشوا هناك لمدة خمسة وعشرين قرنا[11]

- **Dr. A. Grant**

---

[9] محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية. 214 - 215

[10] محمد أمين زكي، الكرد وكوردستان منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر. عربه محمد على عوني القاهرة. 130.

[11] علي سيدي الكوراني، من عمان إلى العمادية 146، 155، 204

كما نوهنا في موضع آخر، فان هذا المبشر يعتبر في مقدمة من قاموا بدراسة تفصيلية لأبناء القبائل المستقلة. ومن ضمن الأمور التي يوردها الشواهد والتسميات والممارسات الاجتماعية الدالة بشكل قاطع على قدم القوم هناك فيقول:

"في وطن القبائل النسطورية، توجد شواهد تاريخية تؤيد قدمهم هناك .."[12] وان هذه الشواهد ترجع في تاريخها إلى مئتي سنة قبل ظهور الإسلام[13]. ويورد نماذج من التراث القائم الذي ظل يتداول عبر القرون والمتعلق بالممارسات التي كانت قائمة هناك أيام عهد الدولة الآشورية. فيشير إلى العادة التي كانت ممارسة عصرئذ وهي عادة رمي المسنين العاجزين من أعلى قمة الجبل إلى الهاوية فيذكر:

"بالقرب من ليزان، سمعت القوم يشيرون إلى موقع جبل عال كان قدماء الآشوريين يرمون من أعلى قمته مسنيهم"[14]

ومن ضمن ما يشير إليه: التسمية الجغرافية التي يطلقها أبناء القبائل على المناطق العالية، التي يقصدونها وقت الصيف، والتي تسمى (زوزان) فيقول عنها ـ كما نوهنا ـ بأنها تسمية أطلقها النساطرة على جميع

---

[12] Dr. Grant, 55.

[13] Dr. Grant, 224 – 225.

[14] يذكر كرانت قصة الشاب الذي كان يحمل والده إلى نهايته المحتومة، وعندما وقف للاستراحة عند صخرة، بدأ والده بالبكاء. فلما سأله أبنه: لماذا تبكي يا أبي؟ أجاب: 'عند هذه الصخرة كنت قد استرحت حينما كنت أحل أبي' فما كان من الابن إلا وأن عاد بوالده إلى البيت خشية أن يلقى المصير ذاته. ومن يومها بطلت هذه العادة القبيحة. .Grant, 58

المناطق العالية من بلاد آشور التي تتوفر فيها المراعي لمواشيهم. هـذه المنـاطق تقع عند المنابع العليا لنهر الزاب، وروافده وعلى امتداد مجراه.[15]

ويرد بشكل غير مباشر على أصحاب نظرية هجرة أبناء القبائل مـن الجنوب إلى الشمال بسـبب الاضطـهادات فيقـول: بـان أولئـك الذيـن قـاموا بالالتجاء إلي القبائل التي كانت تعيش في هـذه وطـن القبـائل المسـتقلة فعلـوا ذلك والتجئوا إلي مناطق اخوتهم الذين كانوا هناك قبلهم[16] ويحدد موقع وطن القبائل بالنسبة إلى آشور[17]

- **Dr. W. Wigram**

يربط هذا المستشرق وجـود القبـائل الآشـورية في تيـاري وحكـاري - التي قام بدراسة مستفيضة عنها - وكتـب الكثـير مـن الكتـب الخاصـة بـهم فيؤكد أنهم هناك قبل ظهور المسيحية:

"هنا وقت ظهور المسيحية كان القوم متواجدين كانوا هنـاك. وإنـهم كانوا متواجدين على هذه الأرض أيضا سنة 600 قبل الميلاد، وان الآشـوريين عاشوا وظلوا يعيشون في وطنهم منذ بداية التاريخ. وليس هنـاك أي وثيقـة أو

---

[15] Grant, 125.

[16] ويذكر الدكتور Grant, بأنه توجد في وطن القبائل المستقلة شواهد تؤكد قدمهم هناك وتعـود في تاريخها إلى 200 سنة قبل الإسلام. 55. ويذكر بان النساطرة في أذربيجان أخبروه بأنهم خـلال المذابح لجئوا أيضا إلى عند أخوتهم في المناطق الجبلية ولكن بعد زوال العاصفة عادوا إلى مناطقـهم حيث أن بلاد الجبال لا تتوفر فيها مناطق زراعية تستوعب أعدادا كبيرة. 224 – 225,161 -160

[17] يقتبس Grant, تحديد المؤرخ ptolemy لبلاد حدياب الذي ذكر بان حدودها الشمالية تحـاذي أرمينيا، وجبل Nephutis . وغربا دجلة، وسوسه وزاغروس جنوبا. البلاد الواقعة ضمـن هـذا التحديد هي حدياب، أو على الأصح فان حدياب كانت تشكل جزء من آشور، التي يطلق عليـها البعض اسم ,Aturia أو Atyria. ويضيف: آشور اليوم تسمى كردستان. المسـتقلة.121، 161. هذه الشواهد ترجع في قدمها إلى 200 سنة قبل ظهور الإسلام. 224 – 225

دليل إثبات ذات قيمة يؤيد حصول هجرتـهم إلى هـذه الديـار خـلال جميـع حقبات التاريخ"[18]. ويذهب **Edgar Wigram** إلى أبعد من ذلك معززا رأيه في الشبه الواضح من النواحي الفيزيولوجية ما بين آشوريو تياري وحكاري وبين أجدادهم آشوريو نينوى، حيث يقول هناك الكثير من الأدلة لإثبات ذلك[19]

♦ **المبشر Thomas Laurie,**

يشير إلى الممارسات الاجتماعية السائدة جيـلا بعـد جيـل والمرتبطـة بأيام مجد الدولة الآشورية فيذكر عادة ارتداء الرجال من أبناء تياري لقبعات الرأس المصنوعة من الصوف المضغوط والتي تتخذ شكل مخـروط، فيذكـر عـن هذا التقليد بأنها كانت عادة مستخدمة في الأزمنة القديمة[20]. ويـورد إثباتـات قدم أبناء القبائل في وطنها قبل الهجرة المزعومة أثناء مذابح تيمورلنك، مؤكدا بأنهم كانوا في تيـاري وحكـاري قبـل مذابحـه[21]. فيشـير إلى خرائـب القـرى والكنائس القديمة المنتشرة في إقليم البق، الذي بشر به (مار بارثليميو)، أحـد تلامذة السـيد المسـيح الأثـني عشـر. عـن خرائـب القـرى والكنـائس القائمـة بجانبها يقول بأنها كانت مسكونة بكثافة من قبل المسيحيين النساطرة[22]

ويـرد علـى مزاعـم **George Badger** المتضمنـة كـون أبنـاء القبـائل مهاجروا المذابح والاضطهادات، لاسيما مذابـح تيمورلنـك فيـورد المحاججـة التالية:

---

[18] W. Wigram, The Assyrians and Their Neighbours, 178 – 179.

[19] E. Wigram, The Ahiret Highlands of Hakkari. 52.

[20] Laurie, 336. Rich, 112.

[21] Laurie, 102.

[22] Laurie, 132, 236.

" ما من شك بان مذابح تيمورلنك تسببت في هروب العديدين حيث اتخذوا المناطق العاصية ملجأ لهم. ولكن هناك حقائق أخرى تشير إلى أن قسما منهم كان يعيش هناك منذ القدم. وإلا كيف كان بإمكانهم أن يتغلغلوا هناك إذا لم يكن يسكن هناك قوم من بني جلدتهم يستقبلونهم ويستضيفونهم. إن التعصب الكردي في ذلك الوقت [أواخر القرن الرابع عشر] لم يكن أكثر تسامحا أو تساهلا من تيمولنك نفسه"[23].

- **Etheridge**

كثيرون هم الذين تعاملوا مع موضوع القبائل الآشورية من الناحية الجغرافية بدلالة الموقع وما عرف به خلال مراحل التاريخ من تسميات: **Assyria, Athur, Atyria**. فعند هؤلاء فإن هذه التسميات هي أسماء لمنطقة واحدة اسمها الحالي كردستان. ويضيف هذا الباحث قائلا: إن القبائل المستقلة كانت تعيش وسط آشور منذ حقبات تاريخية طويلة وكانوا في حالة استقلال تام. وكانوا على الدوام في تصادم مع الأكراد الرحل. وبسبب استقلالهم فإنهم لقبوا بلقب **(عشيرت)**[24]. وان أبناء القبائل من سكان تياري وحكاري هم بقايا الإمبراطورية الآشورية العظيمة. ظلوا في هذه المناطق منذ سقوطها يعيشون أحرارا فيها. ويعتزون بقدرتهم على المحافظة على استقلالهم والدفاع عنه. فلقد اعتمدوا الأساليب التي ساعدتهم على توفير مستلزمات البقاء والاستمرار. من خلال أيجاد صيغة عملية للحكم بينهم. حيث عاشوا على شكل قبائل. كل قبيلة لها رئيسها الذي يدعى **(ملك)** مهمته رعاية الشؤون الداخلية والخارجية لقبيلته. ويساعده مجلس من

---

[23] Laurie, 102.

[24] Etheridge, 18, 128.

المسنين والرؤساء. كلاهما، الملك وأبناء القبيلة أدركوا بان بقائهم مرتبط بوحدتهم ووقوفهم صفا واحدا لحماية بلادهم. فواجهوا بنجاح جميع التحديات التي اعترضتهم ونجحوا طالما كانوا متحدين[25]

3 – الشواهد التاريخية المعاصرة للمسيحية

كما أشرنا فان المسيحية كانت قد دخلت إلى بلاد ما بين النهرين في القرن الأول. وبقدر تعلق الأمر بالتبشير بها وسط أبناء القبائل[26] فإن ذلك أرتبط باسم الرسول (ما بارثليميو) بالدرجة الأولى وكذلك مار أدي ومار ماري وتلامذتهم. هؤلاء بشروا بين قبائل حدياب وآشور وأرمينيا وبين السكان الأصليين[27]

أحد الباحثين في البدايات الأولى لنشوء الكنائس الناطقة بالسريانية وهو يتحدث عن تشييد الكنائس خلال هذه الفترة المبكرة يقول:

"تتميز كنائس النساطرة بشكل عام بخاصية القوة ومتانة البناء والقدرة الفائقة على التحمل. هذه الكنائس يجدها الرحالة في مختلف أقسام بلاد آشور، حيث ينظر إليها بإجلال وتوقير باعتبارها أبنية تاريخية عريقة في قدمها واستخدامها للعبادة. .. واحدة من الكنائس المميزة .. والواقعة في الأقسام الشمالية لوطن القبائل المستقلة يعود تاريخ بنائها إلى الأيام الأولى للعصر المسيحي. ولقد بنيت على اسم الرسول '**بارثلميو**' الذي بشر في تلك المناطق، وخصوصا في إقليم '**البق**'. ويؤكد بعض كتبة السريان، بأنها كانت قد بنيت من قبل الرسول نفسه... و للنساطرة كنائس تاريخية قديمة شاخصة

---

[25] Sam Farhad, Beyond the Call of Duty, U. S. 1986. 1.

[26] يذكر المؤرخ الكنسي Wiltsch, بأنه كانت هناك مطرانية قديمة جدا على حدود القبائل المستقلة مع أرمينيا اسمها هارداسكر. كما وكانت هناك مطرانية مجاورة لها في أرضروم. 1: 237.

[27] Ainsworth, II: 269 – 270.

ألان في منطقة حدياب، أو الأجزاء الوسطى لبلاد آشور، والتي بنيت قبل العصر الإسلامي بقرون عديدة. .. واحدة منها شاهدها الدكتور كرانت في المناطق الجبلية وكانت على شكل هيكل قديم جدا جرى توسيعه من خلال توسع كهف طبيعي. ولقد استخدمت الحجارة الضخمة جدا لبناء الجدار القائم على حافة الجرف الصخري العمودي المطل على الوادي العميق. وتقف هذه الكنيسة شاخصة على قمة جبل وتتميز بكون داخلها مظلم كالليل[28]

مبشران آخران يذكران بان العديد من الكنائس في أقاليم الرعية في تركية وسهول اورمية هي فقيرة. ولكن هناك كنائس تعود بتاريخها إلى ما قبل ظهور الإسلام[29]

4 – قدم الكنائس دليل على قدم أصحابها

أبناء القبائل الذين بشر بينهم رسل السيد المسيح، وشادوا منذ تلك الفترة الكنائس التي تعبدوا فيها وسبحوا للرب قرنا بعد قرن. هذه الكنائس تسنى للمستشرقين والرحالة والمبشرين الغربيين الذين توافدوا على زيارة وطن القبائل المستقلة (منذ أن استهل الأتراك سياسية القضاء على المراكز المستقلة واعادة سيطرتهم عليها منذ سنة 1831)، فحص ومعاينة الكنائس القائمة منها في وطن هذه القبائل المستقلة والرعية. واطلعوا على سجلاتها ووثائقها وقرئوا ما حفر على صخور جدرانها من كتابات قديمة جدا. ولكي نتعرف على حقيقة عراقة هذه الكنائس نورد نماذج مما شاهده وأرخه هؤلاء عن هذا الموضوع. وإذا كانت بلاد القبائل المستقلة زاخرة بالكنائس التي كانت قائمة في منذ القرون الأولى للميلاد، فقد كان غيرها يباريها في القدم والعراقة

---

[28] Etheridge, 110.

[29] Maclean and Browne, 290.

ومنتشرة بأعداد هائلة في أقاليم القبائل الشبه مستقلة والرعية ناهيك عن تلك التي كانت قد هدمت أو صودرت خلال القرون الماضية. فمنطقة حدياب، وأذربيجان كانت تعج بالأعداد الكبيرة منها مقدمة دليل على الامتداد الوجود الآشوري في مختلف الجهات. وبذات الوقت تعكس حقيقة أن وجود الكنائس المشيدة في القرون الأولى للميلاد والتي كانت لا تزال قائمة في السهول، رغم اضطهادات وعمليات التدمير والاغتصاب كانت، مؤشرا على أن تلك التي توفرت لها الحماية، المباشرة، أو غير المباشرة، ظلت في مواضعها منذ بنائها في تلك الحقبات التاريخية السحيقة في القدم وإلى أواسط القرن التاسع عشر.

- **كنيسة مار كيوركيس ـ خنانيس**

المبشران Maclean and Browne كتبا بشكل مفصل عن القبائل الآشورية المستقلة من تاريخ وعادات وتقاليد وأوردا الشواهد التاريخية القائمة في وطنها. ما ذكراه اعتمد على الدراسة والمعايشة اليومية الممتدة لمدة خمسة وعشرين سنة وسط القبائل كما أشرنا. المبشر الأول (براون) عاش ومات ودفن بين أبنائها. كلاهما يتحدثان عن الكنائس القديمة التي شيدت في الفترة المعاصرة لحياة السيد المسيح: مثل كنيسة **(مار كيوركيس)** في خنانيس التي يقال بان أحد الملوك الذين سجدوا للطفل يسوع قام ببنائها. وكذلك كنيستان في إقليم (دز). **يؤكدان بأن** هذه الكنائس بكل تأكيد كانت مبنية قبل الإسلام. وان كل كنيسة في وطن القبائل الآشورية تحوي ضريح القديس المسماة على اسمه[30]

---

[30] Maclean and Browne, 298 – 299. Ainsworth, II: 243. Surma, 2. Sam Farhad, 16.

- **كنيسة مار ساوا - حوض الزاب في تياري**

كثيرة هي الكنائس التي تشير التقاليد المتوارثة على بنائها من قبل ما يعرف بملوك العجم. ومن بينها كنيسة مار (ساوا) **القريبة من قرى: ماثد قصرا، ولقيبا والتي يفصلها جبل عن نهر الزاب في تياري**[31]

- **كنيسة مارت مريم - اورمية**

كثيرة هي الكنائس العريقة التي كانت قائمة وسط التجمعات الآشورية في أذربيجان إيران. أورمية كانت مركزا لواحدة من أقدم الكنائس المسيحية إطلاقا. بنائها كما يذكر التقليد يعود إلى أحد ملوك العجم المعاصرين للسيد المسيح. ولقد تميزت ببنائها المثير للانتباه والتي حسب رأي المبشرين "لا يملك مثلها الناطقين بالسريانية في فارس".[32]

- **كنيسة مار سركس - (قرية سركس) غرب اورمية**

هي من الكنائس القديمة جدا وكذلك مثيرة للانتباه. ومما كان يميز الكثير من الكنائس هو ظاهرة المداخل الواطئة التي كانت عليها الكنائس القديمة تماما كما كان حال كنائس طور عبدين. فعلى سبيل المثال فان كنيسة (تس) في شمسدين كانت قياسات مدخلها: 2.5 × 1.2 قدم. كما وان بعض الكنائس أبوبها مرتفعة عن الأرض ولا يمكن الوصول إليها إلا باستخدام السلم. هذه الظاهرة عللت بأنها مرتبطة بإيمان الآشوريين الذي يتطلب من المؤمن أن يحني هامته عند دخول بيت الرب.[33]

---

[31] Maclean and Browne, F.N. 1, 301. انظر أيضا: Laurie, Dr. Grant, 248 - 249 Rev. Warda, The Flickering Light of Asia, 6.

[32] Maclean and Browne, 301.

[33] Maclean and Browne, 302, 298 . عن المداخل الواطئة للكنائس، أنظر: Surma D' American Sunday-School, 37. .Bait Mar Shimun, 8

- **كنيسة مار طليا**

عند حديثها عن قدم القبائل في وطنها تقول السيدة سرما بيث مارشمعون بان هذه القبائل عاشت في وطنها منذ عصور سحيقة في القدم. وان هذه الحقيقة يمكن إثباتها من خلال الإشارة إلى قدم كنائسهم القائمة في وطنهم. فكنيسة مار طليا كان قد بناها (الملك عزين) في وادي جال منذ القرن الخامس للميلاد[34]

- **كنيسة مار بيشو، ومار عوديشو ـ أورمية**

يصف مبشران إنكليزيان هذه الكنيسة بأنها من الكنائس العظيمة. وتقع على الحدود التركية ـ الفارسية، وهي عالية بعلو كنيسة المطرافوليط، وتحوي على ثمانية هياكل للعبادة[35]. ويتحدثان عن شيوع تسميات الكنائس بقولهما: إن اسم مارت مريم أكثرها شيوعا، وكذلك القديسة شموني، ومار عوديشو، ومار شليطا، ومار سوريشو، ومار قرياقوس. أما عن الكنائس الأكثر شهرة في المنطقة فيذكران كنيسة ودير مار عوديشو في (ترماني **Termani**) القريبة من أورمية وفي جبال إقليم (جال) حيث يوجد دير قديم ويحج إلى كلاهما حتى الأكراد والفرس لقدسيتهما وعراقتهما أيضا.[36]

- **كنيسة أوشني ـ الرعية (ناوجيه)**

.Vince, 188 – 189 ويقول بان الكثير من كنائس القبائل كانت قديمة وتجذب اهتمام للمعنيين بالآثار.

كرانت عند حديثه عن كنيسة ليزان في تياري السفلى يذكر بان بابها واطئ جدا وان هذه الظاهرة ترجع إلى اعتقاد أبناء القبائل بان 'باب السماء هو وحده الواسع والمستقيم' (انظر Dr. Grant, 55.)

[34] Surma, 2.

[35] Maclean and Browne, 295 – 296.

[36] Maclean and Browne, 297 – 298. 303.

وهو في طريقه من راوندوز إلى اورمية، اجتاز الدكتور كرانت المناطق الكردية الخطرة كما يقول. ولقد سره الوصول إلى قرية (أوشني - Ushnel) حيث استقبل بحفاوة من قبل سكانها النساطرة. ويذكر: "أربعة عشر عائلة فقط بقيت في أوشني. هؤلاء هم بقايا مجموعة مسيحية كبيرة جدا كانت تسكن المنطقة التي كانت مركز مطرافوليطية سنة 1282[مطرافوليطها كان قد حضر سياميذ مار يهبالاها سنة 1281]"[37]

- **كنيسة الربان بيثيون – تخوما**

هذه الكنيسة هي من الكنائس القديمة جدا ومبنية على قمة جبل حيث تبدو شاخصة من تلك القمة لمسافات بعيدة[38]

- **كنيسة مار بارثليميو – البق**

كما نوهنا فان الرسول مار بارثليميو كان قد بشر بين أبناء القبائل الآشورية في تياري وحكاري. ومن بين الأقاليم التي ترك فيها شواهد تبشيره إقليم (البق) الذي فيه كنيسة على اسمه والتي تقول التقاليد المتوارثة بان القديس المذكور قام بتشييدها.[39]

- **كنيسة مار عزيزا ومار زيا - جيلو**

ظلت هاتان الكنيستان شاخصتان عبر القرون. مار عزيزا كانت في قرية زاراني [كانت تعرف في القرن الثامن والتاسع باسم زاران]. وامتازت بإنجابها للعديد من الأباء العظام للكنيسة الشرقية خلال القرون الأولى

---

[37] Laurie, Dr. Grant, 226. وذكر أنسورث الدكتور أوشني بسهول مر 1840 سنة في . وجود بضعة قرى في سهولها(Ainsworth, II:.307)

[38] Surma, 8.

[39] Etheridge, 110. ويذكر المقيم البريطاني في بغداد بان المسيحية دخلت بلاد ما بين النهرين في القرن الأول. وان من بين الرسل الذين بشروا بها كان الرسول بارثليميو. (Rich, II: 120.)

للميلاد، حيث أن سجلات ووثائق الكنيسة الشرقية زاخرة بالأدلة والإثباتات والشواهد الدامغة على هذه الحقيقة، إضافة إلى قدم وعراقة الكنائس التي شيدت فيها. مارنرساي ولد في قرية زاراني الواقعة في منطقة جيلو الصغرى، التي كانت ضمن أبرشية بيث داسن التي كانت تغطي المنطقة الواقعة على امتداد الحدود التركية الإيرانية في أذربيجان. مار نرسي هذا كان قد اختير أسقفا لمدينة وإقليم السن، وخدم هناك. ومما يذكر بان توما المرجي رئيس دير 'بيث عابي' في القرن التاسع عشر كتب عن قرية زاراني وعن بلاد بغاش ما الكثير من أعمال البطولة والشجاعة. أما كنيسة مار زيا فهي أشهر من أن توصف. فلقد غالى المستشرقين والمبشرين في وصف جمالها وفنها المعماري حيث كانت تمثل سفينة نوح. أما عن الكنوز التي كانت تحويها فحسب ما ذكر عنها كانت بدرجة لا يمكن تقييم قيمتها[40].

- **كنيسة ليزان - تياري السفلى**

عن كنيسة ليزان القرية الآشورية الكبيرة والمزدهرة بمزروعاتها وبساتينها وموقعها الخلاب على نهر الزاب كتب المبشر الدكتور كرانت في العقد الرابع من القرن التاسع عشر يقول: "هذه الكنيسة .. مثل بقية الكنائس التي رائيتها وظلت شاخصة لمدة تزيد على الأربعة عشر قرنا طبقا لسجلاتها القديمة."[41]

- **الكنائس السبعة**

كانت واحدة من المعالم الرائعة في وطن القبائل الآشورية ومن بين أعرق الكنائس في وطن القبائل. اشتهرت بعراقتها وجمالها موقعها على

---

[40] أنظر: Wigram, Cradle, 171. أيضا: توما المرجي، كتاب الرؤساء، 233 . انظر Sam Farhad, Introduction, ®

[41] Dr. Grant, 55.

مسافة أربعة أميال من قرية (قوجانس) المقر البطريركي. وكان الدكتور كرانت في رحلته الثانية لزيارة البطريرك مار شمعون قد أمضى ليلة في ضيافة مطران الكنائس السبع هذه. وكتب عنها ما يلي:

"واحدة من هياكلها السبع كان مدمرا، بسبب هزة أرضية حصلت قبل مائتي سنة. أما البقية فقد ظلت قائمة منذ بنائها قبل ثمانمائة سنة [أي سنة 1040م]. وتحوي جدرانها كتابات مسمارية تؤكد بنائها على موقع أثري قديم"[42]

- **كنيسة المائة صليب**

سميت بهذا السبب بسبب وجود 100 صليب منحوت على صخور جدرانها. ولا يملك المبشران Maclean and Browne عند حديثهما عنها سوى أن يقولا: بأنها رائعة وساحرة بجمالها، وهي مخصصة لمار زيا[43]

- **كنيسة مار مامو ـ جال**

يذكر Edgar Wigram بان إقليم أورمار كان مسيحيا احتله الأكراد. ولقد بقى فيها عائلة مسيحية واحدة. وإن سبب بقائها هناك إنها عائلة قس يقوم بواجب الخدمة ل (كنيسة مار مامو) الواقعة شمال أورمار. وهي من المعابد القديمة، وحالها حال الكنائس المسيحية القديمة في المنطقة فإنها تعتبر ضريحا وموقعا مقدسا يجله الأكراد، علما بأنه كان قبل العصر المسيحي موقع معبد قديم.[44]

- **مار عوديشو**

---

[42] Grant, 177.

[43] Maclean and Browne, 44.

[44] E. Wigram, The Ashiret, 55.

رغم وقوعه في إقليم صبنة إلى الجنوب من وطن القبـائل المسـتقلة إلا أن الإشارة إليه ضرورية بالنظر لما قاله عنه بادجر صاحب نظرية الهجرة إلى الشمال. إذ أقر المبشر المذكـور بـان وقـت بنائـه يرجـع إلى الفـترات السـابقة لظهور الإسلام. في حين يقول عن سماته المعمارية بأنها مشتركة مع الكنائس المشيدة في بلاد تياري.

- كنيسة مار كيوركيس ـ آشيثا

من الكنائس العريقة التي كانت قائمة في بلاد تياري[45]

- **كنيسة مار قيوما – دوري**

تعتبر هذه الكنيسة من المعالم المسيحية العريقة جـدا في قريـة دوري في إقليم برور. وتعتبر من بين الكنائس المشيدة في القـرون الأولى للمسـيحية[46]. وحين زارها الدكتور كرانت في سـنة 1839 ذكـر بـان هيكلـها عريـق جـدا في قدمه. وتشمل كهفا طبيعيا جرى توسيعه وتم بناء بقية الأقسام بحجارة كبيرة جدا شيدت منها الجدران وإنها تشخص إلى جانب الجبل وتميزت بظلامـها الدامس الذي كان يشبه الليل.[47]

وهكذا نلاحظ بأن الكنائس الآشورية التابعة لبطريركية مـار شمعـون لم تكن كثيرة في عددها وعريقة في قدمها وحسب، وإنما كانت ظاهرة وجـود وبقاء العديد منها إلى الفترات المتأخرة، في مناطق الرعيـة الخاضعـة لسـيطرة الأكراد، حيث اختفت الكثير منها، هو دليل على ذلـك التواصـل التقليـدي للانتشار المستمر للكنائس على امتـداد انتشـار الكثافـة السـكانية للآشـوريين التي كانت ومنذ القرون الأولى للميلاد مطرزة بمثل هذه الكنائس.

---

[45] Badger, I: 225.

[46] Maclean and Browne, 298.

[47] Dr. Grant, 47.

♦ كنيستي مار شليطا ومار موسى ـ قوجانس

كنيستان عريقتان، مار شليطا كانت الكنيسة البطريركية وفيها مقبرة قديمة. أما الثانية فكانت تبعد مسافة ميل عن هضبة قوجانس (ترتفع 7000 قدم عن البحر)، وتقع في الوادي المجاور لها[48].

5 – الشواهد الجغرافية: التسميات السريانية / الآشورية

حين تعطي لغة شعب ما تسمياتها لمناطق وطنها الجغرافية، فتلك علامة على عمق الجذور التاريخية لذلك الشعب في وطنه. إذ أن تآلف التسميات وانتشارها وتقبلها وشيوع استعمالها هي عملية لا تحصل بشكل عفوي، أو بإرادة فردية أو خلال فترة تاريخية قصيرة ومحددة، بقدر ما هي ممارسة إنسانية، يومية لمجموعة بشرية تعيش وتتفاعل وسط حدود جغرافية، وثقافية، ولغوية خاصة بها، وتكون مجال نشاطها اليومي المستمر والدائم. إذ لا يمكن أن يبرز تقليد اجتماعي، أو لغوي، إلا ضمن حدود الممارسة الدائمة للتقاليد والأعراف ضمن أية مجموعة بشرية. هذه الممارسة تفرز الخواص المميزة لكل مجموعة أثنية ودينية بشكل يعكس هويتها الذاتية. فما هو موجود من ممارسة وتسميات ضمن حدود انتشار اللغة الفارسية على سبيل المثال لا يمكن أن ينسحب على البيئة الأوكرانية. فكلا الثقافتين لهما جذورهما الممتدة في ساحة الممارسة التاريخية على ارض محددة. من هنا فان التسميات القائمة في وطن أي شعب تأخذ طريقها إلى الشيوع والاستعمال من خلال استعمالها بتعاقب الأجيال وتراكم التجربة من قبل من يسكن تلك الأرض.

---

48 Maclean and Browne, 11 –12

وطن القبائل المستقلة، وعبر القرون الطويلة أختبر هذه الخاصية. إذ نلاحظ بأن أسماء القرى والجبال والوديان والأنهر وغيرها من التسميات في تياري وحكاري كانت تسميات باللغة الآرامية / السريانية، لغة أبناء القبائل كما أشرنا. هذه التسميات كانت متداولة ليس من قبل الآشوريين وإنما جيرانهم أيضا.

الدكتور **Ainsworth,** حين دخل وطن القبائل المستقلة وتجول فيه ودرس أحوله، قدم تفاصيل ذلك في مجلدين عن زيارته هذه سنة 1840 وهي أول دراسة تفصيلية عن هذه القبائل التي كانت شبه مجهولة للعالم الخارجي. والمعلومات التي أوردها تتعلق كما قلنا بالكثير من النواحي الخاصة بالبلاد والشعب. وبقدر تعلق الأمر بالتسميات السريانية فان المبشر دون ما سمعه بإذنه وما كان يلفظ من قبل القوم من دون تغيير. فلقد أورد التسميات التي كان يسمي بها أبناء القبائل مناطق بلادهم. ومن ضمن الكثير من التسميات التي ذكرها نورد ما يلي:

- **طورا د دوري**

ذكر أسم الجبل الذي يشكل الحدود الجنوبية لبلاد تياري السفلي. وهو الجبل الواقع إلى الشمال من قرية (دوري) وقرية (أينا د نوني)*. وقمة جبل

---

* أي عين السمك ولقد ترجمها الأكراد حرفيا وأطلقوا تسمية 'كاني ماسي' على هذه القرية الآشورية الكبيرة التي هي مركز إقليم برور

دوري تسمي (رش كوزي ـ أي راس الجوز). وهذا الجبل هو الذي يمر عبره الطريق ما بين الموصل – القوش – دوري إلى آشيثيا، ويشرف على بلاد تياري السفلى كما قلنا.[49]

- **طورا شينا**

وهو من الجبال الشاهقة في وطن القبائل المستقلة وقمته تشرف على جميع القمم المجاورة.[50]

- **طورا د جيلو**

وتسميته نسبة إلى إقليم جيلو، ويطل عليه. وتعتبر قمتـه من أعلى القمم الجبلية في وطن القبائل المستقلة حيث يبلـغ ارتفاعـه 13.000 قـدم عن مستوى سطح البحر[51]

- **طورا د مار يوحنان**

عند ملتقى فرعي الزاب الشـمالي الشـرقي والشـمالي، تبدأ السلسلة الجبلية التي تغطيها الثلوج على مدار السنة. هـذه السلسـلة تتشكل باتجاه المناطق الغربية، وتسمى طورا د مار يوحنان. عن هذه التسمية يقول المبشر:

"هذا الاسم هو ذات الاسم المعطى لمطرافوليط حدياب في بداية القرن التاسع (كما أشرنا في موضع آخر) والذي كان قد قام بفصل أجزاء واسعة من كردستان من مطرافوليطية أذربيجان وألحقها بمطرانية 'سـالاك' والتي طبقا

[49] Ainsworth, II: 216.

[50] Ainsworth, II: 232.

[51] Ainsworth, II: 244, 291, 312.

للمجر راولنسون** كان هذا هو الاسم المعطى سابقا من قبل السريان للجبال الكردية بين 'ميديا' وآشور.[52] أي أن المنطقة التي أصبحت تعرف باسم كردستان كانت تسميتها الجغرافية الواردة في المصادر والوثائق التابعة للكنيسة الشرقية هي 'سالاخ' التي أوردناها في مكان آخر أنها كانت أبرشية مزدهرة من أبرشيات الكنيسة الشرقية وتتبع مطرافوليطية حدياب التي مركزها أربيل.

- **طورا د بر جولا (أو بي جاله)**

ويقع بالقرب من باشقلة في منطقة حكاري، وان الطريق إليه يمر عبر قرية 'باكي' النسطورية. وعلى مسيرة ساعتين من منحدراته تقع قرية قوجانس، "القرية الصغيرة الجميلة"[53]

- **طورا ديرا ليني**

وهو أيضا من الجبال الشاهقة والوعرة ويبلغ ارتفاعه 5811 قدم عن مستوى سطح البحر.[54]

- **طورا د توساني: وتمتاز قمة هذا الجبل بالثلوج على المدار السنة، وتنحدر جداوله عبر الصخور نحو الوادي برهبة[55]**

** هو هنري راولسون، خدم كضابط في الجيش البريطاني وعمل لسنوات طويلة كمعتمد سياسي بريطاني في تركية العربية ومقره بغداد. نال الشهرة الواسعة لدوره ومساهمته في حل الغاز الكتابات المسمارية

[52] Ainsworth, II: 241.

[53] Ainsworth, II: 288.

[54] Ainsworth, II: 216.

[55] Ainsworth, 235 - 236

- **طورا د بار اسين: ويشرف على نهر بار أسين الذي تقع عليه كنيسة ماركيوركيس الشهيرة**[56]
- **طورا د نرشا: وهو الجبل الواقع إلى الجنوب من قوجانس**[57]
- **طور د سهذي (جبل الشهداء): ويقع شمال قوجانس**[58]
- **طورا خوارا (الجبل الأبيض) وهو الجبل الفاصل ما بين تياري وتخوما**[59]
- **طورا د مسكينا: ويقع في منطقة التقاء فرعي الزاب**[60]
- **طورا دمار قدوما: وهو الجبل المجاور لآشيثا**[61]
- **راؤولا د أزاني (وادي أزاني): ويقع بين آشيثا وليزان، ويمتاز بكونه من المراعي الجيدة ولقد بولغ في وصف جماله وشبه بما هو موجود في سويسرا**[62]
- **راؤولا د إيتا (وادي الكنيسة): ويقع في منطقة جميلة جدا. وهو محاط من الجانب الشمالي ب طورا د توساني.**[63]
- **راؤولا د كستا (وادي الكيس)**

---

56 Ainsworth, 243

57 Cutts, 179

58 Cutts, 179

59 نينوس نيراري، أغا بطرس، ويقع ما بين تياري وتخوما. 62.

60 Ainsworth, II: 226.

61 Badger, I: 252.

62 Badger, I: 240.

63 Badger, 235 – 236.

وهو على شكل مضيق مؤدي من تياري إلى إقليم برور باتجاه 'زاخو' والذي يقول الدكتور كرانت عن مساره بأنه: "أكثر الطرق عملية للسفر بين زاخو ومرتفعات آشور، ومنها إلى 'ميديا' والمناطق الواقعة شرقها"[64]

- نهرا د مار يوحنان (نهر مار يوحنان)[65]
- نهرا مار شليطا (نهر مار شليطا): وهو أحد الأنهر المحيطة بقوجانس.[66] وعلى ما يبدو فان التسمية مرتبطة باسم القديس (مار شليطا) الذي على اسمه سميت كنيسة قوجانس

---

64 Laurie, 324.

65 Ainsworth, II: 241.

66 Sam Farhad, 9.

الفصل الخامس

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

أولاً: الحالة الاقتصادية

1 – الاقتصاد البدائي للقبائل المستقلة

كما كان للحالة السياسية للقبائل المستقلة خصوصيتها فكذلك كانت حالتها الاقتصادية. فمجتمع القبائل الآشورية هذا لم تكن قاعدته الاقتصادية تستند على ذات الأسس والقواعد التي كانت عليها الحالة الاقتصادية للمجتمعات المعاصرة. إذ أن مستوى التطور السياسي كان انعكاساً طبيعياً للحالة الاقتصادية السائدة فيه. وكما كانت الحالة السياسية بدائية بمفهومها وممارساتها – قياساً لعصرها – كذلك كان الاقتصاد بدائياً بكل معنى الكلمة. فلقد كان يمثل ذلك النمط الذي كان سائداً في العصر البطريركي القديم، وما كانت عليه حالة المجتمعات الرعوية – الشبه زراعية بكل المقومات الاقتصادية التي عرفتها. والقبائل الآشورية المستقلة بكل تأكيد نقلت في هذا المجال _ كما في غيره – الماضي إلى الحاضر. فبسبب العزلة التاريخية التي حكمت حياة هذه القبائل في وطنها العاصي والمنعزل، فان ما كان قائما منذ العهود القديمة ظلّ متداولاً قرنا بعد آخر من دون تغيير. واستمرت على وتيرة واحدة أنماط الإنتاج كما كانت في سالف الأزمان. ففي الحقل الزراعي ظلّ الثور يسحب ذات المحراث الذي كان مستخدما في بلاد ما بين النهرين لآلاف السنين[1]. وظلت

[1] يذكر الملك ياقو أبن الملك إسماعيل بان ثلاثة من الثيران كانت تسحب المحراث في الكثير من مناطق القبائل التابعة لمار شمعون. أما في مناطق سهول نينوى كتلكيف وألقوش، فانهم استخدموا المحراث والبغل وكانت حاصلاتهم متنوعة. (الآشوريون بين حربين عالميتين، مخطوطة معربة عن السريانية)

العدد والآلات الزراعية الأخرى، من محراث وعدة الحصاد، والبذر وتجميع الحبوب وخزنها، على حالها من دون تغيير. والشيء ذاته يمكن أن يقال عن أدوات الإنتاج الأخرى المطلوبة لتلبية حاجات المجتمع. فعدة الحياكة، ودبغ الجلود، وقص الصوف، ومعالجة منتجات الألبان، وطحن الحبوب، وصيد السمك وغيرها من أدوات الإنتاج البدائية، التي لازمت الإنسان منذ القدم، ظلت هي الأخرى متداولة ولم يطرأ عليها أي تغيير أو تحسين. كل ما كان قائما من أدوات إنتاج كانت ذاتها المتوارثة من العهود السابقة لما قبل الميلاد. بكلمة أخرى فان مجتمع القبائل الآشورية المستقلة كان مجتمعا يمثل مرآة عاكسة لاقتصاد ما بين النهرين ووسائل إنتاجه في البدايات المبكرة لدويلات المدن التي ازدهرت قبل ما يزيد على الأربعة آلاف سنة من وقت بحثنا. وكانت العزلة التي أشرنا إليها السبب في بقائها إلى العصر الحديث*. هذه بكل تأكيد كانت السمة والعلامة التي يتميز بها اقتصاد القبائل الآشورية في تياري وحكاري، أو على الأقل كانت هي السمة الغالبة فيها، مع بعض الاستثناء التي فرضتها ظروف الزمان، والمكان، والحاجة لتبنيها، لاسيما في مجال الدفاع. إذ تطورت وسائل الدفاع بسبب فرض الضرورة لأحكامها للبقاء، التي أوجبت تحسين قدرة أداء وسائلها، لمواجهة التطور الحاصل عند الطرف المعادي لها. ولقد قام أبناء القبائل باستنباط وإنتاج وسائل الدفاع الضرورية التي تلبي متطلبات الدفاع عن حرية واستقلال

---

* العزلة التي تميز ت بها القبائل المستقلة لا تعني بان أشخاصا من هذه القبيلة أو تلك لم يغادروها إلى هذه الجهة أو تلك. فلقد حصل في القرون الأولى للميلاد ان غادر المتعبدون الذين نذروا أنفسهم للخدمة في الكنيسة والأديرة مواطن قبائلهم واتجهوا إلى الأقاليم الآشورية الأخرى وقصدوا أديرتها التي كانت مزدهرة بمدارسها ومعاهدها التعليمية واللاهوتية. أنظر توما المرجي، كتاب الرؤساء، 233 – 234. كما وقام بعض الأفراد في القرون الأخيرة بمغامرات وجولات خارج وطن القبائل لاسيما من بين أبناء قبيلة جيلو. Coan, 76 – 77.

وطنهم، والمحافظة عليه من هجمات الأعداء المستمرة. وهنا لابد من الإشارة بان التطور في مجال الإنتاج المتعلق بالناحية الدفاعية مَثّلَ هو الآخر ذات الخطوط القائمة في الحقول الأخرى، وهو بدائية إنتاج وسائل الدفاع وطرق تصنيعها المعتمدة على التجربة الذاتية لإيجاد الوسائل التي تُمَكنْ من التعامل مع التحديات المفروضة.

2 – طبيعة النظام الاقتصادي

هذا المجتمع الآشوري البدائي،، ظلت تحكمه ظاهرة ما تعبر عنه بعض النظريات الاقتصادية، ب (**مجتمع الشيوعية البدائية**) إلى حد ما. وشواهد ذلك نجدها في البنية الاقتصادية القائمة والضوابط التي كانت تحكم علاقات الإنتاج البدائية المشار إليها. إذ كانت واحدة من أبرز معالمه هي ظاهرة اختفاء الانقسام الطبقي التي شهدتها حركة تطور المجتمعات الإنسانية عبر مراحل التاريخ. فالعلاقات الإنتاجية في هذا المجتمع لم تكن قد بلغت حتى مرحلة المجتمعات الزراعية الأولى التي كان التمايز الطبقي واضحاً بين طبقة ملاك الأرض وبين الغالبية من الفلاحين المنتجين.

فالملكية الخاصة كانت قائمة ضمن الحدود المتعارف عليها لتلبية حاجات الإنسان للسكن، إضافة إلى مقتنيات العائلة الضرورية المطلوبة لسد الحاجة الذاتية للإنسان. إضافة إلى الوسائل المادية التي تلزمها الحاجة لاستخدامها لتوفير الاحتياجات اليومية التي تتطلبها مستلزمات البقاء، مثل قطعة ارض صغيرة للزراعة أو بستان ونحو ذلك. هذا النمط من الملكية الخاصة لم تتشكل فيه علاقات ذات تمايز طبقي أو كانت محصلتها قيام علاقات إنتاجية

ذات مردود استغلالي*. وفي الواقع فان بلاد تياري وحكاري كانت جبلية لا تتوفر فيها أرض زراعية في المقام الأول، حيث أن مجموع الأرض الصالحة للزراعة فيها كانت تمثل 2.5٪ من مجموع مساحة البلاد.[2]

3 – البطريرك – الملوك والعلاقة والرعية:

ولما كان المجتمع قبليا، فان العلاقات الاقتصادية كانت تعكس الروابط القبلية المتوارثة التي كانت القبيلة بالمفهوم العام تعتبر نفسها عائلة واحدة كبيرة. لم يكن هناك تمايز واضح بحدته في الحالة الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد القبيلة. الكل كانوا بصورة عامة متقاربين في المستوى المادي الذي بلغوه[3]. صحيح

---

* لكي تنطبق الصفة الطبقية على مجتمع ما حسب نظرية أصحاب الطبقات. فيجب أن يكون هناك طرفان الأول: يملك رأسمال, وأدوات الإنتاج، والثاني: يمتلك قوة العمل. ومن جراء استخدام صاحب رأسمال لجهد الأجراء فان تراكم "**فائض القيمة**" هو الذي يحدد العلاقة الطبقية التي تمثل الفرق بين الجهد المبذول في العمل والقيمة المدفوعة للأجير حيث يؤول الفرق إلى المالك، صاحب الرأسمال. هذه حالة لم يختبرها مجتمع قبائل تياري وحكاري. إذ لم يكن هناك أرض يستثمرها شخص من خلال عمل وجهد الآخرين.

ففي مجتمع تياري وحكاري لم تتوضح حالة التمايز الطبقي بين أفراده بشكل يوفر الخواص المطلوبة لتحديد الطبيعة الطبقية القائمة بين الذين يملكون وسائل الإنتاج، وبين الذي لا يملكونها، ويستغل جهدهم من قبل ملاك الأرض، ومن بيدهم وسائل الإنتاج. إذ كقاعدة عامة لم تكن هناك ملكية خاصة للأرض تتجاوز الحاجة لتلبية المتطلبات الذاتية، لكي يستعان بجهد آخر للعمل فيها، بالمفهوم الذي عرفته المجتمعات الأخرى. غياب هذا العامل كان وراء غياب قيام علاقات طبقية مميزة، ما بين المالك المستغل والفلاح المستغل. فالملكيات الزراعية كما قلنا كانت صغيرة ومحددة بقطع أرض لنسبة معينة من سكان البلاد حسب توفرها. والملكية الخاصة ظلت بحدودها المميزة التي لم تكن تتطلب إلا الجهد الفردي في استثمارها. لذا فان هذا النوع من الملكية الخاصة كان له شروطه الخاصة أيضا، والمرتبطة كما قلنا بواقع التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي كان المجتمع عليه والذي كانت ثوابته قد استقرت من دون تغيير.

[2] Laurie, Dr. Grant, 253.

[3] بقد أشرنا في فصل (الحالة الدينية) إلى الحالة المادية التي كان عليها شقيق مار شمعون الذي يقول الدكتور كرانت بأنه لم يكن أغنى من خادمه. انظر Dr. Grant, p. 199

أن (ملك القبيلة) كان يتمتع بامتيازات استثنائية محددة، توفر له بعض التمايز عن اتباعه. ولكن هذا التمايز كان نتاجا للقناعة التاريخية لأبناء القبيلة، بخلق هذا التمايز بهدف تمكين رئيس (الملك) من أداء دوره القيادي في رعاية شؤون القبيلة، والمحافظة عليها. وكانت المنزلة الاقتصادية التي هو عليها من نتاج الوعي الاجتماعي بضرورتها. ولم تكن نتيجة التطور الاقتصادي ضمن السياق التاريخي كما كان الحال في المجتمعات الأخرى[4]. ولم يعكس مجتمع القبائل الآشورية في تياري وحكاري حالة كون أبناء أية قبيلة من قبائله الكثيرة، كانوا يعملون كأجراء عند (ملك) القبيلة أو رئيسها. فالعلاقة بين الطرفين كانت (بطريركية) بمفهومها التاريخي، كما نوهنا مرارا. و (الملك) أو (الرئيس) كان بمثابة الأب الأعلى للقبيلة. لم يكن مالك القرية، أو الأرض، [كما كانت الحالة عند الأغوات الأكراد، أو الخانات الأفشار، أو الشيوخ العرب، والبيكوات الأتراك]، لكي يستغل ملكيته للقرية وأرضها الزراعية. ويستغل الجهد العام وقوة عمل أتباعه لمصلحته الخاصة. ومكانة هذا الملك أو الرئيس لم تكن ناتجة عن التطور الاقتصادي الذي تستقر السلطة بيد من يملك الثروة، ووسائل الإنتاج. وإنما كانت حالة تقبل اجتماعي طوعي، من قبل أبناء القبيلة لقيام الحالة المميزة نسبيا ل (ملكها) وليس العكس. وعدا هذا فإننا نلاحظ بان الضوابط التي كانت سائدة في مجتمع الدولة الآشورية البدائية هذه، كانت تتمثل بكون كل مصادر الثروة الطبيعية مشاعة بين الجميع: المراعي، مياه سقي البساتين والحقول، مناطق الصيد. أما الأرض فكانت بالممارسة مشاعة بين أبناء القبيلة (عدا تلك

---

[4] السيد سام فرهاد يقول بان الملوك كانوا أغنياء وكان عماد ثروتهم الاقتصاد الخاص بالمجتمع الرعوي. انظر: Sam Farhad, Beyond the Call of Duty, p. 10 ولكن هذا الغنى لم يعكس ظاهرة استغلال جهد اتباعه بالمفهوم الشائع والمعروف عند طبقة الإقطاعيين وملاك الأرض في الدول المجاورة.

التي كانت قد أصبحت ملكية خاصة بحكم الممارسة والحاجة التي أشرنا إليـها، مرتبطة بمن يستخدمها. كما كانت حالة البيوت وقطع الأرض الزراعية الصغيرة أو البساتين والتي كان قد ترسخ تقليد استثمارها من قبل عائلة ما بحكم الوراثـة. فابن القبيلة كان حرا في بناء مسكنه على أية بقعة يختارها.

ولابد من الإشارة إلى انه رغـم حالـة مشـاعة المصـادر الطبيعيـة في وطـن القبـائل المسـتقلة إلا أن الممارسـة الإنسـانية اليوميـة شـهدت باسـتمرار حـالات التنافس عليها، ولكن بين قبيلة وأخـرى. وكـانت تلـك المنافسـات في كثـير مـن الأحيان مصدر توتر العلاقة بين القبيلتين. وهذا بحد ذاته لم يكن يمثـل خروجـا على قاعدة مشاعة الثروة الطبيعية، بقدر ما كان يعبر عن طبيعة السلوك الإنساني المتسم بحب الأثرة الذاتية. حالات الخـلاف مـن هـذا القبيـل تشـاهد بـين أبنـاء العائلة الواحدة في كل زمان ومكان[5].

وعلى عكس الحقائق التاريخية والثوابت القائمة في مجتمع قبائل تيـاري وحكاري المستقلة الخاصة بما أشرنا إليه ، فإننا نجد بعـض الكتـاب الآشـوريين المتشبعين بالفكر الإيديولوجـي المعـاصر، يحـاولون تصويـر مجتمـع هـذه القبـائل بمنظار آخر، مستمد مـن النظريـات السياسـية الـتي يؤمنـون بـها والـتي تفسـير العلاقات الاجتماعية بمنظارها الخاص نظري، عاكسين مدى ابتعادهم عن الواقع في تفسير الظاهرة كما هي، بواقعها وعمقها التاريخي، وليس من خلال تفسـيرها حسب الوصفات الجاهزة والمعدة سلفا لها. فـهؤلاء الكتـاب الآشـوريين، لاسـيما السوفيت منهم، وقعوا في خطـأ الاسـتعارة الميكانيكيـة، مـن النظريـات الخاصـة بتحليل المجتمعات، فأخذوا بتعميم النظريات التي در ست لهم. فقسموا مجتمع

---

[5] عن الخصومات التي كانت تحصل بين الملوك أنظر: Wigram, The Ashiret, 52.

القبائل المستقلة إلى طبقتين: البطريرك والملوك باعتبارهم يمثلون الطبقة المستغلة، والثانية طبقة الأجراء والمستغلين، التي تمثل بقية الشعب. فبارمتي كتب عن هذا الموضوع ذاكرا:

" وقد ظهرت العلاقات الإقطاعية بجلاء في العمل الزراعي، فكانت الأرض ترجع بالدرجة الرئيسية للبطريرك والفئة الدينيــة والملـوك "[6]. وهـذا الإدعـاء لم يدعمـه بارمتي بأي سند أو إثبات، وهو مغاير للحقيقة والواقـع جملـة وتفصيـلا. فواقـع مجتمع القبـائل لم تكـن تتطـابق عليـه مثـل هـذا التصنيـف. صحيـح أن المركـز الاجتمـاعي والسياسـي للبطريـرك والملـوك والرؤسـاء أوجـب تمتعـهم بامتيـازات محددة، إلا أن هذه الامتيازات لم تجعل من البطريرك أو ملك تيـاري وتخومـا و جيلو وغيرها، إقطاعيين بالدرجة التي تم فيها تصنيفهم. فالحقيقة لا تنطبق على الواقع الاجتماعي والاقتصادي. وإن كل ما ذكره المستشرقون والمبشرون والرحالة الذين درسوا حالة هذه القبائل، لم يرد فيما ذكروه شئ يسند هذا الزعم. الدكتور كرانت يقول بأنه قصد عائلة مار شمعون التي كانت قد التجـأت إلى (دز) بعـد هجوم صديقه نورالله بك زعيم أكراد حكاري عليها فيقول: **"وجـدت عائلـة مـار شمعون تعيش بحرمان ظاهر"**[7]. فالمجتمع الآشـوري في تيـاري وحكـاري كـان مبنيا على علاقات دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية متشابكة استقرت فيـها قيم ونظم ومبادئ خاصة بها. وتولدت القناعة المشتركة للجميع: بطريرك وملـوك وشعب، على تحقيق هدف واحد وهو: حشد الجهد الاجتماعي للمحافظـة علـى استقلال البلاد، وسلامة أبنائها.

---

[6] ك. ماتييف ومار يوحنا، تاريخ الآشوريين. مستل من كتاب المسألة الآشورية أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى. طبع ديترويت .35 – 36

[7] Dr. Grant, 277.

وعليه حين يقيم المرء الحالة الاقتصادية للقبائل، يلاحظ بأن المحور الرئيسي لنشاطها كان يهدف للحصول على الاكتفاء الذاتي، وتلبية الحاجات الأساسية التي يحتاجها الإنسان. وبكل تأكيد فان هذا المجتمع لم تحصل عنده عملية (تسويق البضائع)، فان الجهد العام كان يمارس بطريقة مشتركة (مشاعة) لتلبية وسد الحاجات مشتركة. وكانت محصلته تسخر لمصلحة المجموع، وليس لمصلحة الفرد. فشق وتهذيب السواقي والترع، قطع الأشجار وتجميع الحطب لموسم الشتاء .. الاعتناء بالبساتين ، جني المحاصيل، عملية الحصاد كانت كلها تجري بشكل جماعي ومن دون أجر. إذ أن الجميع كانوا مستفيدين بشكل أو آخر من مردود ذلك الجهد.

يضاف إلى هذا فان الطبقات المستغلة من ملاك الأرض يكون لهم عادة قناعتهم الفكرية التي تعكس الواقع الاقتصادي المبني على استغلال جهد وطاقة غيرهم. هذا النمط من التفكير لم تألفه القبائل المستقلة، لا عند البطريرك ولا عند الملوك والرؤساء. فحين يحمل البطريرك بندقيته في مقدمة جيشه دفاعا عن شعبه ووطنه[8]، وحين كان يقوم المطران بتقديم مراسيم القداس وخنجره في خصره، فان هذا السلوك لا يعبر عن سلوك فئة تستغل اتباعها. ولقد دخلت التاريخ باعتزاز أسماء الكثير من الكهنة والمطارنة والبطاركة من الذين اختاروا الموت خدمة لشعبهم وقضيته، ليس فقط وسط هذا القسم من أبناء الشعب الآشوري وإنما عند أقسامه الأخرى أيضا[9]

---

[8] Laurie, 264. Rich, II: 279

[9] أما ما يقوله عن إجبار الملوك ورجال الدين لأبناء القرى على تقديم الهدايا لهم والعمل المجاني في مزارعهم ومراعيهم فهذا أيضا قول لا يسنده الواقع. إذ لو كانت الحالة كذلك لما كنا نلمس ذلك التجانس في الموقف العام في القبيلة والمجتمع وذلك الحرص العام على الدفاع عن الوطن ولكانت الحالة اتسمت

4 – الزراعة والخواص الزراعية لوطن القبائل:

قبل كل شئ يجب أن لا يغيب عن البال ب.،ن أبرز مميزات وطن القبائل المستقلة أنها كانت جبلية، لا تتوفر فيها أراضي زراعية. وان جل ما كان فيها تصلح للزراعة، كان تلك المساحات الصغيرة في وادي (تخوما) و (أزاني)، عبر الشريط الذي كانت تنتشر على امتداده قرى (ليزان، و منيانيش، و زاويثا) في تياري، ومساحات محدودة في جيلو، وتياري العليا، وباز. وقطع الأراضي الزراعية فيها ملكا لأصحابها، ولم يكن للبطريرك أو الفئة الدينية أو الملوك أية دخل أو علاقة مادية مباشرة أو غير مباشرة بها.* أما الملوك فانهم أسوة بغيرهم، كان لهم مثل هذه القطع الزراعية وكان الملك يعمل في حقله حاله حال الآخرين ... وبعد العمل يجتمع رجال القرية في ديوان الملك كتعبير عن إظهار الاحترام والولاء له.

- **المدرجات الزراعية**

ما يدل على حالة فقدان المساحات المطلوبة من الأراضي الزراعية[10]، وغياب نظام الإقطاع، هو ما قام به أبناء القبائل من معالجة لهذا النقص. فلقد

بالصراع ما بين الملاك والفلاحين كما يقول بارمتي والنتيجة فقدان القدرة على البقاء أحرار والمحافظة على الاستقلال. أنظر: أنظر: Maclean and Browne, 13 – 15. Badger, I: 228.

* لعله من المناسب أن نذكر بان الكنيسة بشكل عام كانت – كما هو الحال عند جميع التجمعات الآشورية في المناطق الأخرى خارج تياري وحكاري – يتم التبرع لها بنسبة من الحاصل الزراعي كما يراه صاحب المحصول و لم تكن تتجاوز الخمسة بالمائة من الناتج. وصاحبه كان حرا في تقديمه من عدمه. وكما وردت الإشارة في فصل الحالة الدينية فان البطريك كان يعيش حالة كفاف وعوز كما شهد بها كل المبشرين الذين زاروه وأقاموا لفترة طويلة وسط القبائل المستقلة هذه.

[10] إن مجموع الأرض الزراعية التي كانت صالحة للزراعة في وطن القبائل كان ½ من المجموع الكلي لمساحته، إي ما يعادل 005 %. Laurie, 253.

حولوا المنحدرات الجبلية الوعرة إلى جنائن زراعية. وما قاموا به كان استجابة لنداء الحاجة. فكانت المدرجات الزراعية على سفوح الجبال تمثل واحدة من إنجازات الإنسان الآشوري في تعامله مع الظروف الصعبة المحيطة به، وعكست قدرته على التعامل مع التحديات والظروف القاهرة المفروضة عليه. فلقد نقلت أجيال من الرجال والنساء والأطفال وحتى الشيوخ على ظهورهم التراب من مسافات بعيدة لملأ المدرجات. والمدرجات كانت تمثل جهدا هندسيا توقف عنده الكثير من الخبراء، والرحالة والمبشرين، وأبدوا إعجابهم ودهشتهم من طريقة صنعها. فبالقرب من ليزان عدد الدكتور أنسورث، 25 مدرجا في منطقة واحدة. تم زراعتها بأشجار الفواكه، والرز، وتم تنفيذ مشروع ري متطور لها. حيث كانت السواقي والقنوات تسقي المدرجات في وقت واحد،رغم ذلك الارتفاع الشاهق فنالت إعجاب كل من شاهدها[11].

وفي هذه المدرجات كانت تزرع كانت تزرع مختلف المحاصيل الزراعية، لاسيما أصناف الخضراوات والفواكه التي كان العنب في مقدمتها[12]. وبسبب قلة الأرض الزراعية فان أبناء القبائل كانوا يبادلون العسل والسمن الحيواني بالقمح من مدينة العمادية وغيرها. إذ أن جل ما كان يزرع هو كميات من الرز والخضراوات والفواكه ولكن الحبوب كانت بكميات قليلة.[13]

- **الزراعة وصيد السمك**

---

[11] Ainsworth, II: 227. ومما هو جدير بالذكر أن الملك سرجون الثاني كان قد اعتمد هذه الطريقة لزيادة مساحة الأرض الزراعية. ويبدوا أن هذا التقليد ظل قيد الممارسة في الأجيال اللاحقة في تياري,

[12] يقول المبشر Thomas Laurie, إن أبناء القبائل يزرعون البساتين الجميلة التي فيها أنواع مختلفة من الفواكه الجيدة مثل العنب والتفاح والتين والخوخ والعرموط ... أما الحبوب فنادرة بسبب قلة مساحة الأرض الصالحة. أنظرLaurie, p. 134

[13] Dr. Grant, 54. Laurie, 134.

والمساحة القليلة المتوفرة للزراعة وتلك التي خلقها الآشوريون على صخور جبال بلادهم، أظهرت نوعية هذا الإنسان في تطوير الزراعة بشكل جعل المستشرقين والمبشرين يقرون بأنهم مزارعون جيدون

أبناء جيلو قاموا بتطوير أنواع من التبوغ الجيدة التي كان لها سوقا رائجة[14]. أما إقليم باز الذي تميز بكونه أحسن الأقاليم من الناحية الصحية، بسبب ارتفاعه ووفرة المياه الصالحة فيه، فانه تميز بزراعة الرز في المناطق المنخفضة منه[15]. و آشيثا تميزت بزراعتها للحبوب ولكن بكميات قليلة، وكان وادي آشيثا قد غلبته كثافة أشجار البلوط والجوز واللوز، فلم يكن فيه مساحة صالحة لزراعة الحبوب. إلا أن الخضراوات بأنواعها كانت تزرع فيها. أما الخيار والبطيخ فقد اشتهرت به كل من ليزان و منيانيش[16].

وعلى ذكر ليزان، فان أبنائها كانوا قد استنبطوا طريقة لصيد السمك، عبرت ليس فقط عن قدراتهم على الإبداع، وقهر المصاعب. فنهر الزاب الشهير بسمكه الكثير، والذي يتميز بكونه أسرع الأنهر جريانا في بلاد ما بين النهرين حيث تبلغ سرعته 6.5 ميل/ساعة (حوالي 10.5 كم)[17]. فرغم وعورة قعره، حيث الأحجار الكبيرة، المدورة الملساء "**BOLD**"، تمكنوا من ابتكار طريقة، كانت مصدر هام لاقتصادهم، ويلبي الكثير من حاجتهم الاستهلاكية. إذ أنهم كانوا يقيمون سدا عبر النهر، تتخلله فتحات، تثبت فيها شبكات الصيد التي

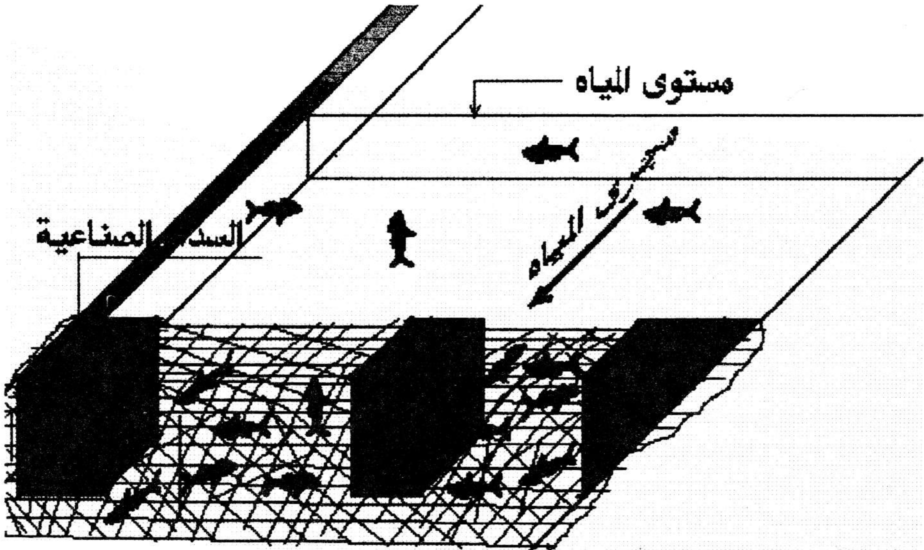
---

[14] يذكر المبشر بان من ضمن أنواع التبغ التي طورها أبناء جيلو نوع منه يسمونه " Tootun Shedana" وان الأطفال الصغار الذين كانوا يرتدون قمصانا قذرة كانت تتدلى من خاصرة كل منهم كيس التبغ والغليون الطويل. أنظر: Coan, 76.

[15] Coan, 77.

[16] Badger I: 214 – 216.

[17] Ainsworth, II: 218 – 219.



صيد السمك في ليزان

كانت السداد تبنى على امتداد عرض النهر، وتتخللها فتحات لمرور المياه والسمك. وكانت شبكة الصيد توضع وتثبت على الفتحات حيث يتجمع السمك عبر منافذ المياه.

يقيمون سدا عبر النهر، تتخلله فتحات، تثبت فيها شبكات الصيد التي تمتلئ خلال فترة قياسية بالسمك الذي يعبر خلال هذه الفتحات.

أنسورث، المبعوث الإنكليزي للقبائل المستقلة حين كان في ليزان التي يصفها بأنها تشبه القرى السويسرية وتتميز بجمالها الأخاذ الذي يبعث على الانشراح، اصطحبه ملكها لمشاهدة عملية صيد السمك هذه.[18]

- **الرعي ومصادر العيش الأخرى:**

مجتمع القبائل كان مجتمعا يعتمد اقتصاده بالدرجة الأولى على الرعي وصيد السمك وتربية النحل. وفرة المراعي، ساعدت على تربية المواشي بكثرة، وكان لكل قبيلة مرعاها الخاص بها، تماما مثلما كان لها مصيفها القريب من المراعي أيضا. إضافة إلى الأنهر الكثيرة التي كانت تسد الحاجة الاستهلاكية للسمك، الذي كان من المصادر الرئيسية لاقتصاد تياري وحكاري. فالثروة الحيوانية الكبيرة التي كانت تملكها القبائل وفرت الاحتياجات اليومية والموسمية لأبناء القبائل من منتجاتها كاللحم، والدهن، والجبن، والحليب كانت تلبي الاحتياجات المحلية. أما الصوف فكان يصنع منه الملابس ومقتنيات البيت الكثيرة، والجلود لصنع أوعية خزن المؤن لموسم الشتاء*. تربية النحل، وجمع العفص والأخشاب والفواكه بأنواعها كانت واحدة من مصادر الواردات الموسمية. ولقد اشتهرت بلاد تياري بجودة عنبها وشهرته وكذلك الرمان والخوخ والكمثري والتين بأنواعه والأجاص والتوت الخ. كما واشتهرت القبائل بإنتاجها لأنواع الكرز والجوز ذو النوعية الجيدة واللوز والبندق والبطم والبلوط. وكانت

---

[18] Ainsworth, II: 221.

* كانت الجلود الكاملة للشاة تستخرج من دون تقطيع وتغلق الحافة النهائية وتعبأ فيها المؤونة مثل البرغل والبقول ونحوها. وكانت تستخدم أيضا لملئ المياه وهي ما تسمى محليا ب (القرابات)

البساتين الغناء والحقول الجميلة التي تزين وطن القبائل الآشورية في تياري وحكاري تضيف إلى جمال الوطن جمالا. فلقد ساعدت وفرة المياه على ازدهار تلك البساتين والحقول الصغيرة.[19]

مصدر هام من مصادر اقتصاد القبائل كان زراعة التبغ الذي اشتهرت به أقاليم جيلو، وشمسدين التي لم يكن هناك من ينافسها في زراعته ونوعيته. في حين كان اقتصاد إقليم تخوما يعتبر من أكثر الأقاليم ازدهارا بسبب ما كان يوفره حوض وادي تخوما من ارض صالحة للزراعة.

5 – التجارة

رغم تميز اقتصاد القبائل بظاهرة الاكتفاء الذاتي، ومحاولة تلبية احتياجات المجتمع داخليا إلى حد ما، فان الحاجة الضاغطة للحصول على الحبوب وعلى الأقمشة والمنتجات الضرورة الأخرى، كانت وراء قيام حركة التجارة الخارجية المحدودة. فلقد كان أبناء القبائل يتاجرون بمنتجاتهم الفائضة من الثروة الحيوانية، ومنتجاتها كالصوف والسمن النباتي والجبن والجلود، إضافة إلى العسل والأخشاب والعفص والفواكه والجوز والكرزات بأنواعها[20]. كما أن بعض الأقاليم اشتهرت بتصديرها لأنواع جيدة من التبوغ والمتاجرة مع المدن الرئيسية القريبة، وكان إقليم شمسدين في مقدمة مصدري التبوغ الجيدة. وكانت العمادية تأتي في مقدمة المراكز التجارية التي يتعامل معها أبناء القبائل، بسبب

---

[19] ملك ياقو بيث إسماعيل يتحدث عن اقتصاد القبائل فيذكر: بان قطعان المواشي، كانت تؤخذ إلى الجبال العالية [زوزان] مع بداية شهر أيار.وإن الأزهار البرية: سوسن، نرجس، بابوغ، شقائق النعمان، الياسمين وغيرها من أزهار الرياحين كانت تغطي الأرض. (ياقو ملك إسماعيل، الآشوريون بين حربين عالميتين – مخطوط معرف من السريانية)

[20] ياقو ملك إسماعيل، الآشوريون بين حربين عالميتين، (مخطوط معرب عن السريانية)

قربها الجغرافي وسهولة الوصول إليها. وبذات الوقت لكونها تجاور اكبر كثافة سكانية تتشكل منها القبائل ونعني بها أبناء تياري التي على طول الطريق الموصل بينهما كانت تنتشر قرى برور و صبنه. فكانت تتم مبادلة المنتجات المشار إليها بالحبوب والأقمشة واللوازم الضرورية الأخرى. في حين كانت حاجة الأقاليم الشرقية للحبوب تسد بشكل عام من منتجات المناطق الآشورية في أقاليم كاور ومركة ور وتركة ور الزراعية الشهيرة.

6 – المعادن والصناعة

وطن القبائل الآشورية في تياري وحكاري لم يكن غنيا فقط بجماله ووفرة مياهه وكثافة غاباته وثروته السمكية والحيوانية وإنما كان عنيا بالمعادن الكثيرة التي كانت تتوفر فيه وكانت من الوفرة بحث أن مقالع المعادن كانت ظاهرة على سطح الأرض، يستخدمها أبناء مختلف الأقاليم لحاجات محددة.

الإنكليز [بعد شولتز الألماني][21] كانوا أول من جذب الانتباه لغنى تياري وحكاري بالمعادن، وأشاروا إليها. فلقد ذكر المعتمد السياسي البريطاني في بغداد السيد **Rich** أثناء وجوده في الموصل سنة 1820. فلقد ذكر بان نعمان باشا الجليلي والي الموصل وضع في يده كمية من **(Dehlij)** الذي قال عنه بأنه من منتجات الذهب التي وجدت في مقالع الذهب الموجودة في حكاري. وإن جبالها

[21] عالم جيولوجي انتدبه ملك فرنسا في مهمة التحري عن المعادن والآثار. اكتشف العديد من المقالع، وله يعود الفضل في اكتشاف مدينة (شميرام كرد) على سواحل بحيرة فان. Smith and Dwight, 253. Ainsworth, II: 253

تحتوى على معادن أخرى مثل النحاس، والحديد وغيرهما. وان أهالي الموصل يستعملون هذه المادة كدواء[22].

الدكتور كرانت ذكر بان وطن النساطرة غني بالمعادن المختلفة، مثل الذهب والرصاص والحديد[23]. والمبعوث الإنكليزي الأول للقبائل الآشورية الدكتور أنسورث شغلت اهتمامه الثروة المعدنية المتوفرة في وطن هذه القبائل. إذ يقول: في وادي (**كيو**) الذي يقع أسفل مصيف ذهب لمعاينة مقلع الرصاص الذي لم يكن مستثمرا. .. وأشار إلى أن الرصاص يجمع من الجداول الصغيرة، كما كان حال أهل قرية "**Cornwall**" في إنكلترا وأشار إلى وفرة مناجم الحديد التي هي ظاهرة على سطح الأرض ويمكن استغلالها بسهولة[24]. والقنصل البريطاني في الموصل أثار اهتمامه هو الآخر غنى وطن القبائل الآشورية ووفرة المعادن فيه. فأخذ إجازة من عمله لهذه الغاية وقام بجولة استطلاع ميدانية للبحث والتحري. فرفع تقريرا مسهبا لرؤسائه تضمنه المعلومات التي جمعها وقال مخاطبا السفير البريطاني في العاصمة التركية: إنه وجد كميات النحاس ظاهرة على سطح الأرض في المناطق الجنوبية لتياري، حيث يوجد فيها حاليا ثلاثة مقالع للرصاص يقوم النساطرة باستغلالها واستعمالها لأغراضهم الخاصة مضيفا " وإنني أميل إلى الاعتقاد بأن المقالع المذكورة تحوي كميات هائلة من الفضة. ... وفي مناطق عديدة وجدت قطع

---

[22] C. J. Rich, I: 29 – 30. ومما يذكر بان المادة التي يشير إليها الدبلوماسي البريطاني هي مادة (**القرمز**) التي كان استعمالها شائعا بين أبناء سهول نينوى لمعالجة أمراض العيون حتى الخمسينات من القرن العشرين.

[23] Grant, 48.

[24] Ainsworth, II: 241, 209 ويذكر وجود المعادن عند سفح جبل (كوريكي) وقام بفحص المقلع المعدني و لم يكن هناك أحد يلاحظه. وذكر بأنه وجد عروق ال (Galena). وهذا المقلع يستخدمه أبناء القبائل لتصنيع الطلبات التي يحتاجونها 229 .

الحديد ظاهرة على سطح الأرض. ... وفي آشيثا قمت بفحص موقعا لمقلع معدني وظهر لي بأنه قد استخدم في فترات تاريخية سحيقة في القدم ... ويحوي على السولفات ". ويختم تقريره بقوله : " من خلال جولتي وتحرياتي فإنني مقتنع بان هذه البلاد تحوي على أنواع عديدة من المعادن والكنوز الثمينة "[25]

ووطن القبائل رغم غناه بالمعادن الكثيرة إلا أنها لم تكن مستثمرة. فإضافة إلى ما ذكرناه، فكانت توجد مقالع أخرى. ففي قرية (مزراكو) في تياري، هناك مقلع للرصاص، كما يتوفر الزنك بكثرة في المناطق الجنوبية المتاخمة لتياري. وفي منطقة البق، يتوفر بكثرة المرمر الأبيض، كما ويوجد في قوجانس نوع آخر منه. وتكثر المقالع المعدنية في العديد من الأقاليم الآشورية الأخرى[26]

7 – الصناعة:

لم يألف مجتمع القبائل المستقلة ظاهرة قيام الصناعة التي كانت منتشرة نسبيا في أواسط القرن التاسع عشر في المراكز القريبة مثل الموصل، وديار بكر و أورمية وغيرها من كبرى المدن، والمراكز المحيطة بوطن القبائل. وإن جل الصناعات التي كانت قائمة، كانت تلك الأشكال البدائية المتوارثة من أجيال سحيقة لتلبية متطلبات محددة، وفي مقدمتها ما كان يتعلق بالمحراث وعدة الحصاد والصيد والحياكة والدباغة ودق البذور وطحنها وجز الصوف وغزله ونسجه.

الثروة المعدنية التي أسالت لعاب الدبلوماسيين والرحالة والمبشرين الغربيين الذي زاروا وطن القبائل المستقلة لم تكن سوى كنوز تحت الأرض. هذه الكنوز استخدم

---

[25] F.O. 195 / 301. Mosul, 12 November 1847, From Rassam to Lord Cawley

[26] Surma D'Bait Mar Shimun, 59.

أبناء القبائل ما كان ظاهرا منها على سطح الأرض أو في متناول اليد من دون بذل الجهد للحصول عليها. وان كان أجدادهم القدماء قد حفروا في بعضها عميقا، كما أشار قنصل الموصل، فان محدودية حاجتهم لها جعل تلبيتها ممكنة مما كان متوفرا على سطح الأرض أو على عمق بسيط. ولقد استخدموا هذه الثروة من المعادن على نطاق ضيق جدا، وحسب ما فرضته الحاجة من الضرورات. فالرصاص كان يستخرج من المقالع الآشورية بكميات قليلة جدا لا تتجاوز تلك التي تلبي احتياجاتهم لصناعة الذخيرة التي كان يتم تصنيعها بطريقة بدائية.[27] ولم يظهر بان القوم كانوا بحاجة تثير اهتمامهم إلى المعادن الأخرى بسبب طبيعة المجتمع ومرحلة تطوره.

ورغم ما كان متوفرا في وطن القبائل من الثروات المعدنية والطبيعية؛ كالأخشاب، ومصادر المياه، والسمك، والماشية، والحيوانات المختلفة، والفواكه بأنواعها، فإننا لا نشاهد قيام حتى الصناعات البدائية في مجتمع هذه القبائل المرتبطة بهده الثروات التي ظلت من دون أي جدي ومثمر معها. ورغم وجود كل ما يساعد على قيام صناعة مزدهرة، فان جل ما اختبره مجتمع القبائل هو تلك التي قلنا بأنها كانت لتلبية الحاجة الملحة، وبكل أشكالها البدائية. فالحاجة لعدة الحراثة والحصاد، ألزمت قيام صناعتها المحدودة. وغالبا ما كان كل رجل يقوم بصنعها بنفسه، حيث لم يكن هناك مراكز حرفية متخصصة. والشيء ذاته

---

[27] يذكر الملك إسماعيل كيفية تصنيع الذخيرة قائلا: بعد أن تجمع المواد الخام وتصفى، تؤخذ كمية من المواد المصفاة ثم تخلط معها كمية من عصانيات ال (فارامانا) أو خشب نبات ال (باروتا). وتمزج كمية من الكبريت تعادل 3/1 من البارود المصفى. ثم يتم طحن البارود في اسطوانات خاصة حيث أعتمد أسلوب تشغيل الطواحين المائية التي تشغلها الشلالات المائية لرفع عتلة الدق أو الطحن وهو ما يسمى بالسريانية (حشولا) ... الآشوريون بين حربين عالميتين _ مخطوط

يقال عن المتطلبات الحياتية الأخرى مثل صناعة نسج وحياكة الملابس ولوازم البيت من فرش وأغطية وسجاد وغيرها من الحاجات.

ومن الصناعات البدائية الملفتة للنظر كانت صناعة اللابس الرجالية الجميلة من حياكة وخياطة. والتي اشتهرت بها بلاد تياري، كما أن سيدات تياري تميزن بمهارتهن الفائقة في حياكة الجوارب الجميلة التي كانت تحمل أسم تياري إضافة إلى قيامهن بحياكة كل ما كان المنزل يتطلبه من فقرات سواء للرجال أو النساء أو الأطفال وكذلك للمنزل. وضمن ما اشتهرت به تياري أيضا، صناعتها لأحسن أنواع الإبر الكبيرة التي يستخدمها الفلاحين وأصحاب الدواب بكثرة في المناطق الجبلية حيث كانوا ماهرين في معالجة الحديد في هذه الصناعة.

وكما أشرنا إلى الطريقة التي عولجت بها شحه الأرض الزراعية فان أبناء القبائل تميزوا بمهارتهم في البناء وتصميم المشاريع الإراوئية. وكل قبيلة من القبائل ميزت نفسها في حقل من حقول النشاط الاقتصادي. فقبيلة باز كانت في مقدمة من نال الشهرة في مجال البناء. وكان أبنائها يقصدون الموصل وديار بكر وغيرها من المناطق المجاورة للعمل الموسمي في البناء والحدادة[28]. كما أن أبناء جيلو وشمسدين الذين اشتهروا بإنتاج أنواع التبوغ كما قلنا، وكانت جيلو مشهورة بمغامرات أبنائها في التجارة، ولقد مارسها أيضا أبناء تياري وبشكل محدود بقية الأقاليم حسب مقتضيات الحاجة[29]

---

[28] Cutts, 106. Surma D' Bait Mar Shimun, 58.

[29] Surma D' Bait Mar Shimun, 56 - 57

ثانيا – الحالة الاجتماعية

1 – المنزلة المتقدمة للمرأة

لعل أهم ظاهرة تميز بها مجتمع القبائل المستقلة هي ظاهرة التوازن الاجتماعي القائم على المساواة بين الذكور والإناث. إذ أن المرأة كانت تتمتع بكامل حقوقها ومساوية للرجل، وتشغل مكانة ومرتبة مؤثرة في المجتمع. فكانت سببا، وعاملا في بقائه وديمومته حرا مستقلا لعهود طويلة. فالمرأة الآشورية في تياري وحكاري لم تشغل مكانتها الهامة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية وحسب، وإنما لعبت دورا هاما في الحياة العسكرية وفي الدفاع عن وطنها جنبا إلى جنب الرجل. فكانت ألام والزوجة والأخت والمقاتلة التي تدافع عن أرضها وتحمي بيتها وشعبها. والمرأة الآشورية في وطن القبائل " كانت تجلس في مجالس الرجال، وتساهم معهم في النقاش في القضايا العامة المشتركة بكل حرية. وهذه حالة لا يوجد مثيل لها في المجتمعات الشرقية"[30]. وهذه على ما نعتقد كانت واحدة من العوامل التي ساعدت على (**متانة الجبهة الداخلية**) لهذه القبائل. فإنها كانت بحق المدرسة الأولى في خلق جيد واع لواجبه ومسؤولياته تجاه بلاده. فكانت تربي أطفالها على الأخلاق الحميدة، وتزرع روح التضامن الاجتماعي من خلال تقوية الروابط العائلية والاجتماعية، وتنمية روح التكاتف والتعاون من خلال ما تقدمه من أمثلة ونماذج في تعاملها مع أقربائها وجيرانها وبني قومها.[31]

---

[30] Dr. Grant, 134. Sam Farhad, 8.

[31] Grant, 69.

وعلى عكس المجتمعات الشرقية، فإن المرأة الآشورية في كامل تاريخها لم تكن تعرف معنى الحجاب أبدا. وكانت على درجة عالية من الحرية في اختيار شريك حياتها. وكان لها رأي مسموع فيما يخص شؤون المنزل.[32] وكانت إضافة إلى قيامها بواجباتها المنزلية وما يتطلبه تربية أطفالها تلبي نداء الحاجة إلى خدماتها في المجال الاقتصادي. فكانت تعمل في الحقل والبستان جنبا إلى جنب الرجل. وكانت تعني بالثروة الحيوانية، فتقوم بحلب الأغنام والأبقار وتصنيع الحليب مستخرجة منه سمنا وأنواع الجبن.[33]

ودورها المتشعب شمل كل نواحي الحياة تقريبا. فكما قلنا فان مسؤولية إدارة البيت كانت من مهامها. وكانت تعتز بدورها بجعل منزلها جنة صغيرة لأفراده. فكما شهد المستشرقين والرحالة والمبشرين الذين زاروا القبائل كما نوهنا مرارا فان ملاحظاتهم لدور المرأة الآشورية فيما يخص بيتها كان مثار إعجابهم وتقديرهم فلقد اندهشوا من ظاهرة نظافته الاستثنائية، فذكروا: " إنها ليست فقط جميلة في شكلها ولكنها نظيفة للغاية ".[34] وكان كل ما يتطلبه البيت من مستلزمات، وما يحتاجه أفراده من ملابس من المهمات التي تعتز المرأة القيام بتلبيتها. فتقوم بغزل الصوف، وحياكة الملابس، وأفرشه النوم، والجوارب الجميلة، التي امتزن بها نساء تياري على وجه التحديد. وكن منشغلات بالعمل على مدار الأسبوع باستثناء يوم الأحد[35] وإن نساء تياري امتزن بأعمال الحياكة الجميلة لأشكال مختلفة من الجوارب وإنهن كن مشغولات على مدار الأسبوع في

[32] E. Wigram, The Asherit Highland of Hakkari, 49.

[33] Wigram, 49.

[34] Maclean and Browne, 42 – 43. Laurie, 134.

[35] Maclean and Browne, 36 – 37.

أعمال مختلفة باستثناء يوم الأحد[36]. الدكتور كرانت يقول: "النساء مدبرات، شغولات. المغازل كانت تدور باستمرار حين ينتهين من أعمالهن، فيبرمن الخيوط لحياكة ملابس أفراد العائلة[37].

أما أزياء النساء فإنها عكست في خطوطها العامة في تصميمها تلك التي كانت سائدة في نينوى أيام مجدها. ومما هو جدير بالملاحظة وجود الشبه الكبير إلى حد التطابق بين أزياء النساء في تياري وحكاري وتلك التي للسيدات الآشوريات في سهول نينوى المستخدمة في مدن ألقوش، تلكيف، بطنايا، بغديدا (قره قوش) وغيرها. أما أزياء الرجال فكانت تشبه تلك التي يستخدمها الرجال في القوش بشكل خاص ومنطقة نوهدرا بشكل عام. والفرق الذي كان قائما هو انفراد قبلة تياري بارتداء رجالها القبعة التي كانت سائدة عند قدماء الآشوريين.[38]

2 – البيوت وطرازها وسيادة الأمن الاجتماعي

والبيوت في تياري وحكاري وعلى عكس ما هو قائم في القرى الآشورية في سهول نينوى ونوهدرا، كانت متباعدة عن بعضها البعض. وكانت أشجار الجوز والعنب، وغيرها، تنتشر أغصانها فوق البيوت، وتغطي القرى من الداخل والخارج. وامتازت البيوت بانتظام مقاساتها الهندسية واستواء المواد المستخدمة في بنائها، فكانت قائمة بنسق هندسي كما هو عليه الحال في بناء البيوت الحديثة. ومما تميز به أبناء القبائل هو عادة الأكل بملاعق خشبية.[39]

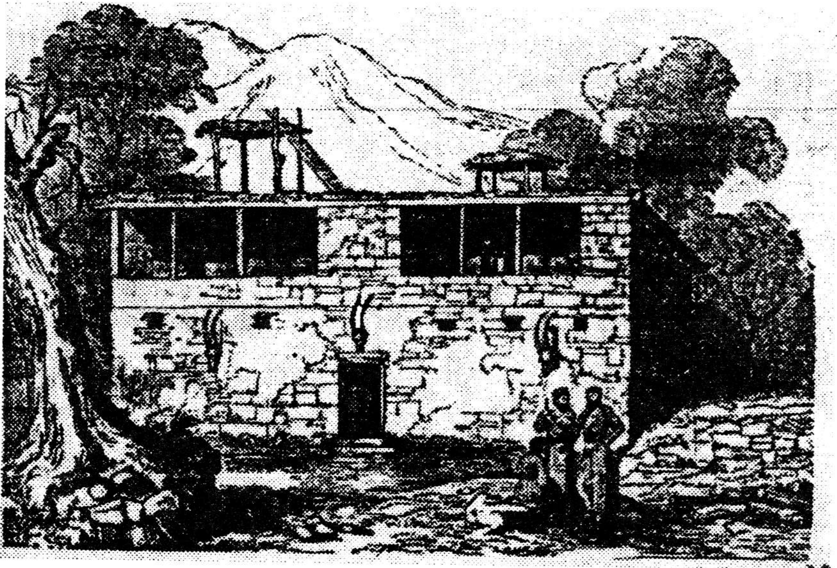
---

36 Maclean and Browne, 37.

37 Grant, 134.

38 Rich, II112. Laurie, 336

39 Maclean and Browne, 42 – 43.



بيت في بلاد تياري

3 – الخصائص الحميدة لأبناء القبائل المستقلة:

لقد اتسمت شخصية أبناء القبائل بالنقاوة والصفاء، والصدق في التعامل وعدم الكذب والصراحة في قول ما يعتقد ويؤمن به. ويعزو أنسورث السبب في توفر هذه الصفات إلى مبادئ الأخلاق الحميدة، وقيم الشرف المتجذرة بينهم، والتي تستند على قواعد دينية وأخلاقية صلدة. ولا يملك أول زائر أوربي لأبناء القبائل إلا أن يقول بان شخصيتهم اتسمت بأقصى صفات الشرف[40]

هذه الصفات انعكست على السلوك اليومي للقوم. وقد كان الغربيون الذين زاروهم محقين في اندهاشهم حين لاحظوا الضيافة المتميزة التي يقدمها أبناء القبائل للغريب. أحدهم يذكر بأنهم " يستقبلون الزائر بطبيعة بدائية نقية. فيقومون بتلبية كافة احتياجاته؛ تجلب المياه لغسل رجليه. يحضر له الطعام فورا. وتوفر له جميع أسباب الراحة. وحين يغادر، ترافقه بركات وتمنيات ودعوات صاحب المنزل له بان ترافقه السلامة والصحة". ويعترف الدكتور كرانت بأنه لا توجد ضيافة تضاهي ضيافة النساطرة في تعبيرها عن الإخلاص الصادق والتقدير للضيف. إذ أن أبناء القبائل هم في مقدمة من يعطف على الفقير والمحتاج والمعوز. وهم لا يردون سائل حاجة أبدا، وإن المتمكنين منهم يعبون المخازن بالمواد الغذائية التي يحتاجها الفقراء[41]

السرقة كانت ظاهرة ليست فقط معدومة ولكنها لم تكن معروفة في المجتمع الآشوري. من كان يعثر على حاجة لا تعود له، يعلن على الملأ عثوره عليها. وتبقى عنده محافظا عليها بحرص لحين أن يظهر صاحبها[42]. ولقد عزا

---

[40] Ainsworth, II. F.N. p. 232. Perkins, 171 – 172. Laurie, 138.

[41] Grant. 194. E. Wigram, 48.

[42] Grant, 194.

الذين درسوا أحوال القبائل الآشورية المستقلة ظاهرة انتشار البيوت المتباعدة بعضها عن البعض إلى حالة الأمن والاستقرار التي كانت تخيم على مجتمع هذه القبائل. كما لاحظوا غياب الأمراض الاجتماعية المختلفة المتفشية في المجتمعات الأخرى[43]

الأخلاق الحميدة والقدرة على التعامل الأخلاقي البعيد عن المصالح الذاتية والأنانية الفردية كانت الصفة التي فعلت مفعولها في تفكير أول مبشران أمريكيان قصدا مناطق < النساطرة > وفي الانطباع الذي ترك في تفكيرهم والذي كان من قوة التأثير درجة أن أحدهم كتب:

" الأسبوع الذي أمضيته بينهم كان من أمتع أوقات حياتنا. وأنا شخصيا أقول عنهم بأنه قد سيطرت عليه رغبة الاستقرار بينهم بصفة دائمة ... [44]. ولقد كانت البساطة وعدم التعقيد هي السمة الطاغية على السلوك العام في حياة أبناء القبائل. فهم لم يختبروا أو يألفوا تعقيدات الحياة في تعاملهم اليومي. بساطة الحياة، وبدائيتها أفرزت حاجات ومتطلبات بدائية أيضا. لقد كانوا مدركين لظروف التعامل مع واقعهم الذي كانت جل متطلباته تنحصر في تلبية الاحتياجات الأساسية المطلوبة للديمومة والبقاء. من هنا فإننا نجد المبشران ماكلين وبراون يشخصان عن تجربة ومعايشة طويلة هذه الناحية بقولهما: " ليس

---

[43] Grant, 66. Perkins, 71 – 72.، وحالة تباعد البيوت التي أشار إليها الكثير من الغربيين بكل تأكيد رصدوا أسبابها الصحيحة التي كان ورائها سيادة القيم في العلاقات الاجتماعية. وليزان التي شدت إعجاب المبشرين وقالوا بأن منظرها يبعث على السرور والإنشراح وإنها تشبه القرى السويسرية حيث أن بيوتها متباعدة واحدة عن الأخرى وهذه ظاهرة لا تحصل في أي مجتمع إن لم تكن قد سادت في ضوابط الأمن الاجتماعي وترسخت فيه تقاليد تستند على قيم عليا. انظر: Laurie, 132, 134, 138.

[44] American Sunday School Union, The Nestorians of Persia, 30 - 31

في حياة القوم مكان للساعة، أو الوقت. شروق الشمس هو بداية الوقت والمواعيد. أما الليل فان دليله القمر والنجوم. وقت الصلاة في الصبح و ...[45]

♦ مراسيم الزواج:

الزواج ومراسيمه مثل مدى التماسك الاجتماعي القائم وسط القبائل.فهذه المناسبة لم تكن تقتصر على أهل العريس والعروس، وإنما كانت مناسبة تهتم بها القرية بأكملها، وتتجاوزها إلى القرى الأخرى البعيدة التي كانت تحرص على التعبير عن مشاركتها في المناسبة. ومراسيم الزواج في تياري وحكاري كانت تستمر سبعة أيام متواصلة، يتخللها الفرح العارم والرقص والغناء. وكان المشاركون يعبرون بصدق عن فرحهم وسرورهم بهذه المناسبة، من دون تكلف أو مجاملة أو تمثيل. الكل كان يعبر عن فرحه بصدق: يرقص ويغني ويشرب الخمر تلبية لما تفرضه المناسبة. أحد المبشرين شهد وحضر حالة زواج وسط القبائل أثناء فترة وجودها في وطنها وكتب يصف لنا مراسيم الزواج:

... الزواج عادة يرتب بين العائلتين، وقد تتم الخطبة سنوات طويلة قبل الزواج، إلا أنه ليس هناك من فرصة للقاء بين الفتى والفتاة. ويدفع مهر عالي للعروس حيث يصرف منه مبلغ على تجهيزها. ... ويوم الزواج:

"يذبح الثور أمام بين العريس. العروس تزين وتلبس أحلى واجمل الملابس والحلي، وتتخذ موضعها في إحدى زوايا الغرفة وتظل قابعة في موضعها وهي مغطاة الرأس والوجه*. وفي الكنيسة تتم المراسيم الخاصة بالزواج: منذ الصباح

---

[45] Maclean and Browne, 18 – 19. 142, 144. يذكران ذات المراسيم في منطقة أورمية

* هذه العادة كان إلى وقت قريب سائدة وسط التجمعات الآشورية في سهول نينوى إلا أن الزاوية المخصصة لجلوس العروس كانت تزخرف بنقوش بديعة تعبيرا عن المناسبة.

الباكر يحضر الجميع وقبل شروق الشمس بساعة واحدة. بالنظر لطول مراسيم الصلاة في هذه المناسبة.

وبينما الكاهن والشمامسة منشغلين بتأدية المراسيم الطقسية الخاصة بالمناسبة، تحين ساعة ربط أيدي العريس والعروس. هنا تبدأ النساء بسحب العروس من الزاوية التي هي فيها باتجاه العريس. بذات الوقت يقوم عدد من الرجال بدفع العريس باتجاه العروس. العريس لا تقل ممانعته وتردده في الاستجابة من العروس. هذا الصراع المتسم بالذكاء وهذه الممانعة المحببة في الاستجابة تستمر بعض الوقت. وأخيرا ينجح الحشد المهتم بتقريبهما حيث تلتقي الرغبة الخفية عند العريس والعروس في اللقاء حين يقبض العريس على يد عروسه.

وبعد ساعة ونصف من الصلاة** ينتهي الأمر بإعلان العريس والعروس زوج وزوجة. عندها يتقدم الكهنة والشمامسة للتهنئة ويتبعهم جميع الحاضرين. وتستمر مراسيم التهنئة حتى فترة الظهيرة. فيبدأ الجميع بالتحلق حول موائد الطعام. إذ أن الجميع ظلوا صياما حتى ذلك الحين بسبب تناولهم القربان المقدس وقت الصلاة. وبعد الغذاء تكون المشروبات قد وزعت على المحلات المخصصة للجلوس، ويبدأ الرقص والطرب الذي يتواصل لمدة سبعة أيام. ومن التقاليد الممارسة عادة مصاحبة العروس حين تنتقل من منزلها إلى منزل عريسها. إذ تتقدم الموسيقى الحشد المحتفل حيث يرقص الجميع أمامها طربا وسرورا.

** وكما استغرب المراقبون الغربيون لطول مراسيم الزواج عند الآشوريين فان العكس حصل من سرعة زواج الغربيين لدرجة التعجب. فمار يوحنان، مطران أورمية الذي كان قد صحبه معه رئس البعثة الأمريكية في أورمية لزيارة أميركا بحدود سنة 1840 وحضر مراسيم الزواج التي لم تستغرق أكثر من خمسة دقائق فعلق على ذلك قائلا لباركنس: " هل تزوجون الناس على السكك الحديدية "

ويرمي المشاركون والواقفون على جانبي الموكب الورود، والسمسم، والفواكه، على موكب العروس، تيمنا بحياة رغيدة، وخصبة. هذا وان معدل عمر الزواج كان ما بين 15 - 17 سنة للذكور و 13 - 15 سنة للإناث[46]. ومما هو جدير بالذكر والملاحظة بأن تقاليد الزواج ومراسيمها كانت ذاتها التي كانت متبعة في سهول نينوى وبين التجمعات الآشورية في أذربيجان إيران. كما وكانت ذات التقاليد راسخة في شمال ما بين النهرين.

♦ البيوت والعادات:

البيوت في تياري وحكاري كانت إضافة أخرى لجمال طبيعة البلاد رغم بساطتها. فكانت فسيحة ومتباعدة ولم تكن متلاصقة وذات أزقة مزدحمة. وهي مبنية على الغالب من الحجر المثبت بالجس وتستخدم جذوع الأشجار للتسقيف. كما أن بعضها كانت تستخدم **(شكل عقد القبة)*****. والمنزل كان عادة يقسم إلى قسمين، يفصل أحدهما عن الآخر جدار. فالقسم الداخلي يشمل مخزن المؤن حيث تخزن الاحتياجات السنوية للعائلة من الحبوب والسمن والجبن وغيرها، إضافة إلى محل نوم العائلة.

---

[46] American Sunday School Union, Nestorians of Persia, 44 – 47. Maclean and Browne, 142 – 148. Sam Farhad, Beyond the Call of Duty, 11. سمث ودوايت يقدمان ذات الصورة عن الزواج بين الآشوريين في أذربيجان. نشير باختصار إلى إنها ذكرا "العريس بالأمس اخرج قرابة كبيرة من الخمر، وذبح ثور أمام المترل الذي استضافنا، وأرسلت كميات كبيرة من المأكولات إلى بيت العروس. ووزع الخمر في كل مكان بينما الرقص والغناء مستمر الخ. انظر: 196 –197.

*** هذه الطريقة كان الآشوريون قد اخترعوها قبل آلاف السنين. وتعتمد على ما يعرف بالعقدة الدائرية التي تشكل تقريبا قبة من نصف دائرة تعتمد Mechanical System في تماسكها، حيث تسند الحجارة الواحدة الأخرى إلى أن تصل إلى الجدران حيث يتوزع الثقل على الأرض بشكل متساوي.

وكثير من البيوت كانت تتكون من طابقين، ويحوي الطابق العلوي على غرفة أو أكثر، ويرمز إليها ب (بيلاواثا) التي تعني الغرف العليا. والـتي تتميز عادة بخشونة بنائها، على عكس الطابق السفلي الذي تكون أرضيته عادة مكسوة ومطلية بمادة الطين الأملس. وفي الأقسام الخارجية للبيب تكون هناك عادة غرفة الاستعمال اليومي لأهل البيت والتي تستخدم كمحل للضيافة في حالة قدوم ضيف إلى البيت[47]

أما الآكلات الشائعة فكانت البرغل والـرز، والجـبن بأنواعـه ومشـتقات الألبان والعسل. وكان لحم الأغنام والبقـر متوفـرا بكميـات كبـيرة بسـبب الـثروة الحيوانية الهائلة التي كانت القبائل تملكها. وكان السمك من الوجبـات المعتـادة لأبناء القبائل وكان متوفرا وبنوعية جيدة جدا وتميز بطعمه اللذيذ كما هو معروف عن سمك الزاب. وكان هنـاك كثـير مـن الأكـلات التراثيـة القديمـة المتوارثـة وفي مقدمتها أكلة (الدخوا) المصنوعة من الحنطة المدقوقة والمطبوخة بلبن حامض[48]

أبناء القبائل في القرن التاسع عشر، حالهم حال الكثير من المجتمعات المحيطة

بهم لم يعرفوا الأثاث المنزلية كمصـاطب الجلـوس أو أسـرة النـوم. الأرض كـانت تستخدم للجلوس وتناول الطعام والنـوم. الاسـتثناء كـان في تيـاري حيـث كـانت هناك عادة شائعة وهي الجلوس على كراسي واطئة يبلغ ارتفاعها 6 إنجات[49].

البيوت لم تكن فيها حمامات أسوة بجميع المدن والقرى في الشرق عصرئذ، لا بل في الغرب أيضا[50]. ورغم أن عائلة بأكملها كانت تعيش أحيانـا في غرفـة واحـدة،

---

[47] Maclean and Browne, 43.

[48] Ainsworth, II. 236.

[49] Maclean and Browne, 43 – 42.

فان المبشر F. Coan, لاحظ: بان أبناء القبائل لم يكونوا بحاجة إلى الاستحمام، بسبب محافظتهم على النظافة، وتعودهم على الاستحمام كـل يـوم سـبت. إذ أن حافات الجداول كانت مواضع طبيعية لتسخين المياه والاستحمام. كما أن بعضهم كان يستحم في الفسحات القائمة أمام دورهم. ومما كان شائعا آنذاك من العـادات هو قيام النساء بحك ظهور رجالهن وقت الاستحمام[51].

وبسبب عدم ملائمة المناخ للسكن صيفا في القرى، فان لكـل قبيلـة كـان لها مصيفها الخاص بها، حيـث تنتقـل بأكملـها في الصيـف للسـكن فيـه. هـذه المناطق تدعى زوزان[52]. والبيوت الصيفية كانت تبنى من جذوع وأغصان الأشجار. وكانت فترة الصيف تعتبر من أجمل فصول السنة بالنسبة للمصطافين.[53]

ثالثا – الحالة الثقافية

بسبب حالة العزلة الجغرافية والضغط الدائم المسـلط علـى أبنـاء القبـائل المستمر عبر القرون فان الحالة الثقافية تراجعت كثيرا قياسا على ما كـانت عليـه عند بقية التجمعات الآشورية في أذربيجان وسهول نينوى والجزيرة. ولغاية قدوم البعثات التبشيرية الغربية فان نسبة المتعلمين بين أتباع بطريركية مار شمعـون لم تكن تتجاوز 4٪ من مجموع السكان. وكان التعليم محصورا بصورة عامة بين طبقة

---

[50] أخبرني شخص إنكليزي مسن من مقاطعة Devon, بإنكلترا في سنة 1982 بأنه: حتى الربـــع الأول من القرن العشرين فان القرى الإنكليزية لم تتوفر في بيوت أغلبها حمامات أو مرافق صحية حيث كـــانت القرية تشترك جميعها باستخدام المراكز القائمة خارجها.

[51] Coan, 67.

[52] عن زوزان يقول الدكتور كرانت بأنها كانت تشمل أعالي بلاد آشور. أنظر: Grant, 125.

[53] Ainsworth, II: 233.

رجال الدين من مطارنة وكهنة وشمامسة وباللغة السريانية. وكان يشار بالبنان إلى من كان يستطيع القراءة والكتابة، من العامة. لذا لا غرابة أن نجد المستشرقين والمبشرين الذي درسوا أحوال القبائل المستقلة الثقافية أن يشيروا إلى أشخاص بالتعيين باعتبارهم من أكثر المتعلمين. وفي وقت بحثنا كان القس مندو، كاهن الكنيسة الشرقية في العمادية والقس أوراها من آشيثا والقس كنا من ليزان وبضعة كهنة آخرين من أبرز المتعلمين. ورغم أنهم كانوا يمثلون حالة مقارنة لتدني المستوى التعليمي، إلا أنهم كانوا يمثلون ذلك النموذج الفريد في ثقافتهم وعلومهم كما أعترف بذلك كل من تعرف إليهم من الغربيين. فالدكتور أنسورث يقول عن القس كنا : " إنه من أكثر المتعلمين والمتنورين في المنطقة. وهو ذو طبائع وأخلاق راقية رغم إنه لم يغادر قريته طوال حياته"[54]

أما القس أوراها من آشيثا[55]، الذي كان يعمل كسكرتير للبطريرك مار شمعون أوراهم، فإنه هو الآخر كان مثالا للمعرفة في زمانه. ولقد خدم كأركذياقون لمار شمعون. وتعتبر رسائله التي كتبها بخط يده نيابة عن مارشمعون إلى الصدر الأعظم العثماني والسفير البريطاني في القسطنطينية ورئيس أساقفة كانتربري لوحات فنية، ليس في محتواها وحسب وإنما بجمال خطه. في حين قام الكثير من الغربيين الذين كتبوا عن المنطقة باقتباس ما كان يذكره القس مندو من أمور تاريخية ومن بينهم لايارد.[56]

---

[54] Ainsworth, II: 220.

[55] Thomas Laurie, 182.

[56] كثيرون هم الذين أشاروا إلى مكانة القس مندو ومنهم أنسورث و لايارد و بادجر، 1: 200

وكما قلنا فان الظروف العصيبة المحيطة بالقبائل كانت حائلا بينهم وبين انتشار التعليم. بادجر يخبرنا أثناء محاورته مع مطران برور عن هذا الموضوع موردا جواب المطران على استفساراته:

" تعال، تعال، سنكون سعداء للترحيب بكم. كنائسنا ستفتح لك، قد تؤسس مدارس لنا بيننا، وإنني سأطلب من أتباعي بأن يطيعوك. وقد يكون ذلك السبيل لتحريرنا من الظلم والإرهاب الذي يسلطه علينا الكفار. ولكن بقدر تعلق الأمر بنا، فإننا لا نستطيع عمل شئ. فنحن بالكاد لدينا ما نسد به الرمق. نحن لا نستطيع شراء الكتب، ومضطهدين لدرجة إننا وبصعوبة بالغة نمارس عبادتنا في كنائسنا. ماذا سيقول الأكراد إذا بدأنا بتعليم أطفالنا؟ لقد قاموا بتدميرنا بظلمهم حيث قضوا على ما يزيد على نصف عددنا في برور. وهم لن يجدوا الراحة حتى يتم القضاء علينا جميعا.' قال هذا والدموع تترقرق في عينيه' ثم أضاف:" قريبا سألتحق بآبائي وأجدادي، وتحت ظلال مار قيوما سأذهب إلى القبر، وأنا حزين على شعبي! وإذا كانت هناك أيام جيدة تنتظر شعبي هذا فإنني أصلي للرب أن يريها لهؤلاء [مشيرا أبناء رعيته الحاضرين] ولأطفالهم ... آه للعنة ... "[57]

ولكن الحالة تغيرت منذ قدوم البعثة التبشيرية الأمريكية واتخذت من مدينة أورمية مقرا لها منذ سنة 1835. حيث بعد فترة قصيرة استهل برامج التعليم للذكور والإيناث وكان في البداية مقتصرا على المراحل الابتدائية[58] ثم

---

[57] Badger, I: 380 - 383

[58] قام القس أوراها (أورمية) بفتح مدرسة لتعليم اللغة الإنكليزية في مدينة أورمية بعد أن عاد المطران مار يوحنا ورئيس البعثة الدكتور جستن باركنس من رحلتهما إلى أميركا، وباشر بالتدريس فيها. أنظر: American Sunday School Union, Nestorians of Persia, 41.

فتحت المدارس الثانوية وأخيرا الكلية الـتي خرجـت أعـدادا كبـيرة مـن الأطبـاء والمهندسـين وأصحـاب الاختصاصـات المختلـف. ولقـد تيسـرت الفرصـة لإعــداد محدودة من أبناء تياري وحكاري للالتحـاق بـهذه المـدارس ولكـن الغلبـة كـانت لآشوري أورمية وسهولها. الأديرة الآشـورية الـتي اشـتهرت عـبر التـاريخ بأنـها مراكز للتعليم والقضاء على الأمية تراجع دورها ولم يعد لها ذلك الدور التاريخي، بسبب تدمير معظمها وقتل رهبانها وتلف مخطوطاتها إضافة إلى هجرهـا. فقـدان الأمن والاستقرار حال دون مواصلة دورها التاريخي كمراكز تعليمية فهجرت.

الفصل السادس

الآشوريون والعالم الخارجي ـ الإنكليز

أولاً ـ البعثة الإنكليزية الأولى: Dr. William Ainsworth, 1840*

1 ـ الخلفية التاريخية

يدعي بعض الكتبة الغربيين بان الآشوريين ظلوا مجهولين للعالم الخارجي لغاية ارسال بريطانيا بعثة التحري عن صلاحية الملاحة في نهري الفرات ودجلة 1835[1]. هذا الكلام صحيح في جانب منه وبقدر تعلق الأمر بالإنكليز. فالجهل بالوجود الآشوري لم يكن شاملاً لجميع الغربيين. فالفرنسيون على سبيل المثال، كان لهم حضوراً وتواجداً قديماً بين آشوريو السهول، وكانوا على معرفة بالمقيمين في الجبال. ولكن على عكس التجمعات السهلية، لم يكن بإمكانهم الوصول إليهم، بسبب مقاومتهم لنشاطهم التبشيري.

أما الإنكليز فكانوا بعيدين عن الساحة العامة في بلاد ما بين النهرين. وكان يفرقهم عن الحضور الفرنسي فترة لا تقل عن القرن من الزمان. إذ أن الاهتمام البريطاني ببلاد ما بين النهرين، حصل بعد حملة نابليون على مصر، واحتلاله لها في سنة 1798 وتهديده للمصالح الإمبراطورية البريطانية، وطرق مواصلاتها إلى الهند. مما دفع بالإنكليز إلى

---

* William Ainsworth, (1807 – 1896) ولد في مدينة Exeter, Devon, UK. طبيب وجيولوجي ومستشرق. عمل عضواً في بعثة Captain Chesney للملاحة في نهر الفرات. ألف العديد من الكتب. أنظر: Cambridge Bibliography Dictionary. New Edition, 1936, 15

[1] Badger, I: XI – XII. Cutts, Christians Under The Crescent, Introduction. ®. A. Fortescue, 109.

تأمل إيجاد خط مواصلات بديل لمصر. بلاد ما بـين النـهرين كـانت البديـل المقبول لهذه المهمة، من خلال ربط البحر الأبيض المتوسـط بـالخليج العربـي عبر نهر الفرات. وفي سنة 1835 أرسلت بعثة التحري لهذه الغاية برئاسـة الكابتن جيسني (Geseny) لتقوم بالمسـوحات المطلوبـة للتعـرف علـى مـدى صلاحية النهرين للملاحة فيهما.

بعثة جيسني لم تكن بعثة ملاحة فقـط. وإنمـا كـانت أيضـا: بعثـة سياسية/ اقتصادية تظم الخبراء المختصين في أمور عديـدة ولهـم القـدرة علـى القيام بدراسة أحوال بلاد مـا بـين النـهرين مـن جميـع النواحـي. ورغـم أن الاهتمام البريطاني ببلاد ما بين النهرين بدأ مباشرة بعد أحداث مصر. حيث قام الإنكليز بتأسيس معتمدية سياسية لهم في تركيـة العربيـة، متخذيـن مـن بغداد مركزا لها[2]. إلا أنـهم لم يتمكنـوا مـن المضـي في مشـروع الخـط البديـل للمواصلات إلى الهند عبر الفرات إلا في سنة 1835 بعد أن تم القضاء في سـنة 1831 على مماليك بغداد الذين عرفوا بموقفهم المتصلب ضد المحاولات الأولى لبريطانيا لبسط نفوذها وإرساء قواعد مصالحها. وحين أرسـلت بعثـة جسـني التي كانت تظم أصحاب الاختصاصات المختلفة كما قلنا. فقد كـان مـن بـين

[2] رغم الاهتمام الذي أظهرته بريطانيا ببلاد ما بين النهرين منذ ذلك الحين إلا أن ما يمكن ملاحظتـه ورصده هو محدودية المساحة التي كان بإمكان بريطانيا التحرك فيها رغم انتدابها لخيرة الدبلوماسـيين الذين يلقبون عادة بالقناصل العظام. إذ أن العراق يومئذ كان يحكمه الممـاليك الذيـن لم يكـن للحكومة المركزية العثمانية سيطرة عليها بسبب كونهم مستقلين عمليا. وخاض الإنكلـيز صراعـا مريرا مع الولاة المماليك الذين بلغ بهم التصلب حدا اجبر المعتمد الشـهير J.C. Rich, (1808 – 1821) في عهد داود باشا على مغادرة بغداد والمكوث في الموصل سنتان متتاليتان. وحتى القضـاء على حكم هذه السلالة في سنة 1831 فان الإنكليز كانوا عاجزين عن الحصول على أي امتيـاز في البلاد ضمن مشاريعهم الستراتيجية ومنها المشروع المشار إليه الذي لم يجدوا الفرصة لتنفيذه إلا بعـد القضاء على المماليك الذين كانوا حريصين على إبعاد النفوذ الإنكليزي عن بلاد ما بين النهرين.

أعضائها شخصيتان على جانب كبير من الأهمية، والخطورة: الأول كان العالم الإنكليزي William F. Ainsworth, Dr. المتخصص بالطب، الجيولوجيا والمستشرق المتمكن من اللغة السريانية. أما الثاني فكان الشخصية الآشورية البارزة في الموصل، السيد كرستين رسام الذي كان قد التحق مع البعثات التبشيرية الإنكليزية في مالطا..[3].

في سنة 1836 انتهت مهمة البعثة وعادت إلى بلادها حيث قدمت تقريراً شاملاً عن أحول بلاد ما بين النهرين السياسية والاجتماعية والعشائرية وغير ذلك من الأمور والقضايا التي كان الإنكليز معنيون بها في صراعهم مع الفرنسيين للهيمنة على هذه البلاد الغنية التي كانت أسميا

[3] السيد كرستين رسام كلداني (نسطوري) من عائلة رسام في الموصل. والده الشماس انطون رسام، و هرمزد رسام شقيقه الأصغر. تزوج من سيدة إنكليزية هي شقيقة المبشر الشهير جورج بادجر. وكان في بداية حياته ضمن المؤسسة التبشيرية البريطانية. إلا أن مشاركته في بعثة جسني وبعدها قيامه مع أنسورث في سنة 1840 برحلة إلى القبائل المستقلة اظهر للدوائر الدبلوماسية البريطانية مدى قدرته وأهميته للعمل الدبلوماسي في بلاد ما بين النهرين لاسيما ولاية الموصل. من هنا فان القرار اتخذ بتعيينه نائباً للقنصل البريطاني في الموصل سنة 1841 وخدم لسنوات طويلة هناك. ومن الاطلاع على سيرته الدبلوماسية يظهر بأنه كان دبلوماسياً من الطراز الأول. وما من شك بان الرجل عانى نفسياً خلال فترة عمله مما كان يلحق أبناء أمته من مذابح ومظالم حيث كان عاش حالة التصادم بين ولائين: لامته، و للدولة التي كان مواطنها ويعمل لها.

تم تأهيله تأهيلا عاليا في حقول كثيرة منها إيفاده لدراسة اللغة العربية في الأزهر. وكان يتقن اللغات التركية والكردية ولغته الأصلية السريانية / الآشورية، إضافة إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية. وكما ظهر من قابليته في العقود اللاحقة فانه كان على استيعاب ومعرفة بالأحول الاثنية، والدينية لجميع العناصر المنتشرة في المنطقة، لاسيما تلك التي كانت تسكن ضمن مجال عمله في السلك الدبلوماسي منذ سنة 1841 لاسيما أتباع الكنائس الشرقية والسريانية والكلدانية واستخدموا السيد رسام كجسر بينهم وبين القبائل الآشورية المستقلة

تابعة للدولة العثمانية، تلك الإمبراطورية الضعيفة التي كانت الدولتان الغربيتان حريصتان على بقائها وعدم سقوطها بطريقة لا تلبي مصالحهم[4]

2 ـ المساعي الإنكليزية لإقامة علاقات مع القبائل المستقلة

تمشياً مع سياستها الجديدة تجاه الأقسام الآسيوية من الإمبراطورية العثمانية، لاسيما بلاد ما بين النهرين، فان الاهتمام الذي أظهره الإنكليز بهذه البلاد، شغل مساحة كبيرة في سياستهم الخارجية. وشهدت الفترة التالية لبعثة جسني تحركات إنكليزية في اتجاه إقامة الصلات مع العناصر الإثنية والدينية في المنطقة،لاسيما الأقليات الدينية، وعلى وجه التحديد تلك التي كانت عرضة للاضطهادات الدينية والعرقية والتي كان المسيحيون واليزيدية في مقدمتهم.

الثنائي المتكامل في معرفتهُ للبلاد ونفوذه بالنسبة للآشوريين والمتمثل في الدكتور ويليام انسورث والسيد كرستين رسام المشار إليهما، كانا راس الرمح في التحرك الإنكليزي على الأقليات في آشور عامة، وأبناء القبائل المستقلة بشكل خاص. إذ أن الإنكليز أدركوا واستوعبوا حقيقة كون الفرنسيين كانوا قد سبقوهم في إيجاد موطئ قدم لهم في سهول آشور. من هنا فان الحسابات السياسية، أظهرت حصول نوعاً من الإقرار بالأمر الواقع بين الإنكليز والفرنسيين في تقسيم أبناء الشعب الآشوري إلى مناطق نفوذ بينهما. ففرنسا كانت قد مدت جذور نفوذها وتواجدها في المناطق السهلية. وكان

---

[4] سنة 1840 قامت الدولتان بتحجيم قوة، وقدرة محمد علي باشا العسكرية، وأجبروه على الانسحاب من سورية بعد انتصاره الساحق على الجيش العثماني في معركة "نزيب". فهرع الإنكليز والفرنسيين على إنقاذ العثمانيين من السقوط وقلصوا نفوذ محمد علي باشا المصري، أنظر: Fisher, Middle East A History, 274 – 276. Miller, The Ottoman Empire 1801 – 1922,. 149. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية 547 – 548 و 558 وما بعدها

حصادها تشكيل 'الكنيسة الكلدانية' و 'السريانية الكاثوليكية'. أما تلك الأقسام الجبلية من الشعب الآشوري التي تعذر على الجهد الفرنسي الوصول إليها فتركت على ما يبدو للدهاء والمكر الإنكليزي للتعامل معها.

- **البداية**

سنة 1840 أصدرت الدوائر الإنكليزية المعنية الأوامر لكل من أنسورث ورسام للقيام بزيارة استطلاعية للقبائل المستقلة ودراسة أحوالها والأوضاع القائمة في المنطقة والتعرف على آفاق التحرك فيها. وفعلاً توجه المشار إليهما إلى بلاد ما بين النهرين والهدف المعلن لزيارتهما هو إقامة علاقة صداقة مع القبائل الآشورية المستقلة. ويوم 10 حزيران سنة 1840 وصلا العمادية في آخر محطة لهما قبل الذهاب إلى تياري، كبرى القبائل المستقلة، التي يبعد وطنها عن العمادية مسيرة يوم واحد. وبعد أن أمضيا بعض الوقت في إقليم برور، في ضيافة مطران دوري، عبرا يوم 15 حزيران **"طور د دوري"** قاصدين تياري. هنا يقول أنسورث: "صادفتنا أول تجربة كتلك التي حصلت للدكتور كرانت الذي سبقنا في الوصول إلى تياري بسنة واحدة حيث أعاقت وصولنا معركة **'نزيب'**. فتذكر الكلمات التي أستقبل بها: "'**من أنتم؟** صرخات مدوية ترددت في وقت واحد من الصخرة المطلة على رؤوسنا، ومن أين جئتم؟ **وماذا تريدون؟ رددت باللغة السريانية**'". أنسورث أيضا يورد تجربته الشخصية فيقول: إن رجلا جاء مهرولاً بسرعة من الغابة وسألنا: 'من أنتم،وماذا تريدون والي أين أنتم ذاهبون' ويقول بان داود مرافقه طمأن السائل وسمح لهم بمواصلة السير".

وجهة أنسورث ـ رسام الأولى كانت قرية (ليزان) الكبيرة ذات الجمال الساحر. إذ يقول أنسورث: " مررنا بوادي ليزان، أو (مييّا د أزاني

– نهر أزاني) وكان جسر ليزان المعلق يتراءى كسلك معدني . وحين وصلنا إلى مشارف القرية استقبلنا من قبل مجموعة من الوجهاء الذين بدا على مُحيّا أكبرهم، علامات عدم الثقة فيما يرى." وهنا أيضاً أزال داود ما علق في الذهن من شكوك مؤكدا لأبناء ليزان أن أنسورث وبعثته ليسوا كاثوليك.[5]

صيف عام 1840 كان بداية الفصل الأول في العلاقة الإنكليزية – الآشورية. وما ذكره أنسورث من ردود فعل أبناء ليزان له ما يبرره. فقبلها لم يكن أبناء القبائل المستقلة قد سمعوا لا بإنكلترا ولا بالإنكليز. وكما يخبرنا أنسورث نفسه فان القوم استغربوا حين أخبرهم بأنه إنكليزي. فقالوا له: لقد سمعنا بلندن. فسألوه بفضول: **هل إنكلترا تقع في لندن؟**

في ليزان، كانت المجموعة في ضيافة ملك القرية الذي يقول عنه انسورث بأنه خاضع لملك تياري. أجلسَ الضيوف فوق سطح البيت الذي كانت تظلّله أغصان شجرة جوز عملاقة. وبعد أن أوضح للحضور بأنه من الكنيسة البروتستانتية التي لم يكن أهل ليزان قد سمعوا بها أيضا. بذل جهده لإقناع مضيفيه بأنه ليس كاثوليكي. إذ قالوا له:" أنه لمن الخطورة أن يجازف الفرنك والكاثوليك بالمجيء إلى هنا"[6].

وباعتباره أول إنكليزياً يتغلغل في وطن القبائل الآشورية المستقلة، فكان على أنسورث أن يسعى للحصول على المعلومات، وإنجاز المهمة التي جاء من أجلها. فزيارته كانت جزءً من المساعي البريطانية لإيجاد رؤية لآفاق تحركهم في المنطقة مستقبلاً، والتعرف على الوسائل الكفيلة لتحقيق ذلك. من هنا فان المبعوث الإنكليزي وفي الوقت الذي كان متلهفاً للتعرف

[5] Ainsworth, II: 216 – 218.

[6] Ainsworth, II: 220.

على المستوى السياسي والديني والنفسي لأبناء القبائل. فان هدفه الأول كان الأشخاص الذين يمثلون السلطة وبيدهم القرار النهائي في إرساء شكل العلاقة بين الطرفين. إضافة إلى تلهفه للتعرف على وجهة نظر الآشوريين من التطورات السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة، وموقفهم من الحروب والصراعات التي كانت قائمة.

ومما تعكسه مذكرات المبعوث الإنكليزي هذا فان جل اهتمامه في هذه المرحلة كان قد تركز على الالتقاء بمار شمعون، باعتباره المرجع الأعلى الذي من خلاله يمكن إرساء جسر العلاقة بين الطرفين. أما الشخصية الثانية فكان **'الملك إسماعيل'، (ملك تياري)**، الشخصية السياسية، والعسكرية المتنفذه بين القبائل المستقلة.

من ليزان توجه المبعوث الإنكليزي انسورث مع فريقه إلى آشيثا بهدف اللقاء مع **'الملك إسماعيل'**. الانطباع الأول الذي كونه كان عن القدرات العسكرية لأبناء القبائل المستقلة، ومهارتهم في استخدام السلاح الذي تدعمه شجاعة فائقة. والثاني مدى البساطة والنقاوة التي كان القوم عليها، واستعدادهم العفوي لتصديق كل ما يقال لهم والإيمان به[7]. ومن بين

---

[7] ففي اليوم الأول لوصوله إلى ليزان وحديثه عن استعداد إنكلترا لتقديم المساعدات لأبناء القبائل في حقل التعليم وتأهيل الكهنة ومساعدة الكنيسة الشرقية على طبع كتبها الطقسية. غلب التأثر والانفعال الساذج القس كنّا قس ليزان الذي يصفه بأنه يمثل نموذجاً للطيبة والأخلاق الحميدة، لدرجة أن القس خاطب ملك ليزان قائلاً له: **"أنظر إلى هؤلاء الناس الصالحين، لقد أرسلوا لنا من مناطق، وبلاد بعيدة، لكي يقدموا المساعدة لنا .. لقد سمعوا بآلامنا ومعاناتنا، ومدى حاجتنا لتعليم أطفالنا، أرسلوا لنا المساعدة [!] وأي عمل صالح هناك أكثر من هذا."** .. ويضيف انسورث ذاكراً ردود الفعل التي أحدثها اقتراحه بوعد المساعدة في فتح المدارس ذاكرا ما قاله القس المذكور: "هذه بركة من السماء، وانهم غير قادرين على التعبير بما فيه الكفاية عن امتنانهم لأولئك العازمون على توفير مثل هذه المساعدات والخدمات النافعة المقدسة" Ainsworth, II: 220, 22

ما رصده هو قدرة (آشيثا)، كبرى القرى الجبلية والتي تعتبر عاصمة تيـاري أو القبائل المستقلة كلها[8]، على تحشيد ألف مقاتل جاهزين للقتال فوراً، رغم أن عدد سكانها هو خمسة آلاف نسمة كما قدرهم شخصياً.

وحين وصل أنسورث إلى عاصمة تياري السفلى، كان الملك إسماعيل في مصيفه. فقصده إلى هناك، وانتظره في إحدى الخيم لمقابلة الملك إسماعيل. عن ذلك كتب يقول: "مضى بعض الوقت قبل ظهور صاحب الجلالة، ملـك تياري. فلقد لاحظته وهو يخرج من خيمته متجهاً صوبنا .. أطل علينا بقيافة جذابة، مرتدياً معطفاً قرمزيـاً، في حـين كـان الجنـود والفلاحـين وسائسـي البغال تزدحم بهم المنطقة[9].

أول محادثـة جـادة بـين المبعـوث الإنكلـيزي الدكتـور William Ainsworth, والملك إسماعيل كانت حول القضايا السياسية القائمـة آنـذاك، لاسيما ما كان له علاقة مباشرة بالقبائل الآشورية في تياري وحكاري. وخلال هذه المحادثات خرج المبعوث الإنكليزي بانطباع، بان الملـك إسمـاعيل كـان يحمل هموم شعبه. ويقلقه كثيراً ما كان يجري مـن أحـداث عاصفـة ومؤثـرة حول وطنه. فالملك إسماعيل ـ كما يقـول أنسـورث ـ كـانت أفكـاره مشـغولة بالحضور العسكري التركي في العمادية*. وعبر عن مخاوفه مما كان يجري في المناطق المتاخمة للأقاليم الشمالية لوطن القبائل المستقلة، في نواحـي (فـان) و (أرضـروم). ومـن الأمـور الـتي جذبـت اهتمـام المبعـوث الإنكلـيزي كـانت

---

[8] Ainsworth, II: 226.

[9] Ainsworth, II: 238.

قد خاض حرباً دموية في المنطقة الممتدة ما بين الأقاليم الشمالية لبلاد ما بين النهرين وحتى راونـدوز خلال السنوات 1834 – 1838 على الحدود الغربية لتياري.

المعلومات التي حصل عليها من (**الملك إسماعيل**) حول التحركات السياسية القائمة في المنطقة بين العناصر القومية المختلفة التواقة للتخلص من الوجود التركي، والتي كانت بريطانيا معنية بها بشكل مباشر. ويبدو بان الملك إسماعيل لم يكن على بينة من التطورات التي كانت قد حصلت أثناء فترة زيارة أنسورث لبلاده، والموقف الإنكليزي الداعم للأتراك. وقيامهم بإلحاق الهزيمة بقوات (**محمد على باشا المصري**)، وحمايتهم للأتراك من السقوط النهائي في سنة 1840. فلقد عبر ملك تياري له عن تعاطفه مع إبراهيم باشا، ابن محمد على باشا، الذي كان حاكماً لسورية منذ 1829 وأخبره بأن إبراهيم باشا أرسل مندوبين عنه في الفترة الأخيرة للتفاوض مع الملك إسماعيل، وكسب تأييده للموقف المصري، المعادي للأتراك. وانه يسعى لتحشيد جميع العناصر الدينية والقومية الغير تركية ضد الوجود العثماني. هذا الوفد اجتمع مع الملك إسماعيل. ومما استخلصه أنسورث من انطباعات عن موقف أهم رجل سياسي وعسكري بين القبائل، كان تأييد الملك إسماعيل للموقف المصري، المعادي للأتراك واستعداده للإنظمام لحملتهم للخلاص من الأتراك [وكان هذا على الضد من الموقف الإنكليزي]. هذا الموقف السياسي كان بكل تأكيد قد حَسَبَتْ له إنكلترا الحساب المطلوب في تعاملها مع القوة الآشورية الفعالة والمؤثرة في المنطقة في المستقل القريب، ومباشرة بعد زيارة أنسورث[10]. قضية أخرى تطرق إليها الملك إسماعيل

---

[10] إنكلترا كانت معنية بالدرجة الأولى بالحالة السياسية وحريصة على بقاء تركية سياسياً بالشكل الذي كانت تأمل فيه تحقيق مصالحها وسيطرتها مستقبلاً على ممتلكاتها الآسيوية. لهذه الغاية كانت قد خاضت حروباً ضد القوى التي هددت في أكثر من مناسبة الدولة العثمانية بالسقوط والانهيار. وعليه فان ما استطاع أنسورث الحصول عليه من المعلومات عن الصراع الحاد الذي كان قائماً في هذه المنطقة الحيوية للإنكليز والتي كانوا معنيين بها، والتعرف على الموقف الآشوري الرسمي المعادي

ببساطة الشرقي المعهودة في محادثاته مع أنسورث، وهو الموقف الآشوري من روسيا القيصرية، خصم الإنكليز التاريخي في الصراع على الاستحواذ على الممتلكات العثمانية، والمستعمرات الشرقية. فلقد عبر الملك، للمبعوث الإنكليزي، عن استحسانه وإعجابه بالسياسة الروسية، والظروف الحسنة التي كان عليها المسيحيين الشرقيين تحت الحكم الروسي. ولعل هذا الأمر هو الذي جعل أنسورث يصدر حكمه عليه بأنه غير كنوء [للمصالح الإنكليزية] ولا يمكن الاعتماد على شخصيته.[11]

الهدف المهم إن لم نقل الأهم في رحلة أنسورث كان مار شمعون الذي مقره في قرية قوجانس، القريبة من جولمرك مقر نور الله بك زعيم أكراد حكاري. فقصدها مع مرافقيه في ظل أجواء سياسية عاصفة كانت تعمل ضد المصلحة الآشورية العليا في جميع الاتجاهات[12]. وكانت أبرز ما يقلق الآشوريين هو ارتماء 'نورالله بك' أمير حكاري في أحضان الأتراك وإعلان

لخططهم ومشاريعهم كان له تأثير مباشر في الموقف الإنكليزي المؤيد للقضاء على استقلال القبائل الآشورية التي كانت تشكل أقوى قوة عسكرية آنذاك إلى جانب المصريين. والتجربة التي نحن بصددها عكست من دون شك السذاجة والبداثية في الوعي السياسي التي كانت عليه المؤسسة السياسية الآشورية حيث كشفت جهلها بما كان يجري من حولها من أحداث. والجهل بالموقف الإنكليزي من التطورات التي كان معني بها الملك إسماعيل أثناء مقابلته لأنسورث كانت واحدة منها.

[11] Ainsworth, II: 238 – 239.

[12] زيارة أنسورث لوطن القبائل المستقلة ومقابلته للملك إسماعيل ومن ثمة توجهه نحو قوجانس حصلت في فترة تأزم العلاقات ما بين الأكراد والقبائل المستقلة، وسط تطورات سياسية عاصفة كانت المنطقة تشهدها خلال الحملة التركية للقضاء على المراكز القومية المستقلة والتي كانت قد سجلت نجاحات متتالية بموجبها كانت الحملة قد قضت على العديد من المراكز المستقلة الواحدة بعد الأخرى.

خضوعه للسلطان أملاً إنقاذ نفسه من المصير الذي انتهى إليه زملائه الزعماء الأكراد.

في ظل هذه الأجواء، قصد المبعوث الإنكليزي المناطق الكردية من حكاري بهدف مقابلة البطريرك ما شمعون. ولما كان الغليان السياسي والعسكري القائم في المنطقة قد نشر القلق والترقب ين السكان من غير الأتراك مما كان يحصل، وما يحمله المستقبل في قادم الأيام من دمار. لذا فان زيارة المبعوث الإنكليزي كانت خطوة تحمل الكثير من أسباب الريبة، والشك، بالنسبة إلى العناصر الكردية المقيمة في تلك المنطقة، من أتباع نورالله بك الحكاري. وفعلاً حين وصل أنسورث وفريقه إلى إحدى القرى المجاورة لجولمرك، التي كان حاكمها مساعداً لنور الله بك. فان الحالة المشار إليها كانت قد بلغت حد المواجه مع المبعوث الإنكليزي الذي يقول بان "هذا الحاكم المسن أطل علينا من سطح بيته وخاطبنا من دون أن يلقي التحية" قائلاً:

" 'ماذا تفعلون هنا؟. ألا تعلمون بان الأوربيين ليس مسموحاً لهم القدوم إلى هذه البلاد؟. بدون خداع أو مواربة ! يجب أن أعرف من أنتم؟ وماذا تفعلون هنا؟ من جلب هؤلاء الناس إلى هنا؟' قال ذلك وهو يستدير حول نفسه بشكل متعجرف". وكان رد أحد المرافقين الآشوريين على استفسار المسؤول الكردي **" أنا "** قالها وهو عاقدُ يداه على صدره بطريقة تنم عن شجاعة ولا مبالاة. ثم استدار البيك الكردي ثانية وقال بشكل أكثر هدوءً وتروياً:

" 'أنتم [الكلام موجه لأنسورث] **مقدمة أولئك القادمين لأخذ هذه البلاد! وعليه فانه من الأفضل بان نأخذ أولاً ما تملكونه الآن، لأنكم**

بعدها ستأخذون كل ما نملك' "[13]. وبعد أن نجحت اللهجة الدبلوماسية في تلطيف الجو وأنقذ المبعوث الإنكليزي نفسه مما كان ينتظره. واصل هدفه المركزي الذي كان قد أوصله إلى هذه المناطق القصية العاصية من العالم. ولكن البطريرك مار شمعون كان في هذه الإثناء في جولمرك. يقوم مقام أمير حكاري في إدارة شؤون الإمارة عملاً بالاتفاق التاريخي القائم بين الطريفين لإدارة حكاري الذي أشرنا إليه بتفصيل. لان نورالله بك كان قد ذهب لمقابلة مندوب حافظ باشا التركي، الذي كان يخضع المراكز الكردية في المنطقة.

ورغم التجربة المثيرة التي عاشها مع المسؤول الكردي المشار أليه. ورغم اعترافه بان التقائه بالبطريرك مار شمعون، سيولد الكثير من الحساسية لدى الأكراد، وسيزيد من شكوكهم، التي ستنعكس سلبياً على البطريرك وشعبه، من زيارته له في جولمرك. إلا انه بعث من يخبر البطريرك بقدومه. ومما يذكره أنسورث، يبدو بان البطريرك كان يخشى من النتائج السلبية لزيارة المبعوث الإنكليزي له في المقر الرسمي للإمارة. فاحتاط للأمر، وأرسل رسولاً إلى أنسورث يخبره: بان "لا يقصد جولمرك، لأن جميع تحركاته ستكون تحت المراقبة، وليس هناك من إمكانية لإجراء أية مفاوضات بينهما هناك". وانه سوف يلتقي به في قرية **(pagi)** الأرمنية القريبة من جولمرك. فانتظره أنسورث هناك معترفاً بأنه لم يتمكن من أخذ، وتسجيل أية معلومات عن المنطقة، لأنه كان تحت المراقبة ليلاً ونهاراً.[14]

---

[13]Ainsworth, II: 242. وخلال الفترة ذاتها أورد لايارد رأيا مشابهاً. إذ ذكر بان قاضي الموصل أعلن: **"بان الفرنك لديهم خطط لشراء تركية بأكملها"** (Layard, Popular, 19)

[14]Ainsworth, II: 245 – 246.

يوم 20 حزيـران سـنة 1840 كـان اللقـاء الأول بـين البطريـرك مـار **شمعون أوراهم**، وأول مبعـوث إنكليزي إلى الآشـوريين في تيـاري وحكـاري الدكتور **William Ainsworth**. ففي تمام السـاعة الخامسـة صباحـاً بـدأت المفاوضات، والمحادثات بين الجانبين، واستمرت حتى الواحدة بعد الظـهر. وكان أول شئ سأل البطريرك مار شمعون أوراهم المبعوث الإنكليزي هو: " **ما الذي جلبكم إلى هذه المناطق البعيدة والوعرة والعاصية؟**"[15] وبعد المجاملات تركزت المباحثات على ما يبـدو علـى الأمـور الدينيـة، الـتي أدرك الإنكليز بأنها تمثل نقطة النفاذ إلى الكيان الآشوري: كنيسة وشعباً. ومن خـلال هـذا اللقاء فان أنسورث يعبر عن رأيه بمارشمعون أوراهم قائلاً:

"مار شمعون هـو رجـل محـترم وصـادق. في التاسـعة والثلاثـين مـن عمره. طويل، قوى البنية، وذو جبهة عريضة. ومظهره يثير الانشراح، ويترك انطباعاً مؤثراً، وملامحه تنم عن الذكاء. يرتدي جبة واسـعة، وعمامـة رأس. وله لحية رمادية طويلة تعطيه الهيبة البطريركية التي تفـرض احترامـها. .. وكان قياساً للأكراد خجولاً"[16]

أنسورث لم يقدم تفاصيل ما دار من حديث بـين الجـانبين. إلا أنـه يقول بان السيد رسام قام بمهمة إيضاح الخطوط العريضة التي قَدُمـتْ البعثـة مـن أجلـها. والـتي تضمنـت مقترحـات **(The Society of Promotion Christian Knowledge)** . غير أنـه يعـترف بـأن البطريـرك لم يكـن علـى معرفة بها. وكان بجهل تام عن الكنيسة الإنكليزيـة. وان "**البطريـرك كـان مذعوراً من اقتراحنا من إقامة علاقات ودّية مع كنيسة قد تبدو مختلفة في**

[15] Ainsworth, II: 246 – 247.

[16] Ainsworth, II: 246 – 247.

عقيدتها عن كنيسته في المبادئ والممارسة"[17]. ومار شمعون لم يخفي مشاعره لأنسورث مما فعلته روما بكنيسته: " **البابا أرسل ناساً من روما، واخضعوا قسماً من كنيستنا. عقيدته حديثه، وعقيدتنا قديمة؛ نحن لا نغير قط طقوس عبادتنا، بل نحافظ عليها ونتقيد بها، وما نقل لنا من قبل الرسل وآباءنا؛ وعليه عليك أن تعلم باننا لا نغير قط معتقدنا ولا طقوسنا"**[18]. فما كان من أنسورث إلا أن طمئن مخاوف مار شمعون، وأعلن له الأهداف التي تسعى بريطانية لبلوغها من إقامة علاقة ثنائية مع كنيسته، وشعبه، والتي تضمنت النقاط التالية:

- إن بريطانيا تسعى للمساعدة في تعليم الأطفال
- المساعدة في طبع الكتب الكنسية
- إحياء التراث الكنسي الأصيل والحضارة التي صنعها أتباع الكنيسة الشرقية.
- إن الكنيسة الإنكليزية ليس في نيتها التدخل في أشكال العبادة ومراسيم الطقوس العريقة للكنيسة وإن مسعى الكنيسة الإنكليزية لا يهدف إلى تعزيز قوة ونفوذ كنيسة واحدة وإنما لتوحيد الكنائس العالمية.
- وان الكنيسة الإنكليزية لا تريد الآشوريين أن يتركوا طقوسهم ويعتمدون الإنكليزية.

كما وأكد المبعوث الإنكليزي للبطريرك بأنه ليس في نية الكنيسة الإنكليزية إخضاع كنيسته، وإنها تتمسك بتعاليم الإنجيل. وليست مثل جماعة **"Congregational"** الأمريكية التي هي من نتاج التمرد. وأضاف:

---

[17] Ainsworth, II: 247.

[18] Ainsworth, II: 247.

"نحن جئنا إلى هنا من اجل المساعدة، وليس بـذر الشقاق والانقسـام .. وان اللكنيستين الإنكليزية والشرقية قريبتان في عقيدتهما الدينية. (وكان البطريـرك مندهشاً جداً من هذا الكلام لأنه كان يحمل انطباعات عن المبشـرين الأمريكـان .. الذين ليس لهـم طقسـهم الخـاص بـهم، ولا شـكل مـن أشـكال الصـلاة ولا يعترفون بالكنائس الرسولية)".[19]

♦ **الإنكليز ومسمار جحا:**

مما يذكره أنسورث فان البطريرك تفهم تطميناته لمخاوفه الـتي عـبر عنها بسبب هذه العروض الفجائية. والتي بكل تـأكيد كـان البطريـرك محقـاً بإبداء شكوكه فيها لكونها جاءت من جانب لا يغرفـه ولم يسـبق وان تعـامل معه. غير ان البطريرك عبر عن عدم ممانعته من تقديم المسـاعدات المعروضـة، ولكن في حقل التعليم إذا كانت غير مشروطة. ولكن الأمر الغريب الذي يرسـم علامات استفهام كبيرة هو أن أنسورث المبعوث البريطاني الرسمي الذي جـاء عارضاً للمساعدة طلب من البطريرك أن يقدم طلباً للحصول عليها. ولكنـه لم يبين الغاية من وراء طلبه هذا. وبدون شك فان هذا عزز شكوك البطريرك.

ومما يعترف به أنسورث، فانه مـارس شـخصياً وكذلـك السـيد رسـام ضغوطاً على البطريرك من أجل الحصول على كتاب موقع من قبله وعليه ختمه الذي فيه "**يطلب من إنكلترا المساعدة**". وبلغـة السياسـة، فـان هـذه المنـاورة، كانت لتمكين إنكلترا من الحصول على "وثيقة رسمية" من الآشوريين للإدعـاء مستقبلاً بأنهم كانوا المبادرين بطلب المساعدة منذ تلك الحقبـة المبكـرة. وليسـوا هم الذين قصدوهم أولا، وعرضوا عليهم تقديمها ثانيا. وما من شك بـان الدافـع لهذا كان سـعي الإنكلـيز بكـل جـهدهم، لإيجـاد موضـع قـدم لهـم في المنطقـة

---

[19] Ainsworth, II: 248.

مستخدمين القبائل الآشورية المستقلة، كجسر يساعدهم لإيجاد ذلك الموضع. رد البطريرك، كما يخبرنا أنسورث، اتسم بالحذر والماطلة: "سوف أدخل في مراسلات مع كنيستك. ولكن يجب أن يكون مفهوما وبشكل واضح بأننا لا نقبل معتقداً جديداً كما فعل بعض الكلدان الآخرين .. نحن بجهل تام عن كنيستكم"[20] قال ذلك البطريرك لأنسورث.

إلا أن أنسورث جدد مرة أخرى طلبه من مار شمعون لكي يكتب الطلب المنوه عنه. ولكن مار شمعون لم يستجب، وبعد إلحاح وضغوط شارك فيها رسام وعد أن يفعل ذلك. ورغم ذلك فان أنسورث يخبرنا بان البطريرك لم يفي بوعده. مما أضطره للطلب من رسام أن يذكره في اليوم التالي. وحين فعل ذلك تسائل البطريرك: " **أنا لا أعلم بالضبط ماذا أكتب! أنت تعرف مشاعري ورأي. أنا ممتن ومتلهف لصداقة أساقفتكم، وأتمنى أن تكتب بالنيابة عني ما تعتقده ملائماً ومناسباً**"[21].

ولما كانت غاية الإنكليز الحصول على **(وثيقة رسمية)** صادرة عن البطريرك نفسه وليس غيره. لذا لا غرابة أن نجد أنسورث يطلب من رسام عدم القيام بالكتابة نيابة عن البطريرك. وبناء على امتثال رسام للأمر والضغط الذي استخدمه مع البطريرك فإن رسالة تضمنت طلب إرسال قس كُتِبَتْ وأرسلت بعد فترة إلى الموصل.[22]

ويظهر بان البطريرك كان لا يشعر بالراحة والحماس لعرض الإنكليز لإقامة علاقة بينهما. إذ يقول أنسورث: "خلال النقاشات التي كانت تدور

---

[20] Ainsworth, II: 250.

[21] Ainsworth, II: 252.

[22] Ainsworth, II: 252.

بيننا، فان البطريرك ترك المجلس واجتمع مع أخيه للاستشارة، ورغم قصر مدتها فانه من المحتمل إنها كانت تتعلق بمشاعر الأكراد، وموقفهم من تشكيل تحالف بين الطرفين .. هذا التحالف الذي لم يكن يهدف إلى التدخل في الشؤون السياسية، الداخلية للمنطقة"[23]

ثانيا ـ البعثة الإنكليزية الثانية: Dr. George Badger, 1843

ما من شك بان مرحلة التبشير الغربي تمثل واحدة من الصفحات السوداء في التاريخ. حيث مثلت قيام الغرب المتحضر بالنفاذ إلى الحلقات الفقيرة، والمضطهدة في دول العالم الثالث، مستغلة بؤسها والمظالم المسلطة عليها والأنكى من ذلك استغلال نقطة الضعف عندها، المتمثلة بتمسكها الشديد بالدين. لذا فان التحرك الغربي الذي تزامن مع فترات ظهور الاستعمار تقنع بأقنعة الدين التي كانت تتناسب والسذاجة والعفوية التي كان عليها المسيحيون من رعايا الدولة العثمانية. وكانت المهمة تحمل عوامل نجاحها بسبب التخلف السياسي والعجز عن قراءة النوايا الحقيقية، لهؤلاء الذين هبطوا فجأة بينهم وهم يلبسون كسوة المسيحية ويحملون بيد الصليب وبالأخرى الإنجيل. فجعلوا البعض من هؤلاء المسيحيين يراودهم الأمل بالخلاص من معاناتهم مصدقين وعود وادعاءات هؤلاء المبشرين. إلا أن

---

[23] Ainsworth, II: 252 – 253. هنا لابد من ملاحظة كون المبعوث الإنكليزي يتحدث ولأول مرة عن قيام "**تحالف**" بين الطرفين وعلاقة ذلك بالقضايا السياسية المحلية. على عكس كل ما ذكره لحد ألان من أن غاية بريطانيا من إقامة علاقات واتصالات مع الآشوريين محددة في المجال الديني — الكنسي فقط، الأمر الذي يجعلنا نعتقد بان المفاوضات في جانب هام منها كانت تتناول القضايا السياسية، والوعود البريطانية المشجعة للبطريرك بدعمه ومساعدته للصمود أمام الضغط المسلط عليه من الأكراد والأتراك.

المسيحيين في آسيا العثمانية كان لهم تجربة مريرة ومدمرة مع هؤلاء المبشرين. فوعودهم كانت سراباً وحل محل الخلاص الموعود النكبات التي تعرضوا لها والتي كان واحداً من أسبابها حضور [الكفار] الغربيين الطامعين بأرض [المؤمنين]. وهكذا أضافت النشاطات التبشيرية فصلاً مأسوياً آخر في حياة أتباع الكنيسة الشرقية والسريانية. فمن ناحية تزامن حضورهم مع المذابح والاضطهادات. أما من الناحية الثانية فإن حصاد عملهم كان تدمير كيانهم القومي في جميع مناطق تواجدهم في الشرق الأوسط من خلال تقسيمهم إلى كيانات مختلفة في عموم منطقة الشرق الأوسط وفي غيره من المناطق.[24]

وبريطانيا لم تكن استثناء عن هذه القاعدة. فلقد نسقت بين جهودها الدبلوماسية والتبشرية، جاعلة من المؤسسة التبشيرية وبحكم قدرتها على التغلغل السلس، وتضليل البسطاء، وإقامة العلاقات مع العناصر التي أظهرت الاستعداد العفوي للتعامل معها، إما لجهلها، أو لمنفعة مادية زائلة.

وكما قلنا في موضع آخر فان بريطانيا كانت متخلفة في هذا المضمار عن فرنسا. ولكنها منذ أن أعتمدت التبشير كوسيلة لبلوغ غايات سياسية في سنة 1840 فإنها خصصت لهذه الغاية خيرة عناصرها المدربة والمجربة والقادرة على إنجاز المهمة. ولهذا الغاية وبقدر تعلق الأمر بالشعب الآشوري

---

[24] أحد المبشرين وهو يتحدث عن أمجاد الكنيسة الشرقية في حقل التبشير برسالة السيد المسيح يقول: " ولكن ألان عوض أن يكون هم الكنيسة التي تقوم بالتبشير، فان النساطرة اصبحوا هم أنفسهم موضع التبشير بينهم من قبل البعثات التبشيرية الأخرى ... " انظر : (Rev. J. Heinrichsm Modern Nestorians of Persia. Missionary Review, 1908. Vol. 21, 757

فان بريطانيا كان لها رجال المهمات الخاصة الذين يمهدون الطريق للتغلغل السياسي كما كان الحال مع بعثة أنسورث ـ رسام المشار إليها.

والبعثة الثانية كانت برئاسة **George Badger** في شتاء سنة 1843. في حين كان لها مطران مقيم في القسطنطينية هو **Horatio Southgate** الذي كان يتابع مهمة النشاط التبشيري ويقوم بجولات ميدانية لهذه الغاية. هؤلاء وغيرهم، كان نشاطهم يتم تحت إشراف وزارة الخارجية البريطانية وحسب توجيهاتها في كثير من الحالات.

ومهمة بادجر كانت ذات أبعاد سياسية مؤثرة على واقع ومستقبل الشعب الآشوري. إذ أعقبتها مباشرة المذابح الشهيرة المرعبة التي قام بها التحالف الكردي والتي قامت الدوائر الإعلامية البريطانية ذاتها باتهام المبشر بادجر، بأنه كان ورائها. كما أورد مراسل جريدة لندنية أثناء نقله لأخبار المذبحة، وذكرها بادجر نفسه. وان المراسل المذكور اتهم إضافة إلى المبشرين الإنكليز، كلاً من البعثتين التبشيريتين الأمريكية، والكاثوليكية في المنطقة[25]. سلفه الدكتور وليام أنسورث يعترف بالدمار الذي ألحقه المبشرون الغربيون بالشعب الآشوري. إذ يظهر بأنه كان مقدراً عواقب بعثته، ونشاطات بقية المبشرين في المنطقة. وما ترتب عليها من نتائج مدمرة على هؤلاء المسيحيين الذين هبط الحماس الديني على جيش المبشرين للعمل التبشيري بينهم. فكتب عن عواقب ذلك بالنسبة إلى الآشوريين قائلاً:

" هذا الاهتمام المفاجئ والعلني النشيط الذي أظهرته الدول الغربية تجاه القبائل، التي لوحدها استطاعت لحد الآن، المحافظة على استقلالها، ووجودها بسبب انعزالها وبعدها. وحضور المبشرين الغربيين جلب انتباه

---

[25] Badger, I: 189.

المسلمين إليهم، ونظروا لما يجري بينهم بجدية، لخطورته على بلادهم، باعتبار أن ما كان يحصل هو خطوة أولى للسيطرة عليهم. وما لم تقدم المساعدة لهم وبشكل سريع، ومن خلال تدخل الدول الصديقة لتركية في القسطنطينية. فانه لمن القسوة أن يترك هؤلاء القوم الذين جلب إليهم انتباه القوى المحيطة بهم، وتم أيقاظ عوامل الحقد ضدهم، أن يتركوا من دون مساعدة. .. وان كلمة واحدة من سفيرنا في القسطنطينية ستؤثر في الموقف."[26]

ما يشير إليه انسورث عَجَلَتْ في حدوثه زيارة جورج بادجر لتياري في شتاء سنة 1843 التي قام بها رغم الثلوج وانسداد الطرق آنذاك. إذ بعدها ببضعة أشهر حصلت المذبحة الشاملة في تموز 1843 . فهذه الزيارة وما رافقها من أحداث كانت وراء تصعيد الموقف الكردي المتشبع بالشكوك من التحركات الإنكليزية ـ الغربية وسط القبائل المستقلة. علماً بان المبعوثين الإنكليز لم يكونوا أشخاصاً عاديين وإنما أوفدوا بالتنسيق مع المسؤولين الحكوميين.

وللتعرف على الأبعاد السياسية لبعثة بادجر نشير إلى أن وزير الخارجية البريطاني في 24 آذار سنة 1842 بعث بتعليمات إلى سفيره في العاصمة التركية، يخبره بان الاختيار قد وقع على إرسال المبشر **George Percy Badger** للذهاب إلى الموصل. ويطلب من السفير أن يقدم له التعليمات والتحذيرات المطلوبة لمهمته. ولم ينسى أن يخبره بان يحذر نائب القنصل في الموصل السيد كرستين رسام من مغبة التورط في القضايا التبشيرية[27]، أي أن يبقى بعيداً عن مهمة بادجر المشار إليه. وبالنظر للآمال

[26] Ainsworth, II: 255.

[27] F.O. 78/2698 London, 24 March 1842. From Aberdeen to Sir Stratford Canning, Constantinople.

المعقودة على رحلة جورج بادجر هـذه، فـان اهتمـام الحكومـة البريطانيـة لم يتوقف عن رسالة الوزير المشار إليها. ففي 4 نيسان سنة 1842 أرسلت وزارة الخارجية البريطانية رسالة أخرى إلى السفير في القسطنطينية تتضمن المذكـرة التي تشمل التعاليم المعطاة لبادجر لتنفيذها.[28]

وحين وصل بادجر القسـطنطينية يعـترف بأنـه كـان موضـع رعايـة واهتمام السفير هناك وكذلك الدبلوماسيون البريطانيون في المنطقة. وانه عقد مع السفير عدة اجتماعات[29]. والسفير البريطاني الذي بعدها بعدة أشهر رفـع إلى حكومته تقريراً عن بداية المذبحة كان مصدره الأول لتلك المعلومات المبشر بادجر الذي على ما يبدو بان مراسلاته كانت معه وليس مع مرجعـه رئيـس أساقفة كانتربري.[30]

والإنكليز كما ظهر من مراسلاتهم الدبلوماسية كانوا يعرفـون بخطـة المذبحة قبل وقوعها بسنتين. ويبـدوا انـهم كـانوا تواقـين لإخضـاع القبـائل المستقلة. إذ نجد السفير وغيره يعلنون نبأ قيام المذبحة قبل فـترة طويلـة مـن حصولها معتمدين على ما كان يصلهم من معلومات عن هجمات نـورالله بـك والتي كان منها حرق دار مار شمعـون في سـنة 1841. ففـي إحـدى رسـائله المرفوعة لوزير الخارجية البريطاني بتاريخ 27 كانون الثاني سنة 1842 يخبر

---

[28] F.O. 78/2698 London, 4 April 1842. From Aberdeen to Sir Stratford Canning, Constantinople.

[29] Badger, I:11 - 13

[30] F.O. 78/2698. Costantinople, 17 August 1843. From Canning to Aberdeen

السفير وزير خارجية بلاده بان القبائل الآشورية قد تم إخضاعها والقضاء على استقلالها[31].

3 ـ إلقاء بادجر مع مار شمعون في آشيثا، وقصة الطربوش.

رغم أننا بصدد الحديث عن العلاقة الآشورية ـ الإنكليزية، إلا أننا سنتطرق إلى مسألة ملتهبة تخص العلاقات الآشورية _ الكردية، لارتباطها بزيارة المبشر بادجر، ولنتائجها الضارة على العلاقات بين الجانبين المتجاورين. ففي شهر شباط وصل بادجر إلى آشيثا ـ كما قلنا ـ بأمل اللقاء مع مار شمعون. ومن توقيت الرحلة والقيام بها في ذلك الوقت تظهر مدى

---

[31] في رسالته هذه يقول السفير: "الأخبار المستلمة من الموصل تفيد بان القبائل النسطورية المستقلة في كردستان قد تم إخضاعها من قبل زعيم كردي مجاور لها بالتعاون مع الباشا التركي في (فان) ومن دون أدنى شك بموافقة الحكومة التركية. وإنكم تعلمون بان البطريرك لحد الآن هو الرئيس الروحي والمدني لشعبه وهم مستقلين استقلالا كاملا بكل ما تعنيه الكلمة. ..." انظر: .F.O. 78/2698) Constantinople, 27 January 1842. From Sir Stratford Canning to Earl Of Aberdeen). وحسب ما تتضمنه الوثاق البريطانية من معلومات فان خبر هذه الحادثة التي لم تكن صحيحة كما أفاد السفير، كانت اعتمادا على تقرير كان قد بعثه المطران المبشر الإنكليزي Horatio Southgate والذي حمل ذات التاريخ. ومن المناسب أن نشير إلى بعض الفقرات التي وردت في تقرير هذا المبشر لما تلقيه من الضوء على الصراع الذي كان قائماً بين الإنكليز والفرنسيين. إذ يقول: " ... حتى الآن بقى وطن النساطرة مفتوحاً للأصدقاء فقط. الآن سوف يكون مفتوحاً لأعدائهم أيضا. .. وفي حالة ضمه لسلطة الأتراك فان أية رحالة أوربي يرغب بالذهاب والإقامة هناك يستطيع أن يفعل ذلك. وبعضهم يعتقد بأنه إذا حصل فانه سيكون شيئاً حسناً إلا إنني أعتقد عكس ذلك. .. الكاثوليك منذ زمن بعيد يتطلعون إلى الجبال، إلى الكنيسة النسطورية التي تحافظ على وجودها بعين يقظة. لأن الموت ينتظرهم إذا ما حاولوا الدخول إليه. أما إذا فسح المجال فانهم سيرسلون رسلهم كما فعلوا مع الكلدان فيما بين النهرين، ويستعملون معهم التهديد والوعيد والخديعة إذا ما سمح لهم بذلك. .. آمل أن أسمع قريباً شيئاً ما من الحكومة فيما يخص السريان. وإنني سوف أنشغل بأمور أخرى تخص القضايا الدينية " أنظر:) Constantinople, 27 January 1842. Memorandum from Horatio Southgate. F.O. 78/2698).

الأهمية التي كان يعقدونها على هذا اللقاء. فبعد أن وصل البطريرك إلى آشيثا، التأم المجلس الذي حضره إضافة إلى البطريرك، و بادجر، مائة من الشخصيات البارزة في تياري: من ملوك، ورؤساء، وكهنة. لندع بادجر يروي ما حصل:

بدأ مار شمعون الحديث بالإشارة إلى تسلمه رسالة من محمد إنجة بيرقدار والي الموصل، يشكو فيها من قيام تعاون بين بعض أبناء تياري، وزعيم أكراد برورْ (زينل بك) الذي يعتبره باشا الموصل متمرداً، وخارجاً على القانون، والذي أصبح في هذه الأثناء يتمتع بحماية بدرخان بك. وإن زينل بك هذا قام بعدة أعمال، مناهضة للحكومة التركية، في مناطق تقع خارج سلطة ونفوذ بدرخان بك. ثم خاطب البطريرك مار شمعون الحضور قائلاً:

" أيها الأصدقاء والإخوان: إنني جئت إلى هنا بمهمة عمل ترتبط مع الحكومة، وتتعلق بشؤون باشا الموصل محمد إنجة بيرقدار. المسألة متروكة لكم لتقرروا ما إذا كنتم ستستجيبون لمقترحاتي فوراً. أم إنكم ستجبرنني على المكوث هنا أربعين يوماً."

جواب الحاضرين كان : ' انحناءة الرأس ومائة صوت يردد: جئتم على عيننا ورأسنا' قالوا ذلك معبرين عن صدق ولائهم له. فأجابهم البطريرك:

" كلماتكم تجعلني أميل للاعتقاد بأنكم أتباعي المخلصين المطيعين. ولما لا تكونون كذلك؟ القرى الأخرى تتهمني بأنني أميل لكم وانتم تعرفون هذا".

جواب الحضور كان صرخات من جميع الجهات: ' نحن خدمكم، نحن رعيتكم '. هنا وضع البطريرك مار شمعون النقاط على الحروف من خلال

إعلانه بصراحة وبشكل علني عن رأيه بما كان يجري على الساحة السياسية، لاسيما فيما يخص علاقة بعض أبناء تياري مع الأكراد. إذ وجه كلامه للحضور قائلاً:

" ورغم ذلك فإنني على خشية من أن بعضاً منكم ليس مخلصاً لي - حتى في آشيثا هناك البعض الذين يعملون ما يروق لهم ويتبعون الرئيس الذي يعجبهم ولا يعترفون بغيره زعيماً لهم - أخبروني: رعايا من أنتم؟ هل أنتم تحت حكم نورالله بك الحكاري*. أم محمد باشا والي الموصل؟**. أم بدرخان بك زعيم الجزيرة.***. أو زينل بك " ****.

---

* وهو زعيم القسم الكردي من حكاري وكان في حالة عداء مع القبائل الآشورية وانظم إلى الأتراك معلناً خضوعه لهم ومتنازلاً عن استقلال الإمارة المشتركة ما بين الآشوريين والأكراد. وكان قد قام قبل سنة بمهاجمة قوجانس وحرق المقر البطريركي.

** يعتبر من أبرز الأتراك الذين ساهموا في القضاء على المراكز المستقلة التي كانت ضمن خطة الأتراك القضاء عليها. اصبح واليا للموصل خلال الفترة المحصورة بين 1835 – 1844. واشتهر بجرائمه وقسوته على أبناء ولاية الموصل. وخلال فترة زيارة بادجر لآشيثا كانت منطقة برور تابعة له وتخضع لسيطرته رسميا. إلا أن قواته كانت تعسكر في العمادية وكانت مراكز القوى الكردية في حالة مقاومة باسلة لخططه لفرض السيطرة التركية على هذه الأقاليم وكانت إمارة بهدينان التي كان يترأسها إسماعيل باشا من بين ضحاياه حيث قضى عليها بقوة السلاح والمكائد.

*** بدرخان بك اصبح ذا نفوذ وسطوة في جميع المنطقة المحصورة من إيران وحتى ديار بكر خلال السنوات 1843 – 1847 واشتهر بقضائه بقسوة على القبائل الآشورية المستقلة خلال السنوات 1843 – 1846 والقسوة التي مارسها في طور عبدين ضد الآشوريين الأرثوذكس وطائفة اليزيدية التي فرض عليها الإسلام بحد السيف. وبسب النفوذ الواسع الذي بلغه والتنافس الذي برز بين الزعامات الكردية ضده وتصميم الأتراك والإنكليز على القضاء عليه فاه نهايته كانت في شهر تموز سنة 1747 في معركة حاسمة على ضفاف نهر سعرت.

**** وهو قائد قوات بدرخان بك خلال مذابح القبائل الآشورية المستقلة. أشتهر بقسوته وأساليب التعذيب التي استخدمها ضد أبناء تياري لاسيما آشيثا. وهو السبب في المذبحة المروعة الثانية التي حصلت في تشرين أول سنة 1843 في تياري بعد أن ثار من تبقى في تياري ضد ظلمه وحوصر لأيام عديدة في قلعة الدكتور المبشر كرانت التي كان قد بناها كمدرسة في آشيثا واستسلم بخدعة إلا انه

صرخات الحضور: ' نحن عبيدكم، رقابنا تحت أقدامكم. سنضحي بحياتنا من أجلكم.'

مار شمعون واصل كلامه:

" بعضكم أتفق مع زينل بك. هل فقدتم رشدكم، ولم تعودوا قادرين على رؤية عواقب مثل هذه الحماقة؟. زينل بك متمرد. ولقد أبلغني محمد باشا [والي الموصل] بان بعضكم يحرضونه على القيام بأعمال شريرة. اعلموا بان خطة الحكومة هي إرسال قوة عسكرية قوية ضده. وان التهمة المثبتة ضدكم ستبرر مواصلة خطته ومهاجمتكم. هل أنتم راغبون بان تروا الجنود الكفار بينكم حينما تقومون وبجهودكم بدعوتهم"؟

الحضور: ' لا سمح الله '. ثم واصل البطريرك حديثه:

" ألستم تعانون الآن ما فيه الكفاية من جهة أخرى؟ [إشارة إلى أمير حكاري]. هل تريدون أن تحل بكم المصائب التي لا مخرج منها؟. حالة السلم التي أنتم عليها الآن مع محمد إنجة بيرقدار والعلاقة الحسنة التي لكم مع الأكراد في برور والتي تسمح لكم بالتنقل بحرية. تقطعون الحطب لموسم الشتاء، تجمعون العلف لحيواناتكم، وماشيتكم. تتاجرون وتسافرون من دون خوف أو خشية أو التعرض للمضايقة. ولكن إذا صح كونكم تتعاونون وتنسقون مع زينل بك فإنني أقول لكم: إنكم ستخسرون كل هذه الامتيازات، وتضعون طوق العبودية في أعناقكم. هذا الطوق الذي لم تختبروه لحد الآن"

سادت فترة صمت. بعدها تابع مار شمعون كلامه لملوك و وجهاء تياري:

أرسل من يخبر بدرخان بك بما حصل فارسل الأخير 26.000 مقاتل مع أوامر بعدم إبقاء أي إنسان حي.

" أيها الأصدقاء، والاخوة: إذا كنتم راغبين في إثبات إخلاصكم لباشا الموصل، ولي. فإنني سأنصحكم بما يتوجب عمله: عليكم تجميع قوة عسكرية قوامها 300 مقاتل، من القرية، وتتوجهون لمقاتلة زينل بك. اطردوا أتباعه [من منطقة برور] وإذا كان بالإمكان اعتقلوه حيّا، أو ميتاً. معلوماتي الخاصة انه لا يملك عدداً كبيراً من الأتباع. وإن قضيتكم وشجاعتكم هما أفضل مما لديه. وإذا نفذتم هذا، فإنكم ستزيلون أسباب شكوى محمد إنجة بيرقدار، باشا الموصل وسيقتنع بإخلاصكم."[32]

وما أن انتهى مار شمعون وتوقف قليلا حتى جاء من يعلن: ' بأن كرديان مسلحان شوهدا وهما ينحدران من جبل سرسبيدو باتجاه آشيثا '[33].

" راقبوهم، وتأكدوا من عدم وجود غيرهم يتبعهم " قال مار شمعون للمعنيين". وبعد فترة قصيرة وصل 'شيخان' كرديان بمعية أحد الكهنة الذي أرسل لمرافقتهم من إحدى القرى القريبة من منطقتهم.

القس ركع على ركبته واحدة وقبل يد البطريرك. الكرديان انحنيا عند مدخل الباب ثم وضعا رسالة أمام البطريرك بكل احترام. مار شمعون وقف وأخذ الرسالة بيده، كتعبير احترام لمعرفته بأنها مرسلة من نورالله بك ثم جلس في موضعه.

ماذا كان فحوى رسالة نورالله بك لمار شمعون؟. حسب ما يقول المبشر بادجر، فان زعيم أكراد حكاري طلب من مار شمعون أن يختار موقعا

---

[32] Badger, I: 245 – 244. فعلا قام أبناء تياري بتنفيذ ما طلب منهم مار شمعون وطردوا زينل بك من إقليم برور. إلا أن عملهم هذا لم يجلب بأي حال من الأحوال رضا باشا الموصل الذي استغل هذا الحادث فيما بعد للكيد بهم وتحريض الأكراد ضدهم في محاولة منه لتأجيج الصراع لكي يقضي أحدهما على الآخر. انظر: 266.

[33] Laurie, 285.

ما بين قرية ' جمبا ' و ' جولمرك ' لكي يجتمعا ويسويا خلافاتهما، ويرسيان أسس التعاون والصداقة بينهما. وحين سمع الشماس اسحق، شقيق البطريرك فحوى الرسالة، أنفجر في موجة غضب و هياج. "**ماذا؟ 'أستفسر الشماس أسحق'!. أرسل يطلب توطيد صداقته معنا نحن الذين هجرنا وجعلنا نهيم على وجوهنا في الجبال خلال السنوات التسعة الماضية؟** .. أليس نورالله بك الشخص الذي ظلمنا إضافة إلى الظلم الذي كان واقعا علينا؟. أليس هو الذي مرغ شرفنا في أعين شعبنا" ؟

الحضور رددوا: كلا كلا، ثم واصل كلامه:

" أليس نورالله بك هو الذي حرق بيت آبائنا وأجدادنا، وجعلنا مشردين في وطننا؟. **كلا، الأرض لا تعود لنا أو له. ولكن لهؤلاء " ممسكا بطربوش (فيز – Fez _ قبعة) بادجر التركية**، التي كان يرتديها المبشر الإنكليزي.

طربوش، **أو قبعة جورج بادجر التركية**، أصبحت قضية سياسية ملتهبة. فما قاله أسحق، شقيق البطريرك مار شمعون، وهو ممسك بها، أصبح قضية تتعلق بالأرض. فالأكراد فسروا قول الشماس أسحق :بان **"الأرض" تعود لهؤلاء وإنه عنى بذلك عائديتها للإنكليز.** (المبشر بادجر على أي حال يقول: بأن ما عناه أسحق، حين أمسك بيده بالطربوش التركي، كان يقصد عائديتها للأتراك، في إشارة منه إلى أنه مبعوث تركي قادم في مهمة رسمية).

ثم خلص الشماس أسحق إلى القول:'إن طلب نورالله بك المصالحة يهدف من ورائها تخدير يقظة أبناء القبائل للدفاع عن أنفسهم. إذ سيعود

بعد عدة أشهر إلى ممارسة لعبته القديمة لاستعبادنا'!. 'نعمل سلام معـه؟ لا أبدا، إلا بحد الخناجر'

كلمات أسحق، شقيق البطريرك كـانت تعبيرا عـن تفجـر مـا كـان بداخله من ألم مما أصابه العائلة البطريركية، مـن ظلـم واضطـهاد وتشـريد، وعكست عمق الجراح، التي كما ظهر من فورته، بأنها كانت لا تزال تنزف. إلا أن كلماته تلقاها مبعوثا نورالله بك بدهشة. في حين كان الحضور في لهفـة لسماع رأي زعيمهم الذي قال بكل هدوء:

" بالرغم من صحـة وصـواب مـا قالـه شـقيقي، إذ نحـن لم نعـامل بالحسنى من قبل نورالله بك. وعليه فإننا لا نتوقع أن نضع الكثير من الثقـة في عرضه. ورغم ذلك فإننا دعاة سلام، نسـعى لصداقـة الجميـع ". وبعـد أن أمر البطريرك بالقيـام بواجـب الضيافـة المطلـوب للمبعوثـين الكرديـين. عقـد اجتماع مـع رؤسـاء تيـاري وبحضـور بـادجر، للنظـر والتشـاور في أمـر الـرد المناسب أعطاه لنور الله بك، على عرضه هـذا. وحـين تم اسـتدعاء المبعوثـان لإعطائهم الجواب، لتبليغه لزعيمهم. فان ما قاله البطريرك مار شمعـون هـو خلاصة على ما يبدو لما أتفق عليـه في هـذا المجلـس الموسـع. فقـد قـال مـار شمعون للشيخان الكرديان:

" في المقام الأول قدموا أحر تحياتي الشخصية لسيدكم. أخـبره بـأنني أبادلـه جميع التمنيات والنوايا الحسنة التي عبر عنها تجاهي. وإنني مـن السـاعين إلى الصداقة والسلام، وإنني مؤمن من صميـم قلـبي، بوجـوب سـيادة أفضـل أشكال التفاهم بيننا. ولكن لتحديد مكان لعقد اللقـاء المشـترك بيننـا، فـإنني أرجو أن يقبل الأمير اعتذاري. الثلوج تغطي الجبال؛ والطـرق شـبه مقطوعـة تقريبا، وكما لاحظتم: فان المسافة من جولرك، إلى هنا، أخذت منكم مسيرة

سبعة أيام متتالية. وعليه فانه من الصعوبة بمكان بالنسبة لي، أن أقوم بـهذه المهمة في الوقت الحاضر. أضف إلى هذا، فان فترة الصوم عندنا قد قربت، وقبل انتهاء الصوم فإنني لا أستطيع تأمل القيام بأي شي. (ثم أشار إلى جورج بادجر) قائلا: ضيفي هذا قدم من منطقة بعيدة لرؤيتي، وسيكون من غير اللائق بالنسبة لي أن أتركه لبعض الوقت "[34]

- **دق الإسفين بين الآشوريين والأكراد**

ما حصل في آشيثا في شباط سنة 1843 كان إضافة خطيرة للحالة المتوترة التي كانت قائمة بين الآشوريين والأكراد في ظل الأجواء السياسية الملتهبة في المنطقة. فالأكراد فسروا ما قاله شقيق البطريرك بأنه موقف آشوري بموجبه يريد أبناء القبائل وقيادتهم، إعطاء البلاد للإنكليز (الكفار- مسيحيين). و وجود بادجر في آشيثا وفي اجتماع هام شمل معظم القيادات الآشورية في تلك الظروف المناخية حيث الثلوج كانت قد سدت الطرق عزز شكوكهم.[35] وكانت ذكرى زيارة سلفه أنسورث لا تزال موضع الحديث والتخمين والتهويل بين الأوساط الكردية. وعليه فان ما حصل في آشيثا كان بكل تأكيد سكب الزيت على النار في التحرك الإنكليزي هذا.

---

[34] Badger, I: 245 – 247.

[35] يحدثنا مبشر منافس ومعاصر لرحلة جورج بادجر من المتواجدين في المنطقة وقت رحلته هذه عن المشاق والصعوبات والأخطار التي واجهته فيها قائلا: "السيد بادجر هرع إلى آشيثا في منتصف شباط؛ سائرا على أقدامه حين عجزت بغاله عن السير أبعد في الطريق الوعر المغلق. تزحلق وهو من قمة الجبل قبل الوصول إلى آشيثا على سطح الجليد. كل هذا فعله من أجل أن يقابل مار شمعون!" أنظر: (Laurie, 284). ويقول بادجر بان الأكراد كان لهم شكوكهم من التحركات التي كان يقوم بها الأوربيون في المناطق الجبلية لاسيما في وطن النساطرة ويعتقدون بان الأوربيون هم الذين يسيرون السياسة التركية التي حكومتها خاضعة لهم. 1: 189.

ومن دون شك فإن مهمة جورج بادجر، ودوره عمق شقة الخلافات بين الطرفين الآشوري، والكردي التي لم تكن قائمة على ذات الحدة التي وصلتها بعد زيارة كل من أنسورث و بادجر. منافسو الإنكليز في المنطقة، يعزون سبب ما حل بالآشوريين من نكبات ومذابح، إلى المبعوث الإنكليزي (جورج بادجر)**. فالمبشرون الأمريكان يشيرون إلى: أن مبعوثا نورالله بك، زعيم أكراد حكاري وصلا إلى آشيثا وجورج باجر كان يتوسط المجلس الحاشد. هذا الأمر كان له انعكاساته السلبية على نظرة الأكراد لهذه التحركات المريبة. فالمناخ السياسي آنذاك لم يكن يساعد على تلك الزيارة وانه لم يكن مرغوبا بها. أضف إلى هذا فان المبشرين الأمريكان يؤكدون بان النفوذ السياسي للمبشر بادجر خلال زيارته هذه، لم يخدم الآشوريين بأي شكل من الأشكال. ويتهمونه بأنه كان وراء رفض مار شمعون لعرض نورالله بك للمصالحة. وان أكراد حكاري والجزيرة يعتقدون بان نصيحة بادجر للبطريرك لمار شمعون كانت وراء قراره. وحول هذه القضية كتب الدكتور كرانت ما يلي:

" كانت حادثة مؤسفة تلك التي خاطب شقيق البطريرك المبعوثين الكرديين، مشيرا إلى السيد بادجر بقوله لهما: ' هي بالضبط كما يقول هؤلاء الرجال – البلاد هو ملكهم، وليس ملكنا ' ولقد أدى ذلك إلى إيقاظ الغيرة من

** برأينا واستنادا إلى الدراسات التي قمنا بها حول الموضوع فان المبعوث الإنكليزي جورج بادجر كان جزء من جهد عام وشامل للقضاء على استقلال القبائل المستقلة ضمن الخطة الشاملة لإعادة سلطة السلطان والحكومة التركية على الأقاليم المستقلة العديدة المنتشرة في بلاد ما بين النهرين. لم يكن بأي حال من الأحول العنصر الوحيد وراء نكبة الشعب الآشوري. والذين كالوا له الاتهامات بصواب لم يكونوا بعيدين عن الخطة الكبرى التي هدفت إلى النتائج التي حلت بعد نكبة بدرخان بك.

الأجانب. ولي أسبابي التي أنا مقتنع بها بأنها فعلت ذلك. وإن الجهود التي بذلها السيد بادجر كان يجب أن تكون لمصلحة السلام. والأكراد فهموا المسألة على خلاف ذلك"[36]

وبالنسبة إلى المبشرين الأمريكان فان رأي أكراد حكاري و جزيرة (بوتان) يذهب إلى الاعتقاد بان رفض العرض جاء بناء على نصيحة من جورج بادجر. ففي سنة 1844 التقى مبشران أمريكيان وهما Dr. Smith, Mr. Laurie, بأحد الشيخين الكرديين المشار إليهما، من حملة رسالة نورالله بك الشهيرة، في قرية بالقرب من جولمرك، واستفسرا منه عن ما حدث.؟ فنقلا عنه قوله: "أراكما مختلفان جدا عن بقية الإنكليز! لأنكما راغبان في المحافظة على السلام مع الجميع. ولكن حين أوصلت الرسالة إلى مار شمعون في آشيثا، بحضور السيد بادجر، وما أن تمت ترجمة محتوياتها له، حتى أوصى البطريرك بأن لا يسعى لصداقة الأكراد. بل عليه أن يقدم طلب المساعدة التي يريدها من إنكلترا التي قال بأنه قادر على توفيرها، وضمان الحماية الكاملة لهم. وهكذا فان مار شمعون لم يصغي إلى الأمير"[37]

وعلى ما يبدو فان هذا الموضوع كان واحدا من الأمور التي بحثت في المجلس الحربي الذي أنعقد في مقر بدرخان بك في جزيرة أبن عمر للتحضير للهجوم على القبائل الآشورية الذي كان قد حضره وساهم فيه إضافة لكل الزعامات الكردية في تركية وإيران، كل من المبشر الدكتور كرانت الأمريكي،

---

[36] Laurie, 285.

[37] Laurie, 285 – 286.

وقائمقام الموصل، مساعد الوالي محمد إنجة بيرقدار. فقط ذكر الدكتور كرانت "زيارة السيد جورج بادجر كانت مصدر المصائب لذلك السبب. .. وانه كان سبب الحرب التي حصلت رغم صعوبة إثبات ذلك"[38].

بادجر بعد أن انتهى من زيارته لآشيثا، عاد إلى الموصل. وبتاريخ 30 نيسان سنة 1843 كتب تقريرا عن رحلته لرؤسائه ذكر فيه: " خلال فترة مكوثي في آشيثا، عقدت لقاءين مطولين مع البطريرك .. سره فحوى الرسالتين المرسلتين إليه من رئيس الأساقفة، والمطران الإنكليكاني في أورشليم. ولكنه عبر عن دهشته بأنه لحد الآن لم يسمع إلا القليل عنا .." أما عن ردود فعل البطريرك لما كان يقوله بادجر فانه يعترف: " لاحظت مرات عديدة بان ما كنت أقوله له لم يكن يلقى الثقة المطلوبة في تقبله من قبل البطريرك .."

- **الوعود البريطانية. ماذا حل بها؟**

ماذا حل بالوعود التي قطعها الدكتور وليم أنسورث والتي جاء من أجلها المبشر القس جورج بادجر؟. يقول المعني بادجر:

مقترحنا لفتح المدارس رحب به مار شمعون الذي وعد بفتح عشرة في القرى الكبيرة. إلا أن البطريرك جلب انتباه المبشر بادجر إلى مسالة هامة حين سأله: **ما هي فائدة فتح هذه المدارس في ظل الحالة السياسية القائمة؟**. فإذا لم يصار إلى عمل شئ ما من أجل النساطرة من الناحية السياسية، فإن تأسيس المدارس في ظل الاضطرابات القائمة، وحالة فقدان الاستقرار التي تسود الجبال، سيكون أمرا مشكوك في فائدته كثيرا. ووضح البطريرك بعض المسائل الجوهرية الملتهبة والمرتبطة بواقعهم ومصيرهم. بادجر

[38] Laurie, 256.

يوضح مخاوف مار شمعون تلك قائلا: "نورالله بك زعيم أكراد حكاري قد سلب منهم استقلالهم. وإذا لم تقدم المساعدة المطلوبة لهم وفي الوقت المناسب فانه من المتوقع أن نراهم في القريب العاجل وقد تم إخضاعهم من قبل البرابرة الأكراد الخارجين على القانون"[39]

الوعود البريطانية الكثيرة لمساعدة القبائل المستقلة، وفتح المدارس وما رافقها من ضغوط لقبولها أثبتت عدم مصداقيتها حين حان وقت اختبار جديتها. فحين باشر البطريرك بفتح مدرستين من ضمن عشرة تم الاتفاق عليها، فإنه أرسل إلى بادجر الذي كان يقيم في الموصل يطلب منه تنفيذ وعوده بتغطية نفقات المدرستين من أجور المعلمين، وتزويد الكتب والمستلزمات الضرورية. ولقد كانت مجموع المبالغ التي طالب بها البطريرك لكلا المدرستين (120 باون إنكليزي). غير أن طلب البطريرك هذا تسبب في ردود فعل عنيفة عند بادجر حال استلامه. وبلغ به الانفعال حد كيل الاتهامات لجميع الآشوريين كبارا وصغارا. فلقد كتب إلى رؤسائه ما يلي:

"أنا آسف لأقول بان الجبليين [الآشوريين] من أعلى مراتبهم إلى أصغرها يبدون من محبي الهدايا.. إذ أن الهدايا التي أخذتها معي للبطريرك، قد نالت استحسانه، وكذلك كان الحال مع كل من قدمت لهم الهدايا مثل: أخيه، قاشا اوراها من آشيثا.. ولكن منذ عودتي [من تياري] فإنني استلمت طلبا مكتوبا من البطريرك يطلب مني إرسال مبلغ (120 باون)، كمصرف للمدارس وهو عذر، له غايات أخرى."

وفي تقريره آخر لرؤسائه ذكر: "في أعقاب الرسالة التي استلمتها من مار شمعون والتي أخبرني فيها 'بأنه قد قام فعلا بفتح مدرستين حسب

---

[39] Badger, I: 248.

الوعد والاتفاق، وانه يأمل قريبا فتح ثمانيــة أخـرى'. وإنـني أرسـلت القس مندو* لكي يبلغ قداسته بأنــه يفضـل بـان يتـم دفـع أجـور القسـان المكلفـين بالتعليم من قبله. وإنني لست في وضع بموجبه أستطيع أن أودع بمعييته مثل هذا المبلغ الكبير، حتى بعد تأسيس المـدارس. ولكـن حـال أن يتـم فتحـها، فإنني سأذهب بنفسي للتأكد منها. أو أرسل السيد **Fletcher** * لدفـع أجـور المعلمين لثلاثة أشهر... وفي الوقت الحالي فإنني وافقت علـى أن ادفـع مبلغـا ضئيلا لسد مصرف المدارس ... ولكن هناك موضـوع مرتبـط مـع مسـألة فتـح المدارس التي جلبت انتباهكم إليها: .. فإذا قمنا بفتحها فيجب أن نوفر لها الكتب وما يتطلبــه الأشـراف عليـها[40]. لان النسـاطرة ليـس لديـهم كتـب .. والقيام بمثل هذا العمل لا يمكن مواصلته مــن دون دعـم وإلا سـيتكون هنـاك نتائج مؤثرة وجدية لفشلنا... وإن المبـالغ الـتي خصصـت لمسـاعدة النسـاطرة

---

* القس مندو كان أحد قسان الكنيسة الشرقية المشهورين في المنطقة ومركزه مدينة العمادية. أشـار إليه كل الغربيين الذين زاروا المنطقة مثل أنسورث، بادجر، لايارد وغيرهم. ولقد اقتبس عنه الكثير فيما يخص القضايا التاريخية وشؤون الكنيسة الشرقية والحملة التبشيرية الكاثوليكية. انظر بـادجر، 1: 200. انسورث عند حديثه عنه يقول: "رغم ان القس مندو واتباعه خاضعين لمطران برور الـذي مقره دوري، إلا ان الكاثوليك قد اتفقوا مع الأتراك على ان تؤول واردات الكنيســة الشـرقية في العمادية إليهم. لأن دفعها لمطران برور فيه خطورة. ويخضع لنفس المعاملة أتباع الكنيسة الشـرقية في منطقة نروه وريكان. Ainsworth, II: 198 – 199.

* J. Fletcher, نسب كمساعد لبعثته بادجر. إلا انه قام بتهميش دوره وعدم الإشارة إليه خـلال فترة مكوثه في المنطقة. ولقد قام الرحل بتأليف مجلدين قيمين عن رحلتــه همـا: Notes From Nineveh,

40 يقول بادجر بانه ردا على استفساره من العس اوراها عن حالة التخلف الثقافي والعلمي بين أبناء القبائل فاجابه: "ماذا يمكن أن تتوقع؟ الناس للمساكين بالنادر رأوا شيئا غير السماء من الأعلى والأرض من الأسفل." 1: 219.

لفتح المدارس وغيرها لا تتجاوز مبلغ 500 باون من دون أن يكون هناك وعد بتقديم المساعدة سنويا"[41]

مما تقدم يظهر بان الوعود التي قدمها بريطانيا عبر مبعوثيها، والتي أوفد بادجر لتنفيذها لم تكن جدية إن لم نقل بأنها لم تكن صادقة بأي شكل من الأشكال. و بادجر قدم الدليل على ذلك كما ورد على لسانه. فيظهر بان وعد المساعدة طبل له كثيرا من دون أن يكون هناك مبالغ مخصصة لتنفيذ أبسطها. فحين صدق مار شمعون هذه الوعود وطالب بإرسال مبلغ بسيط هو 120 باون، نجد المبعوث الإنكليزي يخرج عن طوره ويقوم بكيل الاتهامات لكل أبناء القبائل المستقلة متهما إياهم بأنهم يحبون الهدايا، لأنهم استحسنوا تلك التي قدمها لهم حين زارهم. وكأنهم كانوا قد طلبوا منه جلب هدايا لهم! حين عزم على زيارتهم في ذلك الشتاء العاصف. هذا على صعيد تنفيذ الوعود. أما الموقف الرسمي البريطاني فان بادجر يلقي بنفسه الضوء على هشاشته ومدى عدم مطابقة الأقوال مع الأفعال. حيث يخبرنا بان كامل المبلغ الذي اعتمدته بريطانيا في عرضها لتقديم المساعدة للقبائل الآشورية المستقلة كان (500) باون فقط ومن هذا المبلغ أعطيه للقبائل المستقلة منه فعلا بضعة عشرات لا غير. وهذا المبلغ الرمزي جلب على القبائل اتهامات التحالف السياسي الذي ظل أعداء الشعب الآشوري يرددونها إلى اليوم.**

---

[41] Badger, I: 249 –250.

** الاتصالات البريطانية مع أبناء القبائل المستقلة دفع الآشوريون ثمنها دماء غزيرة. فاستغلت وضخمت محليا ودوليا. وتحولت بضعة باونات قدمتها بريطانيا إلى مؤامرة كبرى ضد الإسلام وانهم كانوا متحالفين مع الغرب على إحكام سيطرته على المسلمين. وان هذا كان وراء التصلب في المواقف الآشورية كما زعم الدكتور عبد العزيز نوار في كتابه (تاريخ العراق الحديث) القسم الأول

الفصل السابع

الحالة السياسية قبل مذبحة 1843

أولاً ـ الأتراك وفرض السيطرة المركزية

سنة 1831 كانت منعطفاً حاسماً في تاريخ بلاد ما بين النهرين. فمنذ تلك السنة ولمدة عقدين من الزمان، شَهَدتْ هذه البلاد وأقاليمها الآشورية المختلفة، حروباً مدمرة، طالت بنتائجها أبناء الشعب الآشوري قاطبة. إضافة إلى ما أصاب بقية العناصر القومية والدينية من جرائها. ففي صيف 1831 باشر السلطان العثماني **محمود الثاني**[1] (1808 – 1839)، خطته لاستعادة الأقاليم الآسيوية التي كان أسلافه السلاطين العظام سليم الأول (1512 – 1520) وسليمان القانوني (1520 – 1566) قد ألحقوها بممتلكات الإمبراطورية العثمانية. تلك الأقاليم التي كان انشغال وغياب الأتراك في أوربا قرابة ثلاثة قرون قد تسبب في نشوء وقيام نزعة استقلالية فيها[2]. هذه المراكز

---

[1] لقد شهد في عهده خسارة وفقدان للممتلكات العثمانية في أوربا وأفريقيا. ووقع الكثير من المعاهدات المذلة التي كانت نتيجة لهزائم عسكرية متواصلة لاسيما مع روسيا القيصرية. Oslan, The Siege of Mosul, 288.

[2] سليمان فائق بك، تاريخ بغداد أو مرآة الزوراء، عربه عن التركية موسى كاظم نورس، 10 – 12 31 :1، (عبد العزيز نوار،W. Vucinich, Record and Legacy, 52. Oslan, 5. M.E.Yapp, The Making of the Modern Near East. London, 1987. 174. Niebuhr, Travels Through Arabia, II.: 257). (, Moshe Ma'oz, Ottoman Reform in Syria 1840 – 1860, 31. David & Joan Oates, The Rise of Civilization. Oxford, 1976. ويذكرا بأن بلاد ما بين النهرين خلال الفترة (1704 – 1831) كانت مستقلة تماما. ص. 27.

ساوث كيت يقول بان السلطان محمد الثاني عزم على إخضاع أقاليم ماردين، طور عبدين، الجزيرة، زاخو، وغيرها للسيطرة المباشرة والقضاء على المراكز الكردية والعربية. (Southgate, Visit, 170.

كانت عائدة لمختلف العناصر القومية والدينية من عرب وأكراد ويزيدية وغيرهم*.

وحين استهل السلطان محمود خطته لإعادة غزو الأقاليم الآسيوية، فان الدولة العثمانية كانت في أوج انحطاطها، وضعفها[3]. وكان عليها مواجهة مراكز قوية جداً، ليس في قدرتها منازلتها بأي شكل من الأشكال. ورغم ذلك فإن الحملة استهلت، ووصلت إلى نتائجها التي توخاها الأتراك. ورب سائل يسأل كيف تمكنوا من تحقيق ذلك؟. للإجابة على هذا التساؤل نقول، بأن جملة عوامل عملت بصورة مشتركة وخدمت الأتراك في مسعاهم لإعادة فرض سيطرتهم على الأقاليم المستقلة من عربية وكردية وآشورية ويزيدية وغيرها الكثير.

J. C. McCoan, Our New Protectorate: Turkey in Asia. London, Vol. II: 1879. 116 - 117

* من بين المراكز المستقلة وشبه المستقلة التي عزم الأتراك على إخضاعها في بلاد ما بين النهرين كانت:

1- للمماليك في بغداد 2 – أسرة آل عبد الجليل في باشوية الموصل 3 – المراكز اليزيدية في سنجار والجزيرة ومنطقة الشيخان 4 – القبائل العربية الكبيرة 5 – المراكز الكردية المتعددة والتي أهمها:

- إمارة بابان
- إمارة الصوران – راوندوز
- - بهدينان – العمادية
- - بوتان – جزيرة ابن عمر
- - القسم الكردي في حكاري
- خان محمود، زعيم أكراد 'فان' وبقية المراكز في أعالي ما بين النهرين وكانت كثيرة العدد

6 – التجمعات الآشورية الأرثوذكسية في طور عبدين 7 – القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري

[3] Longrigg (75 : 1) و (عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث 265. ,Moshe Ma'oz, Ottoman Reforms, 45. Niebuhr, I: 167, 234. و 84 – 82 ، سليمان فائق بك

ثانيا ـ العوامل التي ساعدت الأتراك على فرض سيطرتهم

عاملات جوهريان ساعدا الأتراك على فرض سيطرتهم على الأعداد الكبيرة من المراكز المستقلة التي كانت على درجة عالية من القوة وهما:

1 - حالة فقدان التعايش القومي والديني

إن الحالة التي كانت قائمة بين العناصر الغير تركية، التي عزم الأتراك على إخضاعها، كانت تحكمها ظاهرة غياب التعايش، والقناعة بضرورة العيش المشترك جنبا إلى جنب، على أرض واحدة كما تفرضه الضرورة على كل المجموعات البشرية المختلفة التي تتقاسم أرض مشتركة. فلقد كانت العلاقات القائمة بينها قبل، وبعد بدء الحملة التركية، حالة صراع دموي قاس ، جعلها في وضع لا يمكن أن يجمعها أي قاسم مشترك. ولقد صدق أحد المستشرقين حين شبه هذه العناصر بسكان عمارة كبيرة، لا يلتقون إلا في المصعد[4]. ولكن حتى عند التقاء هذه العناصر فانه كان متسما بالقسوة والمآسي. فالعداء المستحكم كان من أبرز مظاهر العلاقة بينها ومن دون استثناء. فمماليك بغداد خلال الفترة المحصورة بين (1747 - 1831) كانوا في حالة حرب مستمرة مع الأكراد البابانيين[5]، المدعومين بقوة من قبل إيران[6]. وكانوا بذات الوقت، وبالتحالف مع الأكراد الصورانيين، يقومون

---

[4] Sir Harry Luke, The Old Turkey and the New, 8. Cutts, 80. .12 :2 ،نوار

[5] نيبور، 61. و الشيخ رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء، عربه عن التركية موسى كاظم نورس، بيروت ... .135

[6] عن الدعم المستمر واللامحدود الذي كانت تقدمه إيران للبابانيين وعن ولاء البابان لإيران، أنظر: عباس العزاوي المحامي، العراق بين إحتلالين، 6: بغداد 1954. 171و 5: بغداد 1953 . 279. الشيخ رسول الكركوكي، يقول بان " بابان مركز فارسي متقدم في الأراضي العراقية ... وإن

بحملات إبادة سنوية، ضد الوجود اليزيدي الكثيف المنتشر ما بين كركـوك، وسنجار، والجزيرة. في حين كـانت التجمعات الآشـورية في سـهول آشـور، وبلاد ما بين النهرين العليا، عرضة هي الأخرى لحمـلات المماليك والأكـراد على حد سواء. ولو كان الأمر محصورا علـى الصراع، والعـداء بـين العنـاصر المختلفة عرقيا، ودينيا، فإن الحالة كان يمكن أن تتمخض هن نتائج مغـايرة لما حققه الأتراك. فحين عزم السلطان على فرض سيطرته،كانت الحالـة قـد وصلت إلى درجة مشجعة للسـلطان لتنفيـذ مـا عـزم عليـه. فـالصف الوطـني والقومي والديني كان ممزقا، وكانت الصراعات، وأعمال العداء قـد تجـاوزت تلك القائمة على خطوط عرقية، ودينية، لتطال أبناء العنصر العرقي والديـني الواحد. فالقبائل العربية كانت في حالة حرب مستمرة بعضها مع البعض، لا بل كانت الحرب قائمة داخل عشيرة واحدة، كما كان الحال مع عشيرة شمر أثناء زعامـة شيخها **صفوق**[7]. وكذلـك كـان حـال المراكـز الكرديـة العديـدة. فالحروب كانت قائمة وبشكل مستمر بين الصوران والبابـان، وبـين الصـوران والبهدينان... . وكانت العلاقات العامة بـين المراكـز المختلفـة تسـودها حالـة العداء والصراع على الأرض والهيمنة على المقدرات.

وحين استهل السلطان العثماني حملة فرض سيطرته وسلطته، كـان حليفه وسلاحه الأقوى متمثلا في الحالة المشار إليها بين هـذه العنـاصر الـتي كان السلطان قد عزم على إخضاعها[8]. هذه المراكز، وبسبب ما كان قد تراكم

ارتباطها بإيران كان كارتبـاط الحبـل بـالوريد " ص 94 – 95 ، 116 – 117، 149 - 152 ص178 ، 234 . سليمان فائق بـك، ص 14، 30 – 34، 43 –48. Rich, I: 111 - 112, 271. 321 – 322. Longrigg, Four Centuries, 159 , 287

[7] عبد العزيز نوار،1: 75.

[8] عبد العزيز نوار، 1: 21.

تراكم بينها من عداء مستحكم، كانت تمثل احتياطا هـائلا للأتـراك. إذ كـان كل عنصر منها مستعد لتقديم الدعم والمساعدات اللامحـدودة للأتـراك ضـد خصمه من أبناء العنصر الآخر، أو ضد بني جنسه في أحيان كثـيرة، لتصفيـة حسـابات قديمـة[9]. أو لتحقيـق طموحـات شخصية مبنيـة علـى حسـابات خاطئة[10]. ومنذ البداية استخدم الأتراك إلى أقصي حد هذا العامل في تحركهم. فلقد عوضوا عن ضعفهم باستعانتهم بقبيلـة شمـر العربيـة حـين عزمـوا علـى إخضاع مماليك بغداد.[11] واسـتعانوا بزعيـم راونـدوز محمـد بـك للقضـاء علـى المراكز الكردية، واليزيدية القوية واحدا بعد الآخـر. كمـا اسـتعانوا بـالأكراد أيضا للقضاء على إمارة الصوران.

والأتراك من دون شك مدينون لمحمد باشا الراوندوزي، أمـير أكـراد (الصـوران) لـدوره في تحطيـم قـوة ونفـوذ إمـارة بابـان. وبـهدينان، ومراكـز اليزيدية في الشيخان وسـنجار والجزيـرة. كمـا كـان دوره في اقـتراف المذابـح الجماعية ضد التجمعات الآشورية وتدميره لمئات القرى والمدن العامرة أثره في تحطيم الهيكل الاقتصادي للسـكان. فخـلال الفـترة المحصـورة بـين 1831 - 1835 نجح في تحطيم كيان العديد من المراكز المستقلة الـتي كـان الأتـراك قـد عزموا على إخضاعها.[12] ولقد كوفئ على إخضاعه العماديـة ويزيديـة سـنجار

[9] A. Safrastian, The Kurds and Kurdistan, 47.

[10] Rich, I: 101. Laurie, 103.

[11] Longrigg, Four. 270 – 274.

[12] محمد باشا الراوندوزي المعروف باسم مير كور هيمن على الحياة العامة في بلاد آشور لمدة تزيـد على العشرة سنوات. كتب عه المبشر لوري توماس المعاصر: عرف عنه تعصبه الديني، واعتاد قلـع عيون معارضيه، وإن أياديه ملطخة بدماء المسيحيين ، وسلب ممتلكات الكنائس والأديرة سـواء في أذربيجان أو ما بين النهرين أو العمادية والجزيرة. اليزيدية قتلوا بدون رحمة. الكثير من المسـيحيين لا زالوا أسرى العبودية عنده. وخلال جميع هجماته سلب الناس من كل شئ، ووضع السيف في أعناق

من قبل والي بغداد (علي رضا باشا) بمنحه لقب (الباشوية) تكريما لخدماته. وهو الذي أرعب البدرخانيين وجعلهم يهيمون في الجبال أمام جبروته وسطوته.

في حين أدت حركات باشا راوندوز إلى خلخلة كيان باشوية الموصل برئاسة آل عبد الجليل، الذين فقدوا كامل السيطرة على جميع توابع باشويتهم خارج مدينة الموصل. وأدت حركاته ومذابحه إلى شل اقتصادها مما أدى إلى إضعاف سلطتها التي ازدهرت ولاية الموصل تحت حكمها لمدة قرن ونصف من الزمان تقريبا[13]. وكانت النتيجة وقوعها في قبضة الحكم التركي[14]. واستلم محمد إنجه بيرق دار الحكم فيها سنة 1835[15].

من لم يرضى عنهم. انظر: (Laurie, Dr. Grant, 221). أما عن صعوده قمة السلطة والسيطرة، فلقد كان دمويا مرعبا. فمنذ استلامه الحكم، قتل أقرب المقربين اليه، جهز حملة على أثنين من أعمامه فقتلهما. جهز حملات الإبادة ضد معارضيه من جيرانه الأكراد. ومن بين من فتك بهم، زعيم قبيلة الخوشناو المجاورة لراوندوز. وشكل جيشا قوامه 50.000 مقاتل نصفهم نظاميين، يدفع رواتبهم بانتظام. وبلغت قوته حد قيامه بالتصنيع العسكري، لصنع البنادق والمدافع في راوندوز، مستخدما المعادن المتوفرة في منطقة برادوست. (أنظر: علي سيدي الكوراني، من عمان إلى العمادية، 122، 130 – 131) عن قوته وجيشه أنظر: (J. B. Fraser, Travels in Kurdistan, Mesopotamia, 64 – 67.) Also, Abdul Rabman Ghassemlou, Kurdistan, 39.). وقام بإنزال الدمار والخراب بالبلاد المشار إليها. الأكراد كما نوهنا كانوا أول ضحاياه وفي مقدمتهم إمارة بابان التي كانت تمثل أقوى المراكز الكردية قبل سطوع نجمه، وهيمنته العسكرية على المنطقة من دون منازع. فلقد كال لها الضربات الموجعة وانتزع الأقاليم التي كانت قد احتلتها خلال الفترة المحصورة بين غزو نادر شاه لآشور سنة 1743 وبين استلامه رئاسة الإمارة الصورانية. فأخضع الشيروان، برادوست، سورجي. ثم أقصى البابانيين من حرير، واخذ منهم أربيل، موصلا حدوده الجنوبية إلى الزاب الأسفل انظر (Longrigg, Four, 285.) ; وعن المعارك الطاحنة التي دارت بينه وبين البابان انظر: عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث، 1: 101 . علي سيدي الكوراني، من عمان إلى العمادية، 130 – 131 .

13 بدأ حكم عائلة آل عبد الجليل في الموصل سنة 1727 (انظر العزاوي 5: 221) ويقول Robert Oslan بان الحاج حسين الجليلي الشهير بنجاحه في مقاومة غزو نادر شاه بان تعينه

1 ـ الدعم الغربي للحملة التركية:

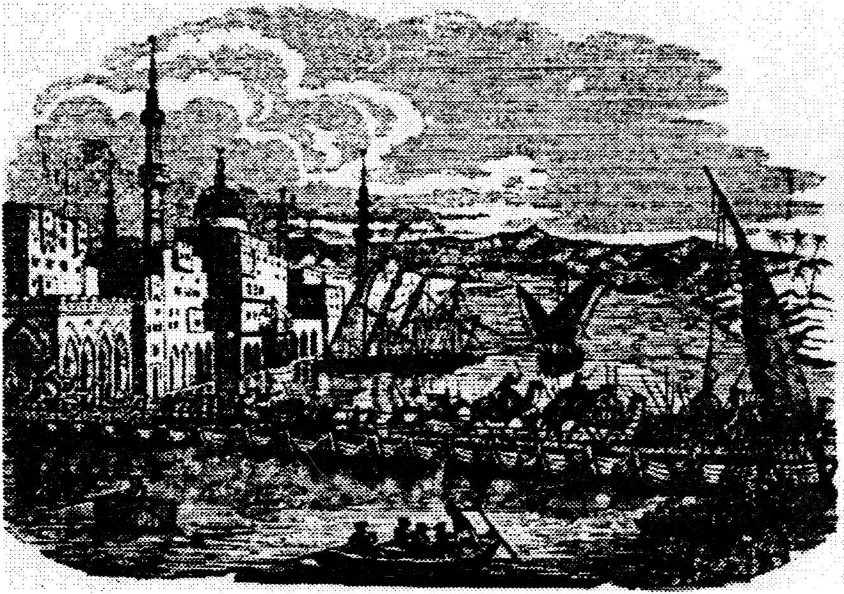
رغم أهمية العامل الأول الذي أشرنا إليه في الخطة العثمانية، فان الأتراك العثمانيين لم يكن بمقدورهم وقابليتهم الذاتية إنجاز ما أنجزوه والسيطرة على المراكز المستقلة لولا الدعم المباشر، والفعال الذي قدمته الدول الغربية بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص.

فالدول الغربية العظمى كانت معنية بمصير المنطقة التي كانت تعج بنماذج عديدة كتلك التي مثلها (محمد علي باشا المصري) والذي كلفها

لمنصب الباشوية تم في سنة 1730 (Robert Oslan, The Siege of Mosul, 159 – 160), أما المعتمد السياسي الإنكليزي الذي أقام في الموصل خلال 1820 / 1821 فإنه يقول: " ذهبت لزيارة كنيسة مار يوحنان [هرمزد] وهي كنيسة (مار شمعون ساوا) على اسم البطريرك الشهيد الذي قتله شابور. لم أجد فيها شيئا مثيرا للاهتمام سوى مقبرة آل عبد الجليل عندما كانوا كلدان (Rich, II:120). المنشئ البغدادي الذي مكث هو الأخر في الموصل في سنة 1820 يذكر عن رحلته " إن ولاية الموصل جيدة الهواء والماء ... وأكثر أهلها نصارى. بعض فرقهم يعاقبة وكلدان وسريان ونساطرة وكاثوليك" (رحلة المنشئ البغدادي عربها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي بغداد 1848 79. بطرس نصري الكلداني عند حديثه بمناسبة وفاة رئيس البعثة التبشيرية الكاثوليكية فرنسيس طورياني في الموصل سنة 1737، يقول: " ... ودفن في مقبرة آل عبد الجليل في بيعة [كنيسة] شمعون الصفا : (ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، 2: 357.) وعن حالة رخاء أبناء ولاية الموصل تحت حكم الجليليين أنظر: نيبور، رحلة نيبور ص 112 – 113. المؤرخ الموصلي العمري، يقول عن عائلة عبد الجليل بأنهم "عائلة متكاملة في كل شئ فبرزوا بسبب عدلهم وإنسانيتهم (محمد أمين العمري، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، 1حققه سعيد الديوه جي، الموصل 1967 . 142 – 149). أما Longrigg فيقول بان أصل العائلة مسيحي ونزحوا من ديار بكر وان حسين الجليلي استلم الحكم سنة 1830 وانتخب لثمانية مرات (Four, 158)

[14] Southgate, Tour ... II: 241.

[15] Ainsworth, II: 126. ويذكر بان الموصل بعد أن حكمتها عائلة من أصل مسيحي فان الصراعات الداخلية مهدت لمحمد إنجة بيرق دار لتسلم الحكم فيها والذي استهله بإعدام ومصادرة أموال الرعية ونزع أسلحتهم ونجح في مهمته. Southgate, Tour, II: 241



جسر الموصل سنة 1816

تحجيمه وتقليص قوته الكثير. فهذه الدول كانت طامعة بآسيا العثمانية[16]. غير أن خلافاتها كانت قد حالت دون القضاء النهائي على رجل أوربا المريض هذا كما وصفه قيصر روسيا. واصبح القضاء عليها أمرا مؤجلا لحين أن يتم الاتفاق على تقسيمها. بريطانيا تأتي في مقدمة هذه الدول التي كانت معنية بمصير الدولة العثمانية إلى جانب فرنسا. فكلا الدولتان أظهرتا على الدوام حرسهما على بقاء تركية، والحيلولة دون سقوطها. وعملية التدخل الأنكلو - فرنسي في أحداث محمد علي باشا المصري الذي كان قد أوشك على القضاء النهائي على الدولة العثمانية في سنة 1839 هي خير مثال على التزام هاتين الدولتين في حماية الدولة العثمانية[17]. فلقد أجبروه، وبقوة السلاح، على الانسحاب من سورية[18] وضمنوا سلامة الأتراك من خطره كما نصت معاهدة لندن لسنة 1840.[19]

وهذه الدول كانت مدركة لحالة الفوضى القائمة في المراكز العديدة، القوية، التي كان الأتراك ـ كما قلنا ـ قد عزموا على إخضاعها، والقضاء على استقلالها. المصلحة الغربية فيما عزم الأتراك عليه كانت واضحة وجليه. فالكثير من هذه المراكز كانت من القوة بحيث تشكل خطرا مباشرا لا يقل عن الخطر الذي شكله (محمد علي باشا المصري). ولما كانت هذه الدول معنية

---

[16] Miller, Ottoman, 1801 – 1920. 149.

[17] Ainsworth, II: 299 –301. M.E. Yapp, 71.(588 ،549 –546 (بروكلمان، تاريخ، .560). Fisher, 284.

[18] عن التدخل الانكلو – فرنسي في حوادث محمد علي باشا أنظر: دكتورة لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام القاهرة 1989. 48 – 52

[19] عن معاهدة لندن سنة 1840 الخاصة بتسوية مسألة محمد علي باشا وصراعه مع الحكومة العثمانية أنظر: لطيفة محمد سالم، 51.

باستعمار المنطقة التي تتواجد فيها هذه المراكز، فان مسألة القضاء عليها كانت تصب في المصلحة المباشرة لها. فلقد أدركت بأنه سيكون من الصعب التعامل معها مستقبلا لاسيما إذا ما توفر لبعضها قيادات مخلصة وناضجة. من هنا فان المصلحة البعيدة للدول الغربية كانت تكمن في السيطرة مستقبلا على هذه المراكز وهي خالية من بؤر الأزمات والاضطرابات. إن لم نقل أن لا تكون مرشحة لعمليات تصادم عسكرية ضد محاولات السيطرة عليها.

الوثائق الرسمية البريطانية للفترة التي نحن بصددها تشير بشكل واضح إلى الدعم اللامحدود الذي منحته الدول الغربية لاسيما بريطانيا وفرنسا للأتراك في حملتهم للقضاء على المراكز المستقلة، وإخضاعها لحكم السلطان، الذي كان في واقع الحال خاضعا لهم. وهذا الدعم أتخذ أشكالا متعددة: فلقد نسب مع القوات التركية المكلفة بالحملة، كبار المستشارين والعسكريين، لوضع الخطط العسكرية للقضاء على المراكز المستقلة، لاسيما الكردية منها. ومن بين القواد العسكريين، الضابط والمؤرخ الألماني (مولدكه)، كما أن الضباط الإنكليز كانوا في مقدمة من ساعد الصدر الأعظم السابق (محمد رشيد باشا) الشهير بحملاته الدموية ضد المراكز الكردية العديدة في شمال ما بين النهرين[20]. وطوال فترة الحروب التركية لم يخلوا

---

[20] A. Safrastian, The Kurd and Kurdistan. London, 1948. 50

ويذكر بأنه من ضمن المناطق التي تعرضت لهجماته في سنة 1936 كل من منطقة الجزيرة، جبل الجودي واحبر بدرخان على الالتجاء إلى الجبال. ويذكر أنسورث بان محمد رشيد باشا أثناء ما كان يقوم بحملته كان بمعيته اثنان من الضباط الإنكليز حين قام بمهاجمة ملاطية وحرقها، وعند تدمير السنجار وسبي القرى وذبح الرحال ونجح بإخضاع المراكز التي كانت تنتشر من سلسلة جبال طوروس وحتى سنجار (Ainsworth, II: 291 – 295. Longrigg, Four Centuries, 286)

وبذكر لونكرك بأنه بعد احتلاله لماردين فإنها فصلت عن للموصل وألحقت بديار بكر. وإنه حاصر واعتقل صفوق، زعيم قبيلة شمر، كبرى القبائل العربية في البلاد. وان الصدر الأعظم من هناك عبر

مركز من مراكز الباشويات من خبراء وضباط عسكريين بريطانيين يقدمون النصح والمشورة للمسؤولين الأتراك في حملة الإخضاع. أحد هؤلاء الضباط المرافقين لحملة محمد رشيد باشا المشار إليه خلال 1834 – 1838 كتب عن الدوافع البريطانية في مساندة الحملة التركية قائلا:

"إن إخضاع الأكراد لحكومة السلطان تعتبر قضية ذات أهمية قصوى، وهو حل ملائم، يعتمد عليه استمرار وبقاء الإمبراطورية العثمانية. ولو سمح... لهؤلاء المتوحشين المعادين لكل شكل من أشكال التحضر، فان أناضوليا، وكردستان، وباشوية بغداد، ستنفصل عن الأقسام الأوربية من تركية. الأكراد تمادوا كثيرا في تحويلهم أناضوليا، كردستان، إلى مجرد مراعي لقطعان ماشيتهم، بعد أن هجروا السكان الأصليين لهذه المناطق الغنية بإمكانياتها على إنتاج مختلف الحاصلات الزراعية. و.. "[21]

ثالثا ـ مراحل فرض السيطرة

حالة اللاتعايش، مع الدعم الغربي، ساعدا الأتراك العثمانيين خلال السنوات 1831 – 1847 في تنفيذ خطتهم بنجاح. حيث قضوا خلالها على

دحلة قاصد إخضاع محمد باشا الراوندوزي. أنظر عن الدعم البريطاني: د. لطيفة محمد سالم، 47. زكريا سليمان بيومي، قراءة حديثة في تاريخ العثمانيين، جدة. 1991. 161. ويذكر المؤرخ سليمان فائق بان الإنكليز أعطوا قروضا لعلي رضا باشا والي بغداد في سنة 1832 (ا لتمويل حملة فرض السيطرة). انظر: تاريخ بغداد، 34.

[21] **F.O. 195/112. Memorandum Regarding the Kurds.**.

ويذكر الضابط **Ralph Carr,** بان **Field Marshal Count Von Moltke** رافق محمد رشيد باشا في حملاته لإخضاع المراكز المستقلة، وكتب عن ذلك كتابا عنوانه: Condition of and Occurrence in Turkey. 168. أنسورث يشير إلى دور الضابط المذكور في الحملة إلا انه يقول بان الكتاب الذي كتبه كان بعنوان **"السلطان يعيد غزو ممتلكاته ثانية"** Ainsworth, II: 294, 299, 301

حكم المماليك في بغداد (1747 – 1831)، وحكم آل عبد الجليل (1727 – 1835) في الموصل واليزيدية (1834 – 1842) وإمارة بهدينان (1832 – 1842)، والقبائل السريانية الأرثوذكسية في طور عبدين (1834 – 1838)، وإمارة بابان التي حطم قوتها كما قلنا باشا راوندوز خلال السنوات (1831 – 1835) وجعلها تقع في قبضة الأتراك من دون مقاومة. أما إمارة الصوران التي ساهم زعيمها في تحطيم قوة المراكز المشار إليها، فان دوره للتصفية كان قد حان بعد فشله في إخضاع القبائل الآشورية المستقلة أواخر عام 1835، فتقرر إنهائه في السنة التالية. إذ زحف عليه الأتراك من كل الجهات، وكان حليفهم الأقوى الأكراد من ضحايا زعيم راوندوز هذا.[22] وهكذا بحلول سنة 1836 كان الأتراك قد نجحوا في تصفية العديد من المراكز المهمة التي كان آخرها إمارة الصوران[23] حيث أعتقل زعيمها وأرسل إلى القسطنطينية وقتل من قبل الأتراك بدس السم له في القهوة وهو في طريق عودته[24]. في حين تم التعامل فيما بعد مع القبائل الآشورية

---

[22] (Longrigg, Four, 288.)

ويعزو الكاتب الكردي الدكتور عبد الرحمن قاسملو سبب القضاء على أمير راوندوز إلى ما بلغ الأتراك من أنباء قيام اتصالات بينه وبين إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا المصري كانت تهدف إلى القضاء على الوجود التركي – العثماني في المنطقة وتحريرها. أنظر: (Ghassemlou, The Kurds, 39). Yapp, 105., 141 – 142.

[23] لقد أخضع محمد رشيد باشا الأقاليم الشمالية لبلاد ما بين النهرين وقضى على المراكز الكردية هناك بقسوة، لدرجة أن قصص حملته أصبحت مؤرخة في الأغاني الكردية. كما قضى أيضا على استقلال القبائل الآشورية الأرثوذكسية المتحصنة في سلسلة جبل طور عبدين. واخضع سنجار وتلعفر. وتميزت حملته بقدرته على استمالة رجال الدين المسلمين إلى جانبه إضافة إلى عدد من الزعماء الأكراد للقتال معه. أنظر: علي سيدي الكوراني من عمان إلى العمادية ص 133

[24] Longrigg, Four Centuries, 286.

رابعاً ـ باشا الموصل محمد إنجة بيرق دار وحملاته الدموية

ودعت ولاية الموصل عصرهـا الذهـبي تحـت حكـم آل عبـد الجليـل واختـبرت الظلـم والاضطـهادات مـع استلام محمـد إنجـة بـيرق دار لحكـم باشويتها سنة [25]1835. ويمثل حكم محمـد أنجـة بـيرق دار مـن أكـثر فـترات

---

[25] في 14 أيار سنة 1833 كتب عنه المقيم السياسي البريطاني في بغداد يقول: إنه شخصية تركيـة مميزة عن سائر الموظفين الأتراك وانه [المقيم] على علاقة ومعرفة جيدتان به وانه يأمل مـن تعيينـه كحاكم لكردستان النجاح في مهمته ويبني الثقة المطلوبة بينه وبين محمد بك الراونـدوزي ويعملـوا بصورة مشتركة لإخضاع كردستان وإقصاء جميع الزعماء الغير موالين للسلطان. وفي 3 تشرين الأول سنة 1833 كتب المقيم ذاته " بسبب عدم ملاءمته للمهمة وبسبب ظلمه وتعسفه تجـاه المواطنـين، ووجود احتمالات تصادمه مع محمد بك الراوندوزي فقد عزل عن منصبه. .. شخصيته العنيفة ولدت معارضة قوية من قبل محمد بك الراوندوزي وبقية الزعماء الأكراد. [انظر: F.. O. 195 / 113. Baghdad, 14 May, 24 July, and 03 October 1833]. في سنة 1835 نسـب لمنصب باشوية الموصل. في الموصل، المحاورة التي جرت بين أحد رجال الدين المسلمين وبين المبشر الإنكليزي J.Fletcher, في دير مار كيوركيس قال رجل الدين المسلم يصف بيرق دار: إنه رجـل عـادل " وجواباً على استغراب المبشر أضاف قائلاً: " إنه يظلم ويسرق اليهود والنصارى والإسـلام بصـورة عادلة وبدون تمييز " انظر: [Fletcher, Notes From Nineveh, II. p. 287]. عـالم الآثـار هنري لايارد لخص السياسة التركية كما كانت عليه الحالة في الموصل بثلاث كلمات: " اذهب، دمر، أكل" (أي خذ الرشوة) انظر: Popular Account of 13. وخلال فترة حكمـه (1835 – 1844) فان حكمه تميز بحملاته لإخضاع المراكز المستقلة وبذات الوقت في قبل وتدمير ونهب الولايـة التي يحكمها. وعن هذه الأمور كتب الكثير. كتب القنصل في الموصل يقول: إن الموصـل والقـرى المجاورة تعيش حالة تعاسة تحت حكم بيرق دار بسبب ظلمه المستمر وانه ذو شخصية مخادعة لا تدعو للاحترام.

وان الحملات التي يقوم بها على المناطق التابعة لحكمه غايتها النهب والسلب F. O. 195 / 228 [Mosul, 13 August 1843]. ولما كان قد كتب الكثير عن فترة حكمه وقسوتها: أنظر:

F.O. 195 / 175 Erzeroom, 21 September 1840 From Brant, to Viscount Ponsonby. Also, F.O. 78 / 2698. Erzeroom, 16 August 1841. From Brant to Palmerston. Badger, I: XII. Southgate, Visit, 166.

تاريخ ولاية الموصل ظلمة. ذلك الحكم الذي لم تكن قد اختبرت مثله منذ عهد تيمورلنك[26].

ومنذ أن تم إقصاء عائلة الجليلي، بدأت مدينة الموصل، والكثافة الآشورية في أقاليمها، وتلك التي كانت تابعة لإمارة بهدينان، بالانحطاط السريع في جميع المجالات بسبب ما قام به من حملات مذابح وسلب ونهب لقمة العيش من أفواه البؤساء الذين كانوا ضمن حدود سلطته. فحملاته المتكررة ضد جميع القوميات الغير تركية خلال فترة حكمه ما بين (1835 ـ 1844) أدت إلى هجر القرى العامرة بعد أن الحق بها الدمار والخراب أو نجح ابنائها في الهرب منها بعد أن كان قد أصدر أوامره بمنع مغادرة القرية إلا بأمر منه. فلقد أرعب المدينة وأقاليمها، وحطم اقتصادها المشهور بازدهاره. وكان سادياً في تعامله مع من كان قدرهم أن يحكمهم. فطوال فترة حكمه لم تخلو أبواب مدينة الموصل من منظر عرض آذان ورؤوس ضحاياه المقطوعة، لاسيما اليزيدية لكي يرهب أبناء المدينة وكل الذين كانوا تحت قبضته الحديدية. ولا يسع المجال لذكر أهوال حكمه وما أصاب أبناء الولاية من نكبات على يده[27].

---

[26] عن بيرق دار وقسوته ودماره أنظر:Badger, II: 75. Grant, 209. Ainsworth, II: 126-128 ـ من ضمن الاضطهادات التي سلطها على أبناء الموصل كما يقول الدكتور أنسورث هو " إصداره أوامره إلى الأهالي بأن لا يغادر أحدهم المدينة ذكراً كان أو أنثى إلا بعد الحصول على موافقته الشخصية. المطران سليمان الصائغ يقول: حند جيراً أهالي الموصل وساقهم للحرب ضد رسول بك حاكم العمادية، فهرب الزعيم الكردي أمامه. وفي طريق عودته أعدم أمراء الشيخان وفتك بهم عن أخرهم (تاريخ الموصل 1: 310 – 314). و .Longrigg, 282

[27] يقول الميحر جنرال ولسن بان محمد رشيد باشا لم يتمكن من إخضاع اليزيدية بشكل كامل. إلا إن بيرق دار أنجز المهمة في سنة 1838. حيث قاد حملة ضدهم كانت محصلتها "ملأ أكياس عديدة من آذان ضحاياه من اليزيدية التي قام بتعليقها على أبواب مدينة الموصل. .Wilson, Asia, 298. Badger, I: 133.

ومع بيرق دار بدأت مأساة القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري. إذ كان قد وضع نصب عينيه تنفيذ مشروع واسع يقع ضمن الخطة التركية لإعادة سيطرة الحكومة المركزية التركية على العديد من الأقاليم المستقلة المتبقية في المنطقة والتي كان في مقدمتها: إمارة بهدينان العمادية، وبوتان. أما هدفه الأكبر فكان إخضاع أبناء القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري الذين كان دائما يلقبهم ويشير إليهم بلقب "الكاور - أي الكافر".

وما أن وطد حكمه المرعب في الموصل حتى باشر في السنة التالية (1836) خطته لإحكام سيطرته على المراكز المنوه عنها، والتي كانت إمارة بهدينان المجاورة لوطن القبائل المستقلة، هدفه الأول، لكونها ضعيفة حيث كانت قد عانت كثيراً من حملات باشا راوندوز التي أنهكتها، وجعلتها غير قادرة على المقاومة. وفي هذه السنة بدأت الفترة الدموية من حكمه بالنسبة إلى التجمعات الآشورية في المنطقة أولا ومن ثمة في تياري وحكاري.

الفصل الثامن

الغيوم السوداء تتجمع حول القبائل الآشورية

أولاً – إخضاع العمادية وبداية مأساة القبائل المستقلة

بعد القضاء على إمارة الصوران، فان إمارة بهدينان ـ كما قلنا ـ كانت من أكثر الحلقات ضعفاً في سلسلة المراكز المرشحة لإخضاعها. ومنذ أن أصبحت السيطرة على إمارة بهدينان الهدف التركي الأول في المنطقة خلال (1836 – 1842). فإن هذه العملية كانت مقدمة لإخضاع وطن القبائل الآشورية. ولم تعد بلاد تياري وحكاري بمعزل عن الاهتمام التركي ـ الكردي المباشر. وهكذا أصبحت السيطرة على العمادية مرتبطة بالقضاء على القبائل الآشورية المستقلة. وبيرق دار، والي الموصل كان قبل مباشرة التحالف الكردي بقيادة بدرخان بك مذابحه المرعبة ضد القبائل في سنة 1843 يصرح باستمرار عن عزمه على سحق وإخضاع هؤلاء الكفار[1].

---

[1] في صيف سنة 1840 ذكر أنسورث بان بيرق دار كان عازماً على القيام بحملة لإخضاع الأكراد وسيقوم بذات الوقت بالقضاء على الكفار المكروهين في الجبال [النساطرة]. وفي يوم 10 أيار كان قاد قوة عسكرية اتجهت إلى العمادية. وانه كان يزمع مهاجمة القبائل بعد ذوبان الثلوج، مركزا بشكل خلص على تحطيم تياري. Ainsworth, II: 180 - 181. وحين عاد أنسورث من زيارته لوطن القبائل في صيف 1840 يقول: "ذهبنا إلى وطنهم وعدنا، والباشا التركي لا يزال منشغلاً في إقامة الترتيبات مع الزعماء الأكراد. وإن الضباط الأتراك كانوا يتحدثون بقناعة عن قرب الهجوم وإخضاع القبائل النسطورية المستقلة." 203. وحين التقى الدكتور كرانت مع بيرق دار في حمام العليل في أكتوبر سنة 1841

وطوال فترة المساعي المحمومة للأتراك للسيطرة إمارة بهدينان وإخضاعها فان جميع العمليات العسكرية والسياسية التي شهدتها المنطقة كانت موجهة ومرتبطة بشكل مباشر بالمشروع الكبير وهو إخضاع آشوريو تياري وحكاري. والسيطرة على العمادية كانت تمثل مدخلاً لهذه الخطة. فلقد مهدت التطورات التي رافقت حملة إقصاء زعيم بهدينان، إسماعيل باشا، الأجواء لتحقيق الغاية المشار إليها. إذ أن مضاعفات الحملة على العمادية، ولدت حالة اصطفاف جديدة في مراكز القوى، كانت ابرز نتائجها خروج الأكراد في صراعهم مع الأتراك على العمادية بموقف معادي للآشوريين، بدل أن يكون ضد مضطهديهم الأتراك الذين كانت حملاتهم موجهة ضدهم بالمقام الأول. وهذه الحملات التركية هي التي كانت وراء استدراج الآشوريين إلى حلبة الصراع رغماً عنهم. إذ في غمرة الصراع لتقرير مصير العمادية. فالمضاعفات التي أفرزتها كانت ذات نتائج سلبية، وبعيدة المدى على العلاقات الكردية ـ الآشورية، ومن دون أن يكون للآشوريين علاقة أو دخل فيها.

- **إسماعيل باشا يسترجع العمادية**

أبان انشغال الأتراك في إخضاع باشا راوندوز في صيف سنة 1836، نجح إسماعيل باشا في استعادة حكمه في قلعة العمادية. وبالنسبة إلى الأتراك وممثلهم بيرق دار، باشا الموصل، لم يظهروا اعتراضهم على ما حصل في وقتها. فهدفهم المركزي كان القضاء على أقوى المراكز الكردية القائمة آنذاك وهو إمارة الصوران،

وبصحبته القنصل البريطاني في الموصل فان بيرق دار أخبرهما: "إن حيشاً من الأتراك والأكراد **(من فان)** و **(جزيرة ابن عمر)**، و **(أكراد حكاري)** قد أخضعوا النساطرة، وحرقوا دار البطريرك. Laurie, 206

وزعيمها محمد باشا. وتركوا مسألة التعامل مع إسماعيل باشا البـهديناني إلى مـا بعد إنجاز هذه المهمة. وان التعامل معه كان بالنسبة إلى الأتـراك مسـألة وقـت لا غير[2].

◆ **الأتراك يحتلون العمادية وإسماعيل باشا يقاوم**

وحين أنجز الأتراك عملية القضاء على زعيم أكراد الصوران، فإنـهم حـاولوا إقصاء إسماعيل باشا من منصبه. إلا أنه قـاوم بصلابـة، وإصـرار. وبـذل الجـهود المضنية في سبيل عدم تمكينهم من تحقيق غاياتهم. غير أن هـذا الزعيـم الكـردي، كان يخوض معركة خاسرة بجميع الحسابات السياسية والعسكرية المحيطـة بـه. فالمد التركي آنذاك، كان قد بلغ أوجه. وأصبحت جميع المراكز المستقلة المتبقيـة، تشعر بقرب التعامل معها، وإنهائها من قبل الأتراك. هـذا مـن ناحيـة، أمـا مـن الناحية الأخـرى، فـان الجبهـة المعارضـة للأتـراك، كـانت هزيلـة ومفككـة، ولا يجمعها قاسم مشترك، رغم الخطـر الـتركي المـاثل ضـد الأكـراد وغـيرهم. ورغـم المقاومة المستميتة لإسماعيل باشا للمحافظة على منصبه، إلا أن بيرق دار نجـح في طرده واحتل العمادية في سنة 1838 [3].

باحتلال العمادية، مركز إمارة بهدينان، فإن الأتراك سـجلوا انتصـارين في وقت واحد: الأول إزاحة إسماعيل باشا البـهديناني، والقضـاء علـى أقـدم

---

[2] يغزو عبد العزيز نوار أخذ إسماعيل باشا للعمادية إلى انشغال الأتراك في حربهم مع باشـــا راونـــدوز إذ يقول: "تركوا إسماعيل باشا في منصبه في العمادية لكي يضمن هدوء الأحوال هناك. وبعد القضاء علـــى محمد باشا فان أنظار الأتراك اتجهت نحو القضاء على إمارة بهدينان .. وهكذا في سنة 1839 تم احتلالهـــا وطرد إسماعيل باشا منه (أنظر: تاريخ العراق الحديث،1: 110 — 111)

[3] علي سيدي الكوراني، 174. عبد العزيز نوار، 1: 110 — 111

مركز كردي في المنطقة، وإخضاعه لحكم السلطان. والثاني والأهم، أن السلطة السياسية والعسكرية للأتراك وصلت إلى الحدود الجنوبية لبلاد تياري حيث أصبح إقليم بَرور تحت حكم (**محمد إنجة بيرق دار**) المباشر، وتدعمه قوة عسكرية مخيمة هناك[4].

إسماعيل باشا شعوراً منه برياح التغيير التي كانت تعصف بالمنطقة، أدرك بكل وعي بأن اتجاهها هو لمصلحة الأتراك، وإن السيطرة التركية على المنطقة قادمة لا محالة. منطلقاً من هذه القناعة، قصد الموصل عارضاً خضوعه لبيرق دار، وولائه المطلق للسلطان، لقاء إبقائه في منصبه. رفض بيرق دار لهذا العرض جعل إسماعيل باشا يثير المشاكل والاضطرابات في عموم منطقة بهدينان. ويبدو بأنه نجح خلال فترة قصيرة بإقناع بيرق دار بإعادته إلى حكم العمادية، حاله حال بقية الحكام التابعين له في بَرور، وعقرة، وزاخو. إلا أن باشا الموصل التركي لم يدع إسماعيل باشا يعيش بهدوء وسلام. إذ نجد القنصل البريطاني في (أرضروم) يرفع تقريرا في 14 حزيران 1840 يذكر فيه بأن "باشا الموصل يحاول طرد باشا العمادية [إسماعيل باشا] من منصبه بقوة السلاح. إذ أن باشا الموصل طالبه بمبالغ مالية طائلة والتي أعلن باشا العمادية عدم قدرته على جمعها. وكرر بيرق دار الطلب ثانية منذرا إياه في آخرها: **إذا تخلّفتَ عن إرسال المبلغ فعليك الاستقالة من منصبك**" ويواصل القنصل: "رد باشا العمادية كان سلبياً إذ أعلن استعداده للمحافظة على مركزه بقوة السلاح. فقاد باشا الموصل قواته متجهاً إلى العمادية. في هذه

---

[4] Badger, I: 199, 211. Laurie, 298

الأثناء فُقِدَ الأمــن والاســتقرار في البــلاد بســبب المصادمــات. وانقطعــت الاتصالات، وعم السلب والنهب من قبل المجموعات الكردية المسـلحة الـتي عاثت فساداً في البلاد"[5]. ونجح فعلاً في طـرده منـها وجعلـه مشـرداً مـا بـين مقرات بدر خان بك، و نـورالله بـك الحكـاري وفـارس[6]. وحـين زار الدكتـور أنسورث العمادية في صيف 1840 ذكر وجـود السـلطة التركيـة فيـها مـع 300 جندي من جنود بيرق دار، معسكرين في القلعة التي كان قد بناها محمد باشا الراوندوزي[7].

- **العمادية الجسر التركي المؤدي إلى تياري وحكاري**

ومنذ أن اتخذ بيرق دار الخيــار العسـكري كوسـيلة للقضـاء علـى إمـارة بهدينان، وإخضاعها للحكـم الـتركي، فكـانت النتيجـة أن أصبحـت جميـع الأقـاليم الواقعـة مـا بـين الموصـل والعمادية سـاحة معـارك مدمــرة دفعـت التجمعات الآشورية فيها الثمن الباهض، دمـاً، وأرضـاً، ومـالاً. ولقـد طـالت نتائج المصادمات الدموية الكثافة الكبيرة للآشوريين المتركزين في أقـاليم عقـرة والزيبار وصبنة وغيرها. وعم الخراب في مئات القرى الآشورية. وطوال سنوات الصراع هذه دمر الوجود الآشوري. وهُجرت القرى وتقلـص عـدد الآشـوريين/

---

5 F.O. 195 / 175. Erzeroom. 14 june 1840. From Brant to Viscount Posonby.

6 Layard, Popular, 113. ويقول رئيس البعثة التبشيرية الأمريكية في أورمية بان إسماعيل باشا، قـدم إلى إيران في مسعى للحصول على مساعدة عسكرية لكي يأخذ العمادية ثانية. (Perkins, 381.)

7 Ainsworth, II: 199. Longrigg, Four, 286. s Laurie, 298 . على سيدي الكوراني، 174

الكلدان إلى ما يقارب العشر من إجمالي عددهم، بسبب ما لحق بهم من قتل وتشريد ومجاعات[8]. ولقد شارك الحضور العسكري التركي إلى جانب الزعامات الكردية، في نشر الرعب والرهبة في المنطقة، التي ظلت تتعرض لسنوات طويلة إلى عمليات سلب واستنزاف وقتل[9].

---

[8] لكي نقدر حجم الدمار الذي حل بالمنطقة نشير إلى أن عدد بيوت العمادية سنة 1843 كانت 200 بيتا. في حين كانت في سنة 1800 تظم بحدود 2000 بيت. هجمات باشا راوندوز، رشيد باشا حصارها لمدة خمسة أشهر مع قصفها بألف قذيفة مدفع والقحط الذي حل بها والهجمات المتكررة لبدرخان بك كانت وراء الدمار الذي لحق بها وأدى إلى خرابها. وقس على ذلك ما حل بثلاثة آلاف عائلة آشورية في القرى المحيطة بها والتي لم يبقى منها في التاريخ المذكور سوى ثلاثمائة فقط. Laurie, 296 – 297.

[9] كتب أحد المبشرين عن التدمير الذي لحق هذه الأقاليم المهمة من بلاد آشور بسبب الحروب المتواصلة التي كان قد مضى على استمرارها ما يزيد على العقد من الزمان ما يلي: " مررنا بحقل بعد حقل، وقرية بعد قرية، مهجورة بأكملها. التربة خصبة، المناخ ممتاز. ولكن الحروب والظلم والاضطهادات أفرغت الأرض من سكانها" أنظر: (Laurie, 292). ومبشر آخر يروي حالة الظلم الذي سلطه الأتراك على المزارعين المسيحيين في المناطق التي خضعت لحكمهم المباشر فيذكر كشاهد عيان الحالة التالية:

" مررت بكوخ، سمعت نشيج البكاء ... كان هناك رجلاً جالساً يبكي، وبين ذراعيه طفلة رضيعة. سألته: ماذا يمكنني أن أفعله لأساعدك؟ ' **لأجل الرب أنقذ والدة هذه الطفلة**' ... يبدو بأن الجنود قد جاءوا يوم أمس لجمع الضرائب. وعند دخولهم كوخه الفارغ، قال لهم: 'إنني لا أملك شيئاً! حقلي مرهون، ودوابي وماشيتي أخذها اللصوص الأكراد. والحكومة لم تفعل شيئ. كل ما أملكه هو حياتي، فخذوها واذهبوا. عندها قال له الجنود: ' **لك زوجة جميلة، سوف نأخذها**' فأخذوها إلى قرية مجاورة حيث يقومون بالاعتداء على شرفها منذ ذلك الحين ... فوجدت بان ليرة ذهبية تفي بالغرض فسلمتها له ... وبعد فترة لاحظت شخصان يهرولان . المرأة دخلت مسرعة وأخذت الطفلة الرضيعة وضمتها إلى صدرها، وعندها صرخت: ' **إنها ميتة، جاعت حتى الموت**' ", ويضيف شاهد العيان هذا قائلا ومعلقاً: " إضافة إلى هذا الظلم من قبل الأتراك. فهؤلاء الناس مستعبدين من قبل الأغوات الأكراد الذين باستمرار يطالبونهم بالعمل مجاناً .. وفي بعض القرى المسيحية، إلى جانب الطلبات الأخرى فحتى نسائهم عرضة للمطالبة بهن، في أي وقت من قبل هؤلاء الزعماء، ومتى ما شاءوا ذلك. هناك حالات

وفي ظل هذه التطورات نجد باشا الموصل محمد إنجة بيرق دار، يضع الخطوط العريضة لإحكام سيطرته ليس فقط على إمارة بهدينان، وإنما على وطن القبائل الآشورية المستقلة، وإمارة بوتان. فشعور القوة التي اصبح عليها المسؤولين الأتراك في المنطقة، والنظرة المتسمة باستضعاف بقية المراكز الغير مواليه، جعلت طموحات بيرق دار تُتَرجَمْ إلى واقع ملموس بإعلان العزم على القضاء على بقية المراكز المستقلة المتبقية في المنطقة سواء كانت كردية أو آشورية.

ولما كانت العمادية تابعة إداريا لبغداد[10]، من ناحية، وإسماعيل باشا يثير الاضطرابات والمشاكل في المنطقة، من الناحية الأخرى، فان بيرق دار مدفوعاً بأطماعه للسلطة وكنز الأموال[11] وجد من المناسب أن يضفي على تحركاته، وخططه في المنطقة، صفة الشرعية المدعومة من قبل الباب العالي

حيث عروسه شابة أخذت أثناء مراسيم الزواج من المذبح حيث أبقوها عندهم لعدة أسابيع. " أنظر: (Ross, 125.) و .Coan, 124.

[10] Badger, I: 182 - 183

[11] عن ثروته التي جناها من حملات السلب والنهب واستتراف أبناء الموصل والقرى الآشورية المحيطة بها يذكر المبشر جورج بادجر الذي كان مقيماً في الموصل خلال فترة حكم بيرق دار، وهو القريب من القنصلية البريطانية، ومطلع على أسرارها بحكم القرابة التي كانت تربطه بالقنصل السيد كرستين رسام الذي كان قد تزوج أخت المبشر المذكور يقول:

" أما ثروته فإنها هائلة، جمعها من استتراف الأهالي، وبيع الاحتكارات الخاصة. ورغم الشكاوي المقدمة للباب العالي ضده، فانه تمكن من المحافظة على وظيفته، من خلال الرشاوى الكبيرة التي يقدمها إلى وزراء السلطان، توخياً حمايتهم. ولقد فشلت جميع محاولات إقصائه، واستمر على سياسته الإرهابية غير مبال بالشكاوي واستمر بتكديس الكنوز، وانه يعلن باستمرار بان الحكومة التركية مدينة له بمبلغ 150.000 باون إنكليزي. أنظر: Badger, I: 75,

[السلطان]. فقدم اقتراحا لحكومة السلطان، بموجبه تعهد بإخضاع المنطقة، لاسيما إمارتي بهدينان وبوتان، إذا ما ألحقتا رسمياً بولاية الموصل ووضعتا تحت مسئوليته. طلبه هذا حصل في وقت أظهر فيه قدرته ونجاحه، في قمع كل تحرك كردي في المنطقة. وفي الوقت الذي كان قد فشل غيرة من المسؤولين الأتراك أن يفعلوا ذلك كما كان الحال مع ثورة ماردين. فاستجيب إلى طلبه أوائل سنة 1841.[12]

♦ الصراع على العمادية مستمر

متسلحاً بالفرمان السلطاني وبشعور الغرور بالقوة التركية التي كان يقابلها الضعف والتمزق في الصف الكردي، فإن بيرق دار واصل خلال السنوات 1840 وحتى مطلع 11842 حملاته الدموية في ولاية الموصل لإحكام سيطرته على جميع أقاليمها ولاسيما العمادية، وحبك المؤامرات مع أكرادها بغية الهجوم على القبائل الآشورية المستقلة.

---

[12] Badger, I: XI – XII, 184. Grant, 42, 183 – 184. Nestorian of Persia, 92.

كتب القنصل البريطاني في أرضروم عن حملته على ماردين بأنها شملت النهب والسلب وهتك الأعراض. فلقد نهب الأهالي وصادر الحبوب منها. وأخذ أيضا مبالغ كبيرة من الأموال. وبعد أن ترك حامية تركية في المدينة، فان أهالي ماردين رفضوا استقبال الجنود في بيوتهم. فأمر بيرق دار بقصف المدينة بالمدفعية الثقيلة، ثم افتتحها ثانية بقوة عسكرية مؤلفة من 5.000 آلاف جندي حيث أطلق لهم الحرية في النهب والسلب، وقتلوا عدداً كبيراً من الأهالي. أنظر:

F, O. 195 / 175 Erzeroom. 15 November 1841. Badger, I: 182 – 183.

وذكر السفير في رسالته إلى وزارة الخارجية يقول فيها بان الأهالي يشتكون من أعمال السلب والنهب التي مارسها بيرق دار أثناء الحملة على ماردين.

F.O. 195 / 204. Constantinople, 21 November 1848. From Canning to F.O.

إسماعيل باشا ـ كما قلنا ـ تميز بشخصية لا تعرف الاستسلام، وإنه وإن كان قد سجل على نفسه سلسلة من المحاولات الفاشلة والإخفاق في حياته السياسية، إلا أنه قاتل حتى آخر أيامه من أجل السيطرة على العمادية[13]. ومن ضمن مساعيه: التجاءه إلى الفرس لمساعدته ضد الأتراك[14] كما التجأ إلى بدرخان بك وبقية المراكز الكردية المتبقية، بغية مساعدته في مساعيه المشار إليها. ورغم ما كان يحظى به من تعاطف هذه المراكز معه، إلا أن العمادية ظلّت بيد بيرق دار إلى نهاية عام 1841 حيث مع بداية 1842 نجح وبالاتفاق مع المتسلم الذي كان قد عينه بيرق دار[15] في استرجاعها ولكن لفترة قصيرة.[16]. إذ لم تزيد فترة استعادته لها على الثلاثة أشهر. حيث نجح بعدها باشا الموصل بتصفيته نهائياً. وظلت

---

[13] Layard, Popular, 113.

[14] من نتائج زيارته لفارس أن الزعيم الكردي "يحى خان أقسم على القرآن أن يكون موالياً للشاه، وتابعاً له. وبالمقابل وعده الشاه بالمساعدة ضد السلطان. وبهذا انتهى تحالف يحى خان مع الباب العالي الذي كان الهدف منه تقديم المساعدة من قبله لإخضاع النساطرة سنة 1840. وكان الآن على وشك مساعدة إسماعيل باشا لاستعادة قلعته من الأتراك" انظر: Laurie, 228

[15] هذا المتسلم كان هو الآخر عرضة لتهديدات بيرق دار بإقصائه من منصبه إذا لم يقم بسلب الأهالي ولعل معاناته منه كانت وراء تسهيل أمر إسماعيل باشا لأخذ العمادية ثانية. Laurie, 296 –297. ويذكر الشيء ذاته الدكتور كرانت مضيفاً بان هذا المتسلم كان تحت أمرته 700 جندي. Grant, 298.

[16] Laurie, 216. Ainsworth, II: 203. ويقول محفوظ العباسي: ... بعد هروب إسماعيل باشا ولجوءه عند بدرخان بك عاد ثانية إليها سنة 1842 وهو مدرك بان الأمور قد تغيرت لصالح الأتراك. "لان الحكومة العثمانية كانت قد أدخلت في منهجها القضاء على الدول والإمارات الكردية واحدة تلو الأخرى ... وحصلت معركة بالقرب من عين توثا انتهت بهزيمة إسماعيل باشا وقام بيرق دار بأنواع النهب والقتل ..." إمارة بهدينان العباسية. 108 – 109. الدكتور Grant يقول بأن حملات إخضاعها حلبت عليها الدمار. 42. وعبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث1: 110 - 111

العمادية وأقاليمها تحكم المسؤولين الأتراك أو ممثليهم منذ ذلك الحين وحتى الحرب العالمية الأولى.

ثانياً ـ استدراج القبائل الآشورية المستقلة إلى حلبة الصراع

وكما أشرنا، فان باشا الموصل كان قد قرر إنهاء إسماعيل باشا بعد انتزاعه للعمادية مرة أخرى في شتاء 1842. هنا بدأ فصل آخر من فصول الصراع في المنطقة. وهنا أيضا فَرَضَتْ التطورات زُج أبناء القبائل الآشورية في حلبة الصراع التركي ـ الكردي، من دون أن يكون لهم قرار مسبق بذلك. فردّ فعل بيرق دار على احتلال إسماعيل باشا للعمادية كان عنيفاً وفوريا. إذ قرر أن يتوجه بنفسه لاحتلالها والقضاء نهائياً على الزعيم الكردي الذي لم يستكين أبداً. إسماعيل باشا في ظل التحرك التركي الجديد، أقتنع بأن الخطر الذي يواجهه جدي، وسوف يقضي عليه لا محالة. وأدرك بأنه ليس في قدرته صد بيرق دار والاحتفاظ في منصبه. وإن الجهة القادرة على ذلك هي مار شمعون، والجيش الآشوري. لهذه الغاية طلب مساعدة مار شمعون لصد الجيش التركي وإفشال حملة بيرق دار، وإبقائه في منصبه. فوافق مار شمعون، والقيادة الآشورية على مساعدته، عملاً بالتقاليد العشائرية التي كانت سائدة آنذاك. حصل هذا وبموافقة زعيم أكراد حكاري نورالله بك أيضا.

غير أن بيرق دار الذي كان يتصرف بكل غرور واستعلاء باعتباره مسؤولاً عن باشوية الموصل وأراضي إمارتي بهديدنان وبوتنان، وفي قرارة نفسه سيكون

مسئولاً عن وطن القبائل المستقلة قريباً[17]. فإنه استغل الحملة على العمادية وعـزم على خلق الخلافات والعداء بين الأكراد والآشوريين. فلقـد استخدم كـل السـبل الملتوية والوعود الكاذبة لتمزيق الصف الكردي الآشوري الموحد، هادفا إلى خلـق الأجواء المؤدية لذلك. وبهذا سيستكمل ما كان قد حبكه من دسـائس و مؤامـرات لهذه الغاية، [كان قد بذل وعوداً خادعة لمار شمعون والتي قال عنها بادجر بان في حوزته نسخاً من 20 رسالة وجهها إلى البطريرك كلها مكر وتضليل]. كل هذا لخلق الأجواء الملائمة لكي يناور بها بيرق دار مع الأطراف المعنية بـالصراع علـى العمادية وفي مقدمتهم البطريرك مار شمعون أوراهم، وللوصول إلى غاياته.

- **إسماعيل باشا، ومار شمعون، وبيرق دار باشا الموصل**

خـلال شـهر آذار سـنة 1842 قـاد بـيرق دار الجيـش الـتركي قـاصدا العمادية لطرد إسماعيل باشا منها. فخيم في قرية (الداوودية) على طريق دهـوك ـ العمادية. في هذه الأثناء، كـان مـار شمعـون أيضـا قـد قـاد قسـماً مـن الجيـش الآشوري، قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وتوجه بهم إلى ساحة المعركة، حيث عسكر في (بامرني) لقطع الطريق على تقدم بيرق دار باتجاه العمادية.

عند هذا المنعطف التاريخي، ظهرت مرة أخرى الأصابع الخفيـة الـتي كانت تحرك خيوط اللعبـة مـن خلـف الكواليـس. وجعلـت كـل مـن الآشـوريين والأكراد يدفعون ثمن الانصياع لنصائحها غالياً. فالتقارير الرسمية البريطانية تذكر

---

[17] Badger, I:X – XII, 184. Dr. Grant, 42, 183 – 184. American Sunday School Union, 92. .11 :1 عبد العزيز نوار، F.O. 195 / 204 Mosul, 21 November 1842. Precise of intelligence received from Mosul. From Taylor (Baghdad, 24 February 1843)

بان بيرق دار الذي كان مدركاً لخطورة الدور الآشوري، ومتيقناً من قدرتهم على إلحاق الهزيمة به، متذكرا ما كان قد حصل لباشا راوندوز قبل بضعة سنوات. أرسل رسالة إلى مار شمعون يخبره فيها: بأنه عازم على احتلال قلعة العمادية. وإذا ما حاول عرقلة ذلك، وقرر إبقاء إسماعيل باشا في مركزه بالقوة، فانه بهذا العمل يكون قد أتخذ موقفاً معادياً للسلطان. تكملة الرواية حسب ما ترويها المصادر الإنكليزية المتواجدة في الموصل، والقريبة جداً من القنصلية البريطانية تقول: إن مار شمعون حين أستلم تحذير بيرق دار له فانه أصبح في موقف محرج. فمن جهة فإن الواجب والتقاليد العشائرية، تفرض عليه مساعدة زعيم العمادية. ومن الجهة ثانية فانه إذا ما فعل ذلك، فان الأتراك سيعتبرونه عدواً للسلطان. كل هذا حصل في فترة كانت الأحداث فيها تتسارع بشكل أدخل الدور الآشوري ضمن دائرة الصراع التركي ـ الكردي المباشر بشكل محكم. وسَلّطَت الأضواء على الآشوريين وكأنهم الطرف الأول المعني بالصراع، وأصبح موقف مار شمعون ومساعديه في مقدمة الحسابات السياسية والعسكرية للأتراك والأكراد على حد سواء.

سياسياً و عسكرياً فإن مار شمعون والزعماء الآشوريين كانوا يشعرون يومياً باقتراب ليهيب نيران الأحداث من حدود وطنهم. لا بل كانت التطورات في تلك الأثناء قد أوصلت اللهيب إلى داخل وطنهم. فمنذ أن أختار نورالله بك (شريكهم في الإمارة)، الاصطفاف مع الجانب التركي، (وليس الكردي)، وأعلن خضوعه للسلطان، وتسليم استقلال **(إمارة حكاري)** لهم من جانب واحد، ومن

دون الحصول على موافقة الشريك الآشوري.[18]. إزاء هذا فان موقف القيادة الآشورية فرض عليه التعامل مع قضية العمادية على ضوء التطورات والإحداث التي كانوا يواجهونها. لذا فان موقفهم من الصراع كان يستند على رؤية وقراءة مبنية على مصالح القبائل العليا.

♦ **القبائل الآشورية بين المطرقة والسندان**

مار شمعون كان يدرك بشكل واضح خطورة الموقف. وإن حملة ضغط تركية قائمة ضده وضد شعبه من النواحي الشمالية لوطنه، ممثلة بباشا أرضروم وتابعه نورالله الذي خدم كأداة للأتراك في مهاجمة القبائل الآشورية منذ سنة 1841. إذ كان قد قام بالهجوم على قرية قوجانس، مقر البطريرك وبقية مناطق إقليم (دز) وحرق دار مار شمعون، مشرداً إياه وعائلته، من منطقة إلى أخرى. في حين كان باشا أرضروم قبلها بسنة ينسق مع بيرق دار للقيام بحملة مشتركة وبالتحالف مع أكراد المنطقة ضد القبائل الآشورية لإخضاع "الكفار" وفي ذات الوقت كان باشا الموصل مترصداً بالقبائل محرضاً بشكل مستمر أكراد بَرور وبهدينان للقيام باعمال عدوانية من الجنوب تمهيداً لإخضاعهم. في حين كانت

---

[18] وكان تحرك نورالله يمثل جزء من التغييرات التي فرضتها التطورات على القيادات المختلفة التي كانت تشعر بقرب نهايتها على يد الأتراك. و نورالله بك كان يخشى أن يحصل له ما حصل لباشا راوندوز وإسماعيل باشا وغيرهم الكثير من الزعامات الكردية التي حطمها الأتراك ما بين 1831 و 1842. ولتأمين بقائه في السلطة مفضلاً نير الحكم التركي على قيامه بالدفاع عن حرية واستقلال بلاده وضم قوته وقدرته إلى بقية المراكز المستهدفة للحيلولة دون نجاح الأتراك في مخططهم لإذلال الأكراد أعلن خضوعه التام لهم واستعداده للمشاركة في مشاريع تصفية المراكز المستقلة التي كانت القبائل الآشورية المستقلة بالنسبة إليه هي المعنية.

الزعامة الكردية من الغرب، في جزيرة بوتان، وبشخص بدرخان بك كـان تنتظـر الفرصة المناسبة لإعلان نفسه وريثاً للزعامة الكردية بعد الفراغ الـذي حصـل مـع اختفاء محمد باشا (ميركور)، ذلك الهدف الدفـين الـذي كـان يتطلـع إليـه كمـا أثبت الأحداث بعد ما يزيد على السنة بقليل.

وعلى ما يبدو فان مار شمعـون ومسـاعديه كـانوا في دوامـة الاختيـار بـين أمرين لم يكنوا راغبين في كلاهما. فموقفهم الحرج كان واضحاً. فـإذا مـا اختـاروا مواصلة الحملة، ومساندة إسماعيل باشا في ظل الظروف التي شـهدت الحمـلات التركية العنيفة ضده، فإن عواقبها ستكون وخيمة عليهم، وعلى شعبهم، لاسـيما وان الواقع سيرشحهم ليكونـوا الهـدف المفضـل لهجـوم عليـهم مـن قبـل جميـع العناصر في المنطقة لاسيما الأكراد والأتـراك تحـت شـعار **"الجـهاد"** ضـد الكفـار الذين حملوا السلاح ضد خليفة المسلمين.

تطورات هذه الأحداث كانت تحصل في وقت كان أكراد حكـاري و بَـرور يقومون باعتداءات متكررة ضـد القبـائل الآشـورية، ويسـلبون قطعـان ماشـيتهم، ويقطعون طريق العبور عليهم للذهاب إلى العمادية، وبقية المناطق، وكانت تحصل بأمر وتشجيع من بيرق دار نفسه[19]. هذه الأخطار القائمة كانت بمستوى لا يمكـن

---

[19] أواخر سنة 1841 كان حاكم برور المعين من قبل بيرق دار قد أمر بقتل أعدادا كبيرة من أبناء تيـلري ومصادرة قطيع أغنامهم. وحين انتقم أبناء تياري بالمثل فان بيرق دار "طلب من أكراد بهدينـــان تقـــدم الدعم لأكراد برور لمهاجمة القبائل المستقلة في ربيع السنة التالية بعد ذوبان الثلوج. وكتب بذات الوقـــت إلى باشا أرضروم يطلب منه المساعدة في إرسال قوة عسكرية لمهاجمتهم من الشـــرق في حـــين ســـيقوم شخصياً بمهاجمتهم من الجنوب. إلا أن انشغاله مع أحداث إسماعيل باشا حالت دون تنفيذ المخطـــط في موعده. Badger, I: 184 – 185.

التكهن بنتائجه. فإذا اختارت القيادة الآشورية أن تعادي السلطان، وتحول دون تمكن الأتراك من تنفيذ خطتهم في أخذ العمادية وإخضاعها للسلطان ـ كما أنـذره بيرق دار ـ فان حكم الخيانة سيصدر على هؤلاء "الكاور" [الكفار ـ المسيحيون]. أما في حالة تراجعه، فان نتائج ذلك ستنسحب آثارها المدمرة على العلاقة ما بين شعبه والأكـراد، الذيـن تربطـهم وإيـاهم روابـط قـرون مـن العلاقـات العشـائرية المشتركة.

ويبدو أن كفة الإذعان لحكومة السلطان رجحت في اتخاذ القيادة الآشورية لقرارها. إذ أرسل مار شمعون جوابه لبـيرق دار يعلمـه فيـه: بأنـه ليـس في نيتـه محاربة حكومة السلطان. وإذا ما اعتقـد الباشـا كذلـك، فانـه سـيحاول أن يجـد طريقة، بموجبها ينسحب من المعركة. وفعلاً تعذر مار شمعون بقرب قدوم الصوم الكبير، مبلغاً إسماعيل باشـا، بـان عليـه أن يصومـه في قريـة (أرادن) القريبـة. وانسحب بجيشه، حيث في ذات الليلة عـبروا جبـل (ماتيـنـه) وفي اليـوم التـالي كانوا في تياري.

ثالثاً ـ نتائج انسحاب الجيش الآشوري من معركة العمادية

- السقوط السياسي والعسكري لإمارة بهدينان

بعد انسحاب الجيش الآشوري من المعركة، فإن قلعة العمادية سقطت قبل أن يهجِم عليها بيرق دار. بسبب اختـلال عـامل التـوازن العسـكري والسياسـي. المراقبون الغربيون لهـذه الإحـداث يقولـون: بـأن إسمـاعيل باشـا لم ينسـى لمـار

شمعون هذا الغدر الذي لحق به*. وفي ذات الوقت تؤكد بعض المراجع بأن قرار مار شمعون هذا جاء بناء على نصيحة عناصر غربية. ففي الوقت الذي تصمت فيه الوثائق البريطانية عن ذكر تطورات هذا الحدث الهام فإننا لا نستطيع تأكيد أو نفي دور القنصلية البريطانية أو ممثليها في المنطقة في التأثير على القيادة الآشورية في اتخاذهم مثل هذا القرار، الذي كان على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية. إذ لو كان قد قُدِّر للتحالف بين الأكراد والآشوريين الاستمرار فان معركة العمادية كانت قد غيرت الخارطة السياسية للشرق الأوسط منذ ذلك الحين.[20]

رابعاً ـ الجبهة الكردية بداية صحيحة لهدف خاطئ

في 10 شباط 1842 كتب القنصل البريطاني في أرضروم إلى السفير في القسطنطينية تقريراً شاملاً يتضمن المراحل التي قطعتها الحملة التركية لإعادة فرض السيطرة والقضاء على المراكز المستقلة في المنطقة، مشيراً إلى النجاح الذي بلغته، ومبدياً ملاحظاته عن الوسائل الكفيلة بتحقيق النجاح وقهر المصاعب.

---

* بكل تأكيد لم ينسى إسماعيل باشا لمار شمعون وشعبه هذا الموقف. فبعد أكثر من سنة بقليل من هذا الحادث كانت قوات إسماعيل باشا من بين أعنف المجموعات في ارتكاب المذابح والمجازر بحق أبناء القبائل المستقلة. وللمراقب المحايد له أن يتساءل: هل كان فعل مار شمعون الذي كان بين مطرقة الأتراك وسندان الأكراد أكثر تدميراً مما فعله به ابن قوميته ودينه محمد باشا الراوندوزي الذي كما نوهنا دمر كيانه وشرده لسنوات طويلة؟. لقد أنتقم من المجموعات المسيحية المنتشرة ما بين العمادية وسهول نينوى حيث كانت ألقوش آخر المناطق التي هاجمها وألحق بها الدمار. نصري، 2: 77.

[20] عن التأثيرات الأجنبية في اتخاذ مار شمعون قرار الانسحاب من المعركة. أنظر:

ويُذكرْ القنصل السفير، بما أخبره به باشا أرضروم، من أن الأكراد " قد شكلوا جبهة فيما بينهم لمهاجمة النساطرة وتدميرهم إذا لم ينظموا إلى جبهتهم الموحدة[21]

مار شمعون في محاولة منه لإبعاد الشبهات التركية عنه، أمتنع عن الانظمام إليها. وخطى خطوة أبعد لكي يطمئن الأتراك، بموقفه الموالي للسلطان بإرسال رسالة إلى القنصل البريطاني في الموصل، يوضح فيها موقفه من مشروع قيام جبهة التحالف المطروحة. وكما يقول القنصل فان مار شمعون أراد أن يوضح للأتراك بأنه غير متورط بأي عمل معادي للسلطان. وانه يسعى بكل إخلاص إلى إقامة علاقات طيبة مع السلطات التركية، وان لا صحة لما يشاع عن شعبه من أنهم مثيري الشغب ومحبي الحرب[22].

والدعوة لقيام مثل هذه الجبهة كانت تمثل في الواقع رداً كردياً على الموقف الذي وقفه الآشوريين من مسألة الصراع على العمادية المشار إليه. فلقد فرض الأكراد عليهم الخيار بين الاصطفاف معهم، والانضواء تحت لواء حركتهم، أو اختيار موقف مغاير، بموجبه ستقوم الجبهة الكردية مستقبلاً بالتعامل معهم بشكل يجعلهم هدفهم المركزي وليس مع الأتراك.

---

[21] F.O. 195/ 175. Erzeroom, 10 February 1842. From James Brant to Sir Stratford Canning

[22] F.O. 195/ 204, Mosul, 21 November 1842. From Rassam to Sir Stratford Canning.

♦ بداية تصدع الجبهة الداخلية الآشورية

ما كان قد شـجع القيـادات الكرديـة السـاعية لفرض الواقـع السياسـي والعسكري الذي هدفـوا إلى تحقيقـه في المنطقـة، هـو ظـهور علامـات التصـدع في الجبهة الداخلية الآشورية، بعد الدور التخريبي الذي قام به المبشرون الغربيون، والذي كانت نتائجه طافية على السـاحة الآشـورية آنـذاك. ففـي أب عـام 1842 وبينما كانت حملة الدعوة لتشكيل الجبهة الكردية - الآشورية في أوجـها، نجـد أن الموقف الآشوري كان منقسماً إلى تيارين متعـارضين. ففـي الوقـت الـذي مثـل البطريرك ومن كان يؤيده موقف المعارض لقيام الجبهة الموحدة مع الأكراد. نجـد مجموعة من قيادات قبيلة تياري، وتخوما، تصطف مع الأكراد، وتعلـن تأييدهـا لقيامها. فخلال الفترة المشار إليها عقد اجتماع حاشد في آشيثا حضره 400 زعيـم وشخصية من الجـانب الكـردي، شملـت قياداتـهم في المنطقـة. في حـين حضـره مجلس استشاري من تياري، وبقية القبائل المستقلة، إضافـة إلى مـار شمعـون. في هذا الاجتماع العاصف، ظلّ مار شمعون مصراً علـى موقفـه، ونجـح ـ كمـا تقـول المصادر الغربية ـ في تليـين موقـف بعـض الزعامـات الآشـورية، المتحمسـة لقيـام تحالف مع الأكراد. وتقول هذه المصادر: بـان هـذا حصـل في الوقـت الـذي كـان الجانب الآشوري المعـارض لقيـام الجبهـة، يتراسـل سـراً مـع بـيرق دار. إلا أن الأصح أن بيرق دار كان قد مهد لهذا الموقف من خلال اتصالاته ووعوده الخادعة للآشوريين كما نوهنا. وكان هدف باشا الموصل ليس فقط إبعـادهم عـن التفـاهم

والتحالف مع الأكراد على برنامج مشترك ضد المشاريع التركية، وإنما تشجيعهم على اتخاذ موقف متصلب ورافض لها[23]

وفي 14 كانون الثاني سنة 1843 (أي قبل شهر من زيارة بادجر) رفع القنصل البريطاني في الموصل تقريراً إلى السفير ذكر فيه: أن زينل بك، مساعد بدرخان بك وإسماعيل باشا قصدوا منطقة بَرور ووجهوا الدعوة إلى الزعماء الآشوريين مرة أخرى لإقامة الجبهة المشار إليها[24]. وإن هدف هذه الجبهة هو الثورة ومقاومة الوجود التركي في المنطقة. وقبل هذا التاريخ باسبوعين (أي في 31 كانون الأول سنة 1842) كان مار شمعون قد أرسل مبعوثاً كردياً إلى القنصل يطلب منه إن يخبر بيرق دار بأنه وشعبه لا يرغبون بالتورط بمثل هذه الخطة، والمشاركة بمحاربة السلطان. مؤكداً ولائه للسلطان. وحين علم بيرق دار بفحوى رسالة البطريرك فانه عبر عن سروره لموقف البطريرك[25].

وخلال هذه الفترة، أي أواخر عام 1842 كانت المواقف السياسية للطرفين الكردي والآشوري قد تبلورت و توضحت معالمها، ولم يبقى هناك مساحة رمادية بينهما. فالأكراد أدركوا بان بقائهم وصمودهم أمام الخطر التركي الماثل يَكمنْ في قيام الجبهة العريضة المعادية للوجود التركي الدموي المدمر. في

---

[23] Laurie, 258 – 259.

[24] راجع احتماع آشيثا بحضور بادجر ـــ البعثة الإنكليزية الثانية (فصل العلاقات الخارجية)

[25] F.O. 195 / 204. Mosul, 14 January 1843. From Rassam to Canning.

الوقت كان الموقف الآشوري قد انقسم ما بين مؤيد لقيام هذه الجبهة ومعارض لها[26].

وهكذا فإن خريف سنة 1842 كان نهاية عصر، وبداية آخر بالنسبة للعلاقات الكردية ـ الآشورية. فلقد كان للموقف الآشوري المتسم بالحذر وعدم التورط في صراع مسلح مع الأتراك، أثره في التقاء الزعامات الكردية (رغم ما كان قائما بينها من تناقضات وخلافات)، وتشكيل تحالف واسع فيما بينها. ولكن هذا التحالف ـ كما أثبتت الأحداث اللاحقة ـ لم تكن غايته محاربة الأتراك مضطهدي الأكراد، الذين سببوا الويلات والدمار لهم، وقضوا على مراكزهم واحداً بعد الآخر. وإنما كان الهدف الواضح من قيامها هو للقضاء على القبائل الآشورية المستقلة. ذلك الهدف الذي كان يتوق لتحقيقه الأتراك، الذين قرءوا بصواب تطورات العلاقة الكردية ـ الآشورية وما بلغته من تناقضات أساسية تصب في المصلحة التركية العليا، وخططهم في المنطقة. تلك القراءة التي بموجبها أجلوا عملية إخضاع بقية المراكز الكردية التي كانت تتشكل منها الجبهة المشار إليها، لحين قيام الأكراد بإنجاز هذه المهمة لهم. إذ أطلقوا يدهم في المنطقة، وشجعوهم على تنفيذ على القضاء على القبائل الآشورية المستقلة.

- **خطة القضاء على الآشوريين والأكراد**

بعد السيطرة على العمادية، والشرخ الذي كان قد أحدثه الأتراك بشخص بيرق دار باشا الموصل بين الجارين الكردي والآشوري، وإلى جانبه ما

---

[26] F.O. 195 / 204. Mosul 21 November 1842. Precise of Intelligence recei from Mosul. (Colonel Taylor, 24 February, 1843. Baghdad).

كان قد أنجزه المبعوثين والمبشرين الغربيين من تدمير داخل الكيان الآشوري والضرر البالغ بالعلاقات الآشورية ـ الكردية، فان فصلاً جديداً فتح في تاريخ المنطقة، بموجبه أصبح الهدف التالي للأتراك القضاء على القبائل الآشورية في تياري وحكاري وإنهاء استقلالها ووضع بلادها تحت الحكم المباشر للسلطان. ومن قراءة تطورات الأحداث ما بين آذار 1842 وحزيران 1843 نجد أن السياسة التي كان قد أعتمدها المسؤولين الأتراك في الباشويات المحيطة بوطن القبائل الآشورية عكست تأييد وتشجيع الجبهة الكردية المشار إليها وإطلاق الحرية لها في تنفيذ خطة شاملة لاستئصال هذه القبائل والقضاء على قوتها العسكرية والسياسية. وهكذا كانت التطورات السياسية خلال هذه الفترة تتسم بموقف تركي واضح من مسألة إخضاع المراكز الكردية الذي يعكس تأجيل ذلك إلى ما بعد قيام الجبهة الكردية بإخضاع القبائل الآشورية.

ولكن هذا الهدف كان يحمل أسباب فشله لو حاول الأتراك المضي به معتمدين على الأكراد وضمن الثوابت التي كانت قائمة وسط القبائل أبان هجوم باشا راوندوز عليها سنة 1835 حيث كانت جبهتها الداخلية الموحدة وراء هزيمته. ويبدو ان المعنيين بإخضاع القبائل إدركوا بان هزيمة القبائل لا يمكن تحقيقها إلا بعد ان يتم التعامل مع الظاهرة الكامنة وراء قوة القبائل هذه، والتي هي وحدة جبهتها الداخلية التي دون التعامل معها فان الهزيمة هي مصير أية محاولة إخضاع.

♦ المبشرون الغربيون والمؤامرة الكبرى على القبائل الآشورية المستقلة

ورغم كون العوامل الخارجية المشار إليها كانت تشجع الأتراك على المضي في خطة إخضاع القبائل الآشورية إلا أن هذه العوامل لم تكن كافية وإن عملية الإخضاع لم تكن عملية سهلة يمكن المغامرة في القيام بها وتنفيذها. فالتجارب التاريخية أثبتت فشل كل المحاولات السابقة. ولكن! حين دخل العامل الغربي في المعادلة السياسية والعسكرية في المنطقة متمثلاً في النشاط الدؤوب الذي بذله الدبلوماسيون والمبشرون الغربيون في مساعدة الأتراك على فرض سيطرتهم. فلقد تمكن الجهد الغربي من التعامل مع عامل السر الكامن وراء قوة القبائل الآشورية، والأسباب الكامنة وراء قدرتها على صد الغزاة وعدم قدرتهم على هزيمتها. وحين أكتشف السر، تمّ التعامل معه بكل ما كان يحمله الغربيون من أسباب التقدم الحضاري التي كان يقابلها ذلك التخلف والبساطة والعفوية والسذاجة السياسية التي كانت السمة المميزة داخل القبائل المستقلة. ولم تكن مهمة تمزيق الصف الوطني وخلخلة أسس الوحدة الصلدة التي كانت قائمة بين الملوك ومار شمعون من جهة وبين الملوك فيما بينهم بالمهمة الصعبة. فنجح هؤلاء الزاعمون بالتبشير باسم السيد المسيح في إحلال الفرقة والخلاف والخصام، بين المراكز المؤثرة والفاعلة،محل الألفة، والمحبة، والتعاون، التي كانت سمة القبائل. فلقد بلغت جهودهم في تمزيق الصف الوطني الآشوري حداً بموجبه مهدوا رؤوس أبناء القبائل الآشورية المستقلة لسيف الجلادين، منذ تموز سنة 1843. واستنادا على الوثائق التي تخص المرحلة، لا يملك المرء إلا ان يشير بأصابع الاتهام إلى الدوائر الدبلوماسية و التبشيرية وبشكل خاص إلى الدكتور

كرانت والدكتور بادجر بشكل خاص، بسبب كونهم أكثر الجهات فاعلية وتأثيراً في تضليل القيادة الآشورية، وأتباعها، وجعلهم عاجزين عن تلمس طريقهم، لمواجهة الأخطار المحدقة بهم، والتي تم التخطيط لها بكل عناية. في ظل تلك الأجواء العاصفة التي كانت ظاهرة الاختلال قائمة بين قدرة المشار إليهم على المناورة والخداع وبين نقاوة سريرة القيادة الآشورية، التي أعطت على ما يبدوا أذانا صاغية، لأضاليلهم، ومهدوا مقومات النجاح للعناصر المعنية في القضاء عليهم بعد أن فتح لهم الأتراك طريق الوصول إلى بلادهم[27]. وهكذا أصبح وطن القبائل الآشورية المستقلة خلال السنوات 1843 ـ 1846 مسرحاً لمذابح جماعية لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلاً.

ومنذ تلك المذابح المروعة اصبح أبناء القبائل الآشورية المستقلة في تياري وحكاري يؤرخون تاريخهم بدءً من مذابح بدرخان بك في سنة 1843 وهذا هو موضوع المجلد السادس من تاريخ "الآشوريون بعد سقوط نينوى"

---

[27] Badger, I: XI - XII

المراجع العربية والإنكليزية

أبونا، البير (الأب).أدب اللغة الآرامية. بيروت، 1970.

——. تاريخ الكنيسة الشرقية. ج1. الموصل 1973

——. شهداء المشرق، ج1. بغداد، 1985.

ابن الأثير، تاريخ. الكامل في التاريخ.10 أجزاء، بيروت، 1987.

ابن حوقل، كتاب صورة الأرض. بيروت، 1979.

أمين أغا، عبد الله. بلد (أسكي موصل) تاريخها وآثارها. الموصل، 1974.

بابان، يوسف (المطران). القوش عبر التاريخ. بغداد، 1979.

بابو اسحق، روفائيل. تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا. بغداد،1948. وطبعة ديترويت .. بلا

——. مدارس العراق قبل الإسلام. بغداد 1955.

——. أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية. بغداد، 1960.

البغدادي، المنشئ. رحلة المنشئ البغدادي كتبها سنة 1822. نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي. بغداد 1948.

البكري، محمود. وكامل مراد. تاريخ الأدب السرياني. ...

البلاذري، فتوح البلدان. بيروت، 1978.

برشينايا، إيليا. تاريخ إيليا برشينايا. عربه عن السريانية الأب الدكتور يوسف حبي.

البدليسي، شرف خان. "كتاب الشرفنامة". جزءان. عربه عن الفارسية محمد علي عوني، القاهرة، ...

برصوم، أفرام (البطريرك). اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم ولآداب السريانية. ط3 بغداد 1976.

——. طور عبدين. عربه عن السريانية غريغوريوس بولس بهنام. بغداد 1963.

——. نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران. ماردين، وفيه لمحة عن أبرشية ماردين

وأديارها. المطبعة السريانية بدير الزعفران (ماردين) 1917.

البصرى، يشوعدناح (مطران). الديورة في مملكتي الفرس والعرب. عربه عن السريانية القس (البطريرك) بولس شيخو.[طبعة ديترويت]

بروويسر، كونراد. المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين. ترجمة الدكتور علي يحى منصور. بغداد، 1981.

بروكلمان،كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. عربه نبيه أمين فارس ومينر البعلبكي.ط 7، بيروت، 1977.

بيغوليسكايا، نينا. ثقافة السريان في القرون الوسطى. عربه عن الروسية الدكتور خلف الجراد. دمشق، 1990.

بيومي، زكريا سليمان. قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين. جدة، 1991.

تيسيران،أوجين (الكاردينال). خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية. تعريب القس (المطران) سليمان الصائغ، الموصل، 1939 (أعيد طبعه في مشكن – مطبعة Angel Printing)

الجاوشلي، هادي رشيد. القومية الكردية وتراثها التاريخي. بغداد، 1967.

جوارو، إيشو مالك. الآشوريون في التاريخ. عربه سليم واكيم، بيروت، 1962.

حبي، يوسف. الأب الدكتور. تواريخ سريانية. هيئة اللغة السريانية. بغداد، 1982.

——. دير الربان هرمزد. بغداد، 1977.

الحموي، ياقوت. معجم البلدان. 2. بيروت، 1990.

خورشيد، فؤاد حمه. الأكراد: دراسة موجزة في أصل الشعب الكردي. بغداد. 1971.

الديوه جي،سعيد. تاريخ الموصل. ج 1. بغداد، 1982.

راوولف، ليونهارت. "رحلة المشرق". عربها سليم طه التكريتي، بغداد، 1978.

زكي، محمد أمين. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور حتى الآن. عربه وعلق عليه محمد علي عوني. القاهرة، 1936.

زيدان، جرجي. الأعمال الكاملة. ج12، (التمدن الإسلامي). بيروت، 1982.

سالم، لطيفة محمد (الدكتورة). الحكم المصري في الشام. القاهرة، 1989.

السامر، فيصل (دكتور). الدولة الحمدانية في الموصل وحلب.ج 1. ط 1.بغداد، 1970

سليمان، ماري بن. أخبار فطاركة كرسي المشرق. رومية، 1899.

السريانية، هيئة اللغة. فهرس المخطوطات السريانية. بغداد، 1981.

الشابشتي، محمد. الديارات. تحقيق كوركيس عواد. الطبعة الثانية. بغداد، 1966.

شيخو، حنا (الأب الدكتور). كلدان القرن العشرين. ديترويت، 1992.

شير، أدي (المطران). كتاب سيرة أشهر شهداء المشرق. الموصل، 1900.

——. كلدو وأثور. جزءان. أعاد طبعه الشماس يوسف دخو.ديترويت ـ مشكن 1975.

——. التاريخ السعردي.طبعة بلجيكا، 1871.

——. مدرسة نصيبين. مستلة من قالا سريايا العدد 32 – 33 لسنة 1984.

الصائغ، سليمان (القس). تاريخ الموصل. ج1: القاهرة، 1923، 2: بيروت، 1928، 3: بيروت 1956.

الطبري، تاريخ الطبري. ج1، 4، 5. ط5. القاهرة، 1967.

العباسي، محفوظ. إمارة بهدينان العباسية. الموصل، 1969

العزاوي، عباس المحامي. العراق بين إحتلالين. ج5 بغداد 1953. ج6 بغداد 1954.

عواد، كوركيس. تحقيقات بلدانية ـ تاريخية ـ أثرية في شرق الموصل. بغداد 1961.

عمرو، بن متي. أخبار فطاركة كرسي المشرق. رومية 1899.

العمري، محمد أمين. منهل الأولياء. حققه ونشره سعيد الديوه جي. جزءان. 1. 1967 و 2. 1968.الموصل.

فائق بك، سليمان. تاريخ بغداد أو مرآة الزوراء. عربه عن التركية موسى كاظم نورس. بغداد، 1962.

فريحة، أنيس. معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية. بيروت ط 4. بيروت، 1966.

فييه، جان. أحوال النصارى في خلافة بني العباس. بيروت، 1990.

قاسملو، عبد الرحمن (الدكتور). كردستان والأكراد: دراسة سياسية واقتصادية. بيروت، 1970.

كامل، مراد (الدكتور) و الدكتور محمد البكري. تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر.

الكركوكي، رسول (الشيخ). دوحة الزوراء في وقائع بغداد الزوراء. عربه عن التركية، موسى كاظم نورس. بيروت، بلا

الكوراني، علي سيدو (سيدي). من عمان إلى العمادية. رحلة إلى جنوب كردستان سنة 1935. القاهرة، 1939.

كوك، ريجارد. بغداد مدينة السلام جزءان عربه فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد. الجزء الأول بغداد، 1962، الجزء الثاني بغداد، 1967

ماتييف،ك. بارمتي. تاريخ الآشوريين. طبعة ديترويت. ...

متز، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. تعريب محمد عبد الهادي أبو ريده.ط 1. بيروت، 1967.

المرجي، توما. كتاب الرؤساء. عربه ووضع حواشيه الأب البير أبونا. الموصل 1966.

المسعودي، مروج الذهب.4 أجزاء، بيروت 1986.

مينورسكي، فلادمير. الأكراد: ملاحظات وانطباعات. ترجمة وتعليق الدكتور معروف خزنه دار. بغداد، 1968.

نوار، عبد العزيز.(الدكتور) تاريخ العراق الحديث. ج1. القاهرة 1968.

نصري، بطرس (القس). كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان. الجزء الأول موصل، 1905. الثاني، الموصل، 1913.

نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر. عربه عن الألمانية الدكتور محمود حسين الأمين. بغداد، 1965.

نيكيتين، باسيل. الأكراد. بيروت، 1967.

نيراري، نينوس. أغا بطرس. عربه عن السريانية فاضل بولا.سان دياغو ـ كاليفورنيا، 1996.

ويكرام، دبليو. أي. مهد البشرية ـ الحياة في شرق كردستان. عربه الأستاذ جرجيس فتح الله، بغداد 1971.

الدوريات والمقالات

مجلة بين النهرين.(مقالة الأب البير أبونا) عدد 5. لسنة 1974.

——. العدد 14 - 15.

——. (مقالة المطران اسطيفان بابكا) العدد 31 لسنة 1980.

مجلة نجم بين النهرين. العدد الأول لسنة 1993.

مجهول، تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية. حققه ونشره الخوري بطرس عزيز. مجلة المشرق، بيروت، 1909.

إسماعيل، ياقو (ملك). الآشوريون بين حربين عالميتين. مخطوطة معربة عن السريانية.

British Foreign Office. Files:

F.O. 195/112
= = / 113
= = / 175
= = / 204
= = / 228
= = / 301
= = / 2698
= = / 2699
= = / 2700

Ainsworth William F. Travels and Researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea and Armenia. 2 vols. London, 1842.

American Board of Commissioners for Foreign Mission, Missionaries of the…, Boston, 1857.

American Sunday-School Union. The Nestorian of Persia. Philadelphia, 1848.

Anderson, Rufus. History of the Missions of the American Board of Commissioners for Foreign Missions to the Oriental Churches. 2 Vols. Boston, 1872.

Arafa, Hassan. The Kurds: a Historical and Political Study. Oxford University Press, London, 1966.

Atiya, Aziz. History of Eastern Christianity. London, 1968.

Badger, G.P. The Nestorians and their Rituals. 2 Vols. London, 1852.

Bell, Gertrude. Churches and Monasteries of Tur Abdin. Heidelberg, 1913.

Bengtson, Hermann. & Others. The Greek and the Persian. Great Britain, 1969.

Bishop, Isabella L. Journeys in Persia and Kurdistan. Vol. II. London, 1891.

Bonomi, Joseph. Nineveh and its Places. London, 1852.

Briggs, Hezbert W. THE Law of Nation 2nd edition. New York, 1952.

Browne, L.E. The Eclipse of Christianity in Asia from the Time of Muhammad till the Fourteenth Century. Cambridge, U.K. 1933.

Buckingham, J.S. Travels in Mesopotamia. London, 1827.

Budge, E. Wallis. By Nile and Tigris. London, 1920.

Burkitt, Francis C. Early Eastern Christianity. London, 1904.

Coan, Frederick. Yesterday in Persia and Kurdistan, Claremont, California, 1939.

Cutts, Edward. Christian Under the Crescent in Asia. London, 1877.

Darke, Diana. Discovery Guide to Eastern Turkey. London, 1990.

Donner, F. McGrew. The Early Islamic Conquest. Princeton University Press N. J. 1981.

David & Oates, J. The Rise of Civilization. Oxford, 1976.

Etheridge, J.W. The Syrian Churches. London, 1846.

Farhad, Sam. Beyond the Call of Duty. U.S. 1986.

Fisher, N. S. The Middle East A History. 3rd. Ed. London, 1979.

Fletcher, J.P. Notes from Nineveh and Travels in Mesopotamia, Assyria, and Syria. Philadelphia, 1850.

Fortescue, Adrian. The Lesser Eastern Churches. London, 1913.

Fraser, J. Baillie. Travels in Koordistan, Mesopotamia, etc. London, 1842.

Frazee, Charles. Catholics and Sultans. London, 1983,

Ghassemlu, Abdul Rahman. The Kurd and Kurdistan. London, 1965.

Gibb, H. and Harold Browne, Islam Society and the West. London, 3rd. Ed. 1965

Gibbon, Edward. The History of the Decline and Fall of the Roman Empire. Vol. V. London, 1901.

Grant, Asahel. The Nestorians; or, The Lost Tribes. New York, 1844.

Heazell F. N. And Mrs. Margoliouth (eds). Kurd and Christian. London, 1913.

Hude, William. Voyage Up the Persian Gulf. London, 1819.

Janin, Pe're. The Separated Eastern Churches. St. Louis. Mi. 1933.

Joseph, John. The Nestorians and Their Muslim Neighbors. New Jersey, 1961.

Kidd, B.J. The Churches of Eastern Christendom from A.D. 451 to the Present Time. London, 1927.

Kubie, B. Nora. Road to Nineveh. The Adventures and Excavation of Sir Austen Henry Layard. New York, 1964.

Kurtz, Professor. Church History. Translated by the Rev. John Macpherson. Vol. II. London, 1889.

Laurie, Thomas. Dr. Grant and the Mountain Nestorians. Boston, 1856.

Layard, Austin Henry. Nineveh and its Remains. New York, 1851
---. Popular Account of Discoveries at Nineveh. London, 1851.

Le Strange, G. The Land of the Eastern Caliphate. Cambridge, 1905.

Longrigg, Stephen. Hemsley. Four Centuries of Modern Iraq. Oxford, 1925.
----------, And **Frank Stoakes**, IRAQ: London, 1958

Luke, Harry, Mosul and its Minorities. London, 1925
--- The Making of Modern Turkey. London, 1936.

McCarthy, Justin. Muslim and Minorities. London, 1983.

McCoan, J. Carlile. Our New Protectorate – Turkey in Asia. 2. Vols. London, 1879.

Maclean, Arthur John. and Browne, William Henry. The Catholicos of the East and His People. London, 1892.

Malek, Yusuf. The British Betrayal of the Assyrians. Published by the Assyrian National League of America, 1935.

Mangana, (Alphonso). The Early Spread of Christianity in Asia. John Ryland's Library Bulletin. Vol. 9.

Ma'oz, Moshe. Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 – 1861. The Impact of the Tanzimat on Politic and Society. Oxford, 1968.

Mar Shimun, Surma D'Bait. Assyrian Church Customs and the Murder of Mar Shimun. London, 1920.

Miller, William. The Ottoman Empire and its Successors. (The Ottoman Empire 1801 – 1913). Second ed. Cambridge, 1923.

Morony, Michael G. Iraq after Muslim Conquest. New Jersey, 1984.

Naayem, O. I. Shall This Nation Die. New York, 1921.

Niebuhr, M. Travel through Arabia and Other Countries in the East. Translated by Robert Heron. Vol. II. Edinburgh, 1792.

O'Leary, De Lacy. The Syriac Church and Fathers. London, 1909.

Olmstead, A.T.E. History of Assyria, New York, 1923.

Oppenheim, A. Leo. Ancient Mesopotamia. Chicago, 1977.

Oslan, Robert. The siege of Mosul. War And Revolution in the Ottoman Empire 1720 – 1743. Thesis Submitted to the faculty of the graduate school ... University of Indiana, 1973.

Perkins, Justin. A Residence of Eight Years in Persia, among the Nestorians Christians with Notice of the Muhammedans. New York, 1843.

Polo, Marco. The Book of Marco Polo. Translated and edited by Colonel Henry Yule. Book I. London, 1875.

Rich, Claudius J. Narrative of a Residence in Koordistan and on the Site of Ancient Nineveh. 2 vols. London, 1836.

Ross, H .J. Letters from the East. Edited by J. Ross. London, 1902.

Roux, George. Ancient IRAQ. Second edition, London, 1980

Safrastian, A. The Kurds and Kurdistan. London, 1948.

Saggs, H. W. The Greatness that was Babylonia. 3rd. Impression. London, 1948.

Segal, J.B. Edessa The Blessed City. Oxford, 1970.

Shedd, Mary E. The Measure of a Man: The Life of William Ambrose Shedd, Missionary to Persia. New York, 1922.

Shedd, William Ambrose. Islam and the Oriental Churches. New York, 1908.

Smith, Eli, Researches of the Rev. E. Smith and the Rev. H.G.O. Dwight in Armenia, 2 vols. Boston, 1933.

Speiser, E. A. Ancient Mesopotamia: A Light that did not Fall. Reprinted from the National Geographic Magazine, August, Washington D.C. 1951.

Southgate, Horatio. Narrative of a Tour through Armenia, Kurdistan, Persia and Mesopotamia: with Observations on theCondition of Mohammedanism and Christianity in Those Countries. 2 vols. London, 1840.
---. Narrative of a Visit to Syrian [Jacobites] Church of Mesopotamia. New York, 1844.

Stafford, R.S. The Tragedy of the Assyrians. London, 1935.

Stewart, John, Nestorian Missionary Enterprise, the Story of a Church on Fire. Madras, 1928.

Vine, Aubrey R. The Nestorian Churches. London, 1937.

Vucinlch, W. The Ottoman Empire: Its Record and Legacy. N. Y. 1965.

Warda, J. The Flickering Light of Asia. U.S. 1924

Wigram, W.A. The Assyrians and their Neighbours. London, 1929.
--------, and Wigram, Edgar T. A. The Cradle of Mankind. Life in Eastern Kurdistan. London, 1922. ***

Wilson, Charles. (Sir) Asia Minor, Transcaucasia, Persia. London, 1895.

Wiseman, D.J. Chronicles of Chaldean Kings (626 – 556 B.C). Published by British Museum. London, 1956.

Wiltsch, J.E.T. The Geography and Statistics of the Church. Translated from the Germany by John Leitch. 2 Vols. I. London, 1959. II. London 1868.

Yapp, M. E. The Making of the Modern Near East 1792 – 1923. London, 1987.

Yohannan, Abraham. The Death of a Nation. New York, 1916.

Periodical, Articles Reports, and Encyclopedia.

Bentink, A.W.D. Maj. Reflection on the Mosul Problem. JNL. Royal Central Asian Society. 1926, XIII.

Bliss, Edwin. Kurdistan and the Kurds. Andover Review. Vol. 4. 1885.

Cambridge Bibliography Dictionary. New Edition, 1936.

Carr, Ralph. Col. The Kurdish Mountain Range in Reference to Russian Advance on the Tigris. JNL. Royal United Service. Vol. II. (1878 – 1879).

Cutts, Edward. The Assyrian Christians Report of a Journey. Canterbury, 1877.

encyclopedia Britannica. R.R. vol. I. (1982).

Heinrichon, Rev. modern Nestorian of Persia. Missionary Review, vol. 21. 1908.
Laurie, "Khawaja Meeka of Mosul". Missionary Herald, 23, 3, (1888) 16 – 17.

Leon, Dominian. The People of Northern and Central Asiatic Turkey. American Geographic Society. Vol. XLVII. 1915.

New Assyria, (1917 – 1918). New York.

Sheil, Col. Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan Via Bitlis, Se'ert. The Journal of the Royal Geographical Society, 8 (1838) 54 – 101.

Wigram, E. The Ashiret Highlands of Hakkarie. JNL. of the Royal Asian Society. III. (1916) 40 –59.

Webster's Dictionary. New York, 1988.

مصادر الخرائط والصور الواردة في هذا المجلد

اعتمدنا في أعداد الخرائط على المصادر التالية:

1 ـ خارطة العراق السياسية

2 ـ أطلس العراق ـ أحمد سوسة

3 ـ خارطة الكنيسة الشرقية ـ الأب البير أبونا

4 ـ خارطتي أذربيجان وتياري وحكاري لاتحاد الجمعيات والأندية الآشورية في أميركا

5 ـ خارطة قرى الكلدان ـ الأب حنا شيخو (كلدان القرن العشرين)

6 ـ خارطة تحقيقات بلدانية ـ كوركيس عواد

7 ـ خارطة كونراد برويسر ـ المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين

8 ـ خارطة المس بيل ـ Churches and Monasteries of Tur Abdin وغيرها من المصادر

9 ـ صوت طور عبدين ـ مخطط وجولة في قرى طور عبدين

10 ـ كتاب طور عبدين واللؤلؤ المنثور ـ مار أفرام برصوم

11 ـ مخطط مسار رحلة بادجر 1842

12 ـ محاضرة في الجمعية الأكاديمية الآشورية في شيكاغو ـ Surath Speaking عن بعض القرى الواقعة إلى شرق طور عبدين ما بين زاخو وتياري وجزيرة ابن عمر...

13 ـ الجغرافيون والبلدانيون

14 ـ الزيارات والرحلات الميدانية الشخصية في شمال العراق وطور عبدين.

أما الصور فقد تم جمعها من الرحالة والمستشرقين والمبشرين: ومنهم: Layard, Badger, Curtts, Maclean and Browne, وكونراد برويسر والمس بيل المشار إليهما إلى جانب مصادر أخرى نأسف لعدم ذكرها فهي عديدة وتم مقارنتها مع غيرها.



صوامع القرون الأولى ـ طور عبدين



كنيسة من القرون الأولى ـ طور عبدين





مخطوطات سريانية ـ خسرأوا



كنيسة مارت مريم ـ اذربيجان